المملكـــة العربيـــة السعوديـــــة
وزارة التعليــــم العالـــــي
جامعــــــة أم القــــرى
كلية الشريعة والدراسات الإسلامية
الدراسات العليا التاريخية والحضارية

التاريخ الإقتصادي والإجتماعي والثقافي لسلطنة زنجبار الإسلامية في شرق أفريقيا

١٢٢١ - ١٣٦٧هـ / ١٨٠٦ - ١٩٤٧م

رسالة مقدمة

لنيل درجة الدكتوراه في التاريخ الإسلامي الحديث

إعداد / ناجيه محمد الصالح الخريجي

إشراف أ . د / يوسف بن علي رابع الثقفي

١٤١٣هـ / ١٩٩٣م

بسم الله الرحمن الرحيم

بسم الله الرحمن الرحيم

ملخص الرسالة

الحمد الله رب العالمين ، والصلاة والسلام على خير الأنبياء والمرسلين ، سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .

وبعـد :

هذه الرسالة بعنوان : « التاريخ الإقتصادي والإجتماعي والثقافي لسلطنة زنجبار الإسلامية في شرق أفريقيا ١٢٢١ - ١٣٦٧هـ / ١٨٠٦ - ١٩٤٧م » . المقدمة لنيل درجة الدكتوراه في التاريخ الإسلامي الحديث ، تهدف إلى إبراز الدور الحضاري للتراث العربي الإسلامي ومدى تأثيره العميق في شتى مجالات الحياة في مجتمع شرق أفريقيا بطريقة علمية موضوعية معتمدة على المصادر الأصلية .

والرسالة تتكون من أربعة أبواب ، صدرتها بعد المقدمة التي تتضمن أهمية الموضوع وأهداف الدراسة ، بتمهيد تحدثت فيه بإيجـاز عن العمانيين وقيـام سلطنة زنجبار الإسلامية في شرق أفريقية ، وكيف تمكن البوسعيديون من إخضاع ذلك الجزء في المشرق الإفريقي لحكمهم .

أما الباب الأول فيتناول دراسة النواحي الإقتصادية وعوامل ازدهارها في زنجبار ، والنشاط التجاري نتيجة إنتقال السيد سعيد إلى زنجبار . ويتناول الباب الثاني النواحي الإجتماعية ومظاهرها وعناصر المجتمع السكاني في زنجبار وعاداتهم وتقاليدهم ، ويعالج الباب الثالث النواحي الثقافية والفكرية ، من حيث المذاهب والطوائف والمذاهب المختلفة في البلاد وغلبة أهل السنة والجماعة ، ثم التعليم الإسلامي ودور العلماء في تركيز دعائم الإسلام في شرق أفريقيا ، وكذلك الثقافة السواحلية وأثر الإسلام واللغة العربية في إنمائها وتطويرها . ويتضمن الباب الرابع قيام مملكة أوغندا وقيام الإمارات العربية الإسلامية في أعالي الكونغو كدراسة نموذجية للأثر الإقتصادي والإجتماعي والثقافي لسلطنة زنجبار ، مع بيان دور التجار العرب في النمو الإقتصادي والتعليم وأثره في العادات والتقاليد وإنتشار الإسلام واللغة العربية بين الأهالي . أما خاتمة الرسالة فتتضمن النتائج ، التي من أهمها : (١) أن العرب كانوا من أوائل الشعوب التي سكنت ساحل شرق أفريقيا ، ومنها إلى قلب القارة . (٢) ازدهار النشاط التجاري نتيجة انتقال السيد سعيد إلى زنجبار ، وتحويلها من قرية صغيرة للصيد إلى أعظم ميناء في الأطراف الغربية من المحيط الهندي ، كما أصبحت المركز الرئيسي للتجارة الأفريقية الآسيوية بصفة عامة . (٣) إحداث السيد سعيد زراعة القرنفل حتى أصبحت كل من جزيرتي زنجبار وبمبا تصدران ٩٠٪ من الإنتاج العالمي . (٤) أثر الدين الإسلامي في تغيير الكثير من معتقدات الأفارقة وأفكارهم ونظم حياتهم . . والله ولي التوفيـــق .

الطالبــة	المشــرف	عميـد كلية الشريعة والدراسات الإسلامية
	١٤١٤/٩/١٨	١٤١٤/٩/١٩
ناجيه محمد صالح الخريجي	أ . د . يوسف بن علي رابع الثقفي	د . عابد محمد السفياني

شُكـــر وتـقـديــــر

الحمد لله حمداً كثيراً طيّباً مُباركاً الذي وفّق وهَدىٰ . والسّلام على سيّدنا محمّد مُعلّم البشرية وهادي الأُمّة المصطفىٰ وعلىٰ آله وأصحابه أجمعين ، والفضل كُلّه للّه : ﴿ ربِّ أوزعني أن أشكُر نعمتَك التي أنعمتُ عليّ وعلىٰ والدىّ وأن أعمل صالحاً ترضاه ﴾ . (النّمل : الآية ١٩) . وبعد .

فإنّي أتقدّم بالشّكر الجزيل لأُستاذي الفاضل الدّكتور إبراهيم الزّين صغيرون الذي ساعدني في اختيار موضوع الرّسالة ، ثم تبويبها ووضع التقسيمات الأساسية فيها ، كما ساهم بإرشادي إلى المصادر والوثائق والمراجع التي خدمت الرّسالة .

كما أرفع أسمىٰ آيات الشّكر وعلامات التّقدير إلى الأُستاذ الدّكتور محمّد سيّد محمّد شفاه اللّه ، الذي تعهّدني برعايته ، وأحاطني بعطفه وتوجيهاته ، وبذل لي من وقته وجُهده كل مابوسعه ، من أجل إتمام هذه الدّراسة .

ويطيبُ لي أن أتقدّم بعظيم الشُكر والإمتنان إلى سعادة الأُستاذ الدّكتور يوسف بن علي رابع الثّقفي ، الذي تفضّل بالإشراف على عملي المتواضع بالرّغم من مسؤوليّاته الكثيرة من أجل إتمام هذه الدّراسة ووضع التّعديلات واللمسات الأخيرة والتّدقيق النّهائي .

فالشُكر لهم على تفضّلهم بالإشراف على هذه الدّراسة ، وبذلهم الجّهد الكبير ، وتقديم التّوجيهات الرّشيدة والآراء الصّائبة . مما كان له كبير الأثر في إتمام هذه الدّراسة .

كما يسُرّني أن أتوجّه بالشُكر الجزيل إلى جامعة أُم القرىٰ بمكّة المكرّمة وكُلّية الشريعة والدّراسات الإسلامية فيها .

وأُقدّم عظيم شُكري وتقديري إلى من علّمني طلب العلم وتقديره ، وإلىٰ من كان رمزاً للإخلاص والوفاء وإلى والدي رحمه اللّه ، وإلى والدتي حفظها اللّه ، التي أنارت لي طريق العلم بدعواتها الصّالحة ، وإلى زوجي الفاضل الأُستاذ الدّكتور منتظر حمزة حكيم ، وإلى أبنائي وأخوتي الغاليين الذين قاموا بمساعدتي ، ووفّروا لي كل أسباب الرّاحة .

كما لايفوتني أن أشكُر كل من أسهم في مُساعدتي لإخراج هذه الدّراسة من أقارب وزُملاء مما لايسمح المجال لذكرهم . سائلة اللّه أن يجزيهم الله خير الجزاء . كما أسأله تعالىٰ أن يوفّق الجميع لما يُحبّه ويرضاه .

الباحثـة ؛

المقدمة :

الحمد لله . . . حمداً يليق بجلال ذاته . . . والصلاة والسلام على حبيبه الذي اصطفىٰ محمد الأمين وعلى آله وصحبه أجمعين ومن اهتدىٰ بهديه إلى يوم الدّين . . . وبعد .

فإننا نعيش في عصر يتعرّض فيه الإسلام لهجمة شرسة ، قوامها الكلمة والسّلاح ، ظلماً وعدواناً وبُهتاناً . هجمة يحاول فيها أعداء الإسلام تزييف التاريخ ، والنيل من قيم العقيدة الإسلامية ، ولايدّخرون وسعاً في تشويه صورتها ، فيدسّون سُمومهم في معسول القول ، ويزيّنونه بزينة الإفك ، حتّىٰ ينالوا من عقيدة المسلم ، فيتحقق لهم مايرمون إليه .

هُنا يأتي دور الباحث في التاريخ الإسلامي ، قديمه وحديثه ، في الكشف عن زيف مايقولون ، وإفك مايفترون ، ليطمئن قلب المسلم المعاصر على عقيدته ، وعلى دينه الذي أظهره الله على الأديان كلّها ذلك الدّين الذي انطلق من مهده في الجزيرة العربية ، لينشر هدى الله ونوره فيضيء جنبات الأرض الواسعة من شرقها إلى غربها ومن شمالها إلى جنوبها وليتغلغل الإسلام ويستقرّ في نفوس المسلمين الذين اطمأنّت قلوبهم لدين الله الحنيف منذ نيف وأربعة عشر قرناً من الزّمان .

لم يكن ذلك سهلاً يسيراً ، بل كان صعباً عسيراً ، فقوىٰ الشّيطان منذ بدء الخليقة لاتكلّ ولاتلين ولاتهدأ ولاتستكين ، بل إنّها لاتدّخر وسعاً في محاربة هذا الدّين . فمنذ بزوغ فجر الإسلام بظهور سيّدنا محمد صلّىٰ الله عليه وسلّم ، وأعوان الشّيطان وأتباعه من كل جنس وملّة يُحاربون هذا النّور . فهاهم المجوس عباد النّار ، والرّوم وأحفادهم من حملة الصّليب واليهود ، جميعهم تحالفوا ضدّ هذا الدّين الحنيف ولازالوا في كل آنٍ ومكان يريدون إطفاء هذا النّور بالكلمة

والسّلاح ، ناهيك عمّا نعيشه اليوم من ثورة في تكنولوجيا الإتّصال المعاصر ، الذي ينساب داخل كل بيت بلا رقيب ولاحسيب . أسلحة رهيبة فتّاكة ، تفتك بالعقل ، وتمزّق الرّوح ، قبل أن تزهق النّفس وتقبر الجسد : ﴿ يريدون أن يُطفئوا نور الله بأفواههم ويأبىٰ الله إلا أن يُتم نوره ولو كره الكافرون ﴾ . (التوبة ٣٢)

إذن فهي الحرب الضّروس ، الحرب التي لابد لكل مسلم أن يتهيّأ لمواجهتها ، سواء كان من أهل البحث والتّقصّي ، أو من أهل السلاح والقتال ، أو من عامة النّاس ، لابد له أن يعد لها مايستطيع من قوّة وأن يتكاتف المسلمون جميعاً في مواجهة هذه الهجمة الشّرسة الظّالمة .

ويقع عبء البحث العلمي والتقصّي عن الحقائق التّاريخية وغيرها على كاهل الجامعات والمؤسّسات الأكاديمية ، وهذه في المملكة تنحو نحواً إسلاميّاً ، وتقف بالمرصاد لكل زيفٍ ، لكل إفك ، بل لكل ظلمٍ وبهتانٍ ، وأخذت على عاتقها في دراساتها العليا العلمية والبحثية أن تردّ كيد الحاقدين على دينِ الله الحقّ ، وتدحض افتراءاتهم بالبحث العلمي الجاد ، والبيّنة والبرهان .

وما الدراسة التي بين أيدينا إلاّ واحدة من هذه الدّراسات التي قُصِد بها وجه الله ، وإحقاق الحقّ ، وكشف الزّيف الذي وقع على الإسلام في منطقة كان للإسلام أكبر الفضل في تنميتها وتطويرها ، ألا إنّها سلطنة زنجبار الإسلامية في شرق أفريقية .

وينحصر هذا العمل - كما اقتضت خطة هذا البحث العلمي في دراسة التاريخ الاقتصادي والاجتماعي والثقافي لسلطنة زنجبار الإسلامية في شرق أفريقية ، وذلك في الفترة مابين ١٢٢١هـ - ١٣٦٧هـ / ١٨٠٦م - ١٩٤٧م . بغرض تحقيق الأهداف التّالية :

الغرض من الدراسة :

أولاً :

إبراز أهمية التراث العربي الإسلامي والدّور الرّائد ، الذي قام به العرب المسلمون عامة وعرب عمان خاصة في تاريخ زنجبار وشرق أفريقية بطريقة علمية ، مع الالتزام بالحقيقة التاريخية الموضوعية البعيدة عن كل ميل وتعاطف ، والتي ترتكز على المصادر الأصلية .

ثانياً :

شح وندرة المصادر التاريخية عن شرق أفريقيا ، والتي لايوجد منها إلاّ القليل ، والمتناثر بين الكُتب اليونانية والرّومانية القديمة . أما في العصور الحديثة فقد كثرت الدّراسات الأوروبّية عن هذه المنطقة ، ولكنها كانت عبارة عن تقارير وبحوث لشركات أو مصالح أوروبّية . ورغم أنها تُشكّل مصدراً لاغنىٰ عنه ، إلاّ أنها مشوبة بالدّس ، فهي تُعطي القارىء إنطباعاً سيّئاً . إذ رأوا بأن العربي المسلم وتاجر الرّقيق هما وجهان لعُملةٍ واحدة .

ثالثاً :

الحاجة الماسّة للتعرّف على الجوانب الاقتصادية والاجتماعية والثّقافيّة لسلطنة زنجبار ، إذ إن معظم الدّراسات التاريخية التي تحدّثت عنها ، لم يكن التركيز فيها إلاّ على الجوانب السياسيّة فقط .

رابعاً :

إبراز الدّور الحضاري المُميّز للعناصر العربية الإسلامية ، وتأثيرها العميق في شتّىٰ مجالات الحياة في مجتمع شرق أفريقية ، مما أسهم في قيام مايُعرف بالحضارة السواحلية ، والتي تعتبر من أهم الظّواهر الجديرة بالبحث والتّقصّي إضافةً إلى دورها

في حياة النّاس في شرق أفريقية بصفةٍ عامة . فالإسلام ليس عقيدة فقط ، إنما هو نظام اجتماعي وثقافي أيضاً ، قام جنباً إلى جنب مع المعتقدات الأفريقية الأُخرىٰ ، ثم بدّل وغيّر فيها ، لتتمشّىٰ مع مبادئه القويمة .

خامساً :

تمحيص دراسات المستشرقين والمنصرين بالنّقد والتحليل ، هذه الدّراسات التي نشأت مواكبة للمدّ الاستعماري الثّقافي والحضاري ، وكشف مخطّطاتهم ، التي استهدفت المسلمين وتشويه تاريخهم وثقافتهم ، وبثّ روح الفرقة والانقسام بين العرب والأفارقة لخدمة حضارتهم الغربيّة إدارياً وتجارياً وثقافياً .

سادساً :

هناك صفحات كثيرة من تُراثنا العربي الإسلامي ، لاتزال تحتاج من الباحثين والمؤرّخين إلى إلقاء المزيد من الضّوء عليها والكشف عنها ، خاصةً تلك الصّفحات المجيدة في تاريخنا العربي الحديث ، والتي ساهم العرب المسلمون فيها بدورٍ كبير ، وذلك في أواسط القارة الأفريقية ومنطقة البُحيرات الإستوائية والكونغو .

سابعاً :

إبراز طبيعة العلاقات العربية الإسلامية والأفريقية ، والتي لاتزال تكتنفها صعوبات عديدة منها فقدان الكثير من السّجلاّت والمدوّنات العربية الإسلامية ، كما أنه لايزال جُزء كبير من المخطوطات مجهولاً ، أو لم تسلّط عليه الأضواء بعد من قِبل الدّارسين ، بالإضافة إلى المصادر الأجنبيّة التي دأبت على تشويه التاريخ العربي الإسلامي في شرق أفريقيا .

لذلك فقد كانت هذه الأسباب دافعاً قويّاً للقيام بهذه الدّراسة لإبراز الدّور العظيم الذي قام به العرب المسلمون في تاريخ زنجبار وشرق أفريقيا .

والمنهج المتّبع في هذه الدراسة هو منهج البحث التاريخي العلمي ، القائم على تجميع المادة العلمية من المصادر المختلفة العربية منها والأجنبية ، وبخاصّة المصادر الأصلية ، كالوثائق المنشورة وغير المنشورة ودراستها وتمحيصها .

مصادر البحث الأساسية :

أولاً : الوثائـق :

١ - دار المحفوظات البريطانية :

- India Office Records (I . O . R .)
- Bombay Archives Political Department (B . A . P . D .)
- Bombay Government Selections Records (B . G . R .)
- Foreign Office (F . O .)
- Colonial Office (C . O .)

٢ - محفوظات الأرشيف الأمريكي :

- The National Archives and Records of The United States . (N . A . R . A .) No. 100 .

وهذه الوثائق على درجة كبيرة من الأهميّة لما تحتويه مادتّها من معلومات هامة في النّواحي الاقتصادية والاجتماعية والثّقافية . فهي توثيق للتجارة في شرق أفريقيا وزنجبار وتمدنّا بقوائم إحصائية توضح سير الحركة التجارية ، وتسيير السّفن والبضائع المتنوّعة التي تصدرها وتستوردها هذه المنطقة .

كما توضّح الوثائق والمعاهدات التجارية ، التي أُبرمت بين حُكّام زنجبار والولايات المتّحدة الأمريكية وبريطانيا وفرنسا وغيرها من الدّول الأجنبيّة ، وتوضّح أيضاً تجارة الرّقيق ، وماترتّب عليها من اتّفاقيّات لمنع هذه التّجارة والحالة الإجتماعية للرقيق ، ومعاملتهم من قِبل العرب وغيرهم من الأجانب .

وقد أفادت هذه الوثائق البحث إفادة عظيمة ، نظراً لدقّة معلوماتها من جهة ، ولاشتمالها على جميع العلاقات التي كانت قائمة بين سلطنة عمان والدّول الأجنبية من جهة أُخرىٰ .

ثانياً : الكُتب :

ومن المصادر والمراجع التي اعتمدت عليها الدّراسة بعض الكتب التي نشرتها وزارة التراث القومي والثقافة في سلطنة عمان ، والتي حرصت فيها على تقديم التراث العربي الإسلامي ، وإبراز الدّور الرّائد الذي اضطلع به المسلمون في تنمية المجتمعات الأفريقية .

١ . كتاب جهينة الأخبار في تاريخ زنجبار :

ومن هذه المصادر كتاب جهينة الأخبار في تاريخ زنجبار للمؤلّف الشّيخ سعيد بن علي المغيري ، والذي كتبه في اليوم السّابع من شهر رمضان عام ١٣٥٧هـ الموافق ٣٠/١٠/١٩٣٨م في جزيرة فوندة من أعمال بمبا .

ورغم أن المؤلّف يعتبر مؤرّخاً معاصراً حديث العهد ، إلاّ إنه تناول في تاريخه فترة زمنية بعيدة ، استقىٰ معلوماتها من الكتب العربية والأُوربّية التي سبقته ، ومن روايات المعاصرين الموثوق بهم .

وترجع أهمية هذا الكتاب إلى أن المؤلّف كان معاصراً للأحداث التي دارت في شرق أفريقية وزنجبار في التاريخ الحديث ، كما التزم بالرّجوع إلى المصادر الأصليّة المتنوّعة ، سواء كانت عربية أو أجنبيّة ، مثل الكتب والوثائق التي حصل عليها من السّلطان خليفة بن حارب ، والشيخ عيسىٰ البرواني ، وغيره من العلماء . وقرأ كتب المؤرّخين العُمانيّين ، أمثال ابن رزيق . وكان كثير السّفر والترحال ، فقابل

عدداً من الشّيوخ المسنّين ، وكتب وسمع الكثير منهم ، كما ضمن المغيري كتابه االكثير من المراسلات الرّسمية والمختومة والموثوقة من السّلاطين والجهات الرّسمية المختلفة ، وهي تمثّل وثائق على جانب عظيم من الأهمية للدارسين في الشّؤون السياسية والاقتصادية لشرق أفريقية وزنجبار .

وكتاب جهينة الأخبار المخطوط يقع في ثلاث وسبعين وخمسمائة صفحة من القطع الكبير ، وقد كتبه أكثر من ناسخ بالقلم الهندي وبالخط النسخ . وكتب المؤلّف بعضاً من صفحات الكتاب بخط يده ، واحتفظ بمخطوط هذا الكتاب ابنه جمعة بن سعيد المغيري بعد وفاة والده ، ثم قدّمه في عام ١٣٩٠هـ / ١٩٧١م إلى وزارة التراث القومي والثّقافة ، حيث حُقق وطُبع مرتين الأولىٰ بقلم الأُستاذ عبدالمنعم عامر ، والثانية بقلم محمد على الصّليبي . ويدلّ ذلك على أهميـة هذا الكتاب ، نظراً للتطوّر المنهجي في الدّراسات التّاريخية .

وقد عمد المؤلّف إلى اتّباع الطريقة الحولية في تدوين الحوادث ، من القديم إلى الوسيط إلى الحديث . فتحدّث عن الحُكّام والسّلاطين بالتفصيل ، جاعلاً اسم السّلطان أو الحاكم عنواناً للعصر الذي تحدّث عنه ، ثم أدرج تحته أهم الأحداث التي وقعت في عصره ، وأهم الشّخصيّات والكُتب وغير ذلك من الأمور .

كما أبرز المؤلّف اهتماماً خاصاً بأثر علم الجغرافيا في دراسة التاريخ على أساس أن الأرض هي المسرح الذي تدور عليه أحداث الإنسان ، فتحدّث عن السّكّان الأصليّين للمنطقة موضّحاً أصولهم وطرق معيشتهم ، وأماكن وجودهم ، وأسماء قبائلهم وسلاطينهم ، ثم علاقاتهم بالعرب المسلمين ، مثبتاً ذلك بالوثائق والكتب والمصادر التي توضّح العلاقة الطّيبة والمساواة التي كانت بينهم وبين العرب .

ثم ذكر المؤلّف الأجناس المتعدّدة التي وفدت إلى هذه المنطقة ، ووضّح طرق حياتهم ومعيشتهم وأعمالهم ونشاطهم المتنوّع وتعتبر الإحصاءات التي وردت في كتاب جهينة الأخبار مصدراً مهمّاً ، يؤيّد الآراء التّاريخية لمعرفة الكثير عن تاريخ زنجبار ، مثل عدد السّكّان وتوزعهم والمدن والموانيء ، ومايصل إليها من صادرات وواردات ، وعدد أشجار القرنفل وغيرها من المنتجات الزّراعية .

ويعتبر هذا الكتاب في نفس الوقت مصدراً هاماً لمعالجة بعض القضايا الاجتماعية والاقتصادية التي تهم الباحث في التاريخ الأفريقي ، مثل قضيّة الرّق التي ألصقها بعض الكُتّاب الأُوروبيين بالعرب ، ودافع عن ذلك بأدلّة من الدّين الإسلامي والتقاليد العربية ، إذ قارن بين وضع الرّقيق في ظل حكم العرب ، وبين أوضاعهم في ظل الإستعمار .

وأُسلوب الكتاب بوجهٍ عام هو أُسلوب عربي سليم ، لايحتاج إلى تصويب أو إصلاح ، قياساً بكُتب المؤرّخين المعاصرين له ، فهو ليس كتاب لغة أو أدب ، وإنما كتاب تاريخ ، استخدم فيه الكاتب بعض الأسماء الأجنبيّة على حالتها الصّوتية ، مكتوبة باللغة العربية ، كما احتوىٰ على الكثير من الكلمات والمصطلحات السواحلية ؛ لذلك يمكننا القول : إن هذا الكتاب من أهم الدراسات التاريخية التي عالجت الدّور التّاريخي والحضاري للعرب المسلمين في شرق أفريقيا وزنجبار .

٢ . مذكّرات أميرة عربية :

كما استقىٰ البحث معظم معلوماته الاجتماعية من كتاب مذكّرات أميرة عربية وهو من منشورات التراث القومي والثقافي أيضاً . ومؤلّفة الكتاب هي الأميرة

السيدة سالمة ابنة السيد سعيد بن سلطان . ولدت في عام ١٢٦١هـ / ١٨٤٥م وتوفّيت في عام ١٣٤٠هـ / ١٩٢٢م عن عُمرٍ يناهز الثمانين عاماً .

وأهم مايميّز هذا الكتاب طابع الندرة ، الذي يتّسم به في موضوعه ، والصّراحة التي عولج بها ، فهو مذكّرات إحدىٰ بنات السّيد سعيد الأميرة الشّرقيّة التي تخرج على تقاليد قومها ، فتتزوّج شاباً ألمانيّاً كان يعمل في شركة ألمانيـة في زنجبار ، هو المستر روت . وتستبدل حيـاة الحجاب في الشّرق بحياة الاختلاط والسّفور في أُوروبّا ، وباسمها العربي السّيدة سالمة بنت سعيد اسم البرنسس إميلي روت ، كما تستبدل الدّين الإسلامي بالنصرانيـة ، وبعد عشرين عاماً وعندما تضيق بها الحياة وتحن للعودة إلى وطنها ، تُغلق أبواب هذا الوطن في وجهها ، فتعتكف لتكتب باللغة الألمانية قصّة حياتها وتجاربها ، وتستعيد ذكريات بلادها ، وبني قومها . فتكشف في صفحاتها عن إعجابها الشّديد بالدّين الإسلامي ، وحياتها القديمة والتقاليد والعادات العربيـة الإسلامية ، وقد بذلت جهداً كبيراً في الدّفاع عن الإسلام والعروبة . وإظهار مقتها للمسيحية وعادات الغرب وتقاليده ، مشيرة إلى كثير من السّلبيّات في الأخلاق والسّلوك عند الغربيين ، والتي من أهمّهـا التّحامل على الدّين الإسلامي ، وتضليل النّاس عن مبادئه العظيمـة .

وتعتبـر هـذه المذكّرات سجلاً حـافلاً بالوصـف الدّقيق للأحوال الاجتماعية والسياسية في زنجبار . فالمؤلّفة ابنة السيّد سعيد ، وعاشت في القصر السّلطاني ، وعـرفت جميع دخائله وخفاياه ، لذا فقد أعطتنا وصفاً دقيقاً للحياة في القصر بمـراسيمه وتقاليده ، وأُسلوب العيش فيه ، وذلك بطريقة بسيطة واضحة ، فيها المتعة والطـرافة والفائدة للرّاغبين في دراسة هذه الأمـور .

ومما يزيد من أهمية هذه المذكّرات الجدّة في معالجتها ، لأن الأدب النسائي وكتابة السيرة الذّاتية ، والمذكّرات الشّخصية عمل نادر ، وهذا الكتاب بطبعاته باللغات الثلاث - الألمانية والإنجليزية والعربية - التي صدر بها نادر الوجود ، لايمكن الحصول عليه بسهولة ويسر .

وقد تميّز أُسلوب هذه المذكّرات بالسّهولة والبساطة وبصدق عرضها وعفويّته . كذلك تضمّنت المذكّرات وصف مظاهر متعدّدة للحياة والتقاليد الاجتماعية السّائدة في زنجبار ، وعرضها بطريقة صادقة ، فقد وصفت البيوت والزّيارات التي تتم فيها وحياة الجواري والضرائر ، وطرق طهي الطّعام ، وغير ذلك من الأمور الدّقيقة .

ويقول عبدالمجيد القيسي مترجم هذه المذكّرات في السّيدة سالمة :

« وقد يقسو البعض في حكمهم على هذه المرأة ، فهي قد خرقت ولاشك تقاليد قومها ، وأساءت إلى سُمعة بيتها الكبير ، وهجرت بلدها ، وتركت دينها . ولكن يكفي أنها دفعت ثمن خطيئتها حياة طويلة في الغُربة والتّشرّد والكفاح المرير من أجل العيش لها ولأبنائها ، ولعلّ كتابة مذكّراتها هذه ماهو إلاّ مظهر ندامة وتكفير عمّا صنعت »[١] .

٣ . البوسعيديون حُكّـام زنجبـار :

ومن المصادر الهامة التي نشرتها وزارة التّراث القومي والثقافة ، كتاب الشيخ عبدالله بن صالح الفارسي : البوسعيديون حُكّام زنجبـار .

---

(١) ابن سلطان ، السيدة سالمة بنت السيد سعيد ، مذكرات أميرة عربية ، ص٥٠-٥١ ، ترجمة عبدالمجيد القيسي ، القاهرة ، ط٥ ، ١٤٠٦هـ / ١٩٨٥م .

وقد أفاد هذا المصدر الدراسة الحالية إفادة كبيرة ، فقد تضمّن معلومات دقيقة ومهمّة عن حُكّام زنجبار البوسعيديين ، متّبعاً أُسلوباً خاصاً لم يتّبعه أحد من قبله في الكتابة عن تاريخ زنجبار . فقد بدأ بالحديث عن كل حاكم ذاكراً نسبه ، وتاريخ مولده ، وزوجته أو زوجاته ، وأطفاله الذّكور والإناث ، ثم مدّة ولايته الحكم ، ووزرائه ، وأمواله ، ومن كان يقوم برعايتها ، وهيئة قضائه وعساكره ، وبعض الشّخصيّات الهامة والقناصل في عهده ، ورحلاته التي قام بها ، وطريقة حُكمه - ومن كان ينوب عنه في الحُكم في فترة غيابه - وحفظه الأمن ، والحروب التي وقعت في عهده ، وأسطوله التجاري والحربي ، وأهم قادته ، ثم أخيراً وفاته ومنجزاته التي خلفها من بعده .

٤ . **الفتح المبين في سيرة السّادة البوسعيديين :**

ومن منشورات وزارة التراث القومي والثقافة التي اعتمد عليها البحث ، كتاب : الفتحُ المبين في سيرة السادة البوسعيديين للمؤلّف حميد بن محمد بن رزيق بن بخيت . وقد أفاد هذا الكتاب في معرفة الدّور الذي قام به العمانيون في تأسيس سلطنة زنجبار الإسلامية .

٥ . **سلطنة عمان خلال حُكم السيد سعيد بن سلطان :**

ومن الكتب التي اعتمد عليها البحث ، ومن منشورات وزارة التراث القومي والثقافة كتاب : سلطنة عمان خلال حكم السيد سعيد بن سلطان (١٧٩١ - ١٨٥٦م) تأليف رودلف سعيد روت ، ابن السيدة سالمة ، الذي غرست فيه أمه الحب ، والإعجاب الشديد لجدّه السيد سعيد ، والكاتب شب وترعرع في بلدة المانيا ثم انتقل مع أمه إلى انجلترا حيث عاش فيها ، وقابل عدّة مرات اخواله وأبناءهم من سلاطين مسقط وزنجبار حيث كتب هذا المؤلف . وقد أفاد هذا

الكتاب الرّسالة بالمعلومات القيّمة التي ذكرها عن سيرة السيد سعيد وأعماله ، ثم استقراره في زنجبار ، واتّخاذها عاصمة له ، وسياسة السيد سعيد الخارجية .

٦ . رحلة الأشواق القويّة إلى مواطن السّادة العلويّة :

أما كتاب : رحلة الأشواق القوية إلى مواطن السادة العلوية للمؤلّف الشيخ عبدالله بن محمد بن باكثير الكندي الذي ولد في مدينة لامو بساحل أفريقيا الجنوبية الشرقية عام ١٢٧٦هـ وتوفى عام ١٣٤٣هـ في مدينة زنجبار، فيعتبر سجلاً حافلاً بالوصف الدّقيق للعلماء السادة العلويين ، الذين كان لهم دور كبير في تمثيل القيادة الفكرية والدّينية ، والذين تركوا أثراً كبيراً ومهماً بالنسبة لانتشار الإسلام في زنجبار وشرق أفريقيا . طبع على نفقة الشيخ سعيد بن محمد الخشي والفاضل محمد بن عبدالله موسى بزنجبار في مطبعة العلوم .

٧ . شمس الظّهيرة :

واعتمدت الدراسة أيضاً على كتاب : شمس الظّهيرة تأليف العلاّمة السيّد الشريف عبدالرّحمن بن محمد بن حسين المشهور المتوفي عام١٣٢٠هـ ، الذي أورد معلومات دقيقة عن العلماء العلويين المسلمين في زنجبار ، ودورهم في نشر الإسلام ، والحضارة الإسلامية في زنجبار وشرق أفريقيا . طبع هذا الكتاب في حيدر أباد بالهند على مطبعة مجرية عام ١٣٢٤هـ / ١٩٠٦م ، ثم طُبع بمطبعة موليا العطاسية في سورا بايا بأندونيسيا عام ١٣٧٣هـ / ١٩٥٣م .

٨ . غرائب الأخبار عن شرق أفريقيا وزنجبار :

كما استفادت الدراسة من كتاب غرائب الأخبار عن شرق أفريقيا وزنجبار للمؤلّف توفيق ميخائيل ، إذ أمد الدراسة بمعلومات وافية في وصف مدينة زنجبار

وسكّانها من عرب وأفارقة وهنود وغير ذلك من الجنسيّات المختلفة ، والعادات والتقاليد المتّبعة عند كل جنس ، فهو شاهد عيان يصف مايرى بطريقة صادقة ومفيدة ، لاتخلو من المرح والمتعة في آنٍ واحد .

ثالثاً : الدّوريّات العلميّة :

واعتمدت الدراسة أيضاً على بعض الدّوريّات العلمية الحديثة ، كالمقالة التي نشرتها مجلّة الهلال عن حميد بن محمد المرجبي فاتح الكونغو بعنوان أشهر الحوادث وأعظم الرّجال ، بقلم الشيخ ناصر بن سليمان اللمكي ، الذي أمد الدراسة بترجمة ممتازة عن حياة وأهم أعمال حميد المرجبي . ثم موقفه من المستعمرين الأوروبيين ، ومساعدته للرّحّالة والمستكشفين .

ومقالة إسهام اللغة العربية في إنماء اللغة السواحلية وتطويرها التي أعدّها الأستاذ بجامعة دار السّلام بتنزانيا هـ . م . باتيبو ، والتي أوضح فيها أهمية اللغة العربية بالنسبة للغة السواحلية وتطويرها ؛ لأن التواجد العريق للثقافة العربية الإسلامية كان له أكبر الأثر في تقدّم وانتشار اللغة السواحلية .

رابعاً : المراجع الأجنبيّة :

واعتمدت الدراسة على العديد من المصادر والمراجع الأجنبية الموثقة والمرتبطة بموضوع الدراسة . والتي أخذت منها معلومات كثيرة ، ولكن بعد وضعها تحت مجهر دقيق ، يتطلّب الكثير من الرّوية والحذر ، وخاصةً عند الرّد على المفتريات التي جاءت بها . ومن هذه الكتب :

- الإسلام في شرق أفريقيا للمؤلّف سبنسر ترمنجهام ، ترجمة وتعليق محمد عاطف النواوي .

- الدّعوة إلى الإسلام للمؤلّف توماس أرنولد ، ترجمة وتعليق حسن إبراهيم حسن وآخرون .

وأيضاً :

-	General Rigby	: Zanzibar and The Slave Trade .
-	R . Coupland	: The Exploitation of East Africa .
		: East Africa and Its Invaders .
-	F . B . Pearce	: Zanzibar .
-	N . R . Bennett	: Studies In East Africa .
		: Zanzibar In Contemparary Times .
-	R . F . Burton	: Zanzibar 2 Vols.

وتحتوي الدّراسة على مقدّمة وتمهيد وأربعة أبواب وخاتمة ، يضم كل باب عدّة فصول .

احتوت المقدّمة على أهمية الدراسة ، وأهدافها ، ثم دراسة تحليلية لأهم الوثائق والمصادر والمراجع التي اعتمدت عليه الدراسة .

أما التمهيد ، وقد جاء تحت عنوان :

العمانيون وقيام سلطنة زنجبار الإسلامية في شرق أفريقيا .

فهو يعطينا مدخلاً للموضوع الرّئيسي للدراسة ، وكيف تعرّضت منطقة عمان للاضطرابات الدّاخلية في نهاية حكم الأسرة اليعربية (١٠٣٣هـ/١٦٢٤م - ١١٥٣هـ/١٧٤١م) . كما يناقش التمهيد كيفية مشاركة الحكام العمانيين في طرد البرتغاليين ، ثم قيام الدّويلات العربية في زنجبار وكلوه ومافيا Mafia ، وكيف استطاع المزاريع العمانيون الاستقلال في حكم ممباسا .

ويوضّح التمهيد أيضاً إجماع العمانيين على اختيار الإمام أحمد بن سعيد حاكماً لعمان ، وتأسيس الأسرة البوسعيدية ، وكيف تمكن من حماية البلاد

وتوحيدها ، والعمل على استقرار الأمور السياسية والاقتصادية ، وتشجيع التجارة وتنظيمها .

وينتقل التمهيد إلى ولاية السيد سعيد بن سلطان ، وكيف استطاع أن يتخلّص من جميع متاعبه السياسية الداخلية والخارجية ، ثم محاولاته المتعددة للسيطرة على ممباسا ، والقيام في وجه آل مزروعي ، وكيف استطاع وضع ممباسا تحت سيطرته ، وإخضاع شرق أفريقية للحكم العماني البوسعيدي .

ثم يتناول التمهيد أيضاً استقرار السيد سعيد في زنجبار ، واتّخاذها عاصمة له عام ١٢٤٧هـ/١٨٣٢م ، والأسباب التي دفعته إلى ذلك ، وكيف أصبحت زنجبار حاضرة توحيد بين عمان وشرق أفريقيا ، في إطار سياسي واجتماعي واقتصادي وثقافي واحد . وتحوّلت إلى مركز رئيسي للتجارة في شرق أفريقيا .

أما الباب الأول ، فقد تناول دراسة النواحي الاقتصادية في عدّة فصول ، جاء أوّلها تحت عنوان عوامل الازدهار الاقتصادي في زنجبار .

ويدرس هذا الفصل التعاون التجاري والاقتصادي العربي والأفريقي الذي وجد منذ أقدم العصور ، واستمر إلى العصر الحديث ، والعوامل التي ساعدت على التقدم الاقتصادي ، كالجوار والعوامل الجغرافية . وكيف أن الرّياح الموسمية التي تهب في منطقة المحيط الهندي مكّنت السّفن الشراعية الصّغيرة المعروفة بالدّاو Dhow من القيام برحلتين منظّمتين في السّنة بسهولة ويُسر .

ويشرح هذا الفصل الطّرق والمراكز التجارية التي أسسها العرب المسلمون على الشّواطىء الساحلية ، والتي تعتبر المرحلة الأُولىٰ أو بداية التعامل التجاري بين العرب والقبائل الأفريقية . ثم يعالج تجارة العاج وكيفية الحصول عليه .

كما تناول الفصل الثاني اهتمام السيد سعيد بالنهضة الزراعية التي أحدثت تغيّرات بعيدة المدىٰ في الوضع الاقتصادي في شرق أفريقيا . فقد أدخل زراعة القرنفل لأول مرّة ، حتّىٰ أصبحت جزيرتا زنجبار وبمبا المصدر الرئيس للقرنفل ، وتشكل صادراتها ٩٠٪ من الإنتاج العالمي .

أما الفصل الثالث فقد ركّز على النشاط التجاري نتيجة انتقال السيد سعيد إلى زنجبار ومعه آلاف من التجّار العرب المسلمين والهنود ، وكيف تحوّلت زنجبار من قرية صغيرة للصيد إلى أعظم ميناء في الأطراف الغربية من المحيط الهندي ، كما أصبحت المركز الرئيسي للتجارة الأفريقية الآسيوية بصفةٍ عامة ، ثم كيف حظيت التجارة بالاهتمام الأكبر في السّلطنة العربية الإسلامية . وفي هذا المجال حرصت على تحقيق اتصال بين اقتصاد شرق أفريقية والاقتصاد العالمي عن طريق مجموعة من المعاهدات والاتّفاقيات التجارية مع كلٍ من الولايات المتّحدة الأمريكية ، وبريطانيا ، وفرنسا ، وألمانيا ، وغيرها من الدّول الأوروبّية .

ثم تناول الفصل الأنظمة الاقتصادية التي وضعها السيد سعيد ، ومرونتها ، بحيث كانت لاتزيد التعرفة الجمركية فيها على ٥٪ على الواردات التي تأتي إلى الموانىء في شرق أفريقيا ، وإعفاء الصّادرات من أعباء الضّرائب لتخفيف الأعباء التجارية وتشجيعها ، وكيف تميز عهد السيد سعيد بوضع نظام نقدي يحل محل العملات المتعدّدة الجنسية ، والتي كانت مستخدمة في شرق أفريقيا .

وتعرّض الفصل الرّابع للصناعة والحِرف ، كالحِدادة والتّجارة والصّيد وصِناعة الأقمشة والصّابون وبعض المصنوعات اليدوية الأُخرىٰ .

أما الباب الثاني وعنوانه النواحي الاجتماعية فهو يتناول بالبحث النواحي الاجتماعية في فصلين ، أولهما تحت عنوان عناصر المجتمع . ويستعرض هذا الفصل المجموعات السكّانية الرّئيسة في زنجبار ، من العرب المهاجرين من عمان ، وحضرموت ، وجنوب الجزيرة العربية ، والذين أسهموا في تطوير الحياة الاجتماعية والاقتصادية والثّقافية والفكرية من الأفارقة ، والقبائل السواحلية المختلفة ، والهنود ، وإلى جانب ذلك بعض القمريين والصّوماليين وغيرهم ، وكيف انصهرت هذه المجموعات واندمجت - رغم تعدد وتنوّع أصولهم العرقية واختلاف عاداتهم وتقاليدهم ولُغاتهم - بسبب التجانس الدّيني ، والحضاري والتسامح ، والاحترام الذي أبداه الحكّام البوسعيديون . وكيف انعكست هذه الرّوح المتسامحة بصورةٍ إيجابية على الصّلات الطّيبة والوثيقة فيما بين هذه الأجناس المتنوّعة .

أمّا الفصل الثاني وعنوانه : مظاهر الحياة الاجتماعية فهو يتناول بالدراسة مستوىٰ المعيشة لدىٰ شعوب شرق أفريقيا ، وكيف أن عمران مدينة زنجبار من قصور ومساجد ومبان يعود للعرب المسلمين .

ثم يعرض توافر المرافق العامة في زنجبار ، وكيف عمل سلاطينها وحُكّامها على توفير كل مايمكن لتحسين الوضع فيها .

ويتناول هذا الفصل أيضاً أزياء سكان منطقة زنجبار وتنوّعها تبعاً لاختلاف الأجناس والتمايز الطّبقي ، ويوضّح أن هذه الفوارق قد تلاشت مع مرور الوقت ، مما يعكس مدىٰ التقارب الاجتماعي في المجتمع السواحلي ، وذلك للأثر العربي والرّوح الإسلامية التي يبدو في أزياء الرّجال والنّساء على حدٍ سواء .

وينتقل الفصل إلى دراسة العادات والتقاليد المتّبعة في المأكل والمشرب في زنجبار ، والتي كانت تختلف وتتنوّع باختلاف وتنوّع الأجناس السّاكنة في زنجبار ، وكيف

أدخل الإسلام بعض العادات والتقاليد الاجتماعية في آداب الطّعام وفي الأعياد والمناسبات ، كالصّوم وكيفية أداء نُسكه ، ثم الواجبات والعادات والتقاليد المشهورة في هذا الشّهر الفضيل ، والتي تتمشّىٰ مع مبادىء الدّين الإسلامي ، وتشرح الدّراسة أيضاً الاحتفال بعيدي الفطر والأضحىٰ ، والمراسم التي كان يتبعها الحاكم وعامة النّاس .

كما يستعرض هذا الفصل بعض المعتقدات والممارسات الشّائعة في المجتمع السواحلي ، مثل العادات والتقاليد المتّبعة عند الولادة ، والختان ، والزّواج ، والطّلاق ، والمآتم ، وغير ذلك من الأمور الاجتماعية ، وكيف هذّب الإسلام بعض هذه العادات والتقاليد وجعلها تتماشىٰ مع مبادىء الدّين الإسلامي الحنيف .

وينتقل الفصل إلى بعض المعتقدات التي كانت سائدة في المنطقة كالسّحر والشّعوذة ، وكيف كان الفرد يقبل عليهما عندما يعجز عن معرفة مسببات الأشياء ونتائجها ، وبخاصةً ماكان منها يتعلّق بالظّواهر الطّبيعية وتفسيرها . وتناول الفصل أيضاً أنواع السّحر وتقسيماته من حيث الهدف والغاية منه ، والأرواح المتقمّصة والأسياد ، ثم طرق العلاج التي يجب اتّباعها لطرد الرّوح الشّرّيرة من الجسد الذي تتقمّصه .

ثم بيّن الفصل دور العلماء المسلمين في القضاء على هذه الممارسات والأعمال البعيدة عن روح الإسلام ، وأثرها السّيء في إفساد المجتمع .

وتعالج الدّراسة بعد ذلك مسألة الرّق كقضيّة اقتصادية واجتماعية ، وتُبيّن موقف الدّين الإسلامي منه .

وتوضّح الدراسة أن العرب المسلمين كانوا يمارسون التجارة منذ العصور القديمة ، وبخاصة تجارة العاج ، وتجارة الرّقيق على نطاق ضيّق ، وكانوا يحصلون عليه عن

طريق التجارة ، وفي نطاق ضيّق ، وكيف أن تجارة الرّقيق لم تصل إلى درجةٍ كبيرةٍ في الإزدهار والتقدّم بشكلٍ منظّم إلاّ في بداية القرن العاشر الهجري الموافق القرن السّادس عشر الميلادي ، وبعد امتهان الأوروبيين لها .

وتُحدّد الدّراسة المصادر الرّئيسية للرّقيق ، وحالتهم الإجتماعية ، وتقسيماتهم الأساسية ، ثم موقف بريطانيا التي اعتنقت دعوة تحرير الرّقيق متظاهرة بتضامنها مع الإنسانية المعذّبة ، وأخيراً النتائج الاقتصادية والاجتماعية ، التي ترتبت على تحرير الرّقيق بالنسبة للسّلطنة وأفراد المجتمع في شرق أفريقيا وزنجبار .

أما الباب الثالث وعنوانه النواحي الثقافية والفكرية فقد قُسّم إلىٰ ثلاثة فصول ، أوّلها :

المذاهب والطّوائف المختلفة في البلاد ، وغلبة مذهب أهل السّنّة والجماعة .

ويتناول هذا الفصل المذاهب والطّوائف الموجودة في شرق أفريقيا وزنجبار ، وكيف كانت الغلبة لمذهب أهل السُنّة والجماعة ، رغم أن الأباضية كانت المذهب الرّسمي للعمانيين حُكّام هذه المنطقة . كما بيّن الفصل أهم الأسباب التي أدّت إلى ذلك ، وروح التّسامح التي أبداها السيد سعيد بالنسبة للمذاهب والطوائف الأُخرىٰ ، وكيف أجمعت جميع المصادر العربية والأجنبيّة على روح الاعتدال والتّسامح التي تميّز بها حُكم السيّد سعيد بن سلطان .

أمّا الفصل الثاني فعنوانه : التعليم الإسلامي في المساجد والمدارس ، ثم دور العلماء في تركيز دعائم الدّعوة الإسلامية في شرق أفريقيـة .

ويناقش هذا الفصل ، التعليم المبكّر في المنطقة ، والذي كان يتمثّل في الكتاتيب وحلقات التدريس في المساجد ، ودور العلماء المسلمين في نشر الوعي والثّقافة

الإسلامية تدريساً وتأليفاً ، والعدد الكبير الذي تتلمذ على أيديهم من سُكّان شرق أفريقيا وزنجبار . كما يُناقش الفصل دور العلماء في إدارة المجالات الحيوية في جميع أنحاء زنجبار وشرق أفريقية ، الذين يطبقون حُكم الشّرع كما تولّوا مهام التربية والتعليم .

أمّا الفصل الثالث وعنوانه : الثقافة السّواحلية .

وتناول نشأة اللغة السّواحلية ومصادرها ، ثم الشّعوب المتحدّثة بها . كما تبيّن أهمية اللغة السواحلية ومكانتها الثانية بعد اللغة العربية ، من حيث انتشارها وعدد الناطقين بها . وتبرز الدراسة في هذا الفصل أثر الإسلام واللغة العربية في إنماء اللغة السواحلية وتطويرها ، وكيف امتازت اللغة السواحلية على شقيقاتها اللغات البانتوية باقتراضها نسبة عالية من الألفاظ العربية ، خاصةً الشئون الدّينية والاجتماعية والاقتصادية ، وكيف أن اللغة السواحلية كانت تكتب بالهجائية العربية حتىٰ منتصف القرن التاسع عشر ، ولكن الإستعمار الأوربي البغيض قام بتغيير حروفها الهجائية العربية إلى اللاتينية ، حتىٰ تبتعد عن أصولها العربية .

وتوضّح الدّراسة بعد ذلك كيف لعبت اللغة العربية دوراً هاماً في حياة النّاس في شرق إفريقية منذ قرون عديدة ، وكيف أن العرب كان لهم الدّور الرّئيسي في نشر خصائص الإسلام واللغة العربية .

وتبين الدراسة أثر الإسلام والثقافة السواحلية في شرق أفريقيا وزنجبار .

أمّا الباب الرّابع والأخير وعنوانه : دراسة نموذجية للأثر الاقتصادي والاجتماعي والثقافي لسلطنة زنجبار الإسلامية في تطوّر الممالك الأفريقية .

ويقع في فصلين ، أولهما تحت عنوان : مملكة بوغندا ، وتتناول الدراسة في هذا الفصل الأثر الاقتصادي والاجتماعي والثقافي لسلطنة زنجبار الإسلامية في أوغندا ، وكيف ازدهرت التجارة وعمّ الرّخاء سُكّان المناطق بتأثير التجار العرب المسلمين ورحلاتهم التجارية ، التي كان لها شأن كبير في تبادل الآراء والأفكار ، ونشر الدّين الإسلامي في أوغندا . وتقدم الدراسة نموذجاً لهؤلاء الدّعاة المسلمين ودورهم في وضع الأساس المتين للإسلام في هذه المنطقة .

أمّا الفصل الثاني وعنوانه : قيام إمارات عربية وإسلامية في أعالي الكونغو .

ويتطرّق هذا الفصل من هذه الدراسة لشخصية حميد بن محمد المرجبي تيبوتيب Tippo Tip ، المسيطر على مقاطعات الكونغو ، ودوره في تدعيم النّفوذ العربي في ساحل شرق أفريقيا ، وكيف استعان به سلاطين زنجبار ، ماجد ثم برغش - أبناء السيد سعيد - في تأكيد نفوذ السّلطنة العربية في المناطق الدّاخلية من البرّ الأفريقي .

كما يوضّح هذا الفصل موقف المرجبي من الرّحّالة والمنصرين ، واعترافهم بفضله عليهم ، ثم توضّح الدراسة التنظيم الذي وضعه المرجبي في الكونغو والذي يعتبر أوّل تنظيم سياسي واقتصادي وحضاري في الدّاخل .

أمّا خاتمة الرّسالة فتتناول أهم النتائج التي توصّلت إليها الدّراسة وتحليلها ، وربطها ببعضها ، والخروج منها بخلاصة لهذه الدّراسة تُمثّل إضافة إلى المعرفة .

وقد زوّدت الدراسة بمجموعة من الخرائط ، موزّعة على الفصول ، كل في مكانه التوضيحي من المتن تسهيلاً للقارىء ، بدلاً من تجميعها في مُلحق واحد في آخر الرّسالة .

وتشتمل الرّسالة على مُلحق يضم نماذج من الوثائق التي استقت منها الدّراسة مادّتها .

دعاء من القلب أن أكون قد وفّقت في إضافة شيء جديد برسالتي هذه إلى المعرفة عامة ، وإلى المكتبة الإسلامية خاصة .

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين .

التمهيـــــد

العُمانيون وقيام سلطنــة زنجبــار الإسلامية في شرق أفـريقيــا

- تولّي البوسعيديين الحُكم في عُمـان .
- ولاية السيد سعيد بن سلطان ١٢٢١هـ - ١٨٠٦م .
- اهتمام السيد سعيد بساحل شرق أفريقيا .
- خُضـوع شرق أفريقيـة للحُكم العُماني البوسعيدي .
- استقـرار السيـد سعيـد في زنجبـار واتّخـاذهـا عـاصمـةً لـه ١٢٤٧هـ-١٨٣٢م

العمانيون وقيام سلطنة زنجبار الإسلامية في شرق أفريقيا

تولّي البوسعيديين الحكم في عُمان :

حدثت في عُمان سلسلة من الحروب الأهلية والمنازعات القبلية لعدّة سنوات بعد وفاة الإمام سيف بن سلطان (١٠٦٨٠هـ-١٧١١م) . (١) وعندما تولّىٰ الإمامة سيف بن سلطان (بن سيف) اليعربي عام ١١٤٠هـ/ ١٧٢٨م ، زادت حدّة الصراع في عُمان ، وذلك بسبب صغر سنّه ، وعدم تضجه . مما جعله يتّخذ قراراً غير حكيم ، بأن يطلب من نادرشاه الحاكم الفارسي مساعدته ضد القبائل العُمانية ، التي لم تكن راضية عن سيرته في إخماد الاضطرابات المحلية في عُمان .(٢)

أسرع نادرشاه ، وأرسل جنوده لأنه وجد في ذلك فرصة تحقق مطامع الفرس التقليدية للسيطرة على شواطىء خليج عُمان والخليج العربي ؛ فخرّبوا البلاد وقتلوا العديد من الرّجال والأطفال والنّساء ، واحتلّوا البلاد التي كانت في حالة انقسام(٣) ، فأصبحت عُمان في حالة شديدة من الفوضىٰ والاضطراب ، وبات الشّعب العُماني غير قادر على احتمال الفرس ، ووجدوا أن أفضل سبيل لإنقاذ بلادهم من هذا الوضع السيء

---

(١) المعمري ، أحمد حمود ، عمان وشرقي أفريقية ، ص ٦٩ ، ترجمة محمد أمين عبدالله ، القاهـرة ، ١٩٨٠م .

(٢) ابن رزيق ، حميد بن محمد ، الفتح المبين في سيرة السّادة البوسعيديين ، ج ٢ ، ص ص ٣٣٤ - ٣٣٥ ، تحقيق عبدالمنعم عامر ، ومحمد مرسي عبدالله ، ١٩٧٧م ، المعمري أحمد حمود ، عمان وشرق أفريقيا ، ص ٦٩ .

(٣) ابن رزيق ، الفتح المبين ، ص ص ٣٣٤ - ٣٣٥ ، حسن ، سميره محمود ، " سلطنة آل بوسعيد وأرض الزنج في شرق أفريقيا " ، مجلة نهضة أفريقية ، العدد ٦ ، ص ٢٣ ، القاهرة ، ١٩٥٨م .

هو التخلّص من الإمام سيف بن سلطـان بن سيف ، الذي جلب لهم الأزمات والنّكبات ، كما أثبت أنه غير جدير بمنصبه .

فاجتمع مشايخ العلم ورؤساء القبائل من نزوى ، وأزكى ، وبهلا والرستات وغيرهم ، وقرروا خلعه من الإمامة ، ومبايعة سلطان بن مرشد بن عدي اليعربي عام ١١٥١هـ / ١٧٣٨م(١) ، الذي استطاع بشجاعته إيقاف تقدّم الفُرس ، فبايعته جميع قبائل عُمان بالإمامة ، إلا أنه توفي في حصار صحار متأثراً بجراحه سنة ١١٥٦هـ/ ١٧٤٣م ، وكان آخر الأئمّة اليعاربة . (٢)

وفي عام ١١٥٧هـ / ١٧٤٤م انتخب أحمد بن سعيد بن أحمد بن عبدالله بن محمد البوسعيد إماماً ، فكان مؤسس أسرة آل بوسعيد ، أول دولة آسيوية أفريقية برزت في تاريخنا الحديث . (٣)

وقبل تعيينة إماماً لعُمان ، كان يتولّىٰ منصب والٍ لصحار من قبل الإمام سيف بن سلطان ، وهناك جمع جيشاً ، وتولّىٰ حرب الفُرس ، الذين غزوا صحار عام ١١٥٠هـ/١٧٣٧م ، وقاد أهل عُمان إلى النّصر ، وطرد الفُرس منها . وحصل على صُلح

---

(١) ابن رزيق ، الفتح المبين ، ص ٣٤٠ ، I. O. R. L/PS/5/507 , P. 115 ,
B. A. P. D., No. 98 , Part III , Muscat and Zanzibar , 1860 , PP. 77 - 78 .

(٢) درويش ، مديحة ، سلطنة عمان ، ص ٧٤ ، بيروت ، ١٤٠٢هـ / ١٩٨٢م .
I. O. R. L/PS/5/507 , P. 115 .

(٣) ابن رزيق ، الفتح المبين ، ص ٣٥٠ ، I. O. R. L/PS/5/507 , P. 115 .
جيان ، وثائق تاريخية وجغرافية وتجارية عن أفريقية الشرقية ، ص ٤٢٣ ، ترجمة يوسف كمال ، القاهرة ، ١٣٤٥هـ / ١٩٢٧م .

مشرف مع الفُرس ، بعد أن فكّوا حصار صحار وعادوا إلى بلادهم . (١) ولقد ازدهرت التجارة في عهد الإمام أحمد بن سعيد ، واستعادت مسقط وضعها السابق كمدينة مزدهرة ومركز تجاري هام(٢) . وعندما نقل مقر وكالة شركة الهند الشرقية سنة ١١٧٧هـ / ١٧٦٣م من بندر عباس إلى البصرة ، انتعشت التجارة في مسقط ، وأصبحت عام ١١٨٩هـ / ١٧٧٥م مرسىً السّفن التجارية والبضائع المتبادلة بين الهند والخليج العربي والبحر الأحمر(٣) .

وخاض الإمام أحمد حروباً طويلة للقضاء على التّحدّيات التي واجهته من جهاتٍ عديدة ، خاصةً من اليعاربة ، وجاءته آخر التحدّيات من أنجاله ، سيف وسلطان ، مما أحزنه في آخر حياته . وعندما توفّي في التّاسع عشر من محرّم سنة ١١٩٨هـ / ١٧٨٣م بعد أن قضىٰ مايقارب من ٤١ سنة في الإمامة(٤) ، وقد ترك سبعة أولاد وثلاث بنات ، خلفه ثاني أبنائه سعيد ، لأن الابن الأكبر هلالاً كان ضريراً .

ولقد نجح الإمام سعيد في الحُكم كزعيم ديني ، إلا أنه فشل كحاكم إداري . ولذلك انتزع ابنه حمد السّلطنة السياسية منه ، وأطلق لقب السيد على نفسه ، ونقل العاصمة إلى مسقط ، بينما بقي والده لايتمتّع بأية سلطة في الرستاق حتىٰ توفىٰ بين عامي ١٢٣٦هـ - ١٨٢١م(٥) .

---

(١) المعمري ، أحمد حمود ، عمان وشرقي أفريقية ، ص ٧٠ .

(٢) المعمري ، أحمد حمود ، عمان وشرقي أفريقية ، ص ٧٠ .

(٣) درويش ، مديحة ، سلطنة عمان ، ص ٧٩ .

(٤) المغيري ، سعيد بن علي ، جهينة الأخبار في تاريخ زنجبار ، ص٢٣٠ ، تحقيق محمد علي الصليبي ، مطرح ، ١٤٠٦هـ / ١٩٨٦م .

(٥) المعمري ، أحمد حمود ، عمان وشرقي أفريقية ، ص ٧٠ - ٧١ .

وكان السلطان سعيد بن أحمد آخر من تلقّب بلقب إمام من أُسرة آل بوسعيد . أما من جاء بعده فقد تلقّبوا بألقاب السادة والسلاطين .

ولم يكن هناك اتّفاق بين السيد حمد بن سعيد وبين أعمامه سلطان وسيف ، فقام حمد بمطاردة عمّه سيف ، الذي فرّ إلى لامو في شرق أفريقيا ، حيث توفي هناك(١) .

وقد أعلن سلطان بن أحمد الحرب على ابن أخيه حمد انتقاماً لأخيه سيف ، ولكن انتهت الحرب ، عندما توفى السيد حمد بن سعيد ، الذي أُصيب بداء الجدري سنة ١٢٠٦هـ/ ١٧٩٢م . (٢)

ثم تولّىٰ بعده السيد سلطان ، الابن الخامس للإمام أحمد في عام ١٢٠٦هـ / ١٧٩٢م . (٣) وكانت له الكثير من الصفات الحميدة كوالده الإمام أحمد .

وفي عهده تطوّرت القوى البحرية والتجارية في عمان ، واهتم اهتماماً كبيراً بالتوسّع الخارجي ، وجعله سياسة ثابتة له ، فاستولىٰ على المواني‌ء الهامة في ساحل مكران ، وضم إلى سلطنته المنطقة الساحلية في شهبار ، وقام باستئجار ميناء بندر عباس ، منذ عام ١٢٠٨هـ / ١٧٩٤م ، وبذلك صارت عمان في عهده تتكوّن من شريط ساحلي ضيق في شبه جزيرة العرب إلى جانب عدد من الجزر والموانىء ،

---

(١) ابن رزيق ، الفتح المبين ، ص ص ٤٠٦ - ٤٠٧ .

(٢) ابن رزيق ، الفتح المبين ، ص ٤١٥ .

(٣) الفارسي ، عبدالله بن صالح ، البوسعيديون حكام زنجبار ، ص٧ ، ترجمة محمد أمين عبدالله ، القاهرة ، ١٩٨٢م ، العقاد ، صلاح ، التيارات السياسية في الخليج العربي ، ص ٥٢ ، القاهرة ، ١٩٧٤م ، غُنيمي ، رأفت ، دور عُمان في بناء حضارة شرق أفريقية ، ص ١٦٦ ، القاهرة ، ١٩٨٠م .

حتى حدود باكستان الحالية ، بالإضافة إلى جزيرة زنجبار . (١)

ولقد دامت فترة حُكم السيد سلطان بن أحمد ثلاثة عشر عاماً ، حيث توفى في سنة ١٢١٩هـ/ ١٨٠٤م ، فخلفه ابنه سعيد بن سلطان البالغ من العمر الرابعة عشر لنشاطه وشجاعته وقوة شخصيته ، وساعده في الحكم عمته السيدة موزة بنت الإمام أحمد ، فكانت نعم الوصية حيث استطاعت بقوة شخصيتها وصلابة عزمها وحسن قيادتها أن تحفظ لابن أخيها بالمُلك وتدفع عن بلدها الخطر . (٢)

ولاية السيد سعيد بن سلطان ١٢٢١هـ / ١٨٠٦م :

ولد السيد سعيد بن سلطان عام ١٢٠٦هـ / ١٧٩١م في بلدة سمايل التي تبعد عن العاصمة مسقط حوالي خمسين ميلاً . (٣)

وتتفق أغلب المصادر على أن السيد سعيد كان طويل القامة ، نحيل القوام ، وقوراً مهيباً ، له شخصية جذّابة ، مؤثّرة في النّاس ، فلا يملك من يتعرف عليه إلا أن يمنحه الإعجاب والإكبار والاحترام ، محبّاً للخير ، ماهراً ، ذكيّاً ، متيقّظاً ،

---

(١) العقّاد ، صلاح ، التيارات السياسية في الخليج العربي ، ص ٥٢ .

(٢) السيدة سالمة ، مذكرات أميرة عربية ، ص ص ١٨ - ١٩ .

(٣) المغيري ، جهينة الأخبار ، ص ٢٣٣ ، الفارسي ، عبدالله ، البوسعيديون حكام زنجبار ، ص ١١ ، ويتفق المغيري مع الفارسي في مكان الميلاد ، إلا أنه يختلف في تاريخ الميلاد ، فيقول إنه في عام ١٢٠٤هـ ،

Ingrams, W. H., Zanzibar, P. 161, London, 1967.

بشوشاً ، ذا سلوك معتدل ، تظهر عليه سمات النُبل والشهامة ، بسيطاً متواضعاً(١) ، وأخيراً يقول عنه انجرامز :

أنه الأول في الحرب ، والأول في السّلم ، والأول في نيل محبّة الآخرين . فهو الحاكم الذي تفخر به أي دولة في العالم . (٢)

تولّى السيد سعيد الحكم في عمان في بداية جمادى الثانية عام ١٢٢١هـ / ١٨٠٦م بعد عمّه بدر بن أحمد ، وبتولّيه دخلت عُمان مرحلة تاريخية جديدة . (٣)

فمنذ تولّي السيد سعيد الحكم في عُمان واجهته عدّة متاعب ، فقد كانت عُمان تُعاني من هجمات الدّولة السّعودية الأولى ، ثم انضمام القواسم حكام رأس الخيمة إلى آل سعود ، حيث أصبحوا قوّة لايُستهان بها على ساحل الخليج العربي ، وسيطروا على الملاحة في الخليج ، مما سبب قلقاً وتهديداً للدّولة البوسعيدية . (٤)

---

(١) المغيري ، جهينة الأخبار ، ص ٢٥٦ ، ابن سلطان ، السيدة سالمة بنت السيدسعيد ، مذكّرات أميرة عربية ، ص ٦٠ ، روت ، رودلف سعيد ، سلطنة عمان خلال حُكم السيد سعيد بن سلطان ، ص١٦ ، ترجمة عبدالمجيد القيسي ، البصرة ، ١٩٨٣م ، العيدروس ، محمد حسن ، " السلطان سعيد والعلاقات العربية الأفريقية " ، المؤرّخ العربي ، السنة الرابعة عشر ، ص٢٩ ، بغداد ، ١٤٠٩هـ / ١٩٨٨م ،
Al-Maamiry , A. H. , Omani Portugese History , P. 63 , Lancers Publishers / 1982 .

(٢) Ingrams , W. H. , Zanzibar , P. 163 .

(٣) الفارسي ، عبدالله ، البوسعيديون حكام زنجبار ، ص ٥٣ ، نوفل ، سيد ، الأوضاع السياسية لإمارات الخليج العربي وجنوب الجزيرة العربية ، ص٦٤ ، القاهرة ، ١٩٧٩م ، قاسم ، جمال زكريا ، عُمان في شرق أفريقيا ، ص ١٠٠ ، القاهرة ، ١٩٨١م .

(٤) ابن رزيق ، الفتح المبين ، ص ٥٣٢ - ٥٣٦ .

وهكذا نجد أن السيد سعيد ورث تركة محملة بالأعباء ، فالأعداء يُحيطون به من كل جانب ، والقبائل المتمرّدة تنتشر في جميع أرجاء عُمان .
كما كان القواسم يهددون التجارة العمانية في مدخل الخليج العربي ، وكذلك فإن النزاع الذي حدث بين الفرنسيين والبريطانيين قد يجرّ عُمان في أية لحظة إلى ماتخشاه ، إلاّ أن السّلطان سعيد استطاع التّخلّص من متاعبه هذه جميعها(١) بما عُرف عنه من الكفاءة والمقدرة .

اهتمام السيد سعيد بساحل شرق أفريقيا :

لقد قام العمانيون بدور كبير في العلاقات العربية الأفريقية ، ومن المسلّم به أن الرّوابط بين عُمان وشرق أفريقيا ترجع إلى عصر ماقبل الإسلام . وقد توطّدت هذه الرّوابط بحُكم التّبادل التجاري من ناحية ، ثم انتشار الإسلام من ناحيةٍ أُخرىٰ . فلقد استوطنت شرق أفريقيا بعض القبائل العربية التي هاجرت من مقاطعات الخليج العربي وسواحل شبه الجزيرة العربية مثل : اليمن وحضرموت وعُمان ، وأنشأت مراكز استيطانية أصبحت بعد ذلك الأساس الذي قام عليه الحُكم العُماني في شرق أفريقيا . (٢)

---

(١) محمود ، حسن أحمد ، الإسلام والثقافة العربية في أفريقية ، ج ١ ص ٤٩٨ ، القاهرة ، ١٩٦٣م .

Were , Gideon S, and Wilson , Derek A. , East Africa Through A Thousand Years , P. 97 , New York , 1970 .

(٢) قاسم ، جمال زكريا ، عُمان في شرق أفريقية ، ص ٧٩ - ٨٠ ، الجمل ، شوقي ، تاريخ كشف أفريقيا واستعمارها ، ص ٦٤٥ - ٦٤٦ ، القاهرة ، ١٩٨٠م .

أما بداية هذه العلاقات في التاريخ الحديث ، فيمكن إرجاعها إلى قيام دولة اليعاربة ، والدور الذي قامت به في طرد النّفوذ البرتغالي من عُمان . مما جعل أبناء شرق أفريقيا يرسلون وفداً منهم إلى الإمام سلطان بن سيف (١٠٥٩-١٠٧٩هـ) (١٦٤٩-١٦٦٨م) - من أئمّة اليعاربة - في عُمان يطلبون منه أن يقوم في جزر ممباسا وزنجبار وبمبا بنفس الدّور الذي قام به في عُمان. وفعلاً استطاع الإمام العُماني طرد البرتغاليين من زنجبار وباتا ، وتحوّل ولاء زنجبار إلى عُمان ، وأصبحت تدفع لها الجِزية(١) .

وبعد تولّي الإمام سيف بن سلطان اليعربي الحكم (١٠٧٩-١١٠٣هـ) (١٦٦٨-١٦٩٢م) ، استطاع إكمال مابدأه والده في طرد البرتغاليين من جزيرتي بمبا وكلوا . وبذلك أصبح حُكم المدن الساحلية الهامة في أيدي العرب العُمانيين الذين كونوا فيها حاميات عربية عُمانية ، فكانت زنجبار من نصيب قبيلة الحرث ، وممباسا لقبيلة آل مزروع ، وباتا تحت حماية قبيلة آل نبهان ، وبمبا تحت حُكم حاكم ممباسا . (٢)

وعندما تعرّضت عُمان للاضطرابات الدّاخلية في نهاية عهد الأسرة اليعربية (١١٥٣هـ/١٧٤١م) ، نتج عن ذلك قيام دويلات محلية عربية في شرق أفريقيا ، من

---

(١) المعمري ، أحمد حمود ، عمان وشرقي أفريقية ، ص ٦٥ ، الحجري ، عامر محمد ، تاريخ العلاقات العُمانية الأفريقية ، ص ٧٨٣ ، ١٩٧٦م . الدوحة .

(٢) الحجري ، عامر محمد ، تاريخ العلاقات العمانية الأفريقية ، ص ٧٨٧ ، المعمري ، عمان وشرق أفريقيا ، ص ٦٧ ، محمد ، عبدالله بخيت ، دراسات في الأدب السواحلي ، ص ٨٠ ، القاهرة ، ١٩٨٧م .

أهمها أسرة المزاريع(*) العمانية ، التي استقلت بحُكم ممباسا لفترة من الزّمن ، حتّىٰ قيام أسرة آل بوسعيدفي عمان . وقد حاول الإمام أحمد بن سعيد السيطرة على ممباسا ، إلا إنه لم ينجح ، وظلّت تحت حُكم أُسرة المزاريع (١) ، غير إن بقيّة الممتلكات العُمانية الأُخرىٰ في شرق أفريقيا مثل زنجبار وبركة وكلوة ، ظلت على ولائها للحُكم البوسعيدي في عُمان(٢) .

وعلى الرغم من ضعف السيادة العُمانية على شرق أفريقيا مثل عهد السيد سعيد بن سلطان ، إلا إن البوسعيديين حرصوا على إنعاش العلاقات التجارية فيما بينهم. فنلاحظ أن أكثر ما اهتم به الإمام أحمد بن سعيد ، هو إستمرار هذه العلاقات التجارية وذلك لانتمائه إلى أُسرة من التجّار ، واشتغاله بالتجارة لسنوات عديدة، قبل انتخابه حاكماً لعمان ، فكان لذلك أكبر الأثر في اهتمامه بالناحية الاقتصادية . فكان يرسل سفينة كل عام ، لتأتي له بالموارد الأفريقية من المناطق التي كانت تعترف له بها . أما المقاطعات التي لم تعترف له بالسيادة ، فلم يعاملها بالقوّة ، ولم يفرض عليها سيطرته أو سيادته خوفاً من انقطاع الصّلات التجارية بينها وبين عمان(٣) .

(*) أسرة المزاريع ، فرع من قبيلة بني ياس ، سكنت ساحل عمان على الخليج العربي ، وقد حكمت هذه الأسرة في الشرق الأفريقي مايقرب من مائة عام . العقاد ، صلاح ، وقاسم ، جمال زكريا ، ص ٣٣ ، القاهرة ، ١٩٦٠م .

(١) محمود ، حسن أحمد ، الإسلام والثقافة العربية في أفريقيا ، ص ٤٣٥ .

(٢) قاسم ، جمال زكريا ، دولة آل بوسعيد في عمان وشرق أفريقيا ، ص ٦٣ ، القاهرة ، ١٩٦٧م ، القاسمي ، سلطان بن محمد ، تقسيم الامبراطورية العُمانية ، ص ٢٦ ، دُبي ، ١٩٨٩م .

(٣) قاسم ، جمال زكريا ، الأصول التاريخية للعلاقات العربية الأفريقية ، ص ١١٧ ، القاهرة ، ١٩٧٥م ، غُنيمي ، رأفت ، دور عُمان في بناء حضارة شرق أفريقية ، ص ١٦٦ - ١٦٧ .

لذا نستطيع القول أن ماقام به الإمام أحمد بن سعيد كان هو الأساس والدّعامة ، التي ارتكز عليها خُلفاؤه من بعده في تمسّكهم واهتمامهم في ضم الشّرق الأفريقي . حتىٰ نجح السيد سعيد بن سلطان في تأسيس دولة عربية عظيمة في شرق أفريقيا .

وظلّت ممباسا تحت قيادة آل المزروعي ، تقود حركة المعارضة والمقاومة ضد آل بوسعيد في شرق أفريقيا ، وظل الأمر بهذا الشّكل حتىٰ وفاة الإمام أحمد بن سعيد ، وبداية عهد السّلطان سعيد بن سلطان ، الذي كان أكثر إدراكاً لأهمية الشرق الأفريقي .

وعلى الرغم مما ذهب إليه بعض الباحثين من أن اتّجاه السيد سعيد في شرق أفريقيا ، كان محاولة منه للهروب من المشكلات الكثيرة التي كانت تواجهه في عمان ، ولكننا لانتّفق مع هذا الرّأي ؛ لأن اتّخاذ السيد سعيد سياسة أفريقية ، لم تكن تبعده عن المشاكل العمانية التي كان يفرغ لها جزءاً كبيراً من وقته وجهده . وإنما يدل ذلك على بُعد نظره وحرصه على هذا الجزء الهام من دولته ، لكثرة موارده ، ووفرة خيراته ، وزيادة فرص استغلالها(١) . بالإضافة إلى ذلك فإن الظروف المستجدّة التي آلت إليها الدولة العمانية في عهده ، لم تضطره كما حدث لأسلافه من أئمة عمان إلى البقاء في دولة ذات طابع ديني تقليدي . فأخذ السيد سعيد يتحيّن الفرص لتحقيق أحلامه ومطامحه في شرق أفريقيا ، ووجد أن ممباسا في تلك الفترة هي المفتاح الرّئيسي للساحل الأفريقي الشرقي بكامله ، وبها أقدم وأكبر الموانيء الرّئيسية في شرق أفريقيا .

---

(١) قاسم ، جمال زكريا ، الأصول التاريخية للعلاقات العربية الأفريقية ، ص ١١٩ .

وكانت رغبة السيد سعيد أن يسرع في القضاء على حُكم المزروعين ، ووضع ممباسا تحت سيطرته ، لولا انهماكه في حرب القواسم ، والعمل على استتباب النّظام في عُمان ، فلم يجد لذلك بداً من الانتظار حتىٰ عام ١٢٤٣هـ-١٨٢٨م(١) .

خضوع شرق أفريقية للحُكم العُماني البوسعيدي :

يمكن تقسيم تاريخ العرب في ساحل شرق أفريقيا ، حتىٰ قيام سلطنة زنجبار الحديثة إلى عدّة مراحل :

المرحلة الأُولىٰ : تميّزت باستقرار العرب على السواحل الشرقية ، وإقامة المراكز التجارية بها .

المرحلة الثانية : وتمتد من القرن السابع الميلادي إلى نهاية القرن الخامس عشر الميلادي ، وفي هذه المرحلة سيطر المسلمون على تجارة المحيط الهندي ، واستقرّوا في ساحل شرق أفريقيا ، وكوّنوا وحدات سياسية في القرن العاشر الميلادي(١) . وصلت إلى قمّة تقدّمها وازدهارها في الفترة التي سبقت قدوم البرتغاليين إلى ساحل شرق أفريقيا .

أما المرحلة الثالثة : فقد تميّزت بوصول البرتغاليين إلى الساحل ، وسيطرتهم على التجارة في المحيط الهندي ، وانتزاعها من أيدي العرب والهنود .

وأخيراً المرحلة الرابعة : وقد قامت بها الثورات والحروب ضد البرتغاليين لسنوات عديدة ، حتى استطاع العرب تخليص الساحل الشرقي منهم ، وبذلك وضع الأساس لتكوين زنجبار الحديثة .

---

(١) المعمري ، أحمد حمود ، الإسلام والثقافة العربية في أفريقيا ، ص ٧٢ .

(٢) المسعودي ، أبي الحسن على بن الحسيني بن على ، مروج الذّهب ، ص ١٠٨ ، تحقيق محمد محي الدين عبدالحميد ، ط ٤ ، القاهرة ، ١٩٦٤م ، قاسم ، جمال زكريا ، الأصول التاريخية ، ص ٨٢ - ٨٣ .

ترك الإمام سلطان بن سيف اليعربي - خلال تحريره لمناطق الساحل الشرقي استقل بها حُكّامها وأصبحت تحت سيطرتهم من عام ١١٤٣-١٢٥٢هـ/ ١٧٣٠-١٨٣٦م ، فيكون مجموع الأفريقي - حاميات عربية عُمانية فيها ، فكانت ممباسا لقبيلة آل مزروعي ، التي سنوات حُكمهم مائة وتسع سنين وشهرين وثمانية أيام . وكانت أراضيهم تمتد من رأس انغوجو Ungujo شمالاً إلى نهر بنجاني جنوباً . (١)

وبعد أن استتب الأمر للسيد سعيد في عُمان ، أعد أولى حملاته على ممباسا ، وكان ذلك في يوم الأحد ١٧ جمادى الثانية سنة ١٢٤٣هـ / ١٨٢٨م وحاصرها بأسطوله المكوّن من تسع سُفن ، وكان هو على ظهر سفينتة المسمّاة ليفربول Liverpool واستمر القتال اسبوعين سجالاً بين الطّرفين ، غير أنه لم يتمكّن من الاستيلاء عليها ، وتفاوض مع المزاريع على الصّلح ، وتوقيع معاهدة ، تعترف بسيادته ، ثم غادرها بعد أن ترك بها حامية مؤلفة من خمسين جندياً في قلعة يسوع ، ثم أبحر إلى زنجبار . (٢) وبعد أن أمضىٰ السيد سعيد ثلاثة أشهر فيها ، عاد إلى مسقط لمواجهة حركة داخلية ، تمكّن من القضاء عليها في عام ١٢٤٥هـ/١٨٣٠م . وبعد أن استقرّت الأمور في عُمان ، عاد وأبحر على رأس أسطول كبير إلى شرق أفريقيا ، وحاصر ممباسا فترة من الزّمن ، ثم تفاوض مع حكّامها على أن يبقىٰ الحكم في ممباسا للشيخ سالم المزروعي وورثته من بعده ، وتكون السيادة الاسمية عليها لعُمان ، وأن يدفع الحاكم المزروعي للسيد سعيد نصف الواردات ،

---

(١) المغيري ، جهينة الأخبار ، ص ٢٢٩ .

(٢) المغيري ، جهينة الأخبار ، ص ٢١٨ ،

Ingrams , W. H. , Zanzibar , P.161 , Oliver , Roland and Mathew ,Gervase , East Africa ,P.213 London , 1963 .

ويبقىٰ في القلعة عدد من جنود السيد سعيد(١) . ثم غادر ممباسا إلى زنجبار عام ١٢٤٧هـ / ١٨٣٢م ، ولكنه لم يكد يستقر بها حتى عاد إلى عُمان ، لردع حركات التّمرّد ، والعمل على استقرار الأمور بها .

وما أن استقرّت له الأمور في عُمان ، حتى وصلته الأخبار عن تمرّد المزروعين في ممباسا من جديد ، وظل الأمر كذلك ، حتىٰ ساعدت الظروف السيد سعيد بوفاة سالم المزروعي عام ١٢٥١هـ / ١٨٣٥م ، وتنازع أخوته خميس وناصر على الحُكم ، ووصول الأمر بينهما إلى القتال طوال عام كامل(٢) .

تولّىٰ الحُكم في ممباسا راشد بن سالم عام ١٢٥٢هـ / ١٨٣٦م ، وقد عمل على اضطهاد أخويه ومؤيّديهم ، مما جعل سُكّان ممباسا ، يطلبون العون والمساعدة من السيد سعيد ، الذي وجدها فرصة مواتية ، عندما طلبوا منه أن يتقدّم لمهاجمة المدينة ، على أن يقوموا بمساعدته وإمداده بالمعونة في ذلك الأمر(٣) .

فأرسل أسطوله ، وحاصرها ، وبعد مناوشات بسيطة استجاب حاكم الجزيرة الشيخ راشد بن سالم إلى المفاوضة واتّفق الطرفان على أن تبقىٰ السيادة على الجزيرة للشيخ راشد ، مقابل جلائه عن القلعة ، على أن تبقىٰ جيوش السيد سعيد فيها . وقد تحقق ذلك في عام ١٢٥٢هـ / ١٨٣٧م(٤) .

وحاول السيد سعيد أن يُغري الشيخ راشد وزعماء آل المزروعي بالتنـــــازل عن

---

(١) المغيري ، جهينة الأخبار ، ص ٢٢٦ .

(٢) العمري ، أحمد سويلم ، العرب والأفريقيون ، ص ٥٣ ، عُمان ، ١٩٨٧م .

(٣) العقّاد ، صلاح ، التيارات السياسية في الخليج العربي ، ص ٥٥ .

(٤) حراز ، رجب ، أفريقيا الشرقية ولاستعمار الاوروبي ، ص ٣٢ ، القاهرة ، ١٩٦٨م .

الجزيرة ولكنهم رفضوا ، فما كان منه إلاّ أن أرسل ابنه خالد إلى ممباسا ، الذي تمكّن بطريق الخدعة من القبض على راشد المزروعي وحوالي خمسة وعشرين من أعيانها وشيوخها ، ونقلهم إلى زنجبار ، ثم حكم عليهم بالسّجن المؤبّد في بندر عبّاس التي كانت تحت الحُكم العُماني في ذلك الوقت(١) .

وبذلك خضعت ممباسا لحُكم السيد سعيد ، ودان له الشرق الأفريقي ، وتحقق له طموحه الكبير ، بعد جهود مضنية ، وحروب طويلة ، وحملات متكرّرة .

لم يغير سقوط ممباسا في يده من وضع زنجبار التي صارت عاصمة له ، وذلك لطموحه السيد سعيد في امبراطورية واسعة مترامية الأطراف ، قويّة الرّوابط التجارية(٢) .

ومع أن حدود أملاك السيد سعيد الأفريقية لم تكن واضحة ومحددة بشكلٍ ثابت ، إلاأن المصادر التاريخية تتفق على إنها تمتد على جميع الساحل والجُزر المقابلة له من رأس ديلجادو Delgado على خط عرض ١١،٥٠(٣) . فتشمل أملاكه العديد من الموانيء الهامة على الساحل الأفريقي الشرقي مثل ميناء مونغوه

---

(١) المعمري ، أحمد حمود ، الإسلام والثقافة العربية في أفريقيا ، ص ٧٣ ، طه ، جاد محمد ، " دور بريطانيا وألمانيا في تفكيك سلطنة زنجبار " ، العلاقات العربية الأفريقية ، ص ٩٦ ، القاهرة ، ١٩٧٧م ،

Lyen , R. N. , Zanzibar In Contemporary Times , P. 7 , New York , 1969 .

(٢) روت ، رودلف سعيد ، سلطنة عمان خلال حكم السيد سعيد بن سلطان ، ص ١١٥ .

(٣) أبوعلية ، عبدالفتاح حسن ، " العلاقات التجارية بين الولايات المتحدة الأمريكية وبين زنجبار " ، مجلة كلية العلوم الإجتماعية ، العدد ٦ ، ص ص ٢٦٢ - ٢٦٣ ، جامعة الإمام محمد بن سعود ، الرياض ، ١٤٠٢هـ ، ١٩٨٢م ، هولنجز وورث ل . و . ، زنجبار ، ص ١١ ، ترجمة وتعليق حسن حبشي ، القاهرة ، ١٩٦٨م .

Mongho ، وميناء مالينـدي Malinda وميناء لامو Lamu ، وميـنـاء بتـه Pate ، وميناء برافا Brava ، وميناء مقديشو Makdesha ، وميناء كلـوه Quiloa ، وجُزر مافيا Mafeea أو موفيا Mowfea ، وزنجبار Zanzibar وبمبـا Pemba ، وسوقطره Socotra ، وغير ذلك من الأملاك الأُخرى(١) .

كما امتد نفوذه أيضاً إلى داخل القارة ، حتىٰ وصل إلى حوض نهر الكونغو ، وإلى أُوغنده ، وإلى روديسيا(٢) .

وبذلك قويت العلاقات العربية الأفـريقية ، وأصبح هُناك ارتباط قوي بين مسقط وزنجبار وكل شرق أفـريقيا ووسطها .

---

(١) أبوعلية ، عبدالفتاح حسن ، العلاقات التجاريـة ، مجلـة كليـة العلـوم الإجتماعيـة ، ص ٢٦٣ .

(٢) الشيخ ، رأفت غُنيمي ، رأفت ، دور عُمان في بناء حضارة شرق أفريقية ، ص ١٧٥ .

استقرار السيد سعيد في زنجبار واتخاذها عاصمة له ١٢٤٧هـ/١٨٣٢م

قاد السيد سعيد أول حملاته على ممباسا في عام ١٢٤٤هـ / ١٨٢٨م ، ولكنه لم يتمكّن من الاستيلاء عليها ، فرفع الحصار ، وأبحر إلى زنجبار ، التي كانت خاضعة للسيطرة العُمانية ، ومكث فيها ثلاثة أشهر(١) . إلاّ إن الاضطرابات التي حدثت في عُمان ، اضطرته إلى العودة إلى مسقط ، وترك لابنه خالد(*) الحُكم في المناطق التي كانت خاضعة له في شرق أفريقيا .

وبعد القضاء على الفتن الداخلية في مسقط ، ولى السيد سعيد ابنه هلالاً(**) على عُمان بكاملها(٢) ، وتوجّه إلى شرق أفريقيا في عام ١٢٤٧هـ/١٨٣٢م ، ليستقرّ في زنجبار ، ويجعلها عاصمة له(٣) وبذلك انتقلت السلطنة إلى زنجبار . فبدلاً من أن يحكم شرق أفريقية ومقر حُكمه في عُمان ، فإنه بدأ يحكم عُمان من مقر حُكمه في شرق أفريقية(٤) .

---

(١) المغيري ، جهينة الأخبار ، ص ٢٢٠ .

(*)خالد : هو الإبن الثاني ، ولد عام ١٢٣٤هـ/١٨١٩م من أم جورجية ، الفارسي ، البوسعيديون ، ص ١٧ - ١٨ .

(**) هلال : هو أكبر أبناء السيد سعيد ولد في ١٢٣٢هـ/١٨١٧م من أم آشورية ، الفارسي ، البوسعيديون ، ص ١٦ .

(٢) فيلبس ، وندل ، تاريخ عُمان ، ص ١٢٦ ، ترجمة محمد أمين عبدالله ، القاهرة ، ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م .

(٣) الصوافي ، السلوه في أخبار كلوه ، ص ٩ ، تحقيق محمد علي الصليبي ، القاهرة ، ١٤٠٥هـ ، ١٩٨٥م ، الفارسي ، عبدالله ، البوسعيديون حكام زنجبار ، ص ١٤٤ ، قاسم جمال زكريا ، " دور العرب في كشف أفريقيا " ، ص ٢١٨ ، مجلة عالم الفكر ، العدد ٤ ص ٢١٨ ، جدة ، ١٩٧١م .

Almaamiry, A. H., Omani Portugese history, PP. 68 - 69, White, G. H., Shelswell A Guide To Zanzibar, P. 3, Zanzibar, 1952.

(٤) المعمري ، أحمد حمود ، عمان وشرقي أفريقية ، ص ٧٣ .

تقع جزيرة زنجبار على خط عرض ٦ درجات ، ويفصل جـزر زنجبـار عن الساحل الأفـريقي مضيق عـرضه ٢٢,٥ ميلاً ، وتتكوّن من عدّة جُزر مُرجانية أكبرها وأهمها زنجبار طولها ٥٤ ميلاً تقريباً ، وعرضها يبلغ حوالي ٢٤ ميلاً ، ومساحتها تقدّر بحوالي ٦٤٠ ميلاً مربّعاً . ومن شمالها الشرقي ، وعلى مسافة تقدّر بـ ٣٠ ميلاً ، تقع جزيرة بمبا على خط عرض ٥ درجات ، وهي أصغر من زنجبار ، فهي تتكوّن من ٤٠ ميل طولاً ، وحوالي ١٠ أميال عرضاً ، ومساحتها حوالي ٣٨٠ ميلاً مربّعاً(١) .

أما اليوم فإن زنجبار تعتبر جزءاً من دولة تنزانيا الحالية ، التي عاصمتها دار السّلام . ويرىٰ بعض المؤرّخين أن زنجبـار كلمة فارسية تعني ساحل الزّنج ، وتتكوّن من مقطعين : (زنج - بـار)(٢) ، ويُقال لها باللغة السواحلية أنغوجاء وهي كلمة مركّبة من مقطعين هما : أنغو ومعناها الصحن الواسع ، و جاء ومعناها امتلاء ، فتصبح بذلك كلمة أنغوجاء تعني : الصحن الواسع الممتلىء(٣) .

لقد اختار السيد سعيد زنجبار لتكون عاصمةً لدولته رغم أنه كانت هناك عدّة مدن

---

(١) زكي ، عبدالرحمن ، الإسلام والمسلمون في شرق أفريقيا ، ص ١١٢ ، القاهـرة ، ١٩٦٥ ،
Houtsma , M, Th , and Others, "Zanzibar", The Encyclopaedia of Islam, P. 1214 , London ,1934,
P. 1214 , White , G. H. Shelswell , A guide to Zanzibar , P. 1 .

(٢) المغيري ، جهينة الأخبـار ، ص ٧٣ ، الصوافي ، السلوة ، ص ٦٢ ، قاسم ، جمال زكريا " دور العرب في كشف أفريقيا " مجلة عالم الفكر ، ص ٢٠١ ، المالكي ، سليمان ، سلطنة كلوه الإسلامية ، ط ١ ، ص ١١ ، القاهرة ، ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٦م .

(٣) المغيري ، جهينة الأخبار ، ص ٧٣ ، جيان ، وثائق تاريخية وجغرافيتوتجارية عن شرق أفريقيا ، ص ١٥٥ ، ١٧٣ ، صيرفي ، نوال ، الجهاد الإسلامي في شرق أفريقيـــا ، ص ٣٨ ، رسالة دكتوراه ، التاريخ الإسلامي الحديث ، كلية الشريعة والدراسات الإسلامية ، جامعة أم القرىٰ ، مكّة المكرّمة ، ١٤٠٧هـ - ١٤٠٨هـ ،
General Rigby , Zanzibar and The Slave Trade , P. 326 , London , 1935 .

أكثر أهمية منها . مثل : ممباسا ، وكلوه ، ومقديشو ، ولامو ، وغيرها . وذلك « لطيب هواها وقلّة أذاها ، لأنها ليست ذات بردٍ (قارس) ، ولاحرٍ شديد ، ولقربها من خط الاستواء ، فأوى إليها الأخيار من جميع أقطار الدّنيا »(١) .

ولاتّخاذ السيد سعيد زنجبار عاصمةً له عام ١٢٤٧هـ / ١٨٣٢م ، أسباب استراتيجية وطبيعية واقتصادية هامة ، جعلته يختارها عاصمةً لأملاكه دون غيرها من المدن والجُزر الهامة في أفريقية الشرقية . (شكل رقم ١)

فمن الناحية الاستراتيجية تعتبر زنجبار الجزيرة الثانية في المنطقة، من جهة المساحة بعد مدغشقر، إذ تبلغ مساحتها ٦٤٠ ميلاً مربّعاً، فضلاً عن أنها تبعد على مساحة خمسة وعشرين ميلاً من الساحل ، وحوالي مائة ميل جنوب ممباسا ، وقد وفّر لها هذا الأمن ، وجعلها في منأىً من إغارات القبائل الأفريقية المعادية(٢) .

أما من الناحية الطبيعية ، فزنجبار تعتبر ذات طقسٍ معتدل ، وطبيعة جذّابة ، إذا ماقورنت بمسقط الشديدة الحرارة خلال فترة طويلة من السنة(٣) . كما إن الجزيرة بها موارد كثيرة لاتنفذ من المياه النّقيّة الصّالحة للشّرب ، التي ليس لها مثيل على طول الساحل الشرقي من أفريقيا ، مما كان يجذب إليها السفن المارة ، فتنتعش التجارة فيها تبعاً لذلك .

---

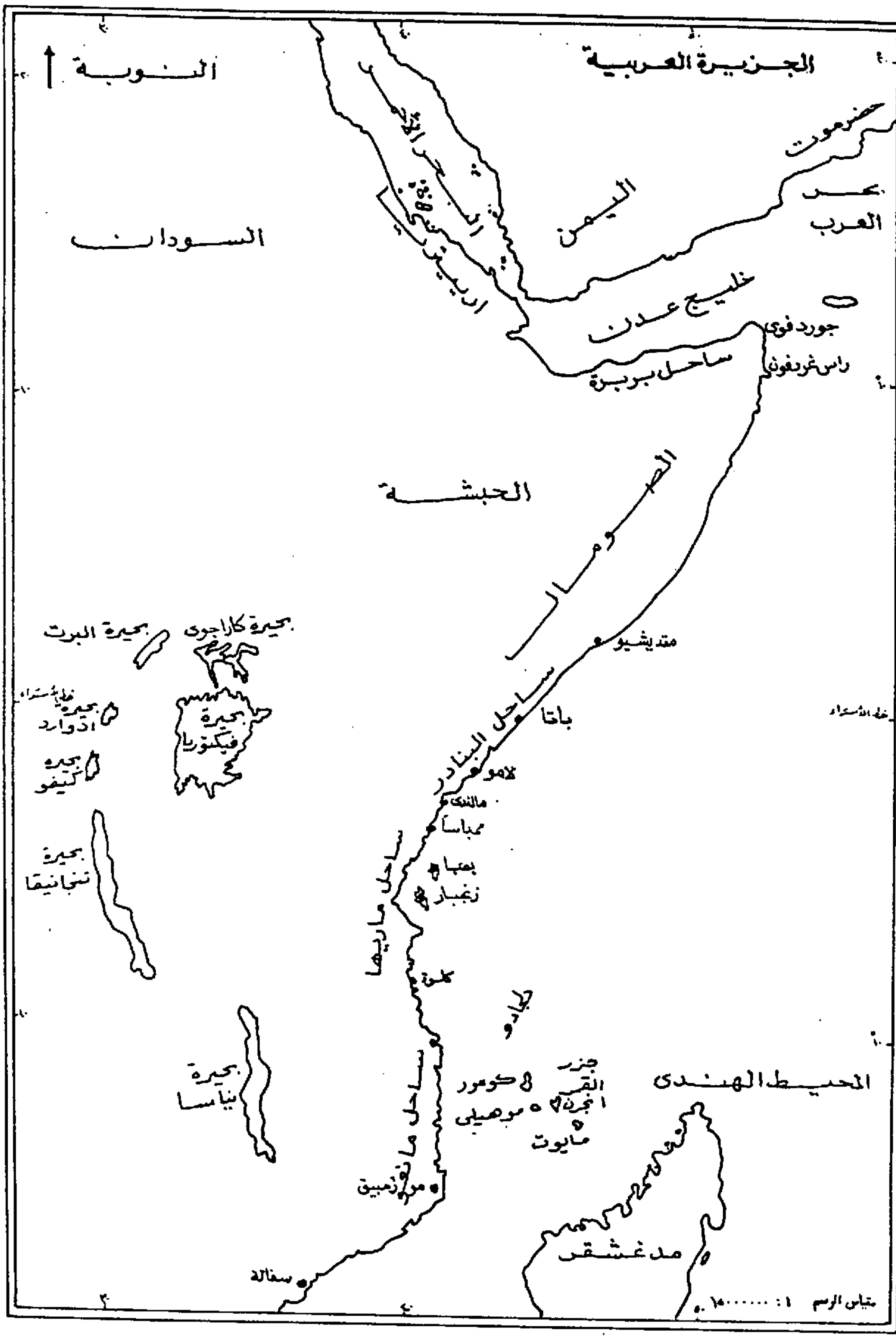
(١) المغيري ، جهينة الأخبار ، ص ٢٧٧ ،

Allan , Calvin H. , " The State Of Mascut in The Gulf and East Africa " , 1785 - 1859 " ,

International Journal of Middle East Studies , P. 51 , London , 1979 .

(٢) حراز ، رجب ، بريطانيا وشرق أفريقيا ، ص ٢٩ ، القاهرة ، ١٩٧١م ، روت ، رودلف سعيد ، سلطنة عمان ، ص ٤٩ ، هولنجز وورث ، ل . و . ، زنجبار ، ص ٥ .

(٣) قاسم ، جمال زكريا ، دولة بوسعيد في عُمان وشرق أفريقيا ، ص ٢٠٨ .



ساحل شرق أفريقيا

شكل رقم (١)

حسين مؤنس : أطلس تاريخ الاسلام ، ص ٣٧٠.

كما تشتهر زنجبار بخصوبة تربتها الصالحة لزراعة الكثير من توابل المناطق الحارة(١) . ولاشك أن الهدف الاقتصادي كان أقوىٰ الدّوافع التي دعت السيد سعيد للاستقرار فيها ، واتّخاذها عاصمةً له .

ويقول في ذلك كوبلاند Coupland - أحد الباحثين في تاريخ شرق أفريقيا - « أن التجارة كانت هي الهدف الأساسي للسيد سعيد ، فلم يكن هناك مكان آخر من ممتلكاته أكثر ملاءمة لتنفيذ سياسته الاقتصادية من زنجبار ، كما أن موقعها المتوسط بين موانيء شرق أفريقيا ، حققت لها مركزاً اقتصادياً هاماً في المنطقة »(٢) .

وتتمتّع جزيرة زنجبار بميناء طبيعي يصلح لرسو السفن الضّخمة الكبيرة ، وهو الميناء الوحيد الذي يتميّز بذلك ، لعُمق مياهه وسعة مساحته(٣) .

كما إنها تعتبر المنفذ الطبيعي لحاصلات المنطقة المواجهة لها في القارة ، فهي أكبر مستودع للتجارة الأفريقية الآسيوية التي تحمل صادرات المنطقة من الرقيق والعاج والقمح .

---

(١) حراز ، رجب ، بريطانيا وشرق أفريقيا ، ص ٣٠ ، طه ، جاد محمد ، دور بريطانيا وألمانيا في تفكيك سلطنة زنجبار ، ص ٩٦ .

(٢) Coupland, R., East Africa and Its Invaders, P. 295, London, 1938.

الشيخ ، رأفت غنيمي ، دور عُمان في بناء حضارة شرق أفريقيا ، ص ١٦٨ .

(٣) محمد ، محمد سيد ، " سلطنة زنجبار الإسلامية بين الإنجليز والألمان " ، مجلة جامعة الملك عبدالعزيز ، العدد ٢ ، ص ٧٣ ، مكّة المكرّمة ، جمادى الثانية ١٣٩٨هـ / مايو ١٩٧٨م ، العقّاد ، صلاح وقاسم ، جمال زكريا ، زنجبار ، ص ٦ ، القاهرة ، ١٩٦٠م ،

Lofchie, M. F., Zanzibar, P. 6, New Jersey, 1965.

فعندما قدم السيد سعيد إلى زنجبار ، لم تكن سوىٰ مدينة صغيرة لصيد الأسماك ، وكان السّكان يعملون بزراعة الأرز وبعض الحبوب الأفريقية الأُخرى(١) . فأصبحت في عهده تُضاهي المُدن الكُبرىٰ في أوروبا في التقدّم التجاري والاقتصادي .

وأخيراً يمكننا القول بأن السيد سعيد استطاع أن يربط عُمان الواقعة في الرّكن الجنوبي الشرقي من الجزيرة العربية بشرق أفريقيا ، ويوحّدهما تحت حُكمه ، مما كان له أبعد الأثر في تقوية الرّوابط وتوثيق العلاقات العربية - الأفريقية بين شرق الجزيرة العربية وشرق أفريقيا ، وانعكس ذلك على نواحي كثيرة منها الاقتصادية والسياسية والاجتماعية والثقافية ، وأدّىٰ إلى ازدهار وانتعاش البلاد في هذه النواحي جميعها ، وظلت هذه المنطقة عربية إسلامية حتى عام ١٣٨٣هـ/١٩٦٤م حيث فقدناها في مأساة دامية أنهت العلاقة الطويلة بالأفريقيين والتي استمرت أكثر من ثلاثة آلاف عام ، عندما عملت السياسة الاستعمارية على إشاعة الكراهية العنصرية بين الشعوب العربية والأفريقية(٢) .

وتساهل الحكام مع المنصرين والأجانب ، ومحاباتهم على حساب العرب .

---

(١) Grenville , G. S. P. Freeman , The East Africa Coast , P. 234 , London , 1962 .

(٢) المعمري ، أحمد حمود ، عمان وشرقي أفريقية ، ص١١٥ .

الباب الأول

النواحي الاقتصادية

- **الفصل الأول** (عوامل الازدهار الاقتصادي في زنجبار)
  - الطرق والمراكز التجارية التي أسسها العرب في شرق وأواسط أفريقية .
  - تجارة العاج .
- **الفصل الثاني**
  - الزّراعة .
- **الفصل الثالث** (التجارة)
  - لمحة تاريخية .
  - علاقة زنجبار بالهنود .
  - علاقة زنجبار بأمريكا .
  - علاقة زنجبار بإنكلترا .
  - علاقة زنجبار بفرنسا .
  - علاقة زنجبار بألمانيا .
  - النّظام المالي والنّقدي .
- **الفصل الرابع**
  - الصّناعة والحِرف .

الفصل الأول

(عوامل الازدهار الاقتصادي في زنجبار)

- الطرق والمراكز التجارية التي أسسها العرب في شرق وأواسط أفريقية .
- تجارة العاج .

عوامل الازدهار الاقتصادي في زنجبار

الطرق والمراكز التجارية التي أسسها العرب في شرق وأواسط أفريقيا في عهد البوسعيديين :

كان التجار الذين وفدوا من جنوب الجزيرة العربية وسواحل الخليج العربي من أقدم المجموعات التي استقرت في ساحل شرقي أفريقيا ، الممتد من رأس جردفون شمالاً إلى خليج دلجادوا جنوباً ، وكان يُطلق على هذه المنطقة ساحل الزّنج أو زنجبار .

فقد قدم العرب المسلمون إلى هذه المنطقة منذ البداية - بأعداد قليلة ، وعلى فترات متفرّقة منذ القرن الرابع الهجري للتجارة حيناً أو للاستيطان أحياناً أُخرىٰ . ولأن العرب تجار بطبيعتهم ، فقد كانوا حريصين على إقامة المراكز التجارية على الساحل ، للاشتغال بتجارة الذهب والعاج والرقيق . وقد أحبّهم النّاس واختلطوا بهم . كما يقول بازل دافيد سون « غزوا العقول والقلوب في الإقليم ، فاحتضنهم الأهلون »(٢) .

استقر العرب في شرق أفريقيا ، وأسسوا مستوطناتهم في عدّة مُدن مثل : ممباسا ، ولامو ، كما اهتمّوا بالجُزر المجاورة للساحل مثل : زنجبار ، ليجعلوا منها باباً للدّخول إلى قلب القارة . وتتحدّث أغلب المصادر التاريخية عن عرب

---

(١) قاسم ، جمال زكريا ، الأصول التاريخية للعلاقات العربية الأفريقية ، ص ٤٩ ،
Ingrams , W. , H. , Arabia and The Isles , P. 3 , London , 1960 .

(٢) دافيدسون ، بازل ، أفريقيا تحت أضواء جديدة ، ص ٢٧٦ ، ترجمة جمال أحمد ، بيروت ، بدون تاريخ .

عُمان ، ونجاحهم في تأسيس بعض المدن والإمارات العربية الإسلامية على ساحل شرق أفريقيا ، نظراً لانحدار عُمان الشديد نحو المحيط الهندي ، وقربها من شرق أفريقيا(١) .

وهكذا نلاحظ أن موقع عُمان الجغرافي شجّع سكّانها على التجارة والملاحة ، ومكّنهم من التّقدّم التجاري ، فبنوا المدن والمراكز التجارية التي كانت تدين بالولاء لسلطان مسقط .

وظل العرب على هذا النحو حتىٰ عام ١٢٤٧هـ/١٨٣٢م ، حيث انتقل السيد سعيد بن سلطان إلى زنجبار ، واتّخذها عاصمةً له ، بهدف التوسّع التجاري في أفريقيا ، مما حدا بالعرب للتوجّه إلى وسط القارة الأفريقية صوب البحيرات والكونغو .

وبتلك الخطوة التي أقدم عليها السيد سعيد بدأت المؤثّرات الفعّالة في تاريخ زنجبار بصفة خاصة ، والشرق الأفريقي بصفةٍ عامة . إذ عمل السيد سعيد على مساعدة العرب القادمين من عُمان والجزيرة العربية ، والذين انتقلوا معه إلى زنجبار على ارتياد الطرق التجارية القديمة(٢) ، فكان ذلك مشجّعاً لهؤلاء التجّار العرب ، فبدأوا يغادرون زنجبار كل عام بأعداد كبيرة متّجهين إلى الساحل الأفريقي ، ومنه إلى الأقاليم الدّاخلية في القارة بحثاً عن العاج والرقيق عن طريق التجارة ، وليس بطريق القوّة أو الاغتصاب(٣) ، فازدهرت التجارة وانتعشت إلى درجة لم تكن معهودة من قبل .

---

(١) رزق ، يواقيم ، " الاستعمار البلجيكي وأثره على الوجود العربي في الكونغو " ، العلاقات العربية الأفريقية ، ص ١٧٥ ، القاهرة ، ١٩٧٧م ،

Pearce , F. , B. , Zanzeibar , The Island Metropolis of East Africa , New York , 1967 .

(٢) قاسم ، جمال زكريا ، الأصول التاريخية ، ص ٢٠٥ .

(٣) حراز ، السيد رجب ، بريطانيا وشرق أفريقيا ، ص ٣١ .

أما عن موسم القوافل التجارية فكان غالباً في الفترة الجافة أو قليلة الأمطار ، أي مابين نهاية الأمطار الغزيرة في إبريل أو مايو ، وبداية الفترة الأقل أمطاراً في أكتوبر أو نوفمبر(١) ، ولم تكن هذه الفترة كافية للقيام برحلة تجارية وسط الغابات الكثيفة ، وفي هذه الظروف المناخية والطبيعية الشاقة ، لذلك كان التجّار العرب يمكثون مع مرافقيهم مدّة طويلة قد تستغرق عدّة سنوات ، لهذا قاموا بتأسيس محطّات ومراكز تجارية ومستوطنات عربية صغيرة ، تقع على الطّرق التجارية ، وتعد امتداداً للسّلطنة العربية ، فذاعت شهرتها في أجزاء كبيرة من القارة الأفريقية(٢) ، وأصبح رؤساؤها بمثابة حُكّام صغار تحت سيطرة السيد سعيد في زنجبار . وقد كان الأفريقيون حريصين على بقاء تلك الرّوابط القائمة بينهم وبين السّلطنة في زنجبار .

وكان من الصّعب إحكام السيطرة العُمانية على المناطق الداخلية في القارة الأفريقية ، كما هي على الساحل ، لأن هذه السيطرة اعتمدت على الأُسس الاقتصادية لا على الأُسس السياسية ؛ لهذا كان استمرارها قائماً مادامت العمليات التجارية قائمة ، وقوافلها تسير من مكان إلى آخر(٣) .

وقد نالت التجارة الاهتمام الأكبر في السّلطنة العربية بشرق أفريقيا ، إذ تولّى العرب فيها عمليات النّقل البحري ، وتسيير القوافل إلى داخل أفريقيا .

---

(١) Coupland , R. , East Africa and Its Invaders , P. 308 .

(٢) قاسم ، جمال زكريا ، عُمان في شرق أفريقيا ، ص ١١٩ - ١٢٠ ،

Pearce , Zanzibar , P. 128 ,

Coupland , R. , East Africa , P. 309 .

(٣) Colomb , P. , H. , Slave Catching in The Indian Ocean , P. 365 , London , 1873 ,

Coupland , East Africa , P. 229 .

كما إن الجماعات العربية داخل القارة الأفريقية لم تهتم بإقامة نُظم سياسية ، وإنما كان اهتمامها الأكبر ينصب على وجود خطوط منتظمة من القوافل ، تصل ساحل أفريقيا الشرقي بالداخل ، فأصبحت بذلك زنجبار المركز الرئيسي للتجارة(١) . وكما علمنا أن التجارة كانت الشغل الشاغل للسيد سعيد ، وكان يُدرك أن كشف داخل القارة الأفريقية لابد وأن يعود بالثراء على الساحل ، لذلك شجّع التجار المغامرين من العرب على ارتياد مجاهل القارة الأفريقية في الداخل(٢) .

ومما لاشك فيه أن الازدهار الذي عاشته السّلطنة العربية في شرق أفريقيا في عهد السيد سعيد ، قد ساعد العرب على كشف نواحٍ كثيرةٍ من مجاهل القارة الأفريقية .

ففي عهده نُظّمت التجارة ، وازداد عدد القوافل التجارية ، وكبُر حجمها ، واخترقت هذه القوافل داخل القارة ، وتمكّن العرب من كشف طُرق تجارية جديدة ، وصلوا بها إلى جهاتٍ بعيدةٍ في قلب القارة الأفريقية ، مثل : بُحيرات نياسا Nyasa ، وتنجانيقا Tanganyika ، وفيكتوريا نيانزا Victoria ، وكان هدف العرب هو الحصول على العاج والرقيق من الأجزاء العليا من نهري الكونغو والنيل(٣) .

---

(١) الشيخ ، رأفت غُنيمي ، دور عُمان في بناء حضارة شرق أفريقيا ، ص ١٧٣ .

(٢) هولنجز وورث ، زنجبار ، ص ٦ .

(٣) قاسم ، جمال زكريا ، " دور العرب في كشف أفريقيا " ، مجلة عالم الفكر ، ص ٢١٨ ، Coupland , East Africa , P. 305 ,
مؤنس ، حسين ، أطلس تاريخ الاسلام ، ص ٣٨٠ ، القاهرة ، ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م .

لذلك أسس التجار المستوطنات العربية على طول تلك الخطوط التجارية(١) (شكل رقم ٢) . وكان الخط الرئيسي ، والذي يعتبر من أهم الطرق التي اتبعها العرب بمرور قوافلهم التجارية ، هو الطريق الذي يبدأ من باجامويو Bagamoyo على الساحل ، في مواجهة جزيرة زنجبار ، متجهاً إلى جنوب غربي كيساكي أو زيجوميرو Zungomero ، ثم ينحني في اتجاه الشمال الغربي ، حيث مرتفعات تابوره Tabora ، التي تعتبر همزة الوصل التجاري في الداخل(٢) ، والتي كانت على جانب كبير من الأهمية بالنسبة للمقاطعات الداخلية مثل أهمية زنجبار بالنسبة للمقاطعات الساحلية ، وهي تبعُد حوالي ٦٠٠ ميلاً من الساحل ، وينتهي هذا الطريق عند بُحيرة تنجانيقا(٣) .

وإلى الجنوب من ذلك الطريق كان هناك عدة طرق أو خطوط تجارية ، تبدأ من كلوه Kilwa ، وموانيء أُخرىٰ جنوب جزيرة زنجبار باتّجاه بُحيرة نياسا(٤) .

ومن أطول هذه الطرق الخط الرئيسي الذي يمرّ بميناء تانجا Tanga ثم بمرتفعات كلمنجارو Kilimanjaro ومنها إلى بورجنجا Burgenej ، ثم يتّجه إلى بحيرة فيكتوريا نيانزا ، حيث يلتقي في تابوره Tabora بالطريق الأول(٥) .

---

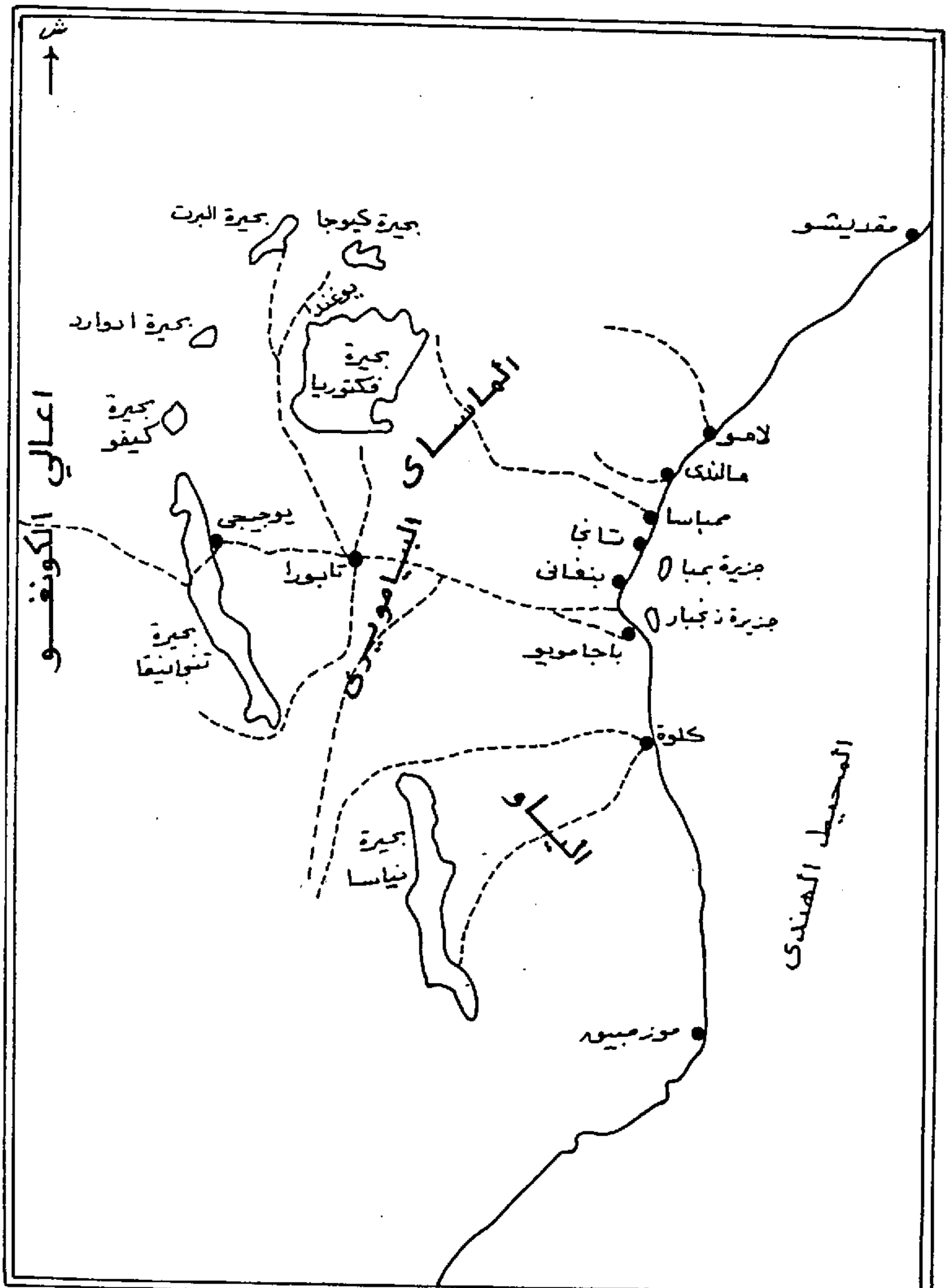
(١) Coupland , Exploitation of East Africa , P. 5 , London , 1939 .

(٢) Coupland , East Africa , P. 305 .

(٣) العقاد ، صلاح ، وقاسم ، جمال زكريا ، زنجبار ، ص ٧٧ ، وقاسم ، جمال زكريا ، "دور العرب في كشف أفريقيا" ، مجلة عالم الفكر ، ص ٢١٨ .

(٤) Coupland , East Africa , P. 305 ,
Slade , Ruth , King Leopold's Congo , P. 84, London , 1962 .

(٥) العقاد ، صلاح وزكريا ، جمال ، زنجبار ، ص ٧٧ ، Coupland , East Africa , P. 305 .



الطرق والمراكز التجارية التي أسسها العرب

شكل رقم (٢)

وهناك طريق آخر شُقّ حديثاً عبر كاراجوي Kargawe وفي الشمال شق العرب أيضاً طُرقاً حديثة من يوجيجي Ujiji ويوفير Uvira عند النهاية الشمالية لبحيرة تنجانيقا ، ومن أوجيجي كانت القوافل العربية تتخذ طريقين رئيسيين إلى الجنوب والغرب . أما الطريق الشمالي فقد كان يمر بكاراجوي إلى أقصى الشمال من بحيرة فيكتوريا ، حيث يمتد شمالاً إلى بنيورو Bunyoro وبوغندا Buganda(١) . ومن طابوره وصلوا إلى فيكتوريا نيانزا بجوار موانزا Mwanza ، وتتبّعوا شواطئها ، حتى وصلوا كمبالا Kampala عاصمة مملكة بوغندا(٢) .

وكانت القافلة التجارية العربية التي تخرج من الموانيء تتكوّن من ٥٠٠ إلى ٦٠٠ شخص تقريباً ، وفي بعض الأحيان يتجاوز عدد أفرادها الألف ، معظمهم من الأفارقة ، ويقودها نحو خمسين تاجراً من العرب . وتحت الظروف المناخية والطبيعية الصّعبة ، مثل شدّة الرّطوبة ، وكثرة الأمطار . كانت الرّحلة تستغرق زمناً طويلاً(٣) . فدفعت الحاجة هؤلاء التجار إلى إنشاء طرق للقوافل بين الساحل والداخل ، وظهرت مستوطنات عربية عديدة على طول الخطوط التجارية ، التي كانت تطرقها قوافل التجارة العربية . ففي عام ١٢٥٠هـ/١٨٣٠م أسس التجار العرب مركزاً مهمّاً في تابوره ، وبعد ذلك بعشر سنوات

---

(١) زكريا ، جمال ، دور العرب في كشف أفريقيا ، ص ٢١٨ ،
Coupland , East Africa , PP. 306 - 307 .

(٢) Coupland , East Africa , P. 307 .

(٣) العقاد ، صلاح ، وقاسم ، جمال زكريا ، زنجبار ، ص ٧٨ .

اتّجهوا إلى بحيرة تنجانيقا ، حيث وصلوا إلى أوجيجي ، وأسسوا بها مركزاً تجارياً هاماً ، ثم انتشروا في كل منطقة البحيرات الاستوائية(١) . ومن هذه المراكز التجارية كانت القوافل تحصل على ماتحتاج إليه من المؤن ، وتخزّن البضائع في مستودعات خاصة ، وكان حُكّامها من أهالي البلاد يُدينون للسلطان بالتبعية والولاء ، إذ إن هذه التبعية لم تكن تكلّف سكّانها شيئاً من الناحية المادية ، إلا بعض الهدايا التي يحملها رؤساؤهم إلى العاصمة(٢) .

وفي بعض الأحيان كان السلطان يرسل حُكّاماً من العرب أو من السواحليين مع قوّة صغيرة ، تضاف إلى قوّة السّكان المحلّيين لتعزيز سيطرة النفوذ العربي(٣) .

وهكذا يتضح أن كبار تجار الجملة من العرب كانوا يروحون ويجيئون على طول طرق القوافل ، بينما استقر تجار التجزئة من صغار التجار العرب في المراكز التجارية الرئيسية في أفريقيا(٤) .

كما يتضح أن العرب توغّلوا في المناطق الداخلية ، واستقر الكثير منهم بين القبائل الأفريقية ، وأصبحوا عوناً لسلطان زنجبار ، الذي شمل نفوذه كل ركن

---

(١) قاسم ، جمال زكريا ، الأصول التاريخية ، ص ٢٣٣ ، حسن ، يوسف فضل ، " الجذور التاريخية للعلاقات العربية الأفريقية " ، العرب وأفريقيا ، ص ٣٥ ، بيروت ، ١٩٨٤م .

(٢) حراز ، السيد رجب ، بريطانيا وشرق أفريقيا ، ص ٣٢ ، Coupland , East Africa , P. 311 , طه ، جاد محمود ، " دور بريطانيا وألمانيا في تفكيك سلطنة زنجبار " ، العلاقات العربية الأفريقية ، ص ١٠٠ .

(٣) رأفت غُنيمي : دور عُمان في بناء حضارة شرق أفريقيا ، ص ١٧٤ .

(٤) طه ، جاد محمود ، " دور بريطانيا وألمانيا في تفكيك سلطنة زنجبار " ، العلاقات العربية الأفريقية ، ص ١٠٠ ، حراز ، رجب ، بريطانيا وشرق أفريقيا ، ص ٣٢ .

تقريباً في شــرق أفريقيا ووسطها ، وصار تحت سيطرة حاكم عربي واحد . حتىٰ لقد اشتهرالمثل السواحلي القائل : « حينما يعزف أحد على المزمار في زنجبار ، يرقص الناس على البحيرات » .

(١)" When one pipes on Zanzibar , they dance on the lakes . "

وكـان للتجـار العـرب دور كبيـر في إثـراء المعلومـات لـدىٰ العـالـم الغـربـي والمستكشفين ، من خلال أحاديثهم عن الرّحلات التي قاموا بها داخل القارة الأفـريقيـة من منطقة البحيـرات الاستوائيـة والأقاليـم الداخليــة حتىٰ السّاحـل ، ولكنهم مع الأسف لم يكتبوا ، أو يدوّنوا إلا بعض الشيء مما شاهدوه والذي مازال مجهولاً ، ولم يصل إلى أيدي الدّارسين(٢) .

وتقلل بعض المصادر الأوروبية من أهمية النشاط العربي التجاري في مناطق داخل القارة الأفريقية ، وترىٰ أن هدفه الأساسي هو التّسلّط والوحشية ، والمعاملة السّيئة لسكّان تلك المناطق(٣) . ولكن الحقيقة والدراسة الدّقيقة العادلة ، ترد على هذة الاتهامات ، ويمكن الرّجوع بصـدد ذلك إلى كتابات الرواد الأوروبيين مثل بيرتون وسبيك من رحّالة ومنصرين ومستكشفين - بأن التجار العرب كانوا من العناصر المهمّة في حمل لواء الحضارة والتّقدّم في قلب القارة الأفريقية(٤) .

---

(١) Coupland , East Africa , P. 342 .
Pearce , Zanzibar , P. 113 , Ward , W. , E. , F. , White , L. , W. , East Africa , P. 1 , New York , 1972 .

(٢) قاسم ، جمال زكريا ، دور العرب في كشف أفريقيا ، ص ٢٢٤ .

(٣) Slade , Ruth , King leopd's congo , P. 84 .

(٤) قاسم ، جمال زكريا ، الأصول التاريخية ، ص ٢٣٤ .

ومن الرّوّاد الأوروبيين مثل بيرتون من كان منصفاً ، وأشاد بدور العرب الحضاري في شرق أفريقيا في إحلال الأمن بدلاً من الفوضىٰ والإضطراب ، وتقدّم التجارة العربية داخل القارة الأفريقية ، وتأسيس المحطّات والمراكز التجارية على طول تلك الطّرق ، حتىٰ وصلوا إلى بُحيرة تنجانيقا(١) .

كما سار بيرتون Burton - وهو أحد روّاد الحركة الكشفية في أفريقيا في النّصف الثاني من القرن التاسع عشر - على خط القوافل العربية ، الذي شيّده التجّار العرب في باجامويو إلى أوزنجا ، ومنها إلى أوجيجي ، التي كانت تعتبر المركز الرئيسي للتجارة العربية(٢) ، وواصل تتبعه لخط القوافل العربية حتّىٰ وصل تابوره أشهر المراكز التجارية العربية في أفريقيا ، ومنها إلى فيكتوريانيانزا(٣) .

كما أكّد المستكشفان سبيك وجرانت عندما وصلا تابوره ، على أنه كان يوجد بها تجّار من العرب وبعض الهنود(٤) . ومن هؤلاء التجار العرب سناي بن عامر الذي كان مولداً من أب عربي وأم أفريقية ، حيث استقر في عام ١٢٦٨هـ/١٨٥٢م في منطقة تابوره في شبه قرية صغيرة ، شيّدت فيها عدّة منازل للسكن والضيافة ،

---

(١) المغيري ، جهينة الأخبار ، ص ٣١٣ ،

Burton , Richard , F. , Lake Regions of Central Africa , Vol. I , P. 324 , London , 1860 .

(٢) Zoemarsh , East Africa , P. 116 , London , 1961 .

(٣) المغيري ، جهينة الأخيار ، ص ٣١٣ ، قاسم ، جمال زكريا ، دور العرب في كشف أفريقيا ، ص ٢٢١ .

(٤) قاسم ، جمال زكريا ، الأصول التاريخية ، ص ٢١١ .

وعدد من المخازن للبضائع والعاج(١) . وعندما قام المنصران الألمانيّان كرابف Kraph وصديقه ربمان Rebman برحلتهما إلى جبال كينيا وكلمنجارو ، اعتمدوا على التجّار العرب ، حيث رافقوهما إلى هناك ، فكانا أول من تحدث من الأوروبيين عن وجود بحيرات عظيمة وسط أفريقيا ، ووجود مستوطنات ومراكز تجارية عربية هناك(٢) .

وفي عام ١٢٥٩هـ / ١٨٤٤م استطاع ميزان Mezan أحد المستكشفين الفرنسيين الوصول إلى باجامويو ، ومنها إلى واكمبا Wakamba حيث قدم له سلطان زنجبار السيد سعيد الكثير من المساعدة والعون(٣) .

وفي عام ١٢٧٢هـ / ١٨٥٦م لقي المستكشفان بيرتون وسبيك Speke المساعدة والعون من السيد سعيد ، مما كان له أكبر الأثر في نجاح رحلتهما إلى داخل القارة الأفريقية . وقد تحدّثا عن تقدّم التجارة العربية ، وعن المراكز والطرق التي شقّها العرب داخل القارة الأفريقية(٤) . ومن المعلومات التي جمعها بيرتون وسبيك من التجّار العرب استطاعا الوصول إلى بحيرة أوكروى ، وهي التي سمّاها المكتشفان فيما بعد بُحيرة فيكتوريا ، ولقد كانت هذه المعلومات دقيقة جداً ، بحيث استطاع سبيك أن يرسم خريطة تقريبية لموقعها قبل الوصول إليها(٥) .

---

(١) Coupland , East Africa , P. 310 .

(٢) قاسم ، جمال زكريا ، دور العرب في كشف أفريقيا ، ص ٢٢٢ .

(٣) قاسم ، جمال زكريا ، دور العرب في كشف أفريقيا ، ص ٢٢٢ .

(٤) دافيدسون ، بازل ، صحوة أفريقيا ، ص ٧٥ ، Burton , Lake Regions of central Arfrica , Vol I , P. 324 .

ولمعرفة المزيد عن رحلة المستكشفين (بيرتون وسبيك) ، أنظر المغيري ، ص ٣١٣ - ٣١٦

(٥) قاسم ، جمال زكريا ، دور العرب في كشف أفريقيا ، ص ٢٢٢ .

وقد نوّه بيرتون وسبيك بالفضل والعناية والمساعدات العظيمة التي قدمها لهم الشيخ سناي بن عامر ، حيث أخبرهما بوجود ثلاث بحيرات مختلفة الحجم ، وهي التي عُرفت فيما بعد باسم نياسا وتنجانيقا وفيكتوريا(١) . ثم واصل بيرتون وسبيك رحلتهما بمساعدة الأدلاء العرب ، حتى وصلا إلى آنياموزيزي Unyamwezi ، ومنها إلى أوجيجي التي تنتهي عندها طُرق القوافل الرئيسية في الساحل ، والتي تعتبر من أعظم وأهم المراكز التجارية(٢) .

كما أن المستكشف الإنجليزي لفنجستون Livingstone أشاد بحُسن معاملة العرب والسّلطنة العُمانية في زنجبار ومساعدتهم له في تقديم كل مايستطيعونه من رعاية ، واعترف بالدور الهام الذي قام به العرب في بناء حضارة شرق أفريقيا(٣) .

أما عن الرّحالة ستانلي Stanley الأمريكي المولد البريطاني الهويّة ، فقد اشترك مع لفنجستون في كشف بحيرة تنجانيقا ، إذ استطاع أن يصل من باجامويــو إلى الكونغو . وقد تحدّث بدوره عن مساعدة وعناية السلطان برغش بن سعيد سلطان زنجبار(٤) . كما أشاد بالمساعدات التي قدمت لـه من قِبـل حميد الدين المرجبــي ، وهو أحد التجار العرب الذي اشتهر باسم تيبوتيب Tippo Tip ، والذي ساعده وأرشده في عمليات كشف الكونغو(٥) .

---

(١) قاسم ، جمال زكريا ، دور العرب في كشف أفريقيا ، ص ٢٢٢ .

(٢) المغيري ، جهينة الأخبار ، ص ٣١٤ .

(٣) الشيخ ، رأفت غُنيمي ، دور عمان في بناء حضارة شرق أفريقيا ، ص ١٨٣ .

(٤) Slade , Ruth , King Leopold's Congo , P. 198 .

(٥) قاسم ، جمال زكريا ، دور العرب في كشف أفريقيا ، ص ٢٢٣ .

ومما سبق نلاحظ مدى العناية والمساعدة التي لاقاها هؤلاء المستكشفين والمنصرين الأُوروبيين من التجار العرب عامةً ، ومن السيد سعيد خاصةً ، إذ كان يبعث مع هؤلاء الأُوروبيين خطابات توصية لمرؤوسيه في الداخل ، ليعاملوهم أحسن معاملة ، وتوضّح التقارير التي كان يبعثها الرّواد والمنصرون الأُوروبيون إلى الجمعيات التي أوفدتهم إلى تلك المناطق ، أهميـة خطابات التوصية التي كانوا يحرصون على التـزوّد بهـا من حُكّام زنجبـار . وبعد كل ماتقدّم نستطيع أن نخلص إلى النقاط التاليـة :

أولاً : أن العرب هم الرّواد الحقيقيون في كشف شرق أفريقيا مما يدحض كثيراً من الأكاذيب المبثوثة في بطون الكُتب التي عالجت هذا الموضوع .

ثانياً : النشاط التجاري الذي قام به العرب ، وأثره على المجتمعات الأفريقية .

ثالثاً :أثـر نفوذ سلطنة زنجبـار والجاليات العـربية من التجّـار في داخـل القـارة الأفريقيـة مثل : سناي بن عامر وتيبوتيب .

رابعاً :روح التسامح والكرم والمروءة التي أبداها سلاطين زنجبار ، والتجار العرب تجاه الأُوروبيين من مستكشفين ومنصـرين ، بالمقارنة بروح الكيد والبغضـاء والكـراهية التي ظهرت - فيما بعد - في كتابات الأُوروبيين ، التي استهدفت العـرب والمسلمين ، وتشويه تاريخهم ، وإفساد علاقاتهم مع الأفارقـة ، خـاصةً بعد السيطـرة الاستعمارية على أملاك ومناطق نفوذ سلطنة زنجبار الإسلامية .

خامساً : روح التساهل الديني الذي وصـل إلى درجة التفريط الديني التي أبداها السيد سعيد وسلاطين زنجبار تجاه المستكشفين والمنصرين الأُوروبيين ، مما كان له نتائج خطيرة بالنسبة لمستقبل السلطنة والتي مهّدت السبيل للسيطـرة الاستعمارية فيما بعـد .

تجـــــارة العـــــاج :

كان للعاج دور كبير ورئيسي في التجارة الإسلامية في شرق أفريقيا ، وكان لرياح المحيط الهندي الموسمية أثرها الكبير في تجارة زنجبار وساحل أفريقيا الشرقي .

وقد ظهرت الآثار العربية الإسلامية على الساحل الشرقي لأفريقيا في المنطقة التي سمّاها العرب ساحل الزّنج أو زنجبار ، حيث قدِم التجار من جنوب الجزيرة العربية وسواحل الخليج العربي إلى هذه المنطقة ، واختلطوا بالسّكان وتزوّجوا ، وأقاموا عدّة مراكز تجارية على الساحل للعمل والتجارة بالذّهب والعاج والرقيق(١) .

وتوجد الأفيال بكثرة في شرق أفريقيا ، وهم لايستعملونها في الحرب أو العمل ، بل يصيدونها لأكل لحومها ، والانتفاع بجلودها ، وذلك بأن يضعوا بعضاً من أوراق الشّجر المخدّرة في الماء ، فإذا شرب الفيل منها تعب ونام ، عندها يأخذه الصيّادون(٢) .

ويُقال إن جماعة من العرب القادمين من شرق أفريقيا وهم ناصر بن سيف المعمري وعبيد بن سالم الخضوري وعيسى بن عبدالله الخروصي وصاحبه كبونغة الأنجزيجي - عندما وصلوا مكاناً يسمى كروندو Carondo عند نهر الكونغو ، وجدوا قرب الشاطىء وعلى امتداد مسافات شاسعة - كمّيات هائلة من العاج مُلقاة على الأرض فنزلوا ، ونصبوا خيامهم في ذلك المكان ، ثم أخذوا يجمعون العاج على شكل أكوام كبيرة ، وساعدهم في ذلك بعض الزّنوج من قبيلة المنيمة(*) يسمون بوكوسو Bokoso ، بعد أن كسبوا صداقتهم .

---

(١) Ingrams , W. , H. , Arabia and the Isles , P. 3 .

(٢) القزويني ، زكريا بن محمد بن محمود ، آثار البلاد وأخبار العباد ، ص ٢٣ - ٢٤ ، بيروت ، ١٩٦٩م .

(*)المنيمة : مجموعة من القبائل الأفريقية التي سكنت شرق الكونغو ، واشتهرت بأكل لحوم البشر ، وعند وصول الإسلام إلى تلك المنطقة ، دخل بعضهم في الإسلام ، وصاروا من أكثر الأفارقة اتّصالاً بالعرب المسلمين ، ترمنجهام سبنسر ، الإسلام في شرق أفريقيا ، ص ١٠٥ ، ترجمة محمد عاطف النووان ، القاهرة ، ١٩٧٣م .

وظل العرب يجمعون العاج من هذه المنطقة مدّة عام كامل ، ويُقال أربعة أعوام ، حتى أصبح ماعندهم منتشراً في ساحات كبيرة كالتلال(١) . ثم قام هؤلاء العرب بصنع زورق كبير من الخشب ، أرسلوا عليه ستّة من خدمهم الأفارقة ، وحملوهم برسائل إلى أهلهم وذويهم الذين كانوا يظنّون بأنهم قد ماتوا ، أو أكلتهم السّباع أو المنيمة . يخبرونهم عن المكان الذي هم فيه ، ويطلبون منهم المساعدة . وفعلاً وصلتهم الإمدادات والعون ، فقاموا بصنع بعض الزّوارق ، وحملوا ماستطاعوا حمله من العاج ، ورحلوا بعد أن ترك عبيدالله بن سالم الخضوري صاحبه كبونغه الأنجزيجي في ذلك المكان في الكونغو ، ليحكم ، باسم الشيخ عبيدالله بن سالم الخضوري ، ورحل البقيّة إلى زنجبار . وصادفوا في طريقهم الكثير من الصعوبات والمشاكل ، ولكنهم استطاعوا التغلّب عليها بفضل الله ، وباعوا العاج بثمن جيّد(٢) .

والعاج من السّلع التجارية الهامة التي كانت هدف القوافل المتّجهة إلى داخل القارة الأفريقية ، وكان التجّار يتكبّدون في سبيله الكثير من المتاعب والمشقّات والنفقات المالية ، ثم يقوم هؤلاء التجار بعد ذلك ببيع العاج إلى تجار التجزئة على الساحل .

وتختلف طُرق نقل العاج من أماكن وجوده إلى الساحل لتصديره ، ففي بعض الأحيان يسحب على الأرض بعد حمايته بلفائف تعمل من الخيزران مع بعض أنواع النباتات ، وتلف حول العاج ، وأحياناً يحمل من قبل الحمالين ، الذين يقومون برحلات طويلة في الغابات الموحشة(٣) .

---

(١) المغيري ، جهينة الأخبار ، ص ٣١٧ - ٣١٨ .

(٢) المغيري ، جهينة الأخبار ، ص ٣٢٠ - ٣٢٢ .

(٣) Burton, R., F., Zanzibar, Vol. I, P. 410, London, 1872.

والعاج من السلع التجارية الرئيسية في لامـو Lamu (١) . ويجلـب من عدّة مناطق أُخرىٰ في شرق أفريقيا ، فهو ينقل من المناطق الداخلية إلى السواحل في كلوه وممباسا(٢) وتصـدر كمّيات كبيرة منه إلى الخارج ، وأكثر الدّول طلباً له هي بلاد الشّرق الأقصىٰ ، خاصةً الهند والصّين ، إذ تستهلك الهند منه كمّيات كبيرة ، ورغم كثرة الأفيال في الهند ، إلا إن الصناع يفضّلون العاج الأفريقي ، الذي يمتاز بليونته ، وسهولة تصنيعـه لعمـل الحلى النسائية ، ومقابض السيوف ، والخناجر والجِراب . ويستعمـل أيضاً لعمل الشّطرنـج - وبعض الأواني المنزليـة المختلفـة ، وتستورد الهند مايقارب من نصـف إنتـاج العالـم منـه(٣) .

كما استخدمه الصينيين في صناعة الأشكال اليدوية ، وتُحف الزّينـة ، وتطعيم الكراسي الفخمة ذات الأشكال المختلفة الجميلـة(٤) .

وأحسن الأنواع يحصـل عليه من أوجيجي Ujiji وانياموبـزي ، إذ يجمع الحمالون أشكالاً مختلفة منه . والنوع الممتاز منه يكون لونه مائلاً للاحمرار ، ووزنه ثقيل ، إذ قد يصل وزن الناب الواحد منه مابين ستّين إلى سبعين رطلاً(٥) .

---

(١) Burton , Zanzibar , Vol. I , P. 91 .

(٢) Nichols , C. , S. , The Swahili Coast , P. 410 , London , 1971 .

(٣) المعمري ، أحمد حمود ، عمان وشرق أفريقيا ، ص ٤١ ،
Freeman , G. , S. , The Medieval History Of The Coast of Tanganyika , P. 25 , Berlin , 1962 .

(٤) Freeman , G. , S. , The Medieval History Of The Coast of Tanganyika , P. 26 .

(٥) Burton , Zanzibar , Vol. I , PP. 410 - 411 .

وفيما يلي إحصائية لأجود أنواع العاج في سوق زنجبار للأعوام من ١٢٤١هـ - ١٣١٤هـ/ ١٨٢٦م - ١٨٩٧م والذي يقارب سعره سبعاً وعشرين دولاراً للفراسلا(١) (*).

العـــام	السعر بالدولار	العـــام	السعر بالدولار
١٨٢٦ - ٢٧ م	٢٧	١٨٥٣ م	٤٥
١٨٢٨ م	٢٢	١٨٥٧ م	٥٦ - ٥٨
١٨٤٠ م	٢٩ - ٤٠	١٨٦٠ م	٥٤
١٨٤١ م	٢٧ - ٣٠	١٨٦٤ م	٥٠
١٨٤٢ م	٣١	١٨٦٥ م	٥٠
١٨٤٣ م	٢٤ - ٣١	١٨٦٦ م	٤٤
١٨٤٤ م	٣١ - ٣٤	١٨٦٧ م	٥٠ - ٨٠
١٨٤٥ م	٣٠ - ٤٠	١٨٦٨ م	٥٠ - ٨٠
١٨٤٦ م	٣٥ - ٣٦	١٨٦٩ م	٥٤
١٨٤٨ م	٣٣ - ٣٧	١٨٧٠ م	٦٠
١٨٤٩ م	٣٥ - ٣٧	١٨٧١ م	٥٢ - ٦٢
١٨٥٠ م	٣٨ - ٣٩	١٨٧٣ م	٧٥ - ١٣٥
١٨٥١ م	٣٣ - ٣٨	١٨٧٤ م	٦٥
١٨٥٢ م	٣٨ - ٤٣	١٨٧٥ م	٨٠

---

(١) Bennett , Norman R. , Studies in East African History , P. 89 , Boston , 196 .

(*)الفراسلا : تعادل ٣٥ رطلاً ، وهي وحدة الوزن التي كانت تستعمل لوزن القرنفل أيضاً في ذلك الوقت ، هولنجز وورث ، زنجبـــار ، ص ٢٥١ .

تابع إحصائية أجود أنواع العاج في سوق زنجبار للأعوام من
١٢٤١هـ - ١٣١٤هـ/ ١٨٢٦م - ١٨٩٧م والذي يقارب سعره سبعاً وعشرين دولاراً للفراسلا

العـــــام	السعر بالدولار	العـــــام	السعر بالدولار
١٨٧٧ م	٨٤ - ١٠٠	١٨٨٨ م	١٢٠ - ١٣٠
١٨٧٨ م	٨٩	١٨٨٩ م	١٥٠
١٨٧٩ م	٨٣ - ٩٠	١٨٩١ م	١٣٠
١٨٨٠ م	٨٠ - ١١١	١٨٩٢ م	١٧٢
١٨٨٣ م	١٤٠	١٨٩٣ م	١٢٠ - ١٨٠
١٨٨٧ م	١١٦ - ١٤١	١٨٩٧ م	١٤٠

وبصفةٍ عامة هناك نوعين من العاج ، القاسي ويسمىٰ جنـدي Gendi ، واللين ويسمىٰ بمبـي Pembe . والنوع اللين بمبي سهل التشكيل والتصنيع ، ويتّسم من ناحية الوزن إلى ثلاث مجموعات ، بمبي كالاسيا Pembe Calasia ووزنه أقل من ٢٥ رطلاً ، بمبي باب كتش Pembe Bab Cutch ووزنه من ٢٥ - ٤٠ رطلاً ، بمبي باب أوليا Pembe Bab Ulaya ووزنه أكثر من ٤٠ رطلاً . والعاج اللين مرتفع الثمن ، ويعادل ثلاثة أضعاف سعر العاج القاسي جنـدي(١) .

---

(١) Brown , Walter , T. , Relation Between Zanzibar and Bagamoyo in the late nineteenth century , Vol. I , 3 , P. 634 , Boston , 1971 .

ويبين الجدول السابق الحد الأقصىٰ والحد الأدنىٰ لسعر العاج في العام الواحد . ومن المحتمل أن لاتكون هذه الأسعار دقيقة تماماً ، ولكنها تعطي صورة عامة عن الأسعار خلال السنوات المذكورة .

ويُلاحظ في الجدول تقارب الأسعار فيما بين عامي ١٢٤٢هـ/١٨٢٧م و ١٢٤٣هـ/١٨٢٨م ، ثم ارتفاع الأسعار بعد ذلك بصورة متتالية حتىٰ يصل المتوسّط فيما بين عام ١٢٥٥هـ/١٨٤٠م وعام ١٢٦٨هـ/١٨٥٢م إلى ٣٤،٢٪ .

كما يُلاحظ أيضاً ارتفاع أسعار العاج فيما بين عام ١٢٦٩هـ/١٨٥٣م وعام ١٢٩١هـ/١٨٧٥م حتى يصل المتوسّط إلى ٦٠،٨٪ . وعند ازدياد الطلب على هذا النوع الممتاز من العاج كان المتوسط يصل إلى ١٢٤،٩٪ كما يبدو فيما بين عامي ١٢٩٣هـ/١٨٧٧م و ١٣١٤هـ/١٨٩٧م .

أما بالنسبة للضرائب التي كانت تُفرض على هذا النوع من السّلع ، فقد اختلفت حسب مناطق تمويله . فمثلاً منطقة انياموبزي تحصل على أربعة عشر دولاراً ، وممباسا ولامو وكلوه تحصل على أربعة دولارات فقط ، بينما كانت منطقة بانجاني Pangani وتانجا Tanga لاتزيد ضريبتهما على دولارين ، وذلك لكل ثلاثين رطلاً من العاج(١) في السنة الواحدة .

ومع أن السيد سعيد كان يؤمن بحرّية التّجارة في ممتلكاته الأفريقية ، إلا إنه كان يحصل على بعض الاحتكارات ، لضمان مركزه الاقتصادي . لذلك تولّىٰ بنفسه احتكار تصدير العاج والمطاط تحت علم مسقط في المنطقة الممتدّة من مصب نهر بانجاني حتى كلوه(٢) .

---

(١) Burton , Zanzibar , Vol. I , PP. 410 - 411 .

(٢) قاسم ، جمال زكريا ، عمان في شرق أفريقية ، ص ١١٢ .

الفصل الثاني

الزّراعـــــــــة

الزّراعــــة :

تقع جزيرة زنجبار في المحيط الهندي ، وأكثر مساحة أرضها حجـرية ، ويجري فيها عدد من الأنهار أهمّها وأكبرها نهر مويرا ، الذي ينبع من وسط الجزيرة ، ويبلغ طوله حوالي خمسة أميال(١) .

ويحصل سكّان زنجبار على الماء العذب من عين شمال المدينة ، منبعها الأصلي من البحر الأفريقي(٢) .

وإلى الشّمال من زنجبـار تقــع الجــزيـرة الخضــــراء ، التي يطلــق عليهـــا الأفارقـة اسـم بمبـــا(٣) . وهاتان الجزيرتان تعدان من أكثر المناطق الساحلية الممتدة على الساحل الأفريقي الشرقي خصوبة ، لكثرة المياه الطبيعية العذبة المتدفّقة من الينابيع الموجودة في كلا الجزيرتين(٤) .

وللأمطار مواســم معيّنــة في المنطقــة ، فالأمطــار الغزيـــرة تهطل في شهري ابريل ومايو ، ثم تقل في شهري نوفمبر وديسمبر أما بقيــة السنــة فيكون الطقس مشمساً طوال الأيام ، كما إن متوســط سقوط الأمطار السنوي اثنان وخمسون بوصة في زنجبار وستّون بوصة في بمبـــا(٥) .

---

(١) المغيري ، جهينة الأخبار ، ص ٧٣ .

(٢) المغيري ، جهينة الأخبار ، ص ٧٤ .

(٣) المغيري ، جهينة الأخبار ، ص ٨٥ .

(٤) Martin , Esmond Bradley , Zanzibar , P. 75 , London , 1978 .

Pearce , Zanzibar , P. 12 .

(٥) Pearce , Zanzibar , P. 13 .

وتعد الجزيرة الخضراء من أخصب مناطق شرق أفريقيا ، حيث تجري فيها أنهار كثيرة بسبب سقوط الأمطار الغزيرة(١) .

ويحيط بالجزيرة الخضراء حوالي سبع وعشرون جزيرة معظمها صالح للزّراعة والرّعي والصيد ، ومن هذه الجُزر انجاو Njaw ، وهي جزيرة واسعة المساحة ، يُزرع فيها الحبوب ، وترعىٰ فيها الأغنام . ثم جزيرة فوندو Fundo ، التي يتوفّر فيها الماء العذب .

لذلك قامت فيها زراعة جوز الهند ، والمانجو ، والبرتقال ، ورعي الأغنام أيضاً في بعض أجزائها ، وهناك أيضاً جزيرة افنج Uvinja الواسعة ، التي تقوم فيها زراعة البقول . ثم جزيرة ماكونغو Makongwe ، التي تشتهر بخصوبة أرضها لتوفّر الماء العذب ، وتكثر فيها زراعة شجر جوز الهند النارجيل .

وإلى الجنوب تقع جزيرة بانزا Panza وأرضها ملائمة لزراعة جوز الهند أيضاً ومراعيها ممتازة لرعي الضّأن والأغنام .

أما عن جزيرة كوجاني Kojani فمياهها عذبة ، وأرضها خصبة تصلح لرعي الأغنام والأبقار ، كذلك أُقيم فيها سد كبير لتجميع مياه الأمطار ، وأغلب سكّان هذه الجزيرة يشتغلون بصيد البحر(٢) .

والجدير بالملاحظة أنه لم يكن على الساحل الشرقي في أفريقيا إلا بعض المظاهر البدائية من الرّعي والصّيد ، مع القيام بزراعة بعض الغلاّت الزّراعية البسيطة ، التي

---

(١) المغيري ، جهينة الأخبار ، ص ٨٧ .

(٢) المغيري ، جهينة الأخبار ، ص ٨٨ - ٩٠ .

لم تلبث أن تغيّرت بتأثير الوافدين من العرب ، الذين جلبوا معهم أنواعاً مختلفة من المحاصيل ، وقاموا بتعليم الأفارقة حرفة الزّراعة(١) .

وفي منطقة سيو Suo (*) قام المزارعون بحفر عدّة آبار لري المناطق الزّراعية ، وتعلّموا من العرب استخدام الجمال في حمل المياه بدلاً من الثّيران ، حيث أن هذه الطّريقة كان يتبعها المزارعون في مسقط .

ومن أهم المحاصيل التي تنتجها سيو البلح ، وذلك لاستخدام نظام معين في الرّي بحيث تحتفظ جذور النّخيل برطوبة دائمة . لذا تعتبر سيو المنطقة الوحيدة على الساحل الشّرقي التي تنتج البلح بكمّيات جيّدة ، ونوعية ممتازة(٢) .

أمّا المحصول الرّئيسي الذي يزرعه الزّنجباريون وبصفةٍ مستمرةٍ ، فيعرف باسم موهوجو Mohogo ، أو جذور الكساداا Cassada Root . وهو عبارة عن نبات يُشبه البطاطس وينمو بشكلٍ قُطري ، ويوجد منه نوعان : حلو ويُؤكل بدون طهي ، وآخر مُرّ المذاق يتطلّب الغسل جيّداً ، ثم يُغلىٰ ، ويُجفّف تحت أشعّة الشّمس ، ويُطحن لعمل الخُبز منه .

---

(١) أبوالعلا ، محمود طه ، " المؤثّرات العربية في شرق أفريقيا " ، مجلّة الجمعية الجغرافية المصرية ، العدد ١٩ ، ص ١٣٩ ، القاهرة ، ١٩٦٠م .
Coupland , East Africa , PP. 35 - 36 .

(*)مدينة صغيرة تقع وسط جزيرة باتي على الساحل الشرقي لأفريقيا ، المعمري ، أحمد محمود ، عمان وشرق أفريقيا ، ص ٨٤ .

(٢) المعمري ، أحمد حمود ، عمان وشرق أفريقيا ، ص ٨٨ .

والموهوجو يعتبر المصدر الرّئيسي لطعام الفقراء ، حيث كان يغنيهم عن القمح ، كما أن زراعته تلائم بيئتهم وطبيعتهم لأنه لايتطلّب من المزارعين عنايةً كبيرة ولامياهً كثيرة(١) .

وتشتهر زنجبار بزراعة الفلفل الحار بنوعيه الأخضر والأحمر وتنتشر زراعته بصفة رئيسية في القرىٰ المرجانية ، في الجزء الشرقي من الجزيرة ، وكذلك في حدائق أهالي الجزيرة .

ويشتهر فلفل زنجبار عالمياً ، بأنه أقوىٰ الأنواع حرارة(٣) . وتقوم زراعته على أيدي الأهالي الأصليين ، وبصفةٍ خاصة الحاديميين Wahadimu ، الذين يكونون مجموعة صغيرة من التجار ، تقوم بشراء الفلفل الأخضر أو الأحمر الجاف من النساء أو الأولاد الصّغار ، ثم يعيدونه للوسطاء من التجار الهنود ، الذين يبيعونه بدورهم إلى المؤسسات الأُوروبية(٤) .

وتنمو أشجار جوز الهند النارجيل في منطقة بنجاني(*) بشكلٍ جيّد في زنجبار ، دون حاجة إلى عناية كبيرة ، ومعدّل إنتاج كل شجرة حوالي ثلاثين ثمرة في السنة

---

(١) ميخائيل ، توفيق ، غرائب الأخبار ، ص ٧٣ ، القاهرة ، ١٣١٩هـ / ١٩٠١م ،
Pearce, Zanzibar, P. 14,
Osgood, J., B., F., Notes of Travel, P. 25, Salem, 1854.

(٢) Pearce, Zanzibar, P. 14.

(٣) Pearce, Zanzibar, P. 14.

(٤) Lyne, Zanzibar, P. 252.

(*)منطقة بنجاني : بلدة على الساحل الشرقي لأفريقيا ، وكانت من مراكز العرب المشهورة ، التي تصدر منها البضائع للتجارة إلى داخلية البرالأفريقي ، المغيري ، جهينة الأخبار ، ص١٥٥ .

الواحدة(١) . وهو من المنتجات الزراعية الرئيسية الهامة في زنجبار ، إذ يعتبر ثاني محصول تصديري في شرق أفريقيا ، وقد بذلت الجهود لتطوير زراعته ، فبينما كان إنتاج العشر سنوات على التوالي ١٣١٠هـ - ١٣٢٠هـ - خلال الفترة من عام ١٨٩٣م إلى عام ١٩٢٢م - يتراوح بين ٥٥٠٠ ، ٧٣٠٠ ، ٧٨٠٠ طن ، نجد أن هذا المعدّل قد ارتفع إلى ١٠٦٠٠ طن في عام ١٣٤٨هـ/١٩٢٩م ، وأخذ أغلبه يصدر إلى الأسواق الأُوروبية عبر مواني جنوة Genoa ومرسيليا Merseilles(٢) .

وهناك تقرير سنوي عن جزيرة زنجبار لعام ١٣٣٩هـ/١٩٢١م ، يذكر فيه أهمية لُب جوز الهند النارجيل المبشور ، حيث بلغت قيمة صادراته ٢٩٧٢٢٠٦ روبية ، وأن هذا الإجمالي يتضمّن إنتاج جوز الهند في جزيرة بمبا ، ومانيا ، وفي مقاطعة تنجانيقا(٣) .

ومن الحاصلات الزّراعية الهامة قصب السكّر الذي كان ينمو بشكلٍ جيّد في شرق أفريقيا ، وكان يعتبر المحصول الرئيسي المفضّل قبل تحسّن زراعة القرنفل خلال النّصف الأول من القرن التاسع عشر(٤) .

وقد وقّع السيد سعيد بن سلطان عدّة اتّفاقيات مع أفراد بريطانيين وفرنسيين ، للقيام بمشروعات مختلفة . منها : زراعة قصب السكّر ، ومن ثم تصنيع سكّر عالي

---

(١) Lyne , Zanzibar , P. 20 .

(٢) Bennet , N. , R. , Studies in History of the Arab State of Zanzibar , P. 216 , London , 1978 .

(٣) Colonial Annual Report , 1921 , Zanzibar , P. 9 .

(٤) Pearce , Zanzibar , P. 15 .

الجودة ، وصالح للتصدير . وكان ذلك خلال العقدين الرّابع والخامس من القرن التاسع عشر الميلادي ، وكان الاتّفاق ينص على أن يقدّم هؤلاء الخُبراء الآلات والخبرة الفنّية لتصنيع وزراعة قصب السّكر ، وأن يقدّم لهم السيد سعيد الأرض والعمّال اللازمين لذلك . وقد شارك في أحد المشروعات ثلاثين فرنسيّاً من جزيرة رينـون(*) Reunion . ولكن كل التجارب باءت بالفشل . ومع ذلك فقد ذكر أحد المراقبين الأمريكيين في تقرير عام ١٨٤٧م ، أن زنجبار كانت تنتج حوالي ٢٥٠,٠٠٠ طن من السّكّر سنوياً . ولكن انخفاض مستوىٰ جودته ، قصر استخدامه بالكامل على الأسواق المحلّية(١) التي كانت تعتمد في عائداتها الاقتصادية على زراعة قصب السكّر والأرز والسمسم(٢) .

وكان الأرز في زنجبار يُزرع عادةً في الأراضي المنخفضة والمشبّعة بالماء ، ويتم ذلك في منتصف شهر ديسمبر إلى منتصف شهر يناير ، ويزرع منه حوالي سبعة عشر نوعاً(٣) .

وقد كان يعتبر من الصادرات الرئيسية في زنجبار ، ولكن بعد إحداث زراعة القرنفل ، أصبح يستورد من الخارج ، وتركت للأرز مساحة صغيرة في المزارع ، بعد أن توجّه اهتمام المزارعين إلى القرنفل(٤) .

ومن ضمن الحاصلات الزراعية شجرة القطن التي كانت تُزرع في مناطق متفرّقة من شرق أفريقيا ، وقد حظيت ببعض الاهتمام ، وكان وقت قطافها خلال شهـــري

(*)جزيرة في المحيط الهندي ، بالقرب من جزيرة موريشيس ، تابعة لفرنسا ، وكانت تُعرف قديماً بجزيرة البوريون .

(١) Nicholls , C. , S. , The Swahili Coast , P. 82 ,
Bennett , N. , R. , A History of the Arab State , P. 29 .

(٢) المغيري ، جهينة الأخبار ، ص ٢٧٩ .

(٣) Lyne , Zanzibar , P. 260 - 261 .

(٤) Osgood , J. , B. , F. , Totes of Travel , P. 23 .

أكتوبر ونوفمبر(١) . وتشتهر منطقة بنجاني بكثرة الأراضي الزراعية الخصبة ، وفي الجهة الغربية منها توجد مزارع جوز الهند والموز ، والموز البنجاني من أجود الأنواع ، حيث كان يصدر إلى ممباسا وزنجبار ودار السّلام(٢) .

كما يزرع الموز في زنجبار في عدّة مناطق أُخرىٰ ، وهو متعدد الأشكال والأنواع ، إذ يوجد منه أكثر من عشرين نوعاً ، منها موز الجنة والسكّري(٣) . ويبلغ طول الموزة الواحدة في بعض الأحيان مايقارب من ثلثي ذراع(٤) .

ويُزرع في زنجبار أنواع مختلفة من الفواكه ذات المذاق المتميّز مثل فاكهة الدّوريان التي تشبه إلى حدٍ كبير ثمرة الأناناس ، ولكنها أكبر حجماً ، وذات رائحة كريهة ، ولكن مذاقها طيّب ، وتعتبر من أحسن وأشهر الفواكه في شرق أفريقيا(٥) .

ومن الفواكه الجيدة التي كانت تُزرع في زنجبار الأناناس ، ويوجد منه نوعان : ذو القشرة الخضراء ، وذو القشرة الوردية(٦) ، وهو من الفواكه التي

---

(١) Lyne , Zanzibar , P. 265 .

(٢) المغيري ، جهينة الأخبار ، ص ١٥٥ .

(٣) Lyne , Zanzibar , P. 255 .

(٤) ميخائيل ، توفيق ، غرائب الأخبار ، ص ٧٣ .

(٥) ميخائيل ، توفيق ، غرائب الأخبار ، ص ٧٣ .

(٦) Lyne , Zanzibar , P. 258 .

تنمو بشكلٍ وفير في المناطق الخصبة جنباً إلى جنب مع محصولي الجوافة والقشطة(١) .

وعندما قدم العرب إلى شرق أفريقيا ، جلبوا معهم الكثير من المحاصيل الزراعية مثل السمسم والبهارات الهندية ، وبعض الفواكه مثل الرّمان والمانجو(٢) . وشجر المانجو لايحتاج إلى عناية خاصة ، بل يمكن أن ينمو في أي مكان ، حتىٰ في التربة الضّعيفة .

وكان يوجد في زنجبار وبمبا حوالي أربعة وعشرون نوعاً من ثمار المانجو ، مختلفة الأشكال والمذاق والأحجام(٣) . وقد تزن الواحدة منها رطلاً في بعض المناطق(٤) .

ومن الفواكه التي تكثر في زنجبار أشجار البرتقال ، وكانت تنمو في مختلف الأماكن أيضاً وتنضج ثمارها من شهر مارس إلى شهر يوليو ، والبرتقال الزّنجباري جيّد النّوع ، ويصدر إلى ممباسا وبعض الموانىء الرّئيسية(٥) .

---

(١) ميخائيل ، توفيق ، غرائب الأخبار ، ص ٧٣ .

(٢) العدوي ، إبراهيم أحمد ، " العروبة في شرق أفريقيا " ، مجلّة نهضة أفريقيا ، العدد ١٨ ، ص ١٩ ، القاهرة ، ١٩٥٩م .

(٣) Lyne , Zanzibar , P. 256 .

(٤) ميخائيل ، توفيق ، غرائب الأخبار ، ص ٧٣ .

(٥) Lyne , Zanzibar , P. 258 .

ويزرع الأهالي في زنجبار كمّيات كبيرة من الخضار المختلفة مثل القرع والباذنجان والطّماطم والخس والخيار والفجل والنعناع والكرفس والبامياء والملوخية(١) والبطاطس ، وأنواع مختلفة من الفاصولياء والفول ، هذا إلى جانب البندق واللوز والفستق(٢) .

كما يُزرع التّبغ في زنجبار للاستهلاك المحلّي ، خاصةً في الأجزاء الشرقية من الجزيرة ، حيث يلف على شكل أسطواني ، ثم يصدر إلى جزيرة بمبا(٣) .

وقد قامت في زنجبار توسّعات زراعية للمنتجات المختلفة من النّباتات الاستوائية وشبه الاستوائية ، مثل المطاط الذي كان يُطلق عليه اسم النّبات المفترش لاندولفيا كيركي Landolphia Kirki ، الذي نجحت زراعته بصفةٍ أساسية في غابات بمبا الجزيرة الخضراء(٤) .

كذلك نجحت زراعة الشاي ، والكاكاو ، والفانيليا ، وجوز الطّيب ، والقرفة . إذ كانت تنتج زنجبار من هذه المحاصيل كمّيات اقتصادية لابأس بها(٥) . هذا بالإضافة إلى زراعة البُن ذي النّوعية الجيّدة ، الذي كان ينمو بكمّياتٍ قليلة في عدّة مناطق مختلفة في زنجبار(٦) .

---

(١) ميخائيل ، توفيق ، غرائب الأخبار ، ص ٧٣ .

(٢) Pearce , Zanzibar , P. 15 .

(٣) Pearce , Zanzibar , P. 15 .

(٤) Lyne , Zanzibar , P. 253 .

(٥) هولنجز وورث ، زنجبار ، ص ٢١٩ .

(٦) Osgood , Note of Travel , P. 25 .

ولتجميل مدينة زنجبار ، زُرع فيها حوالي ثلاثة آلاف شجرة في عدّة جهات مختلفة من أحياء المدينة(١) ، إضافةً إلى الأزهار المتنوّعة مثل الورد والياسمين(٢) .

هذا كلّه يدعو إلى تقدير جهود المزارعين العرب في وقوفهم إلى جانب المواطنين الأفريقيين لتوسيع الرّقعة الزّراعية ، وإدخال محاصيل جديدة لعدد من النباتات الاقتصادية في زنجبار(٣) .

ويرجع الفضل في النّهوض بالزراعة ، للسلطنة العربية بشرق أفريقيا في عهد السيد سعيد وخُلفائه من بعده ، خاصةً في زراعة القرنفل ، إذ تُعتبر زراعته من أهم المنجزات التي حققها السيد سعيد في زنجبار وشرق أفريقيا ، إذ كانت ذات فائدة عُظمىٰ وكبيرة لاقتصاد المنطقة وعماد إنتاجها .

وشجرة القرنفل شجرة جميلة المنظر ، مستديمة الخضرة ، يصل ارتفاعها من ١٢ - ١٥ متراً ، ظلّها كثيف ، وأوراقها ذات رائحة عطرية ، يستخرج منها زيت القرنفل بواسطة التقطير .

والقرنفل الذي يستعمل في التجارة عبارة عن براعم الأزهار غير المتفتّحة ، والتي تُجفّف في الشّمس على حصر مصنوعة من جريد أشجار جوز الهند النارجيل لمدّة ٤ - ٥ أيام حتىٰ يجفّ .

---

(١) هولنجر وروث ، زنجبار ، ص ٢١٩ .

(٢) ميخائيل ، توفيق ، غرائب الأخبار ، ص ٧٣ .

(٣) أبوالعلا ، محمود طه ، " المؤثرات لعربية في شرق أفريقيا " ، مجلة الجمعية الجغرافية المصرية ، ص ١٣٩ ، مرقص ، يواقيم رزق ، " الاستعمار البلجيكي وأثره على الوجود العربي في الكونغو " ، العلاقات العربية الأفريقية ، ص ٢٣٠ ، القاهرة ، ١٩٧٧م .

وتظهر أزهار شجرة القرنفل في موسمين : الموسم الأول : يبدأ من شهر يوليو حتىٰ سبتمبر ، ويطلقون عليه اسم محصول مواكا Mowaka . والموسم الثاني : تمتد فترته من نوفمبر حتىٰ يناير ويسمّونه فيولي Feyoli ، وتقتطف حبّات القرنفل عندما تصل براعمها إلى حجمها الكامل ، ولكن قبل تفتّحها وظهور الأزهار(١) .

وتُعطي شجرة القرنفل فاكهة لحمية ، لونها أحمر أرجواني في حجم حبّة البلح الصغيرة ، وهي تُؤكل ، ولها نكهة القرنفل ، وتحتوي على بذرة واحدة ، تستنبت منها أشجار القرنفل(٢) .

كانت تجارة القرنفل محتكرة من قِبل شركة الهند الهولندية ، فأغضب ذلك فرنسا ، فحاولت القضاء على هذا الاحتكار ، بتوزيع كمّيات كبيرة من بذور القرنفل على المزارعين في جُزر الموريشس Mauritius . إلاّ أن هذه المحاولة فشلت وذلك لأن القرنفل نبات مختلف في خصائصه ونموّه ، ويحتاج إلى تُربة خاصة ، فبينما كان يزدهر في أماكن معيّنة من الجزيرة ، فإنه لاينمو في أماكن مجاورة لها وبنفس خصائص التربة(٣) .

---

(١) البيز ، عبدالله علي ، " القرنفل " ، المجلّة العربية ، العدد ١٧٤ ، ص ١١ ، الرياض ، رجب ١٤١٢هـ/فبراير ١٩٩٢م .

(٢) البيز ، عبدالله علي ، " القرنفل " ، المجلّة العربية ، ص ١١ .

(٣) روت ، رودلف سعيد ، سلطنة عمان ، ص ١١٧ - ١١٨ ، فيلبس ، وندل ، تاريخ عُمان ، ص ١٢٤ ، ترجمة محمد أمين عبدالله ، سلطنة عمان ، القاهرة ، ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م ، ص ١٢٤ ، قاسم ، جمال زكريا ، الخليج العربي (١٥٠٧ - ١٨٤٠) ، ص ١٠٩ ، القاهرة ، ١٩٨٥ .

Nicholls , The Swahili Coast , P. 82 .

ولم تنجح زراعة القرنفل إلا في الحقل التجريبي العلمي الفرنسي ، ومنه انتشرت زراعته في أجزاء الجزيرة العربية فيما بعد(١) .

ويُقال إن شجرة القرنفل كانت موجودة في الهند وسيلان وموريشيس ومدغشقر ، ولكنهم لم يهتمّوا بها ؛ لأنه لم تكن منفعتها وأهميتها معروفه في العالم(٢) . ثم أدخلت زراعته إلى زنجبار عام ١٢٣٣هـ / ١٨١٨م ولكنها لم تنجح(٣) .

وفي رواية أُخرىٰ أن السيد سعيد عندما انتقل إلى زنجبار واستقر فيها ، فكّر في إدخال زراعة القرنفل إليها . فأرسل أحد أتباعه (عبدالعلي) العجمي إلى جزيرة موريشيس ، ليحضر له بذور القرنفل ، وغرسه أمام بيت المتوني(*) وذلك في عام ١٢٤٣هـ / ١٨٢٨م(٤) . إلا أن كثيراً من المصادر والمراجع العربية والأُوروبية تذكر رواية أُخرىٰ ، عن إدخال شجرة القرنفل إلى زنجبار . وهي أن السيد سعيد نفى أحد كبار ملاك العرب ، ويدعى صالح بن حُريمل العبري إلى ساحل المريما في البر الأفريقي ، لأمر خالفه فيه ، وهو إشتغاله بتجــارة الرّقيق . وهناك التقىٰ صالح بن حريمل هذا بضابط فرنسي يُدعىٰ سواسي Sausse . فذهب معه إلى جزيرة رينــون ، التي كان يُزرع فيها شجــر القرنفل ، فحصل على إذن بأخذ بعض بذور القرنفل ، كي يهديها للسيد سعيد ، ويسترضيه بها ،

---

(١) روت ، رودلف سعيد ، سلطنة عمان ، ص ١١٧ .

(٢) المغيري ، جهينة الأخبار ، ص ٢٧٩ .

(٣) Burton, Zanzibar, Vol I, P. 361.

(٤) المغيري : المصدر السابق ، ص ٢٣٧ ، روت ، رودلف سعيد ، سلطنة عمان ، ص ١١٨ .

(*) عن هذا القصر انظر ص ١٩٨ القصور السلطانية .

وفعلاً أمر السلطان بهذا ، وعفا عنه ، وأمر ببناء قصر له في متوني(١) وكان ذلك في عام ١٢٥٨هـ/١٨٤٢م(٢) ، حيث أحدثت زراعة القرنفل في زنجبار ، وصار يعتمد عليها أساساً في رخاء الجزيرة .

وعلى الرغم من أن السيد سعيد لم تكن لديه المعرفة الكافية في زراعة هذا النبات الجديد ، ولم تكن لديه الخبرة الأكيدة عن مدى نجاح هذا المشروع الزّراعي . إلا إنه عمل جاهداً على الانتفاع من الأراضي الخصبة في جزيرتي بمبا وزنجبار على نطاقٍ واسع . وقد عارضه الرّأي العام من العرب والأُوروبيين المقيمين في زنجبار في تلك الفترة ، مثل القنصل الإنجليزي السيد همرتون Hamerton ، ونصحوه بالاكتفاء بزراعة قصب السّكّر بدلاً من القرنفل ، ولكن السيد سعيد بما عُرف عنه من الإصرار وقوّة العزيمة ، لم يستمع إلى تلك الآراء ، وطلب بذور القرنفل من جزيرة موريشيس عام ١٢٤٣هـ / ١٨٢٨م ، وقام بزراعته قُرب بيت المتوني في بداية الأمر ، وعندما نمت البذور ، وحان وقت غرسها(٣) ، أصدر

---

(١) المغيري ، جهينة الأخبار ، ص ٢٣٧ - ٢٣٨ ، الفارسي ، عبدالله سعيد ، البوسعيديون حكام زنجبار ، ص ٥٥ ، ١٤٤ ، روت ، رودلف سعيد ، سلطنة عمان ، ص ١١٨ ،

- Coupland , East Africa , P. 303 ;
- Pearce , Zanzibar , P. 296 - 297 ;
- Lyne , Zanzibar , P. 245 ;
- F. O. Report On The Spice and Other Cultivation of Zanzibar and Pemba Islands , No. 266 London , 1892 , p. 8 .

(٢) الفارسي ، عبدالله ، البوسعيدون حكام زنجبار ، ص ١٤٣ .

(٣) المغيري ، جهينة الأخبار ، ص ٢٧٩ .

منشوراً إلى جميع المزارعين من رعاياه العرب في زنجبار وبمبا ، بزراعة ثلاثة أشجار قرنفل مقابل كل شجرة جوز الهند ، وأنذر كل من يُخالفه بالعقاب ، وذلك بمصادرة مزارعه وأملاكه(١) .

ولو تساهل السيد سعيد مع رعاياه لما اهتمّوا بزراعة القرنفل بهذا الشكل الواسع والهمّة العظيمة ، خاصةً أن فائدة هذه الشّجرة لم تكن معروفة بشكلٍ واسع ، بل كان استعمالها يُقتصر في بعض الأدوية ، وكنوعٍ من أنواع التّوابل للأطعمة ، إضافةً إلى أن شجرة القرنفل تحتاج إلى جُهدٍ ومهارةٍ خاصتين لزراعتها ، وتتطلّب الكثير من الأيدي العاملة عند اقتطاف ثمرتها (٢) .

وكان الجانب الغربي من زنجبار ، والذي تبلغ مساحته حوالي ستّمائة وأربعين ميلاً مربّعاً - قبل انتشار زراعة القرنفل - عبارة عن غابات كثيفة ، تكثر فيها الحيوانات المفترسة مثل التماسيح والنّمور ، وتنتشر فيها الحشرات الضّارة .

وكانت هذه المناطق الموحشة مجهولة المالك ، وقد سن السيد سعيد للمزارعين قراراً : أن من يستصلح أرضاً بها ، ويزرعها ، تصبح ملكاً له(٣) وهو مايوافق روح الشريعة الإسلامية في إحياء الأراضي الموات أو البور . فانتقل العرب إلى هذه المناطق الموحشة لرعاية مزارعهم من القرنفل (٤) ، حيث كانوا وغيرهم من الأهالي ، يسكنون المناطق الشرقية ، لأن مناخها معتدل وملائم للمعيشة(٥) .

---

(١) المغيري ، جهينة الأخبار ، ص ٢٥١ ، هولنجزوورث ، زنجبار ، ص ٦ ،

- Zomarsh , East Africa , B , Thomas , Arab Rule under Al-Bu-Saide Dynasty of Oman , P. 83 ,
- New York , 1981 , Reusch , R , History of East Africa , PP. 281 - 282 , New York , 1961 .

(٢) المغيري ، جهينة الأخبار ، ص ٢٨٠ .

(٣) المغيري ، جهينة الأخبار ، ص ٢٨٢ .

(٤) المغيري ، جهينة الأخبار ، ص ٢٨١ ، هولنجزوورث ، زنجبار ، ص ٥ .

(٥) المغيري ، جهينة الأخبار ، ص ٢٨١ .

أما بمبا الجزيرة الخضراء فكانت تقع إلى الشمال الشرقي من زنجبار ، وتشتهر بكثرة أمطارها ، لذا فكانت أرضها كثيرة الوحل ، ومناخها رطب غير صحّي ، ولكن هذا المناخ الحار الرّطب كان أصلح مايكون لزراعة القرنفل ، وكثير من التّوابل الاستوائية .

وقد عمل السيد سعيد بن سلطان جاهداً للانتفاع بخصوبة زنجبار وبمبا ، فشجّع زراعة أشجار القرنفل على نطاقٍ واسع ، فأصبح العرب يتنافسون في زراعته ، وعمّ الثّراء بينهم ، وبلغت جزيرتا زنجبار وبمبا قمّة الازدهار والانتعاش الاقتصادي .

وخلال القرن الثالث عشر الهجري الموافق القرن التاسع عشر الميلادي ، زرع عدد لابأس به من أشجار القرنفل ، مما أدىٰ إلى زيادة مضطردة في تصديره من تسعمائة فراسلا في السنة الزراعية ١٢٥٤هـ/١٨٣٩م ١٢٥٥هـ/١٨٤٠م إلى سبعة وتسعين ألف فراسلا في عام ١٢٦٢هـ/١٨٤٦م ١٢٦٣هـ/١٨٤٧م(١) . ويُلاحظ أن الانتاج كان متوفّراً في عام ١٢٦٤هـ/١٢٦٥هـ الموافق ١٨٤٨م/ ١٨٤٩م ، فقد وصل فيما بين ١٢٠,٠٠٠ - ١٣٠,٠٠٠ فراسلا ، وقدرت قيمته بحوالي ٤٢٠,٠٠٠ - ٤٥٥,٠٠٠ جنيهاً استرلينياً(٢) . كما أن التصدير استمر في التزايد ليصل إلى ١٤٢٨٥٧ فراسلا عام ١٢٧٣هـ / ١٨٥٦م ، وهي السنة التي توفى فيها السيد سعيد .

ولقد تسبب هذا التّوسّع في الإنتاج إلى تدهور أسعار القرنفل ، الذي كان أغلبه يصدر إلى الهند وشبه جزيرة العرب ، فهبط سعره من أربعين دولاراً للفراسلا في العقد الرابع من القرن التاسع عشر إلى دولارين في عام ١٢٧٣هـ / ١٨٥٦م(٣) .

---

(١) Bennett , N. , R. , A History of the Arab State , P. 25 .

(٢) Nicholls , The Swahili Coast , P. 346 .

(٣) Bennett , N. , R. , A History of The Arab State , P. 25 .

واستمر الإنتاج في التّحسّن حتىٰ وصل ٤،٨٦٠،١٠٠ فراسلا وذلك في عام ١٢٧٦هـ/ ١٨٥٩م . وقدّرت قيمته بـ ٥٥،٦٦٦ جنيهاً استرلينياً ، وذلك لتحسّن المناخ ووفـرة الأمطـار(١) .

ولكن رغم ذلك فقد استمرّت زنجبار تتمتّع بالرّخاء الاقتصادي ، وظل إنتاج القرنفل ثابتاً بمعدّل مائتا ألف فراسلا في السّنة الواحدة ، بمتوسّط مقداره مائتا ألف جنيه استرليني في أغلب السنين(٢) .

ويختلف حجم غلّة القرنفل السنوية من عام إلى آخر اختلافاً بيّناً ، فمحصول القرنفل دائم التغيير ، وعادةً مايكون هناك إنتاج وافر وممتاز كل ثلاث سنوات أو أكثر بقليل . ولحُسن الحظ أن المشاكل الزراعية ماكانت تصيب الجزيرتين في آنٍ واحد ، فعندما يكون الإنتاج متدهوراً في زنجبار ، يرتفع إنتاج القرنفل في بمبا ، وكان المزارع عندما يصاب قرنفله بآفة أو دمار لاينزعـج ، لأنه يعلم أن اللـه سيعوّض عليه خسارته في العام القادم ، إذا بذل مجهوداً وعنايةً أكثر ، فيتحسّن الإنتاج تبعاً لذلك(٣) .

وقد تحسّنت زراعة القرنفل إلى أبعد الحدود ، وأصبح من أهم السّلع التي تصـدّر من الشّـرق إلى الغـرب ، وظهـر ذلك جليّاً عندما اجتـاح زنجبار في السادس من صفر عام ١٢٨٩هـ / ٤ أبريل عام ١٨٧٢م طوفان عظيم ، وإعصار رهيب ، اقتلع وحطّم جميع أشجار القرنفل وجوز الهند وسائر النباتات ، وتهدّمت المنازل ، إلا إنه لم يصل هذا الإعصار إلى بمبا الجزيرة الخضراء ، فارتفع تبعاً لذلك سعر القرنفل فيها لزيادة الطلب

---

(١) Burton , Zanzibar , Vol II , P. 314 , Nicholls , The Swahili Coast , P. 346 .

(٢) Bennett , N. , R. , A History of the Arab state , P. 78 , Lyne , Zanzibar , P. 245 .

(٣) Pearce , Zanzibar , P. 303 .

عليه ، حتىٰ بلغت قيمة الفراسلا من القرنفل عشرة قروش ، أي مايعادل جنيهين استرليني(١) .

ونتيجة لذلك أخذ سكّان بمبا يزرعون أشجار القرنفل في كل مكان ، مبهورين بالأسعار المرتفعة ، لعدم وجود مورد له من جزيرة زنجبار ، فتحوّلت جزيرتهم إلى غابة من أشجار القرنفل(٢) .

وبعد أزمة الإعصار طلب برغش(*) زيادة العشور « أي الضرائب » من خمسة في المائة إلى ثلاثين في المائة ، أي بمعدّل دولار إلى دولارين ونصف لكل فراسلا(٣) .

والملاحظ في إنتاج القرنفل من عام ١٣١٢هـ / ١٨٩٥م إلى عام ١٣٣٠هـ / ١٩١٣م أنه متغيّر وغير ثابت . والجدول الآتي يعطينا صورة واضحة عن إنتاجه في تلك الفترة :

---

(١) المغيري ، جهينة الأخبار ، ص ص ٢٨٤ ، ٣٣٦ ، ٣٤٠ ،

- F. O. 107/52 , From Hardinge to Salisbury , No. 144 , dated 4/5/1896 , P. 7,

- Bennett , N. , R. , A History of Arab State , P. 107 .

(٢) - F. O. 107/52 , From Hardinge to Salisbury , No. 144 , dated 4/5/1896 , P. 7,

(٣) المغيري ، جهينة الأخبار ، ص ٣٥٠ ،

- F. O. 107/52 , From Hardinge to Salisbury , No. 144 , dated 4/5/1896 , P. 7,

(*) برغش : هو الابن السابع للسلطان سعيد ، ولد في عام ١٢٥٢هـ / ١٨٣٧م ، وتولّىٰ الحُكم في عام ١٢٨٧هـ / ١٨٧٠م ، ثم توفّي في عام ١٣٠٥هـ / ١٨٨٨م ، الفارسي ، البوسعيديون ، ص ٢١ .

جدول رقم (٢)

إنتاج القرنفل من عام ١٣١٢هـ / ١٨٩٥م إلى ١٣٢٠هـ / ١٩١٣م(١)

العام الهجري	العام الميلادي	الإنتاج بالفراسلا
١٣١٣/١٣١٤هـ	١٨٩٥/١٨٩٦م	٥٧٥,٠٠٠
١٣١٤/١٣١٥هـ	١٨٩٦/١٨٩٧م	٣١١,٠٠٠
١٣١٥/١٣١٦هـ	١٨٩٧/١٨٩٨م	٢٠٦,٠٠٠
١٣١٦/١٣١٧هـ	١٨٩٨/١٨٩٩م	٦١١,٠٠٠
١٣١٧/١٣١٨هـ	١٨٩٩/١٩٠٠م	٢٨٥,٠٠٠
١٣١٨/١٣١٩هـ	١٩٠٠/١٩٠١م	٢٣٨,٠٠٠
١٣١٩/١٣٢٠هـ	١٩٠١/١٩٠٢م	٣٦٧,٠٠٠
١٣٢٠/١٣٢١هـ	١٩٠٢/١٩٠٣م	٤٢٤,٠٠٠
١٣٢١/١٣٢٢هـ	١٩٠٣/١٩٠٤م	١٢٦,٠٠٠
١٣٢٢/١٣٢٣هـ	١٩٠٤/١٩٠٥م	٧٣٦,٠٠٠
١٣٢٣/١٣٢٤هـ	١٩٠٥/١٩٠٦م	٣٠٩,٠٠٠
١٣٢٤/١٣٢٥هـ	١٩٠٦/١٩٠٧م	٢٦٧,٠٠٠
١٣٢٥/١٣٢٦هـ	١٩٠٧/١٩٠٨م	٧٥٦,٠٠٠
١٣٢٦/١٣٢٧هـ	١٩٠٨/١٩٠٩م	٦١٥,٠٠٠
١٣٢٧/١٣٢٨هـ	١٩٠٩/١٩١٠م	٤١٠,٠٠٠
١٣٢٨/١٣٢٩هـ	١٩١٠/١٩١١م	١٩١,٠٠٠
١٣٢٩/١٣٣٠هـ	١٩١١/١٩١٢م	٧٩٩,٠٠٠
١٣٣٠/١٣٣١هـ	١٩١٢/١٩١٣م	١٣٥,٠٠٠

---

(١) Crofton , R. , H. , Statistics of The Zanzibar Protectorate , P. 15 , 1893 - 1930 , Zanzibar ,1931 .

من الجـدول السابـق يتبيّن لنـا أن كمّيـات إنتـــاج القـرنفل اختلفـت من عام إلى آخـــر ، فإذا كـان الموسـم سيّئاً - مثلمـا حدث في عــام ١٣٢٠هـ - ١٣٢١هـ / ١٩٠٣م - ١٩٠٤م - انخفض الإنتاج إلى ١٢٦،٠٠٠ فراسلا ، وإذا تحسّن المناخ ارتفع تبعاً لذلك الانتاج إلى ٧٩٩،٠٠٠ فـراسـلا كما حـدث في عـام ١٣٣٠هـ/١٩١١م - ١٣٣١هـ/١٩١٢م .

ومن الآفات التي اجتاحت القرنفل ماحدث في عام ١٣٣٤هـ / ١٩١٦هـ في عهد السيد حمود بن سعيد(*) . عندما تدهورت أسعار المحاصيل الزّراعية ، بسبب شح الأمطار الذي قضىٰ على عدد كبير من أشجار القرنفل ، وتراكمت الدّيون على العرب ، حيث أصبحت فراسلا القرنفل بروبية ونصف(١) . وفي عام ١٣٤٨هـ / ١٩٢٩م انتعشت زراعة القرنفل ، فارتفع المعدّل السّنوي حتىٰ بلغ ٤٧٤،٥٠٠٠ فراسلا(٢) .

ثم تحسّنت زراعة القـرنفل ، وأصبح عدد الأشجار يفوق المليون ، وارتفعت الأسعار حتىٰ وصلت الفراسلا الواحدة أربعين روبية ، ثم خمسين روبية .

وبعد ذلك اجتاحت المنطقة آفـة أصابت أشجـار القـرنفل وقضت عليهـا ، وتعتبـر هذه النّكبة من أشد النكبات التي اجتاحت أشجار القرنفل بعد الإعصار الشديد الذي كان قد أصابها عام ١٢٨٩هـ / ١٨٧٢م ، مما أدىٰ إلى تدهور أسعار القرنفل شيئاً فشيئاً ، حتىٰ وصل سعر الفراسلا من القرنفل خمسة روبيات ، فتراكمت الدّيـون والمصاعب على

(*)السيد حمود بن سعيد : ولد في عام ١٢٧٠هـ / ١٨٥٤م ، وتولّىٰ الحكم عام ١٣١٤هـ / ١٩١٦م . ثم توفي في عام ١٣٢٠هـ / ١٩٢٢م ، المغيري ، جهينة الأخبـار ، ص ٤٠١ .

(١) المغيري ، جهينة الأخبـار ، ص ٤٠١ ،

Bennet , N. , R. , A History of The Arab State , P. 107-108.

(٢) Colonial Annual Report , 1921 , Zanzibar , P. 9 .

المزارعين ، مما اضطر بعضهم إلى بيع مزارعهم(١) . فقامت الحكومة في عهد السيد خليفة بن حارب(٢) بإنشاء جمعية المزارعين في عام ١٣٥٧هـ / ١٩٣٧م عملت على شراء القرنفل من المزارعين بأسعار مجزية ، ووضعت القرنفل في مخازن خاصة حتى وقت الحاجة . كما إنها أعطت زارعي القرنفل معونة عن كل مائة شجرة قرنفل مبلغاً يتراوح من عشرة روبيات إلى خمسة عشر روبية ، ولفترة من الزّمن . فأصبح هؤلاء الزرّاع يتقاضون مرتّبات سنوية ، على قدر مايملكون من شجر القرنفل ، وقامت هذه الجمعية أيضاً بإعطاء المزارعين قروضاً دون فوائد لمدّة ثلاثة أشهر ، لتحسين زراعة القرنفل ، أو لشراء مزارع جديدة(٣) .

ومن المصاعب والآفات التي اجتاحت القرنفل في زنجبار أيضاً ماحدث سنة ١٣٦٥هـ / ١٩٤٧م ، عندما زادت درجة الحرارة بشكلٍ كبير ، أدت إلى كثير من الحرائق تسببت في القضاء على خمسة وسبعين ألف شجرة من القرنفل ، وإلى دمار وخراب الكثير من مزارعه . إلا إنه لم يصب المحاصيل في بمبا الجزيرة الخضراء شيء من هذا الدّمار - عدا بعض الأشجار الصغيرة من القرنفل(٤) .

وعلى الرغم من المصاعب والظروف المختلفة التي مرّت على زراعة القرنفل ، إلا إن جزر زنجبار ملائمة وبشكلٍ واضح وظاهر لإنتاجه ، بل من المحتمل أن تكـــون أنسـب

---

(١) المغيري ، جهينة الأخبار ، ص ص ٤٣٨ ، ٨٠ ،

Bennet, N., R., A History of the Arab State, P. 107 - 109.

(٢) السيد خليفة بن حارب : حفيد السلطان سعيد من ابنه تويني ، ولد عام ١٢٩٧هـ/١٨٨٠م ، وتسلّم عرش زنجبار عام ١٣٢٩هـ / ١٩١١م ، المغيري ، جهينة الأخبار ، ص ٤٢٤ .

(٣) المغيري ، جهينة الأخبار ، ص ٤٣٤ - ٤٣٧ .

(٤) المغيري ، جهينة الأخبار ، ص ص ٨١ ، ٤٨٢ .

دولة في العالم لإنتاج هذا النّوع من التوابل ، إلا إن جزيرة بمبا كانت تربتها أكثر ملائمةً لزراعته من زنجبار ، إذ كان طول الشجرة في بمبا يصل حوالي ستّين قدماً ، وتربتها طينية متماسكة ، تستطيع أن تقاوم تأثيرات الجفاف ، أكثر من تربة وزنجبار الرّملية ، والأقل تماسكاً ، حيث إن شجرة القرنفل تتطلّب التربة الطّينية الرّملية العميقة ، والماء الجيّد(١) .

ويسكن في بمبا أكثر زارعي القرنفل من العرب إذ تنتج هذه الجزيرة أربعة أخماس الإنتاج الكلي ، ويساهم أهلها في جُزءٍ كبيرٍ من دخل الدّولة اقتصادياً ، وذلك عن طريق الضّرائب التي تُدفع للصادر منه(٢) .

وتتطلّب عملية زراعته وحصاده أيدي عاملة كثيرة ، إذ يجب تجميع البراعم الزهرية للقرنفل قبل تفتّح الأزهار ، الأمر الذي يتطلّب مجموعات كبيرة من العمال ، أثناء موسمي القطف في شهري أغسطس وديسمبر ، كما إن الشجرة الواحدة تحتاج في المتوسط إلى القطف على ثلاث فترات منفصلة ، وذلك بسبب عدم انتظام نُضج البراعم(٣) .

وتحتوي كل مزرعة من مزارعه مايقارب الأربعة آلاف شجرة ، تعطي في المتوسط ستّة أرطال من القرنفل في السّنة الواحدة ، وعملية القطف تتم يدوياً وبعناية خاصة ، وبعد

---

(١) Lyne , Zanzibar , P. 247 .

(٢) يحى ، جلال ، تاريخ أفريقيا الحديث والمعاصر ، ص ١٠٧ ، الأسكندية ، ١٩٨٤م ، هولنجزوورث ، زنجبار ، ص ١٠٣ ،

Lofchie , M. , F. , Zanzibar , PP. 5 - 6 .

(٣) Bennett , A History of Arab State , P. 28 , F. O. 403/184 , from Mr. Rodd to the Earl of Rosebery , No. 219 / 31/12/1892 , P. 215 .

ذلك تجفف الحبّات في الظّل . وخلال باقي أيام السّنة لابد من وجود عمالة دائمة ، لإزالة الحشائش والعناية بالأشجار(١) .

ولما كان السكّان الأصليّون في زنجبار وبمبا أقل اهتماماً بالعمل الدّائم في الزراعة لتفضيلهم أعمالهم الخاصة في صيد الأسماك وزراعة المحاصيل الأُخرىٰ المعتادة ، فقد أصبح من الضروري استيراد عبيد من بلاد أفريقية أُخرىٰ ، للعناية بمحصول القرنفل ، الذي أخذ في الزّيادة المضطردة . ومع نهاية القرن الثالث عشر الهجري الموافق القرن التاسع عشر الميلادي ، قدر عدد العبيد بحوالي ثلثي سكان الجزيرة البالغ عددهم (٣٠٠,٠٠٠) نسمة . ولقد عاش هؤلاء العبيد في مساكن صنعوها بأنفسهم بين أشجار القرنفل التي كانوا يعتنون بزراعتها ، إضافةً إلى زراعة بعض المحاصيل الزراعية الأخرىٰ الخاصة بهم أو بأسيادهم(٢) .

أما بالنسبة لسوقه الرئيسي ، فقد كان يقع في مركز الجمارك من مدينة زنجبار ، ويجمع فيه جميع الإنتاج ، سواء ماكان من زنجبار أو بمبا لتصديره إلى الخارج .

ويُحمل من زنجبار على ظهور الحمير أو على رؤوس الحمّالين ، بينما كان المحصول القادم من مزارع الساحل أو من بمبا يُحمل على السّفن الشّراعية ، وفي هذه الحالة غالباً ماكانت الشّحنة تصل في حالة سيّئة لتعرّض المحصول للرّطوبة والماء . لذلك نجد أن أسعار قرنفل جزيرة بمبا كانت متدنّية مقارنةً بزنجبار(٣) .

---

(١) Martin , Esmond Bradley , Zanzibar , PP. 77 - 78 .

(٢) Bennett , A History of The Arab State , P. 28 .

(٣) Lyne , Zanzibar , P. 248 - 249 .

ومعظم القرنفل يُشترىٰ للتصدير من قِبل المؤسسات الألمانية والفرنسية والهندية ، ثم يُرسل إلى بومباي وروتردام ومرسيليا ونيويورك ولندن ، وأكثره يستعمل لاستخراج زيته ، الذي يستخدم في صناعة المستحضرات الطبّية ، والعطور ، والحلويّات(١) .

ولعلّه من الصّواب أن أشُير هُنا إلى مايلفت الانتباه في بعض المصادر الأُوروبية ، التي حرصت على التقليل من أهمية الدّور الحضاري والاقتصادي للعرب في شرق أفريقيا ، واتّهامها العرب بأنهم لم يهتمّوا بهذه المنطقة إلاّ لإشباع مصالحهم الاقتصادية في تجارة الذهب والعاج والرّقيق . وأن اهتمامهم بالزّراعة لم يكن إلا لسد حاجاتهم الأساسية من الموارد الغذائية ، بينما الحقيقة التي لاتُنكر أن العرب أدخلوا الكثير من المحاصيل والأشجار المثمرة ، التي أتوا بها من بلادهم والبلاد الأُخرىٰ ، حتىٰ أصبح هناك إنتاج زراعي ثابت(٢) ، يمد العالم بالجُزء الأكبر من احتياجاته من القرنفل ، إذ كان يقدر ماتنتجه جزيرتا بمبا وزنجبار من هذا المحصول بحوالي ٩٠٪ من الإنتاج العالمي(٣) ، كما تقدر عدد أشجار القرنفل في الجزيرتين بحوالي

---

(١) Lyne , Zanzibar , P. 249 .

(٢) قاسم ، جمال زكريا ، دولة بوسعيد في عُمان وشرق أفريقيا ، ص ٢١٤ .

(٣) قاسم ، جمال زكريا ، دولة بوسعيد في عُمان وشرق أفريقيا ، ص ٢١٤ ، الشيخ ، رأفت غُنيمي ، دور عُمان في حضارة شرق أفريقيا ، ص ١٧٠ .

Coupland , The Exploitation of East Africa , P. 4 , Perace , Zanzibar , P. 122 ,
Crofton , R. , H. , A Pageant of the spice Islands , London , P. 113 , 1936 .
Clayton , Anthony , The Zanzibar Revolution , P. 3 .

أربعة ملايين شجرة قرنفل(١) ، وبذلك يمكن اعتبارها رمزاً تذكارياً يخلّد ذكرى السيد سعيد سلطان زنجبار(٢) اعترافاً بفضله في الاهتمام بزراعة شرق القارة الأفريقية بشتّى المحاصيل الزراعية وعلى رأسها شجرة القرنفل .

---

(١) Middleton , J. and Compbell , Jan , Zanzibar , P. 25 , London , 1965 .

(٢) فيلبيس ، وندل ، تاريخ عُمان ، ص ١٢٤ .

الفصل الثالث

التجـــــارة

- لمحـة تاريخيـة .
- علاقة زنجبار بالهنود .
- علاقة زنجبار بأمريكا .
- علاقة زنجبار بإنكلترا .
- علاقة زنجبار بفرنسا .
- علاقة زنجبار بألمانيا .
- النّظام المالي والنّقدي .

التجـــــارة

لمحـة تاريخيـة :

بدأ ارتباط الاقتصاد العربي بشرق أفريقيا منذ القدم ويعتبر ماجاء في كتاب الدليل الملاحي للبحر الأريتري من أقدم الكتابات الخطية التي تدل على صلة العرب بساحل شرق أفريقيا ، وقد تحدث عن السفن العربية التجارية ، وترددها على الساحل الشرقي الأفريقي قبل الإسلام ، ثم ازدياد تردد العرب على هذه السواحل بعد قيام الدولة الإسلامية فيها ، وأن التجارة كانت أساس تلك الرّحلات(١) .

ويُقال إن هذا الارتباط بدأ منذ أكثر من ثلاثة عشر قرناً على الأقل . ففي القرن العاشر الميلادي تقريباً دخل العرب ، واستقرّوا في السّاحل الشّرقي لأفريقيا ، ومعظم الهجرات العربية كانت من حضرموت واليمن وبعض مناطق الجزيرة العربيـة الأخرى بقصد التجارة ، وبعيداً عن الفتوحات الإسلامية . ولهذا فإن الإسلام انتشر بطريقة بعيدة عن التدخّل السياسي والعسكري مما يؤكّد على أن الغرض التجاري ، كان هو الدّافع الأساسي لقيام هذه العلاقات(٢) . لذا فيمكن القول أن العرب هم أوّل من عرف أفريقيا الشرقية ، واتّصل بالأهالي الأفارقة المقيمين على السواحل للتبادل التجاري ، وتصريف منتجات سكّان أفريقيا الشرقية ، وربطها بأهم البضائع المنتجة من الشرق الأقصىٰ وبلاد البحر المتوسّط(٣) .

---

(١) حسن ، يوسف فضل ، الجذور التاريخية للعلاقات العربية الأفريقية ، ص ٣٢ .

(٢) الجبوري ، عصام محمود ، العلاقات العربية الأفريقية ، ص ٦١ ، بغداد ، ١٩٨١م .

(٣) قاسم ، جمال زكريا ، " الرّوابط العربية الأفريقية قبل حركة الكشوف الجغرافية ، وبدء حركة الإستعمار الأوروبي في القرن الخامس عشر " ، العلاقات العربية الأفريقية ، ص ٩ ، القاهرة ، ١٩٧٧م .

وقد استخدم العرب في نقل بضائعهم سنوياً إلى شرق أفريقيا نوعاً من المراكب الشراعية الصغيرة يسمىٰ داو Dhow ، وكانوا يحملون عليها السلع العربية مثل سمك القرش المجفف والقهوة والسجّاد والتّمـر .

وقد نشطت التجارة في هذه المنطقة ، وساعد على ذلك عوامل عدّة منها : الظّروف الجغرافية . إذ سهل الموقع الجغرافي لشبه الجزيرة العربية ودول الخليج العربي الاتصال بالدول الأفريقية المواجهة لها . كما إن العرب كانوا على دراية بالاتّجاهات الصحيحة بفطرتهم ، لإجادتهم علم الفلك عن طريق مواقع الشمس والقمر والنجوم(١) . هذا إلى جانب معرفتهم بالعوامل المناخية السّائدة في المنطقة ، فقد كانت الرّياح الموسمية تهُب في شهر إبريل من كل عام ، متّجهة نحو الجنوب الغربي ، وتستمر في هبوبها طوال شهر سبتمبر ، ثم تعود وتهُب في شهر ديسمبر نحو الشمال الشرقي ، وتواصل هبوبها حتىٰ فبرايـر ، لذا فقد استفاد العرب من معرفتهم بمواسمها في القيام برحلاتهم المنتظمة في المراكب الشراعية ، مرتين في العام بيسرٍ وسهولة . ففي فصل الخريف كانت السّفن الشراعية تتّجه من جنوب الجزيرة العربية والخليج العربي ، حيث تدفع الرّياح الموسمية هذه السّفن في اتّجاه الجنـــوب

---

* وهناك رواية أُخرىٰ تذكر أن أول من زار الساحل الشرقي في أفريقيا السومريون ، الذين أتوا من العراق ، وهم أول شعب قام أبناؤه برحلات إلى البحار المفتوحة ، ثم تلاهم الآشوريون ، الذين أحضروا معهم المعتقدات الباطلة من مزاولة أعمال السّحر والشّعوذة وغيرها من العادات التي مازال يمارسها بعض سكّان السّاحل الشرقي لأفريقيا .
المعمري ، أحمد حمود ، عمان وشرق أفريقيا ، ص ٤٢ .

(١) السيد سعيد ، سالمة ، مذكرات أميرة عربية ، ص ١٤٥ .
المعمري ، أحمد حمود ، عمان وشرق أفريقيا ، ص ٤١ .

الغربي إلى المحيط الهندي ، ثم تصل بالعرب إلى الساحل الشرقي في أفريقيا . وفي فصل الرّبيع حين كانت الرّياح الموسمية تهُب في اتّجاه الشّمال الشّرقي تعود السّفن الشراعية إلى قواعدها في سواحل الجزيرة العربية . ومن خلال دورة الرّياح الموسمية هذه كان يتم التبادل التجاري(١) .

كما إن الهدف الاقتصادي كان غاية رئيسية لسلاطنة زنجبار ، فهم لم يعتمدوا على القوّة العسكرية والقتال لإخضاع شرق أفريقيا وضمّه إلى سيطرتهم ، بل اعتمدوا على المنافع والمصالح الاقتصادية ، التي كانت قائمة فيما بينهم وبين زنجبار والمقاطعات الأُخرىٰ في شرق أفريقيا ، فقد كان هدفهم اقتصادياً وحضارياً ، أكثر من كونه سياسياً أو عسكرياً ، ورغم حدوث بعض الثورات الدّاخلية في عهد السيد سعيد وخلفائه من بعده ، إلا إنهم لم يقضوا عليها بالقوّة العسكرية ، خوفاً من أن يتسبب ذلك في قطع العلاقات التجارية ، التي كانوا يحرصون عليها كل الحِرص لاستقرار المعاملات الاقتصادية وازدهارها(٢) . وكان التجار العرب في بادىء الأمر يكتفون بالتبادل التجاري مع القبائل الأفريقية ، التي استقر رؤساؤها في المناطق الساحلية بغرض التجارة مع العرب وغيرهم من العناصر الأُخرى(٣) .

---

(١) المعمري ، أحمد حمود ، عمان وشرق أفريقيا ، ص ٤١ ، محمدين ، محمد محمود أحمد ، " علاقة الجزيرة العربية بشرق أفريقيا " ، الـــدارة ، ص ١١١ ، الرياض ، ٢ رجب ١٣٩٦هـ/١٩٧٦م ،
Risso, Patricia, Oman and Muscat, P. 118, London, 1986,
Coupland, East Africa, P. 16.

(٢) قاسم ، جمال زكريا ، دولة بوسعيد ، ص ٢٢٠ - ٢٢١ ، قاسم ، جمال زكريا ، الأصـول التاريخية ، ص ٢١٠ .

(٣) قاسم ، جمال زكريا ، دولة بوسعيد ، ص ٢٣٢ .

ومع تزايد التبادل التجاري على طول خط الساحل الأفريقي ، وبمرور الزّمن بدأ التجار العرب يتوغّلون إلى داخل القارة الأفريقية على شكل قوافل ، تختلف في الحجم والعدد ، تبعاً لطول وخطورة الطريق الذي تسلكه . فإذا كان الطريق التجاري قصيراً قلّت مخاطره ، ونقص عدد أفراد القافلة ، فوصل فيما بين العشرين والخمسين رجلاً . أما الرّحلات الطويلة والخطرة ، فكان يصل عدد أفرادها حوالي ألفاً من الرّجال الأقوياء(١) .

ويسير في المقدّمة أدلاء من الأفارقة الوطنيين ، يحملون رايات حمراء ترمز لحماية السّلطنة العربية في زنجبار(٢) .

وقد كان السيد سعيد مقتنعاً بأن كشف داخل القارة ، سيعود بالثراء والازدهار الاقتصادي على منطقة الساحل ، لهذا عمل على تشجيع التجار العرب لارتياد الطُرق التجارية القديمة(٣) . ومن الثابت أن العرب توغّلوا إلى داخل القارة الأفريقية منذ أزمنة بعيدة ، ولكن في عهد السيد سعيد ، وفي عام ١٢٥٥هـ / ١٨٤٠م صارت رحلات القوافل التجارية منظّمة ، ووصلت إلى البحيرات الوسطىٰ في أفريقيا مثل بحيرة فيكتوريا ، وتنجانيقا ونياسا ، وهناك أُنشئت محطّات عربية على بعض الجُزر وسط البحيرات وعلى السواحل مثل يوجيجي وكازنجا(٤) . وشيّدوا المراكز التجارية الهامة حيث نشروا فيها الإسلام والتجارة والسيادة البوسعيدية على هذه المناطق(٥) .

---

(١) Coupland , East Africa , P. 308 .

(٢) قاسم ، جمال زكريا ، الأصول التاريخية ، ص ٢١١ .

(٣) هولنجز وورث ، زنجبار ، ص ٦ .

(٤) العقاد ، صلاح ، وقاسم ، جمال زكريا ، زنجبار ، ص ٧٧ .

(٥) المغيري ، جهينة الأخبار ، ص ٢٥٥ .

وكان الهدف الرئيسي الذي جذب السيد سعيد إلى زنجبار هو التجارة التي رفعت ذكره ، وشهرته وشجّعته على أن يحضر معه من مسقط إلى زنجبار التجار العُمانيين ، وكثير من الهنود المتخصصين في التجارة وأعمال البنوك ، والعمل في الحوانيت ، وقد كان لهؤلاء باع طويل وخبرة في تجارة ماوراء البحار في المحيط الهندي(١) .

لذلك بدأ بإنشاء وكالات تجارية ، بدلاً من السّعي في العلاقات الدبلوماسية ، كالتي أخذت تنتشر في بلادٍ عديدةٍ مثل كلكتا وبمباي وفي جُزر الهند الهولندية وفي إيران والصّين(٢) . وبعد أن كانت زنجبار - في بداية حُكم السيد سعيد قرية صغيرة لصيد الأسماك ، معظم مبانيها من الأكواخ الطّينية المسقوفة بأوراق أشجار جوز الهند - جعل منها المدينة الأكثر أهمية تجارياً في شرق أفريقيا . وصارت زنجبار من أكبر موانىء المنطقة حيث الحركة التجارية الدائمة ، وتحوّلت إلى أعظم ميناء في الأطراف الجنوبية الغربية للمحيط الهندي ، كما أصبحت المستودع الرئيسي للتجارة الأفريقية - الآسيوية . وفي خلال عشرين عاماً من نقل السلطان سعيد عاصمة بلاده من مسقط إليها ، اعتبرت هذه الجزيرة واحدة من ثلاثة أو أربعة مراكز تجارية هامة في المياه الغربية للمحيط الهندي(٣) .

---

(١) Coupland, East Africa, P. 300.

(٢) روت ، رودلف سعيد ، سلطنة عمان ، ص ١١٩ - ١٢٠ ، العقاد ، صلاح ، وقاسم ، جمال زكريا ، زنجبار ، ص ٧٤ ، Lyne, Zanzibar, P. 57.

(٣) العقّاد ، صلاح ، وقاسم ، جمال زكريا ، زنجبار ، ص ٧٤ ، سعدون ، عبدالغني ، " العروبة الأفريقية مواجهة أم تضامن " ، ندوة العلاقات العربية والأفريقية ، ص ٢٦٢ ، القاهرة ، ١٩٧٨م .

ولقد أمضىٰ السيد سعيد معظم حياته في زنجبار أي منذ عام ١٢٥٥هـ / ١٨٤٠م ، وحتىٰ وفاته عام ١٢٧٢هـ / ١٨٥٦م ماعدا أربع سنوات سافر خلالها إلى مسقط لحل بعض المشاكل السياسية(١) .

علاقة زنجبار بالهنود :

لقد كان السيد سعيد يمتلك قوّة بحرية كبيرة سخّر معظمها للتجارة ، ولم يجد حرجاً عندما زاره قبل وفاته الرّحالة الفرنسي جوبينو أن يقول له وهو يبتسم : إنني تاجر قبل أن أكون سلطاناً(٢) . وتُبيّن هذه العبارة البسيطة المتواضعة رغبته في الهيبة والنّفوذ والأمن ، التي لاشك أنها هدفه الرئيسي ، ولكن للحفاظ عليها يتطلّب الثروة ، ومن أجل الثروة فلابد من زيادة الدّخل الفردي والعام ، وبالتالي فلابد من تنمية التجارة(٣) .

ولتحقيق ذلك حرص عند انتقاله إلى زنجبار أن يحضر إليها التجار العرب والهنود الذين هاجروا بخبراتهم ورؤوس أموالهم ، وكوّنوا جالية كبيرة ، أسهمت بدورٍ كبيرٍ في النهضة الاقتصادية ، التي عمّت البلاد .

عرف التجار الهنود في ساحل أفريقيا الشرقية سواء كانوا من المسلمين أو الهندوس باسم البانيان Banian ، وذلك لأنهم كانوا يتكلّمون بلغة البانيان ، إحدىٰ اللغات

---

(١) Martin, E., B., Zanzibar, P. 29.

(٢) العقاد ، صلاح ، وقاسم ، جمال زكريا ، زنجبار ، ص ٧٣ ، Coupland, East Africa, P.299,

Gray, J., M., History of Zanzibar, P. 9, London, 1962.

(٣) Coupland, East Africa, P. 299.

الحامية(١) . وقد تزايد عدد هؤلاء الهنود بشكلٍ مضطرد في زنجبار ، وشجّعهم على الهجرة إليها تسامح السيد سعيد ، ومعاملته الحسنة ، ومنحِه إياهم التسهيلات الكثيرة في المجال الاقتصادي ، إضافةً إلى الأمن الذي عمّ البلاد في عهده ؛ لأنه كان يؤمن بحرّية التجارة ، مما فسح المجال لنشاطهم التجاري فكوّنوا الطّبقة الرّئيسية من بين المشتغلين بالتجارة في زنجبار ، وكان لنجاحهم في المجال التجاري أن اعتمد على الأكفّاء منهم في الأعمال الاقتصادية والإدارية ، خاصةً أن الهنود كانوا يعتبرون رعايا إنجليز ، فتقرّب إليهم ، حتى يوثق علاقاته بإنجلترا ، فأصبحت لهم هيئة رسمية ، تحمي مصالحهم منذ عام ١٨٤٠م عندما أُنشئت القنصلية البريطانية في زنجبار(٢) .

وقد قام التجار الهنود بدور الوسيط في التجارة الساحلية في شرق أفريقيا بين التجار الأُوروبيين والأهالي . فكوّنوا مشروعات تجارية واسعة ، وخاصة في أعمال الرّهونات على ممتلكات العرب العقارية ، الذين كانوا يقومون برهن ممتلكاتهم بقروض مؤجّلة لدىٰ الهنود الرّأسماليين المرابين ، حتى تتوفر لديهم الأموال الكافية للقيام برحلاتهم الطّويلة داخل القارة الأفريقية . وبالتدريج نجح الهنود في السّيطرة على معظم الأعمال التجارية بالسّاحل . حيث تغلّبوا على التجار العرب ، بفضل قدرتهم الفائقة على الادّخار ،

---

(١) المغيري ، جهينة الأخبار ، ص ٢٦١ ، العقاد ، صلاح ، وقاسم ، جمال زكريا ، زنجبار ، ص ٦٣ ، حراز ، السيد رجب ، بريطانيا وشرق أفريقية ، ص ٣٣ ، محمود ، حسن أحمد ، الإسلام والثقافة العربية في أفريقيا ، ص ٤٩٩ ،

Zomarsh , East Africa , P. 107 ,

Thomas , B. , Arab Rule , P. 85 .

(٢) العقاد ، صلاح ، وقاسم ، جمال زكريا ، زنجبار ، ص ٦٣ ، حراز ، السيد رجب ، بريطانيا وشرق أفريقية ، ص ٣٤ ، Gray , John , M. , History of Zanzibar , P. 16 .

ومهارتهم في الأعمال المالية والحسابية مثل تحصيل الرّسوم الجمركية(١) .

وكان السيد سعيد يعمل كل مافي وسعه لتحسين وضع الهنود ، والعمل على راحتهم ، فأعفاهم من كافة أنواع الضرائب أو القيود ، كما أعطى الحرية التامة لغير المسلمين منهم للقيام بشعائرهم الدّينية ، واتّخذ منهم أفراداً لخدمته الخاصة ، حتى استأثروا بثقته(٢) .

وعلى الرّغم من علاقة الهنود بشرق أفريقيا منذ القِدم إلا أن أعدادهم تزايدت في عهد السّلطان سعيد ، حتى بلغت أربعة آلاف نسمة ، وصارت أربعة أخماس التجارة الخارجية في أيديهم ، كما توسّعوا بمؤسساتهم ومراكزهم التجارية جنوباً حتى موزمبيق وجزيرة مدغشقر وجُزر القمر(٣) .

وقد تذمّر العرب من جشع الهنود ، ونقموا عليهم لسيطرتهم على معظم التجارة الخارجية على السّاحل ، فرفعوا شكاواهم للسيد سعيد ، حتى يضع حداً لمزاحمة البانيان لهم في أعمالهم التجارية ، والاستيلاء على الثروات الكبيرة على حساب العرب ، فما كان من السيد سعيد إلا أن تجاهل هذه الشّكاوى ، واستمر في الاعتماد على الهنود في الأعمال التجارية الحسّاسة والدّقيقة(٤) .

---

(١) حراز ، السيد رجب ، بريطانيا وشرق أفريقية ، ص ٣٣ ، هولنجز وورث ، زنجبار ، ص ٧ - ٨

Coupland , East Africa , P. 302 .

(٢) Coupland , East Africa , P. 302 .

(٣) العقاد ، صلاح ، وقاسم ، جمال زكريا ، زنجبار ، ص ٦٣ ، قاسم ، جمال زكريا ، الخليج العربي ، ص ٣٢٠ .

(٤) حراز ، السيد رجب ، بريطانيا وشرق أفريقيا ، ص ٣٤ ،

Gray , John , M. , History of Zanzibar , P. 16 .

وكان من عادة السيد سعيد أن يعهد إلى أحد الهنود الهندوس أو المجوس ، ممّن لديهم الخبرة في الأعمال المالية والحسابية بجمع الضرائب والرّسوم الجمركية من موانىء ساحل أفريقية - ماعدا بمبا ومنطقة المريما(*) - التي كانت تخضع لنظام الاحتكار(١) .

وكان هؤلاء الهنود يستأجرون الموانىء التي تحت سيطرة وحُكم السيد سعيد لمدّة خمس سنوات ، على أن يدفعوا في مقابل ذلك مبلغاً سنوياً محدداً لخزينة الدّولة ، وبعد انقضاء المدّة المتّفق عليها ، تعرض الموانىء مرّة أُخرىٰ في المزاد ، ويحصل على الامتياز من يدفع الأكثر ، وقد حقق الهنود أرباحاً طائلة في المقابل من الصّادرات والواردات . ومن الهنود الذين قاموا بهذا العمل في عهد السيد سعيد ، وان بانيان وسوجي توبان وجيرام سوجي . وقد احتكرت عائلة سوجي توبان جميع عمليات تأجير الموانىء في زنجبار من الشّمال إلى الجنوب(٢) .

ويتولّىٰ ملتزم الجمارك منصب رئيس الجمارك وأمين المالية والمصرف ، ونادراً مايحصل السلطان أو أفراد عائلته على أي مبلغ من المال إلا عن طريقه(٣) .

(*) تقع هـذه المنطقة بين كلوه وبنجاني ، وكان يطبق بها السيد سعيد نظام الاحتكار بالنسبة لتجارة الصّمغ والعاج ، العقاد ، صلاح ، وقاسم ، جمال زكريا ، زنجبار ، ص ٧٦ .

(١) الفارسي ، عبدالله ، البوسعيديون ، ص ٧١ ، حراز ، السيد رجب ، بريطانيا وشرق أفريقيا ، ص ٤ ، Gray , History of Zanzibar , P. 16 .

(٢) المغيري ، جهينة الأخبار ، ص ٢٦١ ، الفارسي ، عبدالله ، البوسعيديون ، ص ٧١-٧٢ ، Richardson , Katherine , W. , " The Travels and Tribulations of Charles Benson " , Steward On The Glide , 1861 - 1881 , Essex Institute Historical Collections , Vol. 120 , No. 2 , P. 76 1984 .

(٣) BA. PD. No. 98 , Part III , Muscat and Zanzibar , 1860 , P. 222 .

وأخذت قيمة استئجار الموانىء في زنجبار ترتفع تدريجياً ، وكان المبلغ الذي يدفعه وان بانيان هو ١٥،٧٥٠ جنيه استرليني ، ولكنه استمر في التزايد ، حتى بلغ في عهد جيرام سوجي حوالي ٥٤،٠٠٠ جنيه استرليني(١) .

واستمر الهنود في تولّي منصب ملتزم الجمارك في السلطنة حتىٰ أواخر القرن التاسع عشر تقريباً ، وهذا يدل على مدىٰ ارتباط السيد سعيد بحكومة بومباي ، ورغبته في فتح أبواب التجارة لهم في شرق أفريقيا ، ليضم أكبر عدد من الهنود بصفتهم رعايا بريطانيين .

وفي المناطق السّاحلية كانت السّلطة والسّيطرة التجارية في يد عائلتين رئيسيتين هما : عائلة توبان Topan ، وعائلة جيرام سوجي Jairam Swji ، اللتان كانتا تمثّلان جماعتي الهندوس والخوجا ، وقد لعبت هاتان العائلتان دوراً اقتصادياً بارزاً في زنجبار . ومنشأ شركة جيرام سوجي غامض ، ولكن كان لها دور هام في عهد سلطنة السيد سعيد ، وقد شغل سوجي ثلاثة مناصب اقتصادية هامة ، أولهما أنه كان رئيس دائرة الجمارك في الأراضي الزّنجبارية ، وثانيها الضّابط المسئول عن ميناء زنجبار ، وأخيراً محافظ بنك الدّولة .

وقد استغل سوجي منصبه الحساس في البنك ، فقام بإقراض مبالغ كبيرة من الأموال إلى السيد سعيد نفسه ، وإلى العرب والمؤسسات التجارية الهندية والأُوروبية .

---

(١) الفارسي ، عبدالله ، البوسعيديون حكام زنجبار ، ص ٧٢ .

وقد امتد نشاط سوجي هذا باعتباره رئيساً للجمارك إلى ماوراء جزيرة زنجبار ، فوصل إلى لامــو Lamu وممباســا ، ومقديشو ، وكسمايو Kisamayu ، ودار السّلام التي كانت تخضع لإدارة جمارك زنجبار(١) .

أما توبان فإنه عندما قدم إلى زنجبار ، عمل موظّفاً في شركة جيرام سوجي ، واستطاع أن يكوّن علاقات تجاريـة ممتازة مع التّجّار الأمريكان وغيرهم ، مستغلاً منصبه في الشركة . وبسبب تقرّبه من القنصل الأمريكي ، تمكّن من أن يكوّن لنفسه شـركة ، استطاعت السّيطرة على السّوق لصالح البضائع الأمريكية ، وصـار يُنافس شركة سوجي ، التي كانت أقرب إلى القنصليــة الإنجليزيـة(٢) .

وما كان ذلك إلاّ خطّـة من خطـط الاستعمــار الانجليـزي والأُوروبـي ، للحفـاظ على مصالحهم الاقتصادية في المنطقة ، حيث جعلـوا العـداء يـدبّ بين التجّــار الهنــود .

وفي عام ١٢٩٦هـ / ١٨٧٩م - بعـد وفــاة السيد سعيد وتولّي ابنه السيد برغش الحُكم - قام بأخذ منصب رئيس دائــرة الجمارك من جيرام سوجي ، ومنحه لتوبان للقيام بتحصيل ضرائب الجمارك(٣) .

وهكذا نجد أنه كان للعنصــر الهنـدي تأثيــره العظيم على الاقتصـاد ، فقـد قـام الهنــود بدور هــام في الاحتكــار ، والمقاطعـــة ، ومنافســـة العــرب في المــوارد الاقتصاديـــة .

وعندما قامت جمعية لمساعدة تجار القرنفل العـرب عام ١٣٥٧هـ / ١٩٣٧م وأقرضتهم

---

(١) Gundara , Jadish , S. , " Fragment of Indian Society in Zanzibar , Conflict and Change in The 19th Century ", Africa Quarterly , Vol. XXI , No. 2 - 4 , P. 34 , no place , 1982 .

(٢) Gundara , Jadish , S. , " Fragment of Indian Society in Zanzibar , Africa Quarterly , P. 35 .

(٣) Gundara , Jadish , S. , " Fragment of Indian Society in Zanzibar , Africa Quarterly , P. 36 .

بدون فوائد ، وساعدتهم في فك رهونات مزارعهم من التجار الهنود المرابين - الذين كانوا يتقاضون منهم أرباحاً باهظة ، جعلت العرب يغرقون في الدّيون إلى الأذقان ، وماترتب على ذلك من تردي أحوالهم اقتصادياً واجتماعياً - عندها قاوم التجار الهنود هذه الجمعية وتعاون معهم في ذلك التجار الهنود المقيمين في الهند ، بأن قاطعوا شراء قرنفل وزنجبار لمدّة عام واحد(١) .

وفي البداية اقتصر النشاط الاقتصادي للهنود على الموانىء والمدن السّاحلية في شرق أفريقيا ، بينما توغّل التجار العــرب إلى داخل القارة الأفريقية ، وأسسوا المراكز التجارية ، التي تحوّلت مع الزّمن إلى مدن توضح السّيطرة والنفوذ الذي كان للدّولة العربية الأفريقية في الدّاخل ، وكانت تلك السيطرة تتمثّل بقوافل التجارة ، التي شجّعت الصلات التجارية بين العرب والأفريقيين .

ومع مرور الزّمن توغّل التجار الهنـود أيضاً إلى داخل البر الأفريقي من أقصاه إلى أدناه ، وتحوّلت إليهم حركة التجارة والثّروة ، وأصبحت كما قال عنها المغيـري : « يحق لهذه الأفريقية الشرقية أن تسمىٰ الأفريقية الشرقية الهندية ، بعد أن كانت تُعرف بأفريقية الشرقية العربية »(٢) .

فعلى الرغم من أن انحيــاز السيــد سعيد إلى الهنــود على حساب العــرب ، يعــد عمــلاً سيّئاً في سجل صفحــاته وأعمالــه ، بحُكم كونــه سلطــاناً عربيــاً . إلا أنــه استطــاع أن يجعــل من المجتمــع الزّنجبــاري مجتمعــاً متجانساً دينيــاً وحضاريــاً .

---

(١) المغيري ، جهينة الأخبار ، ص ٤٣٦ .

(٢) المغيري ، جهينة الأخبار ، ص ٤٧١ ، سالم ، أحمـد عيضـة ، " الجاليـات العربية في أفريقيا " ، العرب وأفريقيـا ، ص ٤٧ - ٤٨ ، بيروت ، ١٩٨٤ .

علاقة زنجبار بأمريكا :

كان السيد سعيد يهتم بإيجاد أسواق جديدة خارجية لمنتجات سلطنته ، بعد أن كانت الأسواق التقليدية مقصورة على ساحل المحيط الهندي ، الممتد من عدن إلى بومباي - بما فيها مصر والخليج والجزيرة العربية - لذلك اتّجه السيد سعيد بأنظاره نحو أسواق أُوروبا وأمريكا لأهميتها في رواج تجارة شرق أفريقيا . ولهذا رحّب بالتجار الأُوروبيين والأمريكيين الذين زاروا زنجبار .

وقد بدأ النشاط التجاري للأمريكان في البحار الشرقية من المحيط الهندي منذ عام ١١٩٦هـ / ١٧٨٢م ، واختصّت مدينة سالم(*) Salem ، التي تعتبر ميناءً هاماً في ولاية ماساتشوستس Massachussetts بالتجارة مع الهند وأفريقيا الشرقية ، عن طريق رأس الرّجاء الصّالح في جنوب أفريقيا(١) .

وفي عام ١٢١٢هـ / ١٧٩٨م قامت السفن الأمريكية بصيد الحيتان ، لاستخراج زيوتها من البحار الشرقية لأفريقيا أمام رأس دلجادو(٢) .

واهتم الأمريكان بالتجارة مع الشرق اهتماماً كبيراً . والدليل على ذلك تشكيل جمعية تعني بشؤون التجارة في البحار والسّفن ، التي تذهب إلى المحيط الهندي ومناطق شرق

(*) يقع ميناء سالم في الشمال الشرقي من مدينة بوستن ، الواقعة على المحيط الأطلسي .

(١) أبوعلية ، عبدالفتاح حسن ، " العلاقات التجارية بين الولايات المتحدة الأمريكية وبين زنجبار " ، مجلة كلية العلوم الإجتماعية، ص ٢٥٨ .

(٢) العقاد ، صلاح ، و قاسم ، جمال زكريا ، زنجبار ، ص ٨٣ .

أفـريقيـــــا ، وتسهيـــل كـافـــة الـوسـائـل للقيـــام بهـــذه الـرّحـــلات التجاريـــة(١) .

وفي عام ١٢٢٦هـ / ١٨١٢م كانت السفن الأمريكية تتردّد بكثرة على الساحل الشرقي لأفريقيا ، للاتجار بالرّقيق ، إذ كانت تهتم بهم اهتماماً كبيراً ، إلا إن الإنجليز بدأوا بمكافحة هذه التجارة ، والوقوف في وجه السّفن الأمريكية ، التي كانت تحمل الرقيق إلى الشواطىء الغربية(*) .

ثم تعطّلت الملاحة الأمريكية في المحيط الهندي على أثر نشوب الصراع الإنجليزي الأمريكي فيما بين عامي ١٢٢٧هـ / ١٨١٢م - ١٢٣٠ - ١٨١٥م(٢) ، وعندما تغيرت الأوضاع السياسة والعسكرية في أُوروبا وأمريكا عادت التجارة الأمريكية في الشرق إلى نشاطها مرّةً أُخرى(٣) .

ومنذ عام ١٢٣٥هـ/١٨٢٠م، أخذت السّفن الأمريكية تأتي بأعداد كبيرة إلى شرق أفريقيا

---

(١) أبوعلية ، عبدالفتاح حسن ، " العلاقات التجارية بين الولايات المتحدة الأمريكية وبين زنجبار " ، مجلة كلية العلوم الإجتماعيـــة ، ص ٢٥٨ .

(*) مكافحة الإنجليز لتجارة الرقيق لم يكن غرضاً إنسانياً خالصاً حسب نداداتهم بمبدأ تحرّر الإنسان ، وإنما خوفهم من تفوّق أمريكا الصناعي عليها حين تتوفّر لديها الأيدي العاملة من تجارة الرقيق ، فإذا كافحت التجارة ؛ تأخّر التقدّم الصناعي لأمريكا وظل التفوّق الصناعي الاقتصادي لإنجلترة فقط .

(٢) أيلتس ، هرمان فريدريك ، سلطانة في نيويورك ، ص ١٥ ، القاهرة ، ١٩٨٢م ، أبوعلية ، عبدالفتاح ، " العلاقات التجارية بين الولايات المتحدة الأمريكية وبين زنجبار " ، مجلة كلية العلوم الإجتماعيـــة ، ص ٢٥٩ - ٢٦٠ ، العقاد ، صلاح ، وقاسم ، جمال زكريا ، زنجبار ، ص ٨٣ ، Coupland , East Africa , PP. 362 - 363 .

(٣) أبوعلية ، عبدالفتاح ، " العلاقات التجارية بين الولايات المتحدة الأمريكية وبين زنجبار "، مجلة كلية العلوم الإجتماعيـــة ، ص ٢٦٠ .

لصيد الحيتان والتّبادل التجاري ، فتجلب معها البنادق القصيرة والبارود ، والمنسوجات القطنية ، وغير ذلك من المصنوعات الأمريكية المختلفة ، وتأخذ العاج ، وجوز الهند وزيتة ، والصّمغ ، والجلود ، والخيول ، والسّمك المجفّف ، وأصداف السلاحف ، ولحوم الأبقار(١) .

وقد وصلت أول سفينة أمريكية واسمها لوريل من ميناء سالم إلى ميناء زنجبار في عام ١٢٤١هـ/١٨٢٥م ، بقيادة القائد البحري بريانت ، وتلتها بعد ذلك في عام ١٢٤١هـ/١٨٢٦م أربع سُفن أمريكية ، ثم أخذت أعداد السفن الأمريكية في التزايد(٢) . فكانت أمريكا أوّل الدّول الأجنبية إلى فتح أسواق تجارية مع زنجبار للتجار الأمريكان ، لتبادل المنتجات والسّلع الأمريكية بالسّلع المنتجة في من سلطنة عمان .

وكما ذكرت سابقاً ، فإن إدارة الجمارك في زنجبار كانت في يد الهنود ، وذلك لم يكن يضايق التجّار الإنجليز ، لأن الهنود رعايا بريطانيون ، إلا إنه سبب بعض الصعوبات للتجّار الأمريكان في معاملاتهم التجارية(٣) ، لعدم وجود إجراءات منظّمة . فقد كان

---

(١) ستيفنس ، ريتشارد ، " استعراض لبداية العلاقة الأمريكية التجارية والقنصلية مع سلطنة مسقط " ، عمان (١٨٣٣م - ١٨٥٦م) ، مجلّة دراسات الخليج والجزيرة العربية ، العدد ١١ ، ص ١٢٢ ، الكويت ، رجب ١٣٩٧هـ / يوليو ١٩٧٧م ، والعقّاد ، صلاح ، وقاسم ، جمال زكريا ، زنجبار ، ص ٨٣ .

(٢) ايلتس ، هرمان فريدريك ، سلطانة في نيويورك ، ص ١٦ ، ايلتس ، هرمان فريدريك ، عمان والولايات المتّحدة الأمريكية ، ص ١٩ ، ترجمة محمد كامل ، القاهرة ، ١٩٨٤م .

(٣) رورت ، رودلف سعيد ، سلطنة عمان ، ص ١٦٧ .

التجار الإنجليز يتمتّعون بكثير من الامتيازات ، كالإعفاء من رسوم الميناء ، وحرّيتهم التجارية في عدم إلزامهم ببيع سلعهم إلى وكلاء السّلطان . بينما كان التجار الأمريكان يدفعون ضرائب عالية ، وصلت مابين ٧٪ إلى ٧،٥٪ من الصادرات والواردات ، مما دفعهم وحثّهم إلى البحث عن مخرج لتيسير أُمورهم التجارية(١) .

وبدأت مقدّمات العلاقات التجارية بين سلطنة زنجبار والولايات المتحدة الأمريكية ، عندما قدم التاجر الأمريكي إدموند روبرتس Edmond Roberts ، الذي ينتمي إلى نيو هامبشير New Hamshire في عام ١٢٤٣هـ / ١٨٢٧م إلى زنجبار ، طمعاً في الكسب المادي ، وجمع ثروة كبيرة لأنه كان قد استدان أموالاً كثيرة ، حتىٰ يستطيع استئجار السفينة الشراعية آن ماري Ann Mary ، ولكنه خسر نقوده ، لتعرّضه لبعض المتاعب ، فاتهم حاكم زنجبار والشكليات المحلية ، والضرائب الفادحة ، والمعاملة غير العادلة التي يلاقيها التجّار الأجانب ، مقارنةً بالتجّار البريطانيين ، وادّعى بأن هذا هو السبب في خسارته . فبعث بخطاب مطوّل إلى السيد سعيد ، يخبره بما يدفعه التجّار الأمريكان من رسوم باهظة ، وسوء معاملة حاكم زنجبار لهم . وأشار في الخطاب إلى العلاقة بين زنجبار وأمريكا وأنها إن صلحت فسيعود ذلك بالخير على السيد سعيد وبلاده ، لأن اهتمام أمريكا كان يقتصر على الناحية الاقتصادية لا علىٰ السياسية كما هو الحال مع إنجلترا وفرنسا . فأجابه

---

(١) أيلتس ، هرمان فريدريك ، سلطانة في نيويورك ، ص ٢٠ ، أبوعلية ، عبدالفتاح ، " العلاقات التجارية بين الولايات المتحدة الأمريكية وبين زنجبار " ، مجلة كلية العلوم الاجتماعية ، ص ٢٦٠ .

السيد سعيد بأنه يمكن أن تتحسّن هذه المعاملات التجارية ، إذا تم عقد معاهدة بينه وبين الولايات المتحدة الأمريكية(١) .

وكان السيد سعيد يود زيادة إيرادات الخزانة التي كانت تعاني من نقصٍ شديدٍ ، لزيادة المصروفات . كالإنفاق على الأساطيل البحرية والإنفاق على الجنود من أسلحة ورواتب ، هذا بالإضافة إلى النثريات الأُخرىٰ كالهدايا والمنح ، التي يدفعها للحكّام المحلّيين ، وغير ذلك من مستلزمات مظاهر الملك . فكانت إيرادات الخزانة - في العام الواحد - في تلك الفترة ، لاتزيد عن ٢٥٠ ألف كراون ، (أي مايُعادل نحو ٢٤٩ ألف دولار) . لذلك رحّب بهذه الفكرة ، لفتح أسواق جديدة ، تدعم تجارته وتنمّيها(٢) .

ثم عاد روبرتس إلى الولايات المتّحدة الأمريكية ، وهو يحمل فكرة عقد معاهدة مع السيد سعيد ، لإيجاد علاقات تجارية وقنصلية بين زنجبار والولايات المتحدة الأمريكية . وطلب روبرتس من صديقه وودبيري Wood Bury - الذي شغل فيما بعد منصب وزير الأسطول البحري الأمريكي عام ١٢٤٦هـ / ١٨٣١م - مساعدته لدىٰ الحكومة الفيدرالية ، للوصول إلى هذا الاتّفاق ، وفعلاً ، فقد تم تعيين روبرتس من قِبل وزارة الخارجية الأمريكية

---

(١) ستيفنس ، ريتشارد ، " استعراض لبداية العلاقة الأمريكية التجارية " ، مجلة دراسات الخليج والجزيرة العربية ، ص ١٢٣ ، فيلبس ، وندل ، تاريخ عمان ، ص ١٢٩ ، وقاسم ، جمال زكريا ، عمان في شرق أفريقية ، ص ١٢٥ ، و الشيخ ، رأفت غنيمي ، صِلات عُمان بالولايات المتّحدة الأمريكية خلال فترة حُكم السيد سعيد بن سلطان ، ص ١٦ ، القاهرة ، ١٩٨٣م ، أيلتس ، هرمان فريدريك ، سلطانة في نيويورك ، ص ٢٠ - ٢١ .

(٢) أيلتس ، هرمان فريدريك ، سلطانة في نيويورك ، ص ٢١ - ٢٢ .

عام ١٨٣١م ليكون مبعوثاً لها . إلى كل من الصين وسيام وسلطنة مسقط وتوابعها ، للتفاوض بشأن اتفاقيات تجارية مع حُكّام هذه البلاد والولايات المتّحدة الأمريكية(١) .

فأبحر روبرتس على ظهر السّفينة الحربية الأمريكية بيكوك Peacock في هذه المهمّة الرّسمية إلى مسقط ، لتسليم رسالة من الرئيس الأمريكي أندرو جاكسون Andrew Jackson للسّلطان سعيد ، وكان ذلك يدل على اهتمام واعتراف أكبر دولة في العالم الجديد بالمساواة الدبلوماسية فيما بينها وبين السيد سعيد . مما يُبشّر بالتوسّع التجاري للسلطنة الإسلامية في شرق أفريقيا(٢) .

وصلت السّفينة بيكوك إلى مسقط في ٤ جماد الأولى ١٢٤٩هـ / ١٨ سبتمبر عام ١٨٣٣م ، ثم تم توقيع الاتّفاقية التجارية بين السيد سعيد وأدموند روبرتس نيابة عن الولايات المتّحدة الأمريكية في ٢١ سبتمبر من نفس العام . وكانت هذه المعاهدة أوّل اتّفاقية تجارية يعقدها السيد سعيد مع دولة غربية كُبرىٰ ، وقد صِيغت تلك المعاهدة باللغتين الانجليزية والعربية ، وصارت المثل والنّموذج الذي سارت على منواله معاهدات

---

(١) American Consular Service, Zanzibar, Atenative List of Consuls from 1836 - 1910, Prepard by Alexander W. Vaddel, Consul, August 24, 1911, National Archives of The U. S. A., Microfilm No. 468 or No. T 100, Bennet, N. R., A History of The Arab Star of Zanzibar, PP. 31 - 32.

وستيفنس ، ريتشارد ، " استعراض لبداية العلاقة الأمريكية التجارية " ، مجلة دراسات الخليج والجزيرة العربية ، ص ١٢٣ .

(٢) فيلبس ، وندل ، تاريخ عمان ، ص ١٣٠ ، الشيخ ، رأفت غُنيمي ، صِلات عمان بالولايات المتحدة الأمريكية ، ص ١٦ .

السيد سعيد التجارية مع بريطانيا عام ١٢٥٥هـ/ ١٨٣٩م ، وفرنسا عام ١٢٦٠هـ / ١٨٤٤م(١) . وقد بعث السيد سعيد برسالة خطّية إلى رئيس الولايات المتّحدة الأمريكية في ٢٢/٥/١٢٤٩هـ الموافق ٧/١٠/١٨٣٣م ، عبّر فيها عن مدى سعادته بهذه العلاقة الاقتصادية ، وكان مضمونها الآتي :

« إلى فخامة المقتدر ' أندرو جاكسون ' ، رئيس الولايات المتّحدة الأمريكية ، الذي يشيع اسمه برّاقاً في كل أرجاء العالم . إنني أدعو الله بكل صدق ، أن تصل رسالتي هذه وسيادتكم بوافر من الصّحة والسّعادة متزايدة على الدّوام . لقد تشرّفت في يوم سعيد ، وفي ساعة سعيدة ، باستلام رسالة سيادتكم ، هذه الرّسالة التي جاءت كل كلمة في كلماتها واضحة وضوح الشّمس في رابعة النّهار ، وشعّ كل حرفٍ من حُروفها كصفاء النّجوم في السّماء . لقد استلمت رسالة سيادتكم بواسطة معالي مبعوثكم المخلص ، وسفيركم لدينا أدموند روبرتس ' الذي زادني سعادة بشرحه للهدف من مهمّته . ولقد استجبت من كل النّواحي لرغبات معالي سفيركم ، وذلك بإبرام معاهدة صداقة وتجارة بين بلدينا العزيزين . هذه المعاهدة التي سنتقيّد بها بكل إخلاص أنا ومن يخلفني في الحُكم إلى الأبدويستطيع سيادتكم أن يطمئن ، بأن كل السفن الأمريكية التي ترسو في الموانىء التّابعة لي ستلقى نفس المعاملة الكريمة ، التي تلقاها في موانىء بلادكم السّعيدة ، التي يسود فيها الهناء ، وأنا آمل من كل قلبي أن يعتبرني سيادتكم صديقه المخلص الدائم ، وسأبقى

---

(١) المغيري ، جهينة الأخبار ، ص ٢٥٨ - ٢٥٩ ، والشيخ ، رأفت غنيمي ، دور عمان في حضارة شرق أفريقية ، ص ١٧١ ، والشيخ ، رأفت غنيمي ، صِلات عمان بالولايات المتحدة الأمريكية ، ص ١٧ ، فيلبس ، وندل ، تاريخ عمان ، ص ١٢٩ ، حراز ، السيد رجب ، بريطانيا وشرق أفريقيا ، ص ٣٢ - ٣٣ ، والقاسمي ، سلطان بن محمد ، تقسيم الامبراطورية العمانية ، ص ٤٥ ، Lyne , Zanzibar , P. 34 , National Archives Microfilm Publications , No. 468 , or No. T 100 . Despatchs United States Consuls in Zanzibar and Muscat 1836 - 1906 ; Bennet , N. , R. , A History of The Arab State , P. 31 .

أحتفظ بإخلاصي لسيادتكم لتنفيذ أية رغبة لسيادتكم ضمن الأراضي الخاصة بي ، أو في الموانىء والأماكن التي لي فيها أدنى نفوذ . »

صديقك المحب

سعيد بن سلطان (١)

تُبيّن هذه الرّسالة مدىٰ حماس السلطان سعيد لإبرام هذه المعاهدة ، وموافقته على معظم رغبات روبرتس ومطالبه ، وتأكيده على أنه ومن سيخلفه من أُسرته ، سيتمسّكون ببنود هذه المعاهدة ، كما تظهر مدىٰ إخلاص السيد سعيد العميق لأمريكا .

وقد سرّت الولايات المتّحدة الأمريكية بهذه المعاهدة لضمان حرّية تجارتها ، إضافةً إلى تنظيم الرّسوم الجمركية التي كان يدفعها الأمريكيّون .

وقد تم التصديق على هذه المعاهدة في ٢٣ صفر سنة ١٢٥٠هـ / ٣٠ يونية ١٨٣٤م من قِبل مجلس الشيوخ والرئيس الأمريكي في الولايات المتحدة الأمريكية ، وأبحر روبرتس المبعوث الخاص على ظهر السفينة بيكوك ، لتبادل وثائق التصديق مع السيد سعيد في مسقط ، حيث استقبل روبرتس ومن معه استقبالاً ملكيّاً ، وقدمت لهم جميع التسهيلات اللازمة .

---

(١) National Archives Microfilm of The U. S. A., No. T. 100,

من السيد سعيد بن سلطان إلى الرّئيس الأمركي أندرو جاكسون

روت ، رودلف سعيد ، سلطنة عمان ، ص١٧٢-١٧٣ ، ستيفنس ، ريتشارد ، " استعراض لبداية العلاقة الأمريكية " ، مجلة دراسات الخليج والجزيرة العربية ، ص ١٢٥ - ١٢٦ .

كما صدق على المعاهدة بصورةٍ نهائية بين الطرفين في ٢٧ ذو الحجة عام ١٢٥١هـ . إلا إنه بدأ العمل بهذه المعاهدة منذ تاريخ التصديق عليها في الولايات المتّحدة الأمريكية ٢٣ صفر ١٢٥٠هـ / ٣٠ يونية ١٨٣٤م(١) .

وتنص أهم بنود المعاهدة على أن يكون هناك سلام دائم بين الولايات المتّحدة الأمريكية والمناطق التابعة للسيد سعيد ، وأن ينال المواطنون الأمريكان حُرّية تامة في البيع والشراء في جميع موانيء السلطان ، دون تدخّل منه أو من أحد ضبّاطه في الأسعار أو في غير ذلك من الأمور - عدا المعدّات الحربية ، مقابل أن يدفعوا رسماً جمركياً قدره ٥٪ على جميع البضائع الأمريكية ، التي تدخل ممتلكات السيد سعيد ، وتفرغ حمولتها في موانئه(٢) .

على أن لايشمل ذلك البضائع غير المباعة ، والتي تبقى على ظهر السفينة ، أو التي يُعاد تصديرها ، كما يُعفى التجار الأمريكان من رسوم الإرشاد الملاحي . وبذلك تخلّص الأمريكان من الصّعوبات والمشاكل التجارية ، ومنحت هذه المعاهدة المواطنين العرب الامتيازات والتسهيلات التي تُعطىٰ للرّعايا الأجانب عند قدومهم إلى موانيء الولايات المتّحدة الأمريكية ، وأعطت المعاهدة الحق للولايات المتحدة الأمريكية

---

(١) أيلتس ، هرمان فريدريك ، سلطانة في نيويورك ، ص ٢٥-٢٦ ، روت ، رودلف سعيد ، سلطنة عمان ، ص ١٦٧ ، ستيفنس ، ريتشارد ، " استعراض العلاقة الأمريكية " ، مجلة دراسات الخليج والجزيرة العربية ، ص ١٢٦ - ١٢٧ .

(٢) National Archives Microfilm Of The U. S. A. No. T 100,
F. O. 403 / 457, Enclousure. 3 in No. 14, Notes On The Zanzibar Treaties, P. 31,
Sel, R. B. G, No. XXIV, New Series, Bombay 1856, P. 262,
Bennett, N., R., A History on The Arab State, P. 32,
F. O. 403 / 172, Mr Jones to Mr Portal, 1892, P. 115.

بالإشراف على السلطة القضائية بالنسبة للرعايا الأمريكيين المقيمين في الممتلكات البوسعيدية ، وذلك عن طريق تعيين قناصل في جميع موانىء السّلطنة ، ومن مهام هؤلاء القناصل أن يقوموا بتصفية تركة الرّعايا الأمريكيين ، الذين يتوفّون في السّلطنة . أما إذا قام القنصل بعمل يخالف قوانين البلاد ، فتقدم الشكوىٰ ضدّه إلى الرئيس الأمريكي مباشرةً ، لتعيين من يخلفه ، وإعادته بأسرع مايمكن إلى الولايات المتحدة الأمريكية(١) .

ويمكن القول بأن هذه المعاهدة جاءت برهاناً واضحاً على أهمية زنجبار ومسقط ، ومقدرة السيد سعيد في عقد اتّفاقيات مع دولة كُبرىٰ في العالم الجديد ، ويُعتبر ذلك كسباً مادياً وسياسياً كبيراً له ، إذ قوى مركزه لارتباطه مع دولة من الدّول الكُبرىٰ بهذه المعاهدة الرّسمية ، ويضاف إلى ذلك انتشار اسمه وسُمعته عن طريق التجار إلى أقطار عديدة في العالم .

وكان يهدف السيد سعيد أيضاً من وراء هذه الاتّفاقية الاستفادة من معونة الولايات المتّحدة الأمريكية في الحرب، التي كان يخوضها ضد المزروعيين للسيطرة على ممباسا(٢)

---

(١) لمزيد من التفصيل عن المعاهدة أنظر :

Ruschenberger, W. S. W., A Voyage Round The World, including an Embassy of The Sultan of Muscat and The King of Siam P. 151, Vol. I, London, 1838, Coupland, East Africa, P. 368 - 369;

القاسمي ، سلطان ، تقسيم الامبراطورية العمانية ، ص ٣٢٦ - ٣٢٨ ، ملحق رقم ٥ ،

منسي ، عبدالله ، سياسة الولايات المتحدة الأمريكية تجاه عمان فيما بين الحربين العالميتين ، رسالة دكتوراه ، قسم الدراسات العليا التاريخية والحضارية ، كلية الشريعة والدراسات الإسلامية ، جامعة أم القرىٰ بمكّة المكرّمة ١٤١١هـ / ١٩٩١م ، الملاحق ص ٤٢٤ - ٤٢٩ .

(٢) العقاد ، صلاح ، وقاسم ، جمال زكريا ، زنجبار ، ص ٨٤ ، Pearce, Zanzibar, P. 191.

إلا إن أمريكا رفضت طلبه ، ولم تمدّه بالمساعدات العسكرية ، ولكنه لم يغضب من ذلك(١) .

أما بالنسبة للجانب الأمريكي فقد حصل الرعايا الأمريكان على امتيازات تجارية ، خلصتهم من المشاكل التجارية ، التي كانت تواجههم في موانىء السيد سعيد فقد ارتبطت الولايات المتحدة الأمريكية بصداقة دولة من أقوى الدول الآسيوية الأفريقية ، التي تملك أسطولاً أكبر من الأسطول الأمريكي يتكوّن من حوالي سبعة وخمسين سفينة مختلفة الأحجام ، حيث كانت تصل سفنه التجارية إلى الهند وسيلان وجاوه(٢) .

واستطاعت الولايات المتّحدة الأمريكية إثر المصادقة على هذه المعاهدة في عام ١٢٥١هـ/ ١٨٣٥م تأسيس قنصلية لها في زنجبار ومسقط(٣) ، وعيّنت التاجر الأمريكي ريتشارد واترز Richards Waters - من مدينة سالم بولاية ماساتشوستس - في عام ١٢٥٢هـ/ ١٨٣٦م ، كأوّل قنصل أمريكي في زنجبار(٤) ، ثم تم تعيين قنصل أمريكي آخر في مسقط هو هنري مارشال Henry Marshall عام ١٢٥٣هـ/١٨٣٨م(٥) .

---

(١) الشيخ ، رأفت غُنيمي ، صِلات عمان ، ص ١٨ .

(٢) أبوعلية ، عبدالفتاح ، العلاقة التجارية ، ص ٢٧٠ ، الشيخ ، رأفت غُنيمي ، دور عُمان ، ص ١٧١ .

(٣) Yeager , Rodger , Tanzania On African Experiment , P. 8 , Colorado , 1982 .

(٤) American Consular Service , Zanzibar , No. T 100 , Lyne, Zanzibar , P. 34 .

(٥) الشيخ ، رأفت غُنيمي ، صِلات عُمان ، ص ٢٣ ،

National Archives Microfilm of The U. S. A. , No. T 100 , from Aurura Parker to Mr Jhon Forsyth , 1838 .

والواقـع أن التجـارة الأمـريكيـة في شـرق أفريقيا كانت محتكرة لتجّار مدينة سالم من عام ١٢٥٣هـ / ١٨٣٧م إلى عام ١٢٥٦هـ / ١٨٤٠م تحت شروط خاصة . ولقد سارت أمور هذه التجارة بشكلٍ حُر وبدون أن تُقابل بأية منافسة من أي ميناء أمريكي آخر ، وقد تمتع تجار مدينة سالم بامتيازات كثيرة في زنجبار ، حيث أسسوا وبشكلٍ ثابت تجارة آمنة عن طريق شركتين رئيسيتين هما : شركة جون برترام Jhon Bertram ومايكل شبرد Michael Shepard وشركة جـورج وسـت George West وديفيد بنكري David Pingree وذلك على أساسٍ متساوٍ(١) .

ولقد قامت تجارة مدينة سالم مع زنجبار بشكلٍ تنافسي فيما بعد بدءاً من عام ١٢٥٦هـ/١٨٤٠م وحتىٰ عام ١٣٦٠هـ/١٨٤٤م ، حيث بدا واضحاً أن كلا الشركتين تريد أن تستأثر بالنّصيب الأكبر من التجارة . وتحاول أن تصل سفنها قبل الأُخرىٰ إلى ميناء زنجبار ، وذلك لنقل حمولة آمنة وسريعة ، وبأفضل الأسعار ، ومن ثم العودة إلى ميناء سالم بأسرع وقتٍ ممكن(٢) . فصارت التجـارة الأمـريكيـة مع زنجبـار في تحسّن مضطرد وتُبشّر بمستقبل زاهر ، ففي الفترة مابين ربيع الثـاني ١٢٤٩هـ / سبتمبر ١٨٣٢م إلى ربيع الثاني ١٢٥٨هـ / مايو ١٨٤٣م ، بلغ العدد الإجمالي للسّفن الأجنبية ، التي رست في زنجبار ، ٤١ سفينة ، من ضمنها ٣٢ سفينة أمريكية حمولتها تعادل ٥٤٩٧ طنّاً ، وكان لميناء سالم العـدد الأكبر من هذه السّفن ، إذ بلغ

---

(١) Hunts , Richard, H., Gates, " Salem and Zanzibar, A Special Relationship ", Essex Institute Historical Collections , Vol. 117 , No. 1 , P. 20 , Salem , 1981 .

(٢) Hunts , R. H , " Salem and Zanzibar " , Essex Institute Historical Collections , P. 21 .

عدد سفنه حوالي ٢٠ سفينة ، وثلاث سفن من نيويورك وبوسطن ، وباقي السفن أتت من موانيء مختلفة من أمريكا ، وكان لبريطانيا سبع سُفن ، وواحدة لكلٍ من فرنسا وإسبانيا(١) . وبذلك باتت معظم العمليات التجارية تتركّز في أيدي تجار سالم ، الذين كانــوا يقومون بالدور الرئيسي في عمليات الاستيراد والتصدير بين أمريكا وزنجبــار .

وكانت تجارة ميناء سالم مع زنجبار وشرق أفريقيا نموذجاً مميزاً لنجاح تجارة هذا الميناء مع شرقي رأس الرّجاء الصّالـــح في النّصف الأول من القرن التاسع عشــر الميـلادي . وإن سيطرة تجار ميناء سالم على تجارة زنجبار ، يمكن أن يستدل عليها بشكـل توضيحي عن طريق عدد السفن الإجمالي التي زارت زنجبار ، وعدد السفن التي أتت من هذا الميناء خلال فترة محدودة من الزّمن .

ومـن خـلال السجـلاّت المحفـوظة لـدىٰ ريتشـارد واتـرز قنصـــل الـولايـات المتحـدة الأمريكية في زنجبار ؛ فقد تبيّن أن ١٠٦ سفينة أمريكية دخلت الميناء في الفترة الواقعة من ١٨ مارس إلى ٣٠ يونية ١٨٤٤م ، منها ٦٩ سفينة أمريكية جاءت بغرض التجارة إلى زنجبار ، كان نصيب ميناء سالم وحده منها ٦٨ سفينة ، كما كان هناك ست وثلاثون سفينة مختصّة بصيد الحيتان ، التي كانت تكثر بين زنجبار وبمبـا ، وكانت تجارتها رابحة ومزدهرة . وهناك أيضاً سفينة حربية ، هي البارجة الأمريكية جون آدمز John Adams التي قامت بزيارة زنجبار عام ١٢٥٣هـ/١٨٣٨م أثناء تجوالها في المحيط الهندي(٢) .

---

(١) أيلتس ، هرمان فريدريك ، سلطانة في نيويـورك ، ص ٢٧ ،
Coupland, East Africa, P. 376 , Ruschenberger, A Voyage Round The World, P. 66.

(٢) National Archive Microfilm of The U. S. A., No. T 100, From Consuls in Zanzibar, 1957.

وهكذا يلاحظ وبشكل واضح أن ميناء سالم كان له النصيب الأكبر في عدد السفن الأمريكية التي تزور الميناء ، مما يدل على سيطرته على التجارة بين الولايات المتحدة الأمريكية وزنجبار أثناء الفترة التي امتدّت حتىٰ عام ١٢٧٦هـ/١٨٦٠م .

وتمثّلت هذه السيطرة في سنواتها الأُولىٰ بشخصية السيد ريتشارد واترز ، الذي كان يعمل عن قرب مع الهندي جيرام سوجي ، محصّل الجمارك في زنجبار ، وكان ريتشارد واترز هذا يقوم بتفتيش السّفن الأمريكية بمجرّد وصولها إلى موانىء زنجبار ليطّلع على حمولتها والترتيبات اللازمة للبضائع ، ثم يتّصل بالسيد جيرام سوجي ، لإحضار عيّنات البضائع للتجّار ، فوق أرصفة الموانىء ، ثم يقدّم التجار الأمريكان عروض الأسعار ، وبعدها تناقش الأسعار وتثبت من قِبل جيرام وواترز - هذا دليل على سيطرة الأجانب على معظم الأعمال التجارية بالساحل - ونفس الطريقة كانت تطبّق على سائر البضائع المصدّرة والمستوردة من زنجبار(١) .

ولقد استطاع واترز وينجاح أن يكوّن ثروة شخصية كبيرة أثناء عمله كقنصل للولايات المتّحدة الأمريكية في زنجبار مستفيداً من منصبه الرّسمي . فقد كان يحوّل تسعة أعشار الأعمال التجارية إلى أخيه ، الذي كان يتولّىٰ الشئون التجارية للهند في زنجبار ، مما جعل الكثير من التجّار الأمريكان ، يقدّمون شكاوى ضدّه إلى وزارة الدّولة في زنجبار ، يتّهمونه فيها باحتكار التجارة لصالحه الخاص . غير إن هذه الشكاوي لم يكن لها تأثير يُذكر ، إذ إن وجود واترز في زنجبار ساعد إلى حدٍ كبير على إنماء وتقدّم التجارة بينها وبين الولايات المتّحدة الأمريكية ، فقد كانت خبرته

---

(١) Richardson, K., W., The Travels and Tribulation, Essex Institute Historical Collections, P. 77.

حاسمة في فهم العلاقات الخاصة بين الدّولتين في النّصف الأوّل من القرن التّاسع عشر الميلادي(١) .

ولقد كان هناك احتكار فعلي من قِبل تجار ميناء سالم للتجارة الأمريكية في زنجبار كما سبق أن أشرنا ، ويؤكّد ذلك أنه عندما أرسل السيد سعيد برسالة إلى الكابتن ريتشارد واترز رئيس الشّعبة التجارية في مدينة سالم قبل - تعيينه قنصلاً في زنجبار - تتضمّن معلومات عن بلاده هناك ، ودعوة التجار الأمريكيين ، وأصحاب المؤسسات للقدوم إلى زنجبار للتجارة ، رفض أصحاب المؤسسات نشر هذه الدّعوة في جميع أرجاء أمريكا ، خوفاً من منافسة التجار الآخرين في أنحاء أمريكا(٢) .

وهناك دليل آخر على تغلغل نفوذهم ، وهو أن ستة من القناصل الأمريكان في زنجبار ، كانوا من مدينة سالم التجارية(٣) .

وكانت المنافسة بين تجار مدينة سالم أنفسهم ، تؤدي أحياناً إلى إحداث نتائج غير مرضية في تجارة زنجبار ، وبالتالي إلى تدهور العلاقات الخاصة ، التي كانت قائمة بين مدينة سالم وزنجبار . والحادث الوحيد الذي جعل الشّركتين الموجودتين في مدينة سالم توقّعا اتّفاقاً فيما بينهما ، هو الخوف الذي تعرّضتا له من المنافس الجديد لهما من خارج ميناء سالم ، ألا وهو السّفينة موهوك Mohawk ذات

---

(١) Hunts , R. H. Gates , " Salem and Zanzibar " , Essex Institute Historical Collections , P. 16 .

أيلتس ، هرمان فريدريك ، سلطانة في نيويورك ، ص ٢٨ .

(٢) روت ، رودلف سعيد ، سلطنة عمان ، ص ١٧٠ .

(٣) روت ، رودلف سعيد ، سلطنة عمان ، ص ١٧٠ .

الصّواري الثلاث التي جاءت من ميناء بوسطن Boston إلى زنجبار في نهاية عام ١٢٥٩هـ/١٨٤٤م(١) ولكن الخوف الحقيقي لهؤلاء ، كان من قبل التجار الأوروبيين الذين بدأوا يتهافتون على ميناء زنجبار في هذه الفترة أيضاً(٢) .

ولم تخل العلاقة الاقتصادية التجارية بين زنجبار وأمريكا من المشاكل ، وخاصةً ماكان يتعلّق منها ببنود معاهدة ١٢٤٨هـ/١٨٣٣م التي تمّت بين السيد سعيد وأمريكا ، حيث أن العاج والصّمغ في منطقة المريمة لم يستثنَ من التجارة والملاحة الحرّة ، وهذا أمر هام ، اختلفت فيه معاهدة أمريكا عن المعاهدات الأُخرىٰ التي وقّعتها زنجبار مع الدّول الأوروبية الأُخرىٰ ، ويمكن أن يعود سبب ذلك لأمرين : إما إن السيد سعيد لم يكن قد طبّق نظاماً اقتصادياً موحّداً في شرق أفريقيا ١٢٤٨هـ/١٨٣٣م ، أو إنه لم يكن قد أخضع هذه المنطقة لسلطته في ذلك الوقت ، أو إنه لم يكن يريد أن يغضب أمريكا ، لأنه كان يطمع أن ينال مساعدتها العسكرية في حروبه ضد المزاريع(٣) .

وربّما إن السيد سعيد كان يقصد في حرية التجارة للرعايا الأمريكيين في جميع موانيء السلطان ، حرية التجارة في ميناء زنجبار فقط في شرق أفريقية ، مما سبب بعض المشاكل بين السيد سعيد وأمريكا في تفسير المادة الثانية من المعاهدة ؛ لأن هذه

---

(١) Hunts , R. H. Gates , Salem and Zanzibar , Essex Institute Historical Collections , P. 22 .

(٢) Hunts , R. H. Gates , Salem and Zanzibar , , Essex Institute Historical Collections , P. 23 .

(٣) العقاد ، صلاح ، وقاسم ، جمال زكريا ، زنجبار ، ص ٨٥ .

المنطقة كانت محتكـرة للسيد سعيد نفسه ، فتجارة العاج والصّمغ من أهم البضائع التجارية في شرق أفريقيا ، وكانت ضريبتها تساوي ١٠٪ ، بينما الضرائب التي كانت تُدفع في ميناء زنجبار تساوي ٥٪ فقط(١) . إلا أن الحكومة الأمريكية لم تستجب لطلب السيد سعيد ، ولم تحرم بشكل رسمي التجارة في هذه المنطقة ، وقد قام القنصل الأمريكي شارلز وارد Charles Ward - الذي عُيّن قنصلاً في زنجبار عام ١٢٦٣هـ / ١٨٤٦م - بدور كبير في تردّي العلاقات بين أمريكا والسّلطنة ، حتّىٰ وصلت حداً بالغ الخطورة ، مما أدىٰ إلى قطع العلاقة بين البلدين في يوليو ١٨٥٠م ، وتوقّف العمل بهذه المعاهدة .

إلا أن أمريكا كانت حريصة على أن لاتفقد علاقتها التجارية بشرق أفريقيا ، فأرسل الرئيس الأمريكي فليمور Flimor رسالة خاصة إلى السيد سعيد ، حملها المبعوث الرّسمي للولايات المتحدة الأمريكية ، الذي وصل إلى زنجبار عام ١٢٦٨هـ/١٨٥١م(٢) . وهناك تقابل مع التجار الأمريكيين ، الذين وضّحوا له حُسن معاملة السيد سعيد لهم ، وتمتّعهم بامتيازات تجارية ، تفوق غيرهم من التجّار الأجانب في زنجبار . وبناء على ذلك قامت بين الطرفين معاهدة جديدة هي معاهدة الصداقة الاقتصادية والحقوق القنصلية ، وذلك في عام ١٢٦٩هـ/١٨٥٢م(٣) .

واستأنفت السفن الأمريكية نشاطها التجاري من جديد في زنجبار وأخذت العلاقة في

---

(١) أبوعلية ، عبدالفتاح حسن ، " من قضايا الخلاف في تطبيق بنود معاهدة عام ١٨٣٣م بين سلطنة مسقط وتوابعها وبين الولايات المتّحدة الأمريكية " ، مجلّة العصور ، المجلّد الأوّل ، الجُزء الأوّل ، ص ٨٣ ، الرياض ، يناير ١٩٨٦م ، جماد الأولى ١٤٠٦هـ .

(٢) National Archive Microfilm of The U. S. A. No. T 100 , From Flimor to Said , 1851 .

(٣) الشيخ ، رأفت غُنيمي ، دور عُمان ، ص ١٧١ .

التطوّر المستمر ، حتى قيام الحرب الأهلية في الولايات المتّحدة الأمريكية عام ١٢٨٧هـ/١٨٦١م التي كانت سبباً في تدهور العلاقات التجارية ، هذا التدهور الذي استمر حتىٰ بعد انتهاء الحرب ، فأصبحت التجارة الأمريكية في زنجبار تأتي في الدرّجة الثالثة بعد بريطانيا وألمانيا اللتين نافستا التجارة الأمريكية ، وسيطرتا على الأسواق التجارية(١) في زنجبار بعد أن كانت التجارة الأمريكية هي الوحيدة المتحكّمة في الأسواق منذ معاهدة عام ١٢٤٨هـ/١٨٣٣م(٢) الأمريكية العُمانية ، والتي أدّت إلى ازدهار النشاط التجاري الأمريكي في ممتلكات السّيد سعيد الآسيوية والأفريقية ، وتزايد عدد السّفن التي كانت ترسو في زنجبار ، وكان أن زادت تبعاً لذلك ميزانية الدّولة لزيادة وارداتها ، خاصةً أن الأمريكان الذين يعملون في أراضي السلطان كانوا من أنشط التجار ، لتركيزهم على الناحية الاقتصادية وتجرّدهم عن الأطماع السياسية(٣) .

وكان ذلك عاملاً هاماً في انتشار البضائع والمصنوعات الأمريكية في زنجبار ومناطق شرق أفريقيا ، خاصةً المنسوجات القطنية التي أدخلت لأول مرّة وكانت تعرف بمريكانا Merikana وصار التعامل فيها على نطاق واسع في الساحل الشرقي لأفريقيا ، والتي كانت من أهم ماتصدّره الولايات المتحدة الأمريكية ، ورغم متانتها إلا أنها تميّزت بخشونتها ، وأن جودتها لم تصل إلى حد جودة المصنوعات القطنية الإنجليزية ، ومع ذلك

---

(١) العقاد ، صلاح ، وقاسم ، جمال زكريا ، زنجبار ، ص ٨٨ .

(٢) Berman , E. H. , " Salem and Zanzibar , 1825 - 1850 , Twenty-five Years of Commercial Relations " , Essex Institute Historical Collections , Vol. 105 No. 4 , P. 36 , Boston , 1965 .

(٣) قاسم ، جمال زكريا ، الأصول التاريخية ، ص ٢١٣ ، أبوعلية ، عبدالفتاح ، " العلاقات التجارية بين الولايات المتحدة الأمريكية وبين زنجبار " ، مجلة كلية العلوم الاجتماعية ، ص ٢٧١ .

فقد صارت لها شُهرة كبيرة في شرق أفريقياوالجزيرة العربية والخليج العربي ، الأمر الذي أدىٰ إلى احتكار التجار الأمريكان لهذه البضاعة احتكاراً تاماً(١) .

وصار تصدير المنسوجات القطنية الأمريكية إلى زنجبار من العوامل الرّئيسية الهامة لزيادة التبادل التجاري في المنطقة ففي عام ١٢٥٦هـ/١٨٤١م ، أرسلت الولايات المتحدة الأمريكية إلى زنجبار من ٨٠٠ إلى ١٠٠٠ بالة من القطن ، وكل بالة كانت تتألّف من ٢٥ قطعة بطول ٣٠ ياردة ، تتراوح أسعارها مابين ٣،٥ إلى ٤ جنيه للقطعة الواحدة ، بينما كانت بالات القطن الإنجليزي تتكوّن من ٢٥٠ - ٣٠٠ بالة فقط ، وكل بالة تحتوي على ٣٠ قطعة بطول ٤٠ ياردة ، وبقيمة تساوي من ٥ إلى ٧ جنيهات للقطعة الواحدة ، ويضاف إلى ماسبق ٥٠٠ قطعة من القطن الهندي ، طول القطعة منها ٢٨ ياردة ، وبقيمة تساوي ٢،٥ جنيهاً للقطعة الواحدة(٢) .

وبحلول عام ١٢٧٢هـ/١٨٥٦م بلغت مبيعات القطن الأمريكي ٥٢٩،٧٨٨ دولاراً ، وهذه تعتبر نسبة مرتفعة ، إذا قورنت بالسابق . وبعد ثلاث سنوات - أي في عام ١٣١٣هـ/١٨٩٦م - بلغت المنتجات الأمريكية الذروة ، فقد باعت الولايات المتحدة الأمريكية ٦٩٥ بالة من القطن بمبلغ ٤٢٢،٨٥٠ دولاراً ، وانتشرت الملابس القطنية الأمريكية بين سكّان زنجبار وجميع أجزاء شرق أفريقيا ووسطها ، بعد أن حملها التجار العرب إلى هذه المناطق ، كما جلب الأمريكان أيضاً إلى زنجبار الأسلحة والبارود والأدوات المنزلية . مثل الآنية الفخارية ، والزّجاجية ، والكراسي ، والصّابون ، وأنواع مختلفة من المواد الغذائية ، مثل السّكر الأبيض

---

(١) ستيفنس ، ريتشارد ، " استعراض لبداية العلاقة الأمريكية " ، مجلة دراسات الخليج والجزيرة العربية ، ص ١٢٨ .

(٢) Nicholls , C. S. , The Swahili coast , P. 330 .

والمعلّبات المتنوّعة . كما جلب الأمريكان ، السبح وأسلاك النّحاس الصفراء ومواد متنوّعة من الخردوات ، وزيت التربنتينة Turpentine ، والأطواق الحديدية Iron Hoopes ، والحبال والطلاء(١) ، والمواد الأساسية لبناء السّفن ، والأحذية ، والسّاعات(٢) .

وقد تحسّنت التجارة الأمريكية بشكلٍ ملحوظ وذلك لازدياد الطّلب عليها . وظهر شيء جديد في الأسواق وهو ازدياد الطلب عن كمّية العرض على الكيروسين Kerosene ، الذي كان يستخدم للإضاءة في شرق أفريقيا ، لرخص ثمنه ، فقد كان ماقيمته سّنت واحد من الكيروسين يكفي لإضاءة لمبة واحدة يومين متتاليين ؛ لذا تهافت النّاس على شرائه ، وتوقّف الطّلب في زنجبار وأجزاء من الساحل على الزّيت النّباتي ، الذي كان يستخدم للإضاءة سابقاً(٣) .

وكما كانت زنجبار تستورد هذه المواد جميعها ، فإنها كانت تصدّر الكثير إلى أمريكا ، وكان التجار الأمريكان ينقلون معهم منتجات شرق أفريقيا مثل العاج وصمغ الكوبال Copal - الذي كان يستعمل كمادة أساسية في صناعة الطّلاء ، وفي الصّور الزّيتية - وزيت النارجيل ، والقرنفل ، والزّنجبيل ، والسّمك المجفف ، والتمور ، وجلود الحيوانات : سواء منها المدبوغ أو غير المدبوغ ، التي كان لها دور كبير في تطوّر الصناعة الجلدية في مدينة سالم ، إذ إن نسبة ٥٢٪ من السّفن الأمريكية القادمة إلى ميناء سالم كانت تحمل جلود الحيوانات عند عودتها من زنجبار(٤) .

---

(١) Nicholls , CS , he Swahili Coast , PP. 330 - 331 .

(٢) أيلتس ، هرمان فريدريك ، سلطانة في نيويورك ، ص ٢٨ .

(٣) Bennett , N. R. , Studies In East African History , PP. 40 - 41 .

(٤) Hunts , R. H. , Gates , Salem and Zanzibar , Essex Institute Historical Collections , P. 25 .

كما كان يوجد في الساحل الأفريقي في زنجبار الكثير من المواد الخام الأساسية ، التي تدخل في الصناعات الأمريكية .

من العرض السّابق يتّضح مدىٰ الارتباط الوثيق بين جزيرة زنجبار والولايات المتّحدة الأمريكية اقتصادياً ، وهناك جدول مأخوذ من التقرير السنوي ، الذي رفعه القنصل الأمريكي في زنجبار إلى وزير الخارجية عام ١٢٧٨هـ/١٨٦٢م ، يبين فيه قيمة الصادرات والواردات التي تخص التجارة الأمريكية في زنجبار في الفترة مابين ١٢٥٢هـ/١٨٣٧م - ١٢٧٨هـ/١٨٦٢م(١) . وهو كالآتي :

---

(١) National Archives , Microfilm of The U. S. A. No. T 100 , Annual Reports about Imports and Exports in Zanzibar from 1837 - 1862 .

جدول رقم (٤)

قيمة الصادرات والواردات للتجارة الأمريكية في الفترة مابين ١٢٥٣هـ/١٨٣٧ - ١٢٧٨هـ/١٨٦٢م

العـــام	الصادرات بالدولار	الواردات بالدولار
١٢٥٣هـ / ١٨٣٧م	١٠٤، ٠٠٠	٥٨، ٠٠٠
١٢٥٤هـ / ١٨٣٨م	٩٥، ٣٢٠	٩٦، ٩٢٣
١٢٥٥هـ / ١٨٣٩م	٣٥١، ٠٩٨	١١٣، ١٤١
١٢٥٦هـ / ١٨٤٠م	٦٦، ٨٩٦	١٠١، ٩٢٢
١٢٥٧هـ / ١٨٤١م	٣١٤، ١٧١	٢١٨، ٨٠٤
١٢٥٨هـ / ١٨٤٢م	٢٧٤، ٠٠٤	١٩٦، ٦٧٥
١٢٥٩هـ / ١٨٤٣م	٣٨٢، ١٣٢	٢٤٩، ٣٧٢
١٢٦٠هـ / ١٨٤٤م	٢٢٠، ٢٨٠	١٨٣، ٤٦٢
١٢٦١هـ / ١٨٤٥م	٣٥٤، ٦٥٤	٢٤٠، ٣٧٨
١٢٦٢هـ / ١٨٤٦م	٦٢٧، ٣٢٨	١٨٨، ٧٢٥
١٢٦٣هـ / ١٨٤٧م	٥٠٥، ٤٥٧	٢٢١، ٩٢٣
١٢٦٤هـ / ١٨٤٨م	٤٨٧، ٩٤٢	٢١٤، ٧٥٧
١٢٦٥هـ / ١٨٤٩م	٥٨٩، ١٤٨	٣٨٠، ٨٠٠
١٢٦٦هـ / ١٨٥٠م	٨٣٩، ٠٥٠	٢٧٥، ٢٤٢
١٢٦٧هـ / ١٨٥١م	٢١١، ٤٤٠	١٥٢، ٢٨٠

تابع جدول رقم (٤)

العـــام	الصادرات بالدولار	الواردات بالدولار
١٢٦٨هـ / ١٨٥٢م	٨٣٦، ١٠٠	٤٧٢، ٢٠٠
١٢٦٩هـ / ١٨٥٣م	٧٢٢، ٧٨٧	٣٧٥، ٦٧٥
١٢٧٠هـ / ١٨٥٤م	١، ٠٥٧، ٤٠٠	٤٩٤، ٨٠٦
١٢٧١هـ / ١٨٥٥م	٥٥٠، ٠٨٥	٢٤٦، ٩٦٠
١٢٧٢هـ / ١٨٥٦م	٢٠٥، ٥٠٠	٧١، ٣١٤
١٢٧٣هـ / ١٨٥٧م	١، ١٧٣، ٣١٦	١، ١٢٥، ٨٠٧
١٢٧٤هـ / ١٨٥٨م	٩٠٢، ٨٦٢	٩٦٦، ٨٨٢
١٢٧٥هـ / ١٨٥٩م	١، ٢١٦، ٢٣٥	١، ٢٥٥، ٤٩٠
١٢٧٦هـ / ١٨٦٠م	٨٥٥، ٥٤٩	٧٣٢، ٠٣٨
١٢٧٧هـ / ١٨٦١م	٥٥٨، ١٧٠	٥٣٨، ٩٨٤
١٢٧٨هـ / ١٨٦٢م	١٠٩، ٠٠٠	١٠٠، ٠٠٠

من الجدول السابق يلاحظ أن قيمة الصادرات والـواردات منـذ عام ١٢٥٢هـ/١٨٣٧م حتى عـام ١٢٦٦هـ/١٨٥٠م كانت في زيادة مضطردة ، وأحيـاناً كانـت تتـراوح بين الانخفاض والارتفاع البسيط في بعض السنوات . بينما يلاحظ أنه حصـل انخفاض حـاد في قيمـة الصـادرات والـواردات من عام ١٢٦٧هـ/١٨٥١م ، بسبب سوء العلاقـات بين الولايات المتحدة الأمـريكيـة وسلطنـة زنجبار ، وتعرّضهـا لبعـض الأزمـات أثناء تطبيـق معاهـدة عام ١٢٤٨هـ/١٨٣٣م ، وخـاصةً في فتـرة تولّي تشارلـز وارد منصب القنصـل في زنجبـار (١٢٦٢هـ/١٨٤٦م - ١٢٦٨هـ/١٨٥٢م) ، حيـث كـان يتّصف بالحماقـة والتّسـرّع في الحكـم . ومن هـذه الخلافات حادثـة الإهانـة المزعومـة للعلم الأمريكي في زنجبـار ، وماهي إلا دليـل على حماقـة وتسرّع القنصل وارد الذي احتج على السلطان السيد سعيد ، بسبب عدم إطـلاق المدفعيـة العـربية تحيـة للعلم الأمريكي بمناسبة يـوم عيد استقـلال الولايات المتحـدة الأمريكيـة .

وكان هناك خلاف أيضاً حول المسائل القضائية ، التي تخص الرّعـايا الأمريكيين في زنجبـار ومـن أسبـاب الخـلاف الهـامـة ماحـدث في عـام ١٢٦٧هـ/١٨٥١م حين عقـدت الولايات المتحدة الأمـريكيـة معاهـدة مع فارس ، تنـص إحدىٰ موادّها على مساعدة أمريكا لفارس في استرداد ميناء بنـدر عبّـاس التّابـع للسيد سعيد ، وكان لذلك تأثير سيء على علاقة السيد سعيد بأمريكا ، رغم أن هذه المعاهـدة لم تُنفّذ ، إلا أن بريطانيا استغلّت الموقف لتعمل على إضعـاف التجارة الأمـريكيـة في زنجبـار وشـرق أفريقيـا(١) .

---

(١) العقّاد ، صلاح ، وقاسم ، جمال زكريا ، زنجبار ، ص ٨٨ ،
Lyne , Zanzibar , P. 183 .

ولكن الأزمة بين زنجبار وأمريكا لم تستمر بدليل مايُلاحظ من ارتفاع ملحوظ في الصادرات والواردات من عام ١٢٦٨هـ/١٨٥٢م حتى عام ١٢٧٦هـ/١٨٦٠م وخاصةً في عام ١٢٧٥هـ/١٨٥٩م بعد الرّسائل المتبادلة بين الرئيس الأمريكي فليمور Flimor والسيد سعيد ، لتسوية الموقف بين الطّرفين ، وعودة السّفن الأمريكية ، لتغدو وتروح في المياه التّابعة للسلطنة . ولكن حدث بعد ذلك في عام ١٢٧٧هـ/١٨٦١م ، ١٢٧٨هـ/١٨٦٢م انخفاض شديد في الصادرات والواردات ، بسبب الحرب الأهلية في الولايات المتّحدة الأمريكية . فالعلاقة الأمريكية مع شرق أفريقيا وزنجبار ، كانت أقل إزعاجاً له ، مقارنة بعلاقاته بالإنجليز والفرنسيين ، لأنها لم تتخذ شكلاً سياسياً أو استعمارياً . والدليل على ذلك تنازل أمريكا له عن أحد بنود معاهدة عام ١٢٤٨هـ/١٨٣٣م ، التي تنص على حرية التجارة الأمريكية في منطقة المريمة ، الخاصة بتجارة العاج والصّمغ ، ومساواتهم بذلك مع تُجّار إنجلترا وفرنسا(١) .

ولرغبة السيد سعيد والولايات المتحدة الأمريكية في تقوية واستمرار العلاقات الودية بين الطّرفين ، وخاصةً الاقتصادية منها ، فقد بعث بسفينته التي أطلق عليها إسم سُلطانة(*) إلى ميناء نيويورك في الولايات المتّحدة الأمريكيـة عام ١٢٥٦هـ/١٨٤٠م(٢)

---

(١) العقاد ، صلاح ، وقاسم ، جمال زكريا ، زنجبار ، ص ٨٨ .

(*)سمّاها السيدسعيد بهذا الاسم نسبةً إلى اسم زوجته عزّة بنت الأمير سيف الحاكم في شيراز الفارسية ، ايلتس ، هرمان فريدريك ، سلطانة في نيويورك ، ص ٣٣ .

(٢) الشيخ ، رأفت غُنيمي ، صِلات عُمان ، ص ٢٩ ، فيلبس ، وندل ، تاريخ عمان ، ص ١٣٥ ،

Graham , Gerald S. , Great Britain In The Indian Ocean , P. 171 , London ,1967 ,

Hunts , R. , H. , Gates , Salem and Zanzibar , Essex Institute Historical Collections , P. 15 .

ولمزيد من التفصيل عن الرّحلة أُنظر ، ايلتس ، سلطانة في نيويورك .

واختار السيد سعيد سكرتيره الخاص أحمد بن نعمان(*) ، ليقوم بمهمّة تمثيله في الولايات المتحدة الأمريكية ، كأوّل مبعوث رسمي إلى هُناك ، ووليام سُليمان William Sleeman البريطاني الأصل لتولّي قيادة هذه السّفينة(١) .

وقد حملت السّفينة سُلطانة إلى نيويورك ١٣٠٠ كيساً من التّمر ، وحوالي ٢١ بالة من السّجّاد الإيراني ، و ١٠٠ كيس من بُن « مخا » من عمان ، إضافةً إلى ١٠٨ قطع من العاج من زنجبار ، وحوالي ٨١ حقيبة من صمغ الكوبال ، و ١٣٥ كيساً من القُرنفل ، و ١٠٠٠ قطعة جلد من جلود الحيوان غير المدبوغة . لتصديرها إلى الولايات المتّحدة الأمريكية لحساب السيّد سعيد الخاص(٢) .

كما حملت السفينة سلطانة بعض الهدايا إلى الرّئيس الأمريكي بالذّات ، وكانت عبارة عن فرسين عربيين للسّباق ، وعُقد من اللؤلؤ ، إضافةً إلى لؤلؤتين كبيرتين ، الواحدة منها في حجم وشكل الكُمّثرىٰ الكبيرة ، وحوالي ١٢٠ قطعة من الأحجار الكريمة الملوّنة اللامعة ، يبلغ وزنها ١٨،٢٥ قيراطاً ، وسبيكة من الذّهب الخالص ، وسجّادة حريرية فارسية الصّنع وزجاجة من عطر الورد ، وبعض ماء الورد وست

(*)أحمد بن نعمان بن محسن بن عبدالله الكعبي البحراني ، تولّى منصب وزير الخارجية ، ومنصب وزير التجارة في دولة السيد سعيد . وقام برحلات كثيرة ، وكان على علم تام بالمحيطين الهندي والأطلسي والبحر المتوسّط . وكان يتكلّم الإنجليزية والفرنسية بطلاقة ، إضافةً إلى كونه محاسباً ماهراً ، لهذا قام بتقسيم تركة السيد سعيد بعد وفاته ، وتوزيعها بين أبنائه وورثته ، إيلتس ، سلطانة في نيويورك ، ص ٣٦ - ٣٧ .

(١) الفارسي ، عبدالله ، البوسعيديون ، ص ٦٧ ، الشيخ ، رأفت غُنيمي ، صِلات عُمان ، ص ٢٩ ، ايلتس ، هرمان فريدريك ، سُلطانة في نيويورك ، ص ٣٦ .

(٢) ايلتس ، هرمان فريدريك ، سُلطانة في نيويورك ، ص ٥٩ ، الشيخ ، رأفت غُنيمي ، صِلات عُمان ، ص ٣٠ .

عباءات كشميرية مطرّزة ، وسيف مرصّع بالذّهب(١) . إلا أن القانون الأمريكي كان يمنع الرّئيس الأمريكي من قبول الهدايا الشخصية ، لذا فقد حدثت مشاكل ومراسلات بشأن قبولها ، انتهت باقتراح أحمد بن نعمان ، وهو اعتبار الهدايا مقدّمة إلى حُكومة الولايات المتّحدة الأمريكية . فأصدر الكونجرس حينئذ مرسوماً خاصاً لحل هذه المشكلات في المستقبل(٢) .

وفي المقابل أهدىٰ الرّئيس الأمريكي إلى السيد سعيد باخرة تجارية فاخرة الأثاث وغالية الثمن ، وبعض الأسلحة ، والمرايات والشّمعدانات ، فقبلها السيد سعيد ، وحازت إعجابه ، إلا أنه استبدل الباخرة التجارية مع القنصل البريطاني هامرتون بقارب عادي ، له ستّة مجاديف ، لم يتجاوز سعره المائتي دولار ، وذلك لعدم معرفة بحّارة السيد سعيد كيفية استعمال مثل هذه البواخر التجارية(٣) .

أما بالنسبة للبضائع التي حملها أحمد بن نعمان إلى الولايات المتحدة الأمريكية ، فقد واجهته بعض المشاكل في تسويقها نظراً لإفلاس مؤسسة سكوفيل Scufil وبرتون Burton في نيويورك ، التي كانت ستتولّىٰ أمور الصّفقة ، ولكن استطاعت مؤسسة باركلي Parkley ولفنجستون Livingstone تولّي عملية البيع ، مقابل عمولة ٥٪ ، ولتقوم أيضاً بتجهيز المشتريات للعودة بها إلى زنجبار مقابل ٢,٥٪ (٤) .

---

(١) أيلتس ، هرمان فريدريك ، سلطانة في نيويورك ، ص ٦٦ - ٦٧ .

(٢) أيلتس ، سلطانة في نيويورك ، ص ٦٨ - ٦٩ .

(٣) أيلتس ، سلطانة في نيويورك ، ص ٩٩ - ١٠٠ .

(٤) أيلتس ، سلطانة في نيويورك ، ص ٦٠ .

وقد تم تصريف البضائع بشكل سريع ، إذ بلغ مجموع المبيعات التي حملتها سلطانة ٢٦٩٥٧ دولاراً (١) ، وقد قامت مؤسسة لفنجستون وباركلي بعد ذلك بشراء البضائع التي حملتها السفينة إلى زنجبار وكانت تتكون من : ١٢٥ بالة من القماش الرّمادي اللون ، الذي كان يُعرف في زنجبار باسم مريكاني ، و ٢٤ قطعة من قماش قرمزي اللون ، و ١٣ كيساً من الخرز المطبوع ، و ٣٠٠ بندقية ، و ٢٥ كيساً من البارود ، وبعض الأطباق الخزفية الصّينية . وبلغ مجموع هذه المشتريات ١١٧٧٫٥٦ دولاراً (٢) .

كما كان هناك بعض المشتريات الخاصة بالسيد سعيد ، بلغت قيمتها ٣٦٨١٫٢٥ دولاراً وبعض المشتريات الخاصة بابنه السيد خالدبن سعيد قيمتها ٥٠٥٫٨ دولاراً . وتبعاً لذلك فقد بلغ صافي الرّبح من المبيعات والمشتريات للسلطانة حوالي ٤٠٠٠ دولاراً (٣) .

ثم عادت السّفينة إلى زنجبار سالمة ، بعد أن استغرقت الرّحلة حوالي عشرة أشهر(٤) ، استطاع فيها السيد سعيد أن يقوّي العلاقات الودّية والاقتصادية بينه وبين الولايات المتّحدة الأمريكية ، التي استمرّت مايقرُب من نصف قرن من الزّمان ، أخذت فيها التجارة تشهد تقدّماً ملموساً وتصاعداً مستمراً ، حتىٰ بلغ عدد السّفن التي وصلت زنجبار ٢٦ سفينة في عام ١٢٧٣هـ/١٨٥٦م ، وهو العام الذي توفي فيه السيد سعيد ، بينما كان عدد السفن التي وصلت من بريطانيا في نفس الوقت سفينتين فقط(٥) .

---

(١) أيلتس ، هرمان فريدريك ، سلطانة في نيويورك ، ص ٦١ .

(٢) الشيخ ، رأفت غُنيمي ، صِلات عُمان ، ص٣ ، ايلتس ، سلطانة في نيويورك ، ص ٦٢ .

(٣) ايلتس ، سلطانة في نيويورك ، ص ٦٣ .

(٤) الشيخ ، رأفت غُنيمي ، صِلات عُمان ، ص ٣١ .

(٥) الشيخ ، رأفت غُنيمي ، صِلات عُمان ، ص ٣٣ .

علاقة زنجبار بانكلترا :

كانت العلاقة بين السلطات البريطانية والسيد سعيد في بداية القرن التّاسع عشر تسير بصورةٍ حسنة ، خاصةً بعد توقيع معاهدة مور سيبي لإلغاء تجارة الرّقيق بين بريطانيا والسيد سعيد عام ١٢٣٨هـ / ١٨٢٢م . فأعطت هذه المعاهدة للأسطول البريطاني الحق في تفتيش المياة في شرق أفريقيا(١) .

ومنذ الثلاثينات من القرن التّاسع عشر تزايد اهتمام بريطانيا بالسّاحل الشّرقي لأفريقيا ، لنمو مصالحها السياسية والاقتصادية ، خاصةً بعد اتّساع نشاط التجارة الأمريكية والفرنسية في المنطقة ، ووصول هذه الأخبار إلى لندن عن طريق التجّار البريطانيين(٢) .

وبعد أن تم للسيد سعيد عقد المعاهدة الأمريكية ، أرسل في سنة ١٢٥١هـ/١٨٣٥م ، أحد مندوبيه علي بن ناصر ، إلى لندن ليتفاوض في عقد معاهدة أُخرىٰ مع بريطانياً ، إلا أن هذه المساعي باءت بالفشل . وعندما تولّت الملكة فيكتوريا العرش في إنجلترا ، بادر السيد سعيد وأرسل أحد التجّار الإنجليز ، وهو روبرت كوجان Ropert Cogan لينوب عنه في تهنئة الملكة ، وطلب من الحكومة البريطانية أن تقبل كوجان ممثّلاً دائماً للسّلطان في لندن ، فوافقت بريطانيا على فكرة إنشاء علاقات رسمية مع السيد سعيد ، رغم إنها رفضت أن يمثّل السّلطان أحد المواطنين الإنجليز(٣) .

---

(١) العقاد ، صلاح ، وقاسم ، جمال زكريا ، زنجبار ، ص ٨٩ .

(٢) Coupland , East Africa , P. 453 , Nicholls , C. , S. , The Swahili Coast , P. 157 .

(٣) العقاد ، صلاح ، وقاسم ، جمال زكريا ، زنجبار ، ص ٩٥ - ٩٦ .

وقد قدّم كوجان للحكومة البريطانية تقريراً واضحاً ، بيّن فيه أهمية منطقة الساحل الشرقي لأفريقيا ، ومدىٰ استفادة بريطانيا من أسطول السيد سعيد الكبير العدد ، واللجوء إلى إحدىٰ جُزر الخليج أو سواحله ، بعد تنازل السيد سعيد عنها في حالة نشوب نزاع مع روسيا ، وفتح أبواب السّواحل الأفريقية ومسقط للتجّار الإنجليز ، حتىٰ لاتحتكر من قبل التجّار الأمريكان وحدهم(١) .

وقد اقترح كوجان في مذكّرته عقد معاهدة دفاعية هجومية مع السيد سعيد . إلا أن بريطانيا رفضت هذا الاقتراح ، ووافقت على تعيين كوجان مندوباً عن بريطانياً للتفاوض مع السيد سعيد لعقد معاهدة تجارية فقط(٢) .

وفي ١٨ ربيع الأوّل ١٢٥٥هـ / ٣١ مايو ١٨٣٩م ، عقدت بريطانيا معاهدة تجارية مع السيد سعيد ، ووقّع عليها القائد روبرت كوجان ، والذي كان يعمل في الخدمات البحرية لشركة الهند الشرقية في زنجبار(٣) .

ونصّت أهم بنود هذه المعاهدة على أن يكون هناك حرّية في تبادل العلاقات التجارية بين الطرفين ، في الإقامة ونقل البضائع والامتيازات التجارية في البلدين ، وأن يُسمح لجميع الرّعايا البريطانيين بالبيع والشّراء ، واستئجار المنازل في ممتلكات السيد سعيد وأن يكون هناك أمن ، وعدم انتهاك لحرمات منازل ومخازن الرّعايا البريطانيين . إلا أن يكون ذلك بعلم القنصل البريطاني ، ويحق لكل منهما تعيين قنصلاً لدىٰ الآخـــــر ،

---

(١) العقاد ، صلاح ، وقاسم ، جمال زكريا ، زنجبار ، ص ٩٦ .

(٢) العقاد ، صلاح ، وقاسم ، جمال زكريا ، زنجبار ، ص ٩٧ .

(٣) Sel. R. B. G., No. XXIV, New Series, Bombay, 1856, P. 244 - 245,
Lyne, Zanzibar, P. 34 .

وحمايـة رعايا السيد سعيد ، الذين يعملـون في خدمـة الرّعايـا البريطـانيين ، كما لايحـق لسّلطـات السيـد سعيـد التدخّـل في المنازعـات والخلافات بين الرّعـايـا البـريطانيين ورعـايا الدّول الأُخرى ، ويتولّى القنصل أو وكيلـه أمر رعاية أمـلاك المتوفّين أو المفلسين من الرّعايا البريطانيين في ممتلكات السيد سعيد ، وعلى السّلطات المحلّيـة استـرداد الدّيـون المستحقة للرّعايا البريطانيين ، في حالـة عدم دفع أو مماطلة رعـايا السيد سعيد في سداد ذلك الدّين في الوقت المحدد ، وعـدم فـرض رسوم على البـريطانييـن تـزيـد عـلى ٥٪ ، وتشمـل ذلـك الاستيـراد والتصـدير والرّسوم الحكومية ، مثل نفقـات الإرشاد والرّخص التجارية ، أو غير ذلـك مـن أنــواع الرّسوم المختلفـة - ويعني ذلـك الحـرّية التامـة في الاستيـراد والتصـدير - وأن لا يكـون هنـاك احتكـار للبيـع في أراضي السيـد سعيد ، ماعدا العـاج ، والبارود ، وصمغ الكوبال ، وفي منطقـة محدودة على السـاحـل الشرقي لأفريقيـا .

وإذا حصل خلاف على قيمة البضائع المستوردة في ممتلكات السيد سعيد ، يدفع التاجر واحداً من عشرين من قيمـة البضاعة بدلاً من ٥٪ ، ولاتدفع أي رسوم على التسعة عشر جُزءاً الباقيـة .

ولايحق للتاجر البريطاني أن يعرض بضاعته للبيع قبل تثمينها ، خلال ثلاثة أيام من تاريخ وصولها ، إلاّ إذا حصل هناك اتّفاق بين المستورد ومدير الجمارك على التثمين قبل انتهاء المدة المذكورة . وفي حالة الحرب لاتنقل المواد الحربية ، بينما يُسمح للبضائع الأُخرىٰ بالمرور في ممتلكات أي من الدولتين المتعاقدتين ، ومساعدة السّفن عند تعرّضهـا لأي خطـر ، والتأكيد على منع تجارة الرّقيـق . كما جـاء في

معاهدة ١٢٣٨هـ / ١٨٢٢م وأن لايكون هناك تدخّل في الامتيازات التي يتمتّع بها رعايا السيّد سعيد ، بالنسبة للتجارة والملاحة في حكومة شركة الهند الشرقية(١) .

وفي ٢٢ ربيع الثاني ١٢٥٦هـ / ٢٢ يونيو ١٨٤٠م تم تبادل المصادقة على تلك المعاهدة في مسقط ، وقد وقّع عليها كلٍ من الكابتن صمويل هينيل Samuel Hennel المقيم البريطاني في الخليج العربي نيابةً عن الملكة فيكتوريا ملكة بريطانيا ، ومحمد بن السيد يوسف نيابةً عن السيد سعيد(٢) .

هذه المعاهدة كانت تشبه إلى حدٍ كبير المعاهدة التجارية التي عُقدت مع الولايات المتحدة الأمريكية ، ولم تختلف عنها إلا في بعض النّقاط مثل : استثناء منطقة المريمة - المحتكرة للسيد سعيد وتجارته الخاصة - من تطبيق نظام التجارة الحرّة عليها ، وإعطاء القنصل البريطاني سُلطات قضائية أوسع وأشمل ، بحيث أصبح له الحق في الفصل في القضايا ، التي تخص الرعايا البريطانيين ، ورعايا السيد سعيد في زنجبار(٣) .

وصل إلى زنجبار القائد اتكنز همرتون Atkins Humerton ، في شهر جماد الثاني

---

(١) ولمزيد من التفصيل عن هذه المعاهدة ، أنظر : القاسمي ، سلطان ، تقسيم الامبراطورية العمانية ، ص ٤٥ - ٤٩ ، ملحق رقم « ٦ » ، ٣٢٩ - ٣٣٦ ، زلوم ، عبدالقادر ، عُمان والإمارات السبّع ، بيروت ، ص ١٠٥ - ١١٢ ، ١٣٣٨هـ/ ١٩٦٣م .

(٢) Sel. R. B. G., No. XXIV, New Series, Bombay, 1856, P. 250,
Lyne, Zanzibar, P. 34.

(٣) العقاد ، صلاح ، وقاسم ، جمال زكريا ، زنجبار ، ص ٩٧ .

١٢٥٧هـ/أغسطس ١٨٤١م ، وكيلاً لشركة الهند الشرقية البريطانية ، وفي ٢٥ شوال ١٢٥٧هـ/ ٩ ديسمبر ١٨٤١م ، أُسند إليه منصب القنصل البريطاني بجانب عمله في الشركة(١) .

وقد استطاع همرتون الذي شغل هذا المنصب في زنجبار لمدة ستة عشر عاماً ، من ١٢٥٦هـ - ١٢٧٣هـ / ١٨٤٠م - ١٨٥٧م ، حتّىٰ وفاته أي بعد وفاة السيد سعيد بعام واحد - أن يستحوذ على ثقة وإعجاب السيد سعيد ، الذي كان يستشيره في جميع الشئون الهامة ، وإن أصاب هذه العلاقة شيء من التوتّر في بعض الفترات .

وقد بلغت ثقته به درجة أنه كان يطلب منه الإشراف على الحُكم في زنجبار مع ابنه خالد ، عندما كان يذهب إلى عُمان ، لتفقّد شئون ممتلكاته هُناك(٢) .

أما عن المبادلات التجارية بين البلدين فقد كان الإنجليز يصدّرون إلى زنجبار بعض المواد الرئيسية المطلوبة في المنطقة . مثل : المصنوعات الزّجاجية ، الأدوات المعدنية المتنوّعة ، والأقمشة القطنية والحريرية والصّوفية ، والأدوات النّحاسية ، والأسلاك المعدنية والحديدية ، وبعض أنواع الخرز ، والأسلحة والبارود . وبلغ المعدّل السّنوي من الأسلحة حوال ١٠٠٠ مسدس ، و ٢٠٠٠ برميل من البارود ، إذ كان يُعتبر ذلك من الواردات الرئيسية في زنجبار ، لتفضيل السّكان في هذه المنطقة الأسلحة الإنجليزية عن غيرها من الأسلحة .

---

(١) القاسمي ، سلطان ، تقسيم الامبراطورية العمانية ، ص ٤٩ ، Lyne, Zanzibar, P.34.

(٢) العقاد ، صلاح ، وقاسم ، جمال زكريا ، زنجبار ، ص ٦٨ - ٦٩ ، أبوياسين ، سمير محمد على ، العلاقات العُمانية البريطانية ١٧٩٨ - ١٨٥٦م ، ص ١٩٣ ، البصرة ، ١٩٨١م .

كما اشتهروا بتصدير الخرز الملوّن للزّينة ، وكان يُطلق عليه «الخرز الفينيسي»(*) ، إلا أن محاولاتهم لبيع الأقمشة لم تكن ناجحة ، لاحتكار الأمريكان والهنود هذه التجارة ، إذ كان لدىٰ التجار الهنود من الناحية المادية المقدرة بأن يقبلوا فائدة أقل مما تقبله الشركات الإنجليزية ، وعلى سبيل المثال : نجد أن كثيراً من القماش الذي كان يبيعه التجار الهنود في زنجبار ، أصله من انجلترا(١) .

ووصلت التجارة البريطانية مع زنجبار الذروة فيما بين عامي ١٢٦٢هـ - ١٢٦٣هـ / ١٨٤٦م - ١٨٤٧م ، إذ بلغ معدّل المبيعات ٢١٤،٠٠٠ دولاراً(٢) .

ومن المواد الرئيسية التي كان يجلبها التجار الإنجليز من زنجبار ، زيت النارجيل ، الذي كانوا يشترون الطّن منه بمبلغ ٦٤ دولاراً ، ثم يبيعونه في لندن بمبلغ ٢٢٠ دولاراً للطّن الواحد ، وكانوا يشترون أيضاً ظهور السلاحف من ١٠٠٠ إلى ١٢٠٠ رطلاً سنوياً ، هذا بجانب المنتجات السواحلية مثل العاج والصّمغ والقرنفل ، وكمّيات محدودة من السّمسم ، والشّمع وغير ذلك من المنتجات السّواحلية الأُخرى(٣) .

ولقد وصلت هذه التجارة إلى نهايتها بعد عام ١٢٦٤هـ/١٨٤٨م ، وبالرّغم من أنه لم يسجّل زيارات لسُفن التجّار الإنجليز لميناء زنجبار حتىٰ عام ١٢٧١هـ/١٨٥٥م ، إلا أنه قامت سفينتان بزيارة هذا الميناء لأغراض تجارية ، وكانتا محمّلتين حمولة إجمالية قدرها ٤٠٩طن ، وفي السّنة التالية قامت سفينتان ثانيتان بالتجارة في زنجبار ، وقد وصل

(*)يسمىٰ الفينيسي نسبة إلى فينيسيا أي البندقية ، إذ إن مصدره الأصلي كان إيطاليا .

(١) Nicholls , C. , S. , The Swahili Coast , P. 336 .

(٢) Nicholls , C. , S. , The Swahili Coast , P. 337 .

(٣) Nicholls , C. , S. , The Swahili Coast , P. 336 .

عدد السّفن إلى ثلاث في عام ١٢٧٣هـ / ١٨٥٧م . وأن سبب فشل مشروع التجارة الإنجليزية مع زنجبار من الصّعب تقديره ، وذلك يعود إلى تباين التأثير السياسي الإنجليزي . وأكثر العوامل أهمية في هذا الفشل هو تدخّل التجّار الهنود ، الذين جلبوا البضاعة الإنجليزية إلى السّاحل عبر الهند(١) .

وهناك عامل آخر يمكن أن يكون سبباً من أسباب فشل التجارة الإنجليزية ، وهو تقصير القنصل الإنجليزي في تقديم المساعدة ، أو تشجيع الشركات الإنجليزية التي لديها المقدرة على التجارة في أفريقيا ، وذلك لعدم مبالاة القنصل الإنجليزي اتكنر همرتون بالنواحي التجارية ، أُسوةً بغيره من القناصل في زنجبار إذ كان اهتمامه الأكثر مُنصّباً على النّواحي السياسية ، فهو لم يقدم للحكومة البريطانية تقارير تفصيلية عن الحالة التجارية والاقتصادية في زنجبار ، واكتفىٰ فقط بإرسال تقرير واحد في عام ١٨٤٨م(٢) ، بيّن فيه قيمة مبيعات بريطانيا ، التي كانت تعادل ٥٠٢،٢٠٥ دولاراً تقريباً ، ومشترياتها التي كانت تعادل ٥٤٤،٠٩٥ دولاراً تقريباً(٣) .

علاقات زنجبار مع فرنسا :

عندما انتهى النُّفوذ الفرنسي في المحيط الهندي ووضعت بريطانيا يدها على جميع مستعمرات فرنسا في هذه المنطقة ، خلال الحروب النّابليونية في القرن الثامن عشر ، نشأت بعد ذلك علاقات جديدة ، عقدت خلالها معاهدة صلح بين البلدين رد الإنجليز بموجبها

---

(١) Nicholls , C. S. , The Swahili Coast , P. 337 .

(٢) Nicholls , C. S. , The Swahili Coast , , P. 338 .

(٣) F. O. 54/12 , No. 4 , from Hamerton to F. O. , dated 14/2/1848 .

جزيرة رينون لفرنسا في عام ١٢٣٣هـ / ١٨١٧م ، ومن هنا بدأ الفرنسيون يتاجرون مع العرب في شرق أفريقيا وعُمان(١) .

وفي هذه الجزيرة تم جلب الرّقيق للعمل في المزارع الفرنسية ، وشراء العاج والصّمغ لتصديره فيما بعد إلى فرنسا(٢) .

وقد مرّت العلاقة بين فرنسا وحُكومة السيد سعيد بمرحلتين :

المرحلة الأُولىٰ : تبدأ عندما أخذ الفرنسيون جزيرة رينون من بريطانيا ، وفي عام ١٢٣٨هـ / ١٨٢٢ م وقّعت فرنسا مع عُمان اتّفاقية تنص على حُرّية الملاحة العربية في موانىء جزيرة رينون ، كما تمنح التجّار العرب امتيازات جمركية كبيرة تساوي بينهم وبين التجار الفرنسيين(٣) . بل ويدفع التجار العرب نصف الرسوم التي يدفعها الفرنسيون ، إذا كانوا يجلبون خيولاً(٤) .

أما المرحلة الثانية : فقد ازداد فيها النفوذ الاستعماري الفرنسي ازدياداً ملحوظاً ، أثّر على علاقة السيد سعيد وحُكومته في زنجبار مع فرنسا(٥) .
هذه العلاقة بين الطرفين لم تلبث أن أصابها شيء من التغيير بعد أن ، عقد السيد سعيد

---

(١) Coupland , East Africa , P. 241 .

(٢) العقاد ، صلاح ، وقاسم ، جمال زكريا ، زنجبار ، ص ١٠٥ .

(٣) Milles , S. B. , Countries and Tribes of the Persian Gulf , Vol. II , P. 134 , London , 1966 ,
العقاد ، صلاح ، وقاسم ، جمال زكريا ، زنجبار ، ص ١٠٥ .

(٤) العقاد ، صلاح ، وقاسم ، جمال زكريا ، زنجبار ، ص ١٠٥ - ١٠٦ .

(٥) العقاد ، صلاح ، وقاسم ، جمال زكريا ، زنجبار ، ص ١٠٥ .

معاهداته التجارية مع كلٍ من الولايات المتّحدة الأمريكية عام ١٢٤٨هـ/١٨٣٣م ، وبريطانيا عام ١٢٥٤هـ/١٨٣٩م ، لأن فرنسا كانت حريصة على مصالحها التجارية ، التي قد تتعرّض للخطر ، نتيجة لتلك المعاهدات ، مالم تحصل على نفس الامتيازات التي نالتها كل من الولايات المتّحدة الأمريكية وبريطانيا(١) . أما من ناحية السيد سعيد فقد كان قلقاً من النّشاط الفرنسي في مدغشقر وجزيرة نوسيبي ، لأن ذلك يُعتبر تهديداً لمصالحه الحيوية في شرق أفريقيا . لهذا فكّر في عقد معاهدة صداقة وتجارة مع فرنسا ، حتىٰ يضمن ازدهار العلاقات بين سلطنته والحكومة الفرنسية(٢) .

وفي التاسع من نوفمبر وصلت ميناء زنجبار ثلاث سفن فرنسية هي : بوران كورفيت Bueran Corvette ، وكروكودايل Corocodile ، وكوليوبريك Colubrec ، تحت قيادة السيد دي فوسيه Des Fasses ، ومعه صلاحيات مطلقة وتامة من ملك فرنسا لويس فيليب ، لعقد معاهدة صداقة وتجارة مع السيد سعيد . وعلى هذا الأساس تم الاتّفاق بين الطّرفين على عقد معاهدة الصداقة والتجارة في ٧ ذو القعدة ١٢٦٠هـ / ١٧ نوفمبر ١٨٤٤م(٣) .

---

(١) Milles , <u>Countries and Tribes of The Persian Gulf</u> , P. 341 .

(٢) قاسم ، جمال زكريا ، عُمان في شرق أفريقية ، ص ص ١٢٧ - ١٢٨ .

(٣) المغيري ، جهينة الأخبار ، ص ٢٥٩ ، قاسم ، جمال زكريا ، عُمان في شرق أفريقية ، ص ١١٣-١١٤ ، القاسمي ، سلطان ، تقسيم الامبراطورية العمانية ، ص ص ٥٤ - ٥٥ ، جيان ، وثائق تاريخية وجغرافية وتجارية ، ص ٢١٣ ،

Milles , Countries and Tribes of The Persian Gulf , P. 345 , Lyne , Zanzibar , P. 35 ,

F.O. 403/457 . Note on The Zanzibar Treaties , Enclosure . 3 in No. 14 , P. 30 .

وللتفصيل الكامل عن هذه المعاهدة أنظر سلطان القاسمي : ملحق رقم ٧ ، ص ص ٣٤٠ - ٣٤٦ .

وفي نفس اليـوم تم تعيين بروكونت F. P. Broquant ، قنصلاً لفرنسا في زنجبار(١) . وهذه الاتّفاقية تشابه في معظم بنودها الاتّفاقيات السابقة التي عقدها السيد سعيد مع الولايات المتّحدة الأمريكية وإنجلترا ، ولاتختلف إلا في بندين هما البند الرّابع : الذي ينص على أن يتمتّع رعايا السّلطان الذين يعملون في خدمة الفرنسيين ، بنفس الحقوق والحماية ، التي يحصل عليهـا الفرنسيون أنفسهم ، لهذا أخذ كثير من رعايا السيد سعيد العـرب يستحصلوا لسفنهم على الجنسية الفرنسيـة ، حتىٰ لايتعرّضوا للتفتيش من قِبل السّفن البريطانية ، وقد قُدّر عدد هذه السّفن بنحو ٧٠ سفينة في عام ١٢٩٠هـ / ١٨٧٣م (٢) .

والبنـد الثاني هـو مانصّت عليه المادة رقم ١٧ ، على أنه يحق للفـرنسيين إنشـاء مستودعات ومخازن للتموين - من أي نوع - في زنجبار ، أو أي مكان آخـر في أنحاء أملاك السيد سعيد . وقد عبّـر أبردين Aberdeen وزير الخارجية البريطانية عن مخاوفه للسيد سعيد ، من أن يفهم من كلمة مستودعات أو مخازن على أنها مؤسسات حربية . لذلك طلب من السيد سعيد أن يضيف إلى ذلك البند تحديد معنىٰ المستودعات بدقّة وتفصيل ، أو أن يجعل لبريطانيا الحق في إنشاء مستودعات مثلها . ثم طلب أبرديـن

---

(١) القاسمي ، سلطان ، تقسيم الامبراطورية العمانية ، ص ٥٥ ،

Sel . R. B. G, No. XXIV, New series , P. 215 ,

Milles, Countries and Tribes of The Persian Gulf , P. 345 ,

Bennett, N. R., "France and Zanzibar", The international Journal of African Historical studies , Vol . IV . P. 602 , Salem , 1973 .

(٢) العقاد ، صلاح ، وقاسم ، جمال زكريا ، زنجبار ، ص ١١٣٠ ،

Sel. R. B. G. No. XXIV , New series , P. 266 .

في نفس الوقت من جيزو Guizo رئيس وزراء فرنسا تفسيراً لهذه المادة . وقد جاء رد جيزو بأن بلاده لاتنوي تنفيذ هذه المادة ، أو العمل بها لإنشاء مستودعات حربية في أملاك السيد سعيد(١) .

وقد تأسست بعض الشركات التجارية الفرنسية في الشرق الأفريقي ، خاصةً في مدينة مرسيليا Marseilles ، أهمها شركة فيدال بروس Vidal Bros ، وشركة رابد بروس Rabaud Bros(٢) ، ولقد كان لها بين الشركتين نشاط تجاري واسع في شرق أفريقيا ، ففي عام ١٢٦٧ - ١٢٦٨هـ / ١٨٥٠ - ١٨٥١م وجّهت تلك الشركتان عدّة سُفن إلى زنجبار ، وأسّستا بعض المصانع ، كما كانتا تتحكّمان برؤوس أموال كبيرة استغلّتاها في التّجارة في هذه المنطقة ، ولتوسيع التجارة الفرنسية ، أُنشئت شركة ريجز بروس Regis Bros في عام ١٢٧٠هـ/١٨٥٤م ، وتلك الشّركات أرسلت مندوبين لها في لامو Lamu(٣) .

وفي عام ١٢٦٦هـ / ١٨٤٩م أرسل السيد سعيد إلى مرسيليا السفينة كارولين Caroline الخاصة به ، والتي كانت تقل حجاج بن درويش بن محمد ، المبعوث الرّسمي في زنجبار ، وقد حمّله السيد سعيد بالهدايا للرئيس الفرنسي . ونجد أن السبب الحقيقي لهذه الرّحلة أو الزّيارة هو حمل المنتجات التجارية من زنجبار ، خاصة القرنفل . ومعرفة كيفية الحصول على أرباح المراكز التجارية الفرنسية . فرحّب تجّار

---

(١) العقاد ، صلاح ، وقاسم ، جمال زكريا ، زنجبار ، ص ١١٣ .

Nicholls , The Swahili Coast , P. 39 ,

Milles , Countries and Tribes , P. 152 .

(٢) Coupland , East Africa , P. 425 .

(٣) Nichols , The Swahili Coast , PP. 339 - 340 .

مرسيليا بحماس بالسّفينة كارولين وحجاج بن درويش ، واعتبروا هذه الزّيارة بداية العلاقات التجارية بين مينائهم وممتلكات السيد سعيد .

وتعهّدت الغرفة التجارية في مرسيليا بوضع ترتيبات لبيع المنتجات الزنجبارية ، وشراء بضائع لتمويل السّفينة كارولين لعودتها إلى زنجبار ، حتىٰ تضمن عدم تعرّض التجار العرب للغش ولتسهيل الأمور لهم ، وقد استطاعت الغرفة التجارية الفرنسية بيع البضائع ، التي كانت تحملها السّفينة كارولين بأسعار مرتفعة بلغت قيمتها ٣٩٨،٧٤٥،٥٢ فرنك(١) .

ثم حصلت بعض المشاكل الإدارية للحكومة الفرنسية ، إذ طالبت السّفينة كارولين بمبدأ المعاملة بالمثل لتجارة سلطنة زنجبار في الموانىء الفرنسية ، حسب الاتّفاقية المبرمة بين السيد سعيد والحكومة الفرنسية - ومن المتعارف عليه بين الدّول الكُبرىٰ ، أنها حين تعقد معاهدات مع دول صغيرة ، لاتطبّق البنود التي تضرّ بمصالحها مثل مراسلات الشريف حسين إلى مكماهون - ولكن المبعوث الزنجباري رفض ، وحاول عدم دفع الرّسوم الجمركية ، التي تُدفع عادةً على البضائع الأجنبية . ولأن الحكومة الفرنسية كانت ترغب باستمرار العلاقة التجارية بين فرنسا وشرق أفريقيا ، لذا وافقت أخيراً على معاملة السّفينة كارولين معاملة السّفن الفرنسية ، وأن يدفع فقط عمولة ٥٪ على الواردات . إلا إن السيد سعيد لم يستطع الاستمرار في إرسال سفنه للتجارة إلى تلك الدّول البعيدة ، لأن ملاحي مسقط في تلك الفترة لم تكن عندهم الخبرة الكافية للملاحة في جميع أنحاء العالم(٢) .

---

(١) Bennett , N. R. , " France and Zanzibar " , The international Journal of African Historical studies , PP. 622 - 623 .

(٢) الطرازوني ، محمد ، الإسلام في تنزانيا ، ص ١١٧ ، ١٩٨٢م ، العقاد ، صلاح وقاسم ، جمال زكريا ، زنجبـــار ، ص ٧٤ - ٧٥ ،

Bennett , N. R. , " France and Zanzibar " , The international Journal of African Historical studies , P. 623

ثم عادت السفينة كارولين إلى زنجبار في الخامس عشر من شهر أغسطس عام ١٢٦٥هـ/١٨٤٩م(١) .

وقد كان هناك تطوّر كبير وهام في التجارة الفرنسية مع السّاحل السواحلي لشرق أفريقيا في عام ١٢٦٦هـ / ١٨٥٠م ، وفي عام ١٢٧١هـ / ١٨٥٥م دخلت زنجبار ١٣ سفينة فرنسية ، بلغت حمولتها ٥٥٢٣ طن ، وفي عام ١٢٧٣هـ / ١٨٥٦م بلغ عدد السفن مابين ٢٢ إلى ٢٣ سفينة ، بحمولة تتراوح مابين ٩٥٨٤ إلى ١٠٠٧٩ طناً .

وقد ركّز التجار الفرنسيون على أن يجلبوا لزنجبار بضائع متنوّعة ، مثل الأدوات المنزلية ، وأدوات الزّينة كالمرايا والتّحف ، بالإضافة إلى المواد الغذائية ، وبعض الأسلحة النّارية الصّغيرة ، وقد باع التجار الفرنسون في عام ١٢٧٣هـ/١٨٥٦م في زنجبار مايقارب من ٣٠٠٠ مسدس ، وبعض الأقمشة والسّبح ، والمرايا ، والسّاعات ، وزيت الزّيتون ، والدّقيق ، والسّكر ، وبعض العطور(٢) .

وفي عام ١٢٧٣هـ / ١٨٥٦م بلغت القيمة الإجمالية للمبيعات الفرنسية في زنجبار مايقارب من ٤٥٤٦٨ دولاراً ، وبعد ثلاث سنوات ارتفعت إلى ١١٦٤٥١ دولاراً ، إضافةً إلى أنه خلال السّنتين الأخيرتين قدّم الفرنسيون في العملة المسكوكة ماقيمته ٣٧٠٣٧ دولاراً في العام الأول و ٤٠٠٠٠ دولاراً في العام الثاني(٣) .

---

(١) Bennett , " France and Zanzibar " , The international Journal of African Historical studies , P. 623 .

(٢) Nicholls , The Swahili Coast , PP. 340 - 341 .

(٣) Nicholls , The Swahili Coast , P. 341 .

بينما نجد أن التجار الفرنسيين في عام ١٢٧٣هـ / ١٨٥٦م اشتروا من زنجبار ماقيمته ٥٠٣٤٦٩ دولاراً ، وفي عام ١٢٧٥هـ / ١٨٥٩م بلغت مشترياتهم مبلغ ٢٤٧٥٠٠ دولاراً(١)

وأهم السّلع التي كان يشتريها الفرنسيون من زنجبار السّمسم ، ولُب جوز الهند المجفف لاستخراج زيوته . إذ كانت فرنسا أكثر الدّول الأجنبية استيراداً لهذا النّوع من المنتجات الزّنجبارية ، بينما كانت أقل الدّول استيراداً للعاج وصمغ الكوبال(٢) .

ولقد واجهت التجارة الفرنسية مصاعب كثيرة في البداية في تبادلاتها التجارية مع زنجبار ، فالتجّار الفرنسيون لم يقدّموا الصّنف أو النّوع المطلوب من القماش للعامّة من سكّان شرق أفريقيا ، وحتّىٰ أسلحتهم النّارية الصّغيرة كانت ذات تصاميم مختلفة عن الأسلحة ، التي كان يزوّدهم بها الإنجليز ، بالإضافة إلى أنها لم تكن متداولة بين النّاس ، وذات سعر مرتفع(٣) .

---

(١) Burton , R. F. , Zanzibar , Vol . I , P. 320 .

(٢) Nicholls , The Swahili Coast , P. 342 .

(٣) Nicholls , The Swahili Coast , P. 340 .

علاقة زنجبار مع ألمانيـــا :

كانت العلاقة بين الألمان وشرق أفريقيا علاقة حديثة ، مثلها مع فرنسا ، إذ نشأت في وقت كانت فيه العلاقة الاقتصادية الأمريكية والإنجليزية ذات جذور عميقة ونفوذ كبير في المنطقة .

وقدم التجّار الألمان إلى شرق أفريقيا للبحث عن الصّدف بصفةٍ خاصة ، ولممارسة التجارة بصفة عامة ، وكان الصّدف يُستعمل كعملة بين شعوب غرب أفريقيا(١) .

ففي عام ١٢٦٠هـ / ١٨٤٤م رست إحدىٰ السّفن الألمانية التّابعة لشركة هرتز Hertz من مدينة همبورج Hamburg ، بحثاً عن الصّدف في ميناء زنجبار ، والذي وجدت كمّيات كافية للتجارة به .

وفي العام نفسـه وصـل إلى ميـناء زنجبـار سفينـة أُخرىٰ قادمـة من مدينـة همبـورج وتابعـة لشركة أوزوولد O'Swald . ونتيجـة لهـذه الزّيارات وماحملتـه من أخبار عن التجارة في هذه المنطقة أرسلت ألمانيا في عام ١٢٦٣هـ / ١٨٤٧م سفينة أُخرىٰ للتجارة في هذه المنطقة(٢) ثم أنشأت شركـة أوزوولد وكالـة لها في زنجبار في رجب ١٢٦٥هـ / يونيو ١٨٤٩م ، وعيّنت شميسير Schmeisser وكيلاً لها ، حتى يتم تبادل البضائع التجارية بين ألمانيا وشرق أفريقيا ، بما فيها تجارة المنسوجات الصّوفية(٣) .

---

(١) Nicholls , The Swahili Coast , P. 342 .

(٢) Nicholls , The Swahili Coast , P. 342 .

(٣) عبدربه ، سعد زغلول ، " العرب والأفريقيون في مواجهة الاستعمارالألماني في شرق أفريقيا " العلاقات العربية الأفريقيـة ، ص ١٤٣ ، القاهرة ، ١٩٧٧م ، هولنجز وورث ، زنجبـار ، ص ٧ ،

Nicholls , The Swahili Coast , P. 342 .

وقد كان للتجار الألمان خبرة واسعة في تجارة الصّوف ، بالإضافة إلى بقية المواد الأُخرىٰ التي كانت موجودة في السهول السّاحلية .

وفي عام ١٢٧٢هـ/١٨٥٤م دخلت شركة ألمانية ثالثة ميدان التجارة في زنجبار ، وهي شركة هانزنج Hansing في همبورج أيضاً ، وقد بلغ مجموع المشتريات في زنجبار في عام ١٢٧٤هـ/١٨٥٦م مايزيد على ١٢٨٧١٢ دولاراً ، ووصل ميناء زنجبار مابين ٢٠ إلى ٢١ سفينة ألمانية ، تحمل مايقرُب من ٥٦٢٩ إلى ٦٠٣٨ طناً(١) . حيث أصبحت ألمانيا تحتل المركز الرّابع في التجارة الخارجية مع زنجبار .

ولازدياد النشاط التجاري بين ألمانيا وزنجبار ، عُقدت معاهدة تجارة وصداقة بين زنجبار وجمهوريات البلطيق(*) الألمانية في ١٣ ذو القعدة ١٢٧٥هـ / ١٣ يونية ١٨٥٩م(٢) . كانت تشبه إلى حد كبير المعاهدتين التجاريتين الإنجليزية والفرنسية .

ولأن النشاط الإقتصادي والاستعماري للألمان في شرق أفريقيا كان محدوداً في المناطق السّاحلية ، فقد قام المنصرون الألمان ، ورجال البعثات الدينية التنصيرية بمهمة البحث عن الاستثمار الاقتصادي في المناطق الداخلية في شرق أفريقيا ، وكان الدكتور كرابف Krapf ، أول المنصرين الألمان ، الذين وصلوا هذه المنطقة في عام ١٢٦٠هـ / ١٨٤٤م ، ثم أتىٰ بعده ريبمان J. Rebman . وكان للمعلومات التي توصّلا إليها عن هذه المنطقة أثرها الكبير في الامتداد الاستعماري فيما بعد(٣) . إذ بدأ رجال الكشف الألمان والمنصرون العمل على تنمية

---

(١) Nicholls , The Swahili Coast , P. 343 .

(*) يُطلق عليها أيضاً جمهوريات الهانزا Hansa ، وهي تقع شمال ألمانيا .

(٢) F. O. 303 / 457 , Note on The Zanzibar Treaties , No. 4 , P. 30 .

(٣) عبدربّه ، سعد زغلول ، " العرب والأفريقيون في مواجهة الاستعمار الألماني في شرق أفريقيا " ، العلاقات العربية الأفريقية ، ص١٤٣ - ١٤٤ .

التجارة فيما بين الساحل ومنطقة بحيرة تنجانيقا ، ووجد هؤلاء تشجيعاً كبيراً من القنصل الألماني في زنجبار رولفس Rholfs ، وازداد اهتمام ألمانيا في المنطقة بعد تأسيس شركة الاستعمار الألماني Kolonial Gesellsctaft Die Deutsche في ٩ ربيع الأول ١٢٦٠هـ / ٢٨ مارس ١٨٤٤م(١) .

وفي ٤ نوفمبر من نفس العام ، وصل مندوبين عن الشركة الألمانية الاستعمارية برئاسة بفايل Pfeil وعدد من الأعضاء الألمان ، منهم الدّكتور كارل بيترس Karl Peters ، واستطاعت هذه البعثة برئاسة كارل بيترس عقد اثنتى عشرة معاهدة صداقة مع بعض الزّعماء الأفارقة وافقوا فيها على وضع مناطقهم تحت السّيطرة والحماية الألمانية(٢) .

احتج السلطان برغش - الذي تولّىٰ الحُكم بعد وفاة السيد سعيد - على ذلك ؛ لأن معظم هذه المناطق تابعة لحكومة زنجبار ، فطلب المساعدة والعون من صديقته بريطانيا ، لكن الإنجليز خيّبوا آماله ، وفضّلوا مساعدة ألمانيا في توسّعها الاستعماري في شرق أفريقيا حتى يضمنوا صداقتها .

وتحت هذه الضّغوط الاستعمارية وبناءً على طلب بريطانيا ، وافق السّلطان برغش على فرض الحماية الألمانية على المناطق السابقة الذّكر ، وتوقيع معاهدة في ١٤ ربيع الأول ١٣٠٣هـ/٢٠ ديسمبر عام ١٨٨٥م لتنظيم التجارة بين بلاده وبين المناطق التي ضمتها ألمانيا حديثاً . وبموجب تلك المعاهدة حصلت ألمانيا على مزايا اقتصادية وعسكرية كبيرة ، منها

---

(١) محمد ، محمد سيد ، " سلطنة زنجبار الإسلامية " ، مجلة جامعة الملك عبدالعزيز ، ص ٧٥ ،

Lyne, Zanzibar, P. 131.

(٢) محمد ، محمد سيد ، " سلطنة زنجبار الإسلامية " ، مجلة جامعة الملك عبدالعزيز ، ص ٧٥ ،

Oliver, R., The Missionary Factor In East Africa, P. 19, Washington, 1957.

استمـرار الرّسـوم الجمركيـة على الـواردات بعمولـة لاتزيد على ٥٪ ، وحرية تجارة المرور من ميناء إلى آخر ، ووضع أحد الموانىء تحـت الإدارة الألمانيـة ، على أن يكون للسلطان السّيادة الاسمية عليه ، وأن لايكون للسلطان الحق في فرض ضرائب جديدة على السّاحل(١) .

ثم تغير اسم شركة الاستعمار الألماني إلى شركة شرق أفريقيا الألمانية في ٨ جماد الأول ١٣٠٢هـ / ٢٢ فبراير ١٨٨٥م ، برئاسة كارل بيترس وشركاه(٢) . فأصبح للشركة الجديدة الحق في إنشاء المحطّات التجارية ، وتبادل البضائع الأُوروبية والأفريقية في منطقة تنجانيقا ، وتأسست عشر محطّات زراعية وتجارية فيما بين عامي ١٣٠٢هـ و ١٣٠٤هـ / ١٨٨٥م - ١٨٨٧م وقد كلفت هذه المحطّات الشركة مبالغ طائلة ، إذ حاولت استغلال المنتجات الوطنية لقلة تكاليفها ، ولكنها لم تستطع منافسة التجار الهنود ، الذين كان لنفوذهم جذور عميقة في المنطقة(٣) .

وحتى يتم للشركة التحكّم في الموارد الاقتصادية ، طلبت من السّلطان أن يسمح لها بإدارة الشريط الساحلي القريب من أراضيها ، وذلك عن طريق التأجير الجمركي لدار السّلام وباجامويو من قبل الشركة الألمانية ، وقام كارل بيترس بالتباحث مع السّلطان بهذا الموضوع ، وقد وافق السّلطان مرغماً على تأجير الشريط السّاحلي المواجه للمنطقة الساحلية لمدّة خمسين عاماً من ١٧ شعبان ١٣٠٥هـ الموافق ٢٨ إبريل ١٨٨٨م .

---

(١) عبدربّه ، سعد زغلول ، " العرب والأفريقيون " ، العلاقات العربية الأفريقية ، ص ١٤٥ ، ستودارد ، لوثروب ، حاضر العالم الإسلامي ، ص ٧١ ، تعليق الأمير شكيب أرسلان ، ترجمة عجاج نويهض ، القاهرة ، ١٣٤٣هـ ، ١٩٢٤م .

(٢) محمد ، محمد سيد ، " سلطنة زنجبار الإسلامية " ، مجلـة جامعـة الملك عبدالعزيـز ، ص ١٤٦ .

(٣) عبدربه ، سعد زغلول ، " العرب والأفريقيون " ، العلاقات العربية الأفريقية ، ص١٤٥-١٤٦ .

وقد عقدت اتّفاقية مكمّلة لهذا المشروع بين الطّرفين في ٢٢ جماد الأول ١٣٠٧هـ / ١٣ ينايـــر ١٨٩٠م ، دفعـت بموجبهـا الشـركة للسلطـان مبلغ مـائتي ألف جنيه استرليني(١) . فأصبحت ألمانيا تتحكّم في عدّة موانىء مهمّـة من بينها دار السّلام وباجامويو ، التي كانت المركز الرّئيسي للقوافل التجارية الدّاخليـة(٢) . وأخذ الألمان يعزلون المواطنين العرب والهنود ، ويشغلون مختلـف الوظائف في الإدارة الجديدة ، واستولت الشركة على إدارة الجمـــارك ، وفرضوا ضرائب جديدة ، بالإضافة إلى رفع رسوم الاستيراد ، ولم يحترموا المشاعر الإنسانية للسكّان كالمعتقدات والعادات والتّقاليـد .

وتبعاً لذلك ساءت أحوال العرب والهنود والسكّان الأفارقة إذ فقدوا أرباحهم التي كانوا يحصلون عليها من التجارة(٣) ، بعد أن تعرّضت مزارعهم مثل قصب السّكّر والقرنفل للجفاف والهلاك ، لعدم توفّر الأيدي العاملة من الوطنيين بسبب ، زيادة الضرائب على الطّرفين ، ومنافسة التجّار الألمان للتجّار الهنود ، بالإضافة إلى أن الوطنيين المقيمين بالقرب من الساحل فقدوا كذلك الأرباح التي كانوا يحصلون عليها من مرور القوافل التجارية بمناطقهم ، لذلك يمكن القول بأن نشاط الشركة أثر على المصالح الاقتصادية لهذه المجموعات الثلاث من عرب وهنود وأفارقة تأثيراً سيّئاً(٤) .

---

(١) عبدربّه ، سعد زغلول ، " العرب والأفريقيون " ، العلاقات العربية الأفريقية ، ص ١٤٦ .

(٢) Fisher , Allan , G. B. , Slavery and Muslim Society in Africa , P. 33 , London , 1982 .

(٣) محمد ، محمد سيد ، " سلطنة زنجبار الإسلامية " ، مجلة جامعة الملك عبدالعزيز ، ص ٧٩ .

Bromage , W. H. , Atlas of African Affairs , P. 55 , New York , 1981 .

(٤) عبدربه ، سعد زغلول ، " العرب والأفريقيون " ، العلاقات العربية الأفريقية ، ص ١٤٧ .

ومن الطّبيعي أن يكون هناك رد فعل من قِبل هذه المجموعات ، إذ قام العرب والوطنيون بثورة عارمة بقيادة بشير بن سالم الحارثي - وهو زعيم وطني مسلم من سكّان بنجاني - وأمدّهم الهنود بالأموال والأسلحة والذّخائر ، وقد قامت الأساطيل الألمانية والإنجليزية بمقاومة الثورة ، وفرضت الحصار على الساحل ، وقضت على هذه المقاومة ، وأسرت بشيراً الذي أُعدم فيما بعد في ربيع الثاني ١٣٠٧هـ / ديسمبر ١٨٨٩م(١) .

وإضافةً إلى الأسباب الاقتصادية التي دفعت العرب والوطنيين والهنود للقيام بهذه الثورة ، فقد كان هناك عامل مهم جداً ، وهو الصحوة الإسلامية والجهاد في سبيل الله ، الذي تبلور في هذه الفترة ، لمواجهة الهجمة الأُوروبية النصرانية الصليبية المتمثّلة في ألمانيا وبريطانيا ، لذا فقد كانت هذه الثورة صورة للمقاومة العربية الإسلامية التي قامت لمواجهة الزّحف الاستعماري الأُوروبي على سلطنة زنجبار .

السياسة الإقتصادية التي اتبعها حكام زنجبار :

رأينا كيف أن العامل الاقتصادي كان من أقوى الدّوافع التي جعلت السيد سعيد يفضّل الإقامة في زنجبار ، كما صرّح في عدّة مناسبات بأن الثروة تهمّه كثيراً ، وأنه تاجر قبل أن يكون سلطاناً ، وكان ذلك على حساب الإزدهار السياسي والإجتماعي .

ولقد تطوّرت سياسة السيد سعيد الاقتصادية في ثلاثة اتّجاهات : الأول هو اتّخاذ إجراءات متعددة لتوسيع وزيادة حجم السّلع المتيسّرة لأغراض التجارة ، وهذه لاتشمل فقط المناطق الدّاخلية ، التي يأتيها التجار من الساحل للبحث عن العبيد والعاج والصّمغ ، ولكنه

---

(١) محمد ، محمد سيد ، " سلطنة زنجبار الإسلامية " ، مجلة جامعة الملك عبدالعزيز ، ص٧٩ ،
Bromage , W. H. , Anatias of Africa Affairs , P. 57 .
ولمزيد من المعلومات عن بشير بن سالم الحارثي والثّورة ضد الألمان ، أنظر : المغيري ، جهينة الأخبار ، ص ٣٩٧ - ٤٠٠ .

شمل أيضاً استثمار أراضي زنجبار وبمبا ، والمناطق الساحلية الخصبة في الزّراعة ، خاصةً زراعة القرنفل .

فهذه المنتجات الاقتصادية الأربعة من العاج والعبيد والصّمغ والقرنفل ، كانت تكمل بعضها البعض ، وتعتبر المورد الأساسي الأول لتجارة هذه المنطقة(١) .

والإجراء الثاني : الذي اتّبعه السيد سعيد لتطوير النواحي الاقتصادية ، هو عدم اعتماده الكلّي على الأعمال التجارية وحدها ، بل استفاد من النشاط التجاري بصورةٍ رئيسية من موردَين آخرين هما : الضرائب الجمركية والاحتكار .

فمن جهة المورد الأول نجد أن السيد سعيد قد عمل على تسهيل نظام الضرائب ، وفرض أقل المكوس الجمركية على الواردات بحيث لاتزيد على ٥٪ ، وفي نفس الوقت أعفىٰ الصادرات من الضرائب ، حتىٰ تتمشىٰ هذه الأنظمة مع خطّة إنعاش النّاحية الاقتصادية ، إذ تميزت الإدارة في شرق أفريقيا بالبساطة وعدم التعقيد(٢) .

أما عن المورد الثاني وهو احتكار تجارة العاج والصمغ ، وكلاهما سلعة أساسية يتم التعامل فيها لحساب السيد سعيد الخاص ، وكان هو المتحكّم في أسعار بيع هاتين السلعتين للأجانب في زنجبار ، إذ أغلقت المنطقة الواقعة بين كلوة وبنجاني - والتي تعرف باسم المريمة - في وجه التجارة الأجنبية(٣) .

---

(١) Berman , E. H. , " Salem and Zanzibar " , Essex Institute Historical Collections , P. 347 .

(٢) Berman , E. H. , " Salem and Zanzibar " , Essex Institute Historical Collections , P. 347 .

(٣) العقاد ، صلاح ، وقاسم ، جمال زكريا ، زنجبار ، ص ٧٦ .

Nicholls , The Swahili Coast , P. 80 .

والإجراء الثالث في سياسة السيد سعيد الاقتصادية ، هو إغراء التجّار الأجانب بالقدوم إلى زنجبار ، عن طريق مجموعة من المعاهدات والاتّفاقيات لتوطيد العلاقة بالعالم الخارجي(١) .

وساعد على التقدّم الاقتصادي في زنجبار تحكّمها بأكبر موانيء شرق أفريقيا الصالح لرسو السّفن الكبيرة لعُمق مياهه ، وموقعه الطّبيعي الآمن(٢) . وقد زود فيما بعد بفنار كبير ، يبلغ ارتفاعه مائة قدم ويُنار بالكهرباء ليلاً . ويقال إنه أكبر فنار في العالم آنذاك(٣) .

هذا وقد وصلت التجارة البحرية في زنجبار إلى موانيء الصين ، وإلى سواحل شبه الجزيرة العربية والهند(٤) .

ولقد تطوّرت وسائل النقل والمواصلات في الجزيرة العربية بشكل ملحوظ . ففي السّابق وعند قدوم السيد سعيد ، كان السّكان يستخدمون الحمير المجلوبة من البحرين ، والتي كانت قيمة الواحد منها من ٤٠٠ إلى ٦٠٠ روبية ، وذلك لنقل إنتاج المحصولات الزراعية كالقرنفل(٥) .

---

(١) Berman , E. H. , " Salem and Zanzibar " , Essex Institute Historical Collections , P. 347 .

(٢) Hunts , R. H. Gates , " Salem and Zanzibar " , Essex Institute Historical Collections , P. 13 , Gray , J. M. , The British in Mombasa : 1824 - 1826 , P. 6 , London , 1965 .

(٣) ميخائيل ، توفيق ، غرائب الأخبار ، ص ٧٢ - ٧٣ .

(٤) الفارسي ، عبدالله ، البوسعيديون ، ص ٦٥ - ٦٦ ، Lyne , Zanzibar , P. 57 .

(٥) المغيري ، جهينة الأخبار ، ص ٨٥ .

وفي عام ١٢٩٣هـ / ١٨٧٦م ، وافق السيد برغش على البدء في شق طريق ، يصل بين زنجبار وقرية شواكة الواقعة على الساحل الشرقي(١) وكان هذا العمل شاقاً ، وذلك لطبيعة الأرض الجبلية ، التي يخترقها الطريق ، وقد تمّت بنجاح : ولاتقتصر أهمية هذا الطريق على تأمين حاجة المسافرين بين المدينتين فقط ، ولكنه كان هام جداً لمحاصيل القرنفل ، والمحاصيل الزراعية الأُخرىٰ ، حتىٰ يمكن نقلها بواسطة عربات النّقل ، بدلاً من حملها على رؤوس الحمّالين ، تسهيلاً لتبادل التجارة الداخلية(٢) .

وتوسّعت التجارة في زنجبار بشكل ملحوظ في عام ١٢٨٩هـ / ١٨٧٢م ، وذلك لزيادة وسائل اتّصالها بالعالم الخارجي مثل السفن التجارية والبرق والبريد . فبدأت شركة الملاحة التجارية البريطانية في فتح خط شهري لنقل البريد من ميناء زنجبار إلى عدن ، ثم في عام ١٢٩٦هـ / ١٨٧٩م عملت شركة التلغراف الشرقية على مد سلك برقي تحت سطح البحر من عدن إلى زنجبار(٣) .

وقد قام سلطان زنجبار السيد علي بن سعيد في ربيع الأوّل ١٣٠٧هـ / أكتوبر ١٨٩٠م بالموافقة على تعميد الجنرال ماتيوس Mathues للإشـراف على الإدارة العامـة لحسابات الدّولـة ، ويساعده في ذلك مسئول عربي ، كما وافق السلطان على وضع الإشراف على الإدارة الجمركية في يد السيد هيج روبرتسون(٤) .

---

(١) F. O. 84/1454 , No. 184 , <u>From Dr. Kirk To Lord Derby</u> , Dated 13 , 12 . 1876 ,

خطاب من برغش إلى اللورد دربي F. O. 84/1454 , No. 184 , Dated 13 , 12 , 1876 .

(٢) F. O. 2/286 , No. 119 , From Hardinge to Salisbury , Dated 15 , 4 , 1900 .

(٣) هولنجز وورث ، زنجبـار ، ص ١٤ - ١٥ .

(٤) انظر الملحق رقم (١) ص ٤٢٠

F. O. 84/2149 , No. 273 , From Portal to Lord Salisbury , dated 23 , 10 , 1891 .

ويعتبر هذا التنظيم خطوة أساسية نحو تأسيس وقيام إدارة منظّمة لكل حسابات وإيرادات ومصروفات الأموال العامة وبشكلٍ دقيق ، فكل مبلغ يزيد على ٨٠ جنيهاً استرلينياً ، لايتم صرفه إلا بإذن من السلطان أو القنصل الإنجليزي العام(١) . وقد كانت هذه الإدارة موكلة - كما ذكرت سابقاً - إلى رجل هندي يتصرّف فيها كيفما يشاء ، بعد أن يدفع مبلغاً معيّناً للسّلطان في كل عام .

وبعد أن استأجرت ألمانيا الشريط الساحلي المواجه لزنجبار ، أصبحت تتحكّم في السّاحل ، وتهدد مكانة الجزيرة الإقتصادية باعتبارها مركز تجارة شرق أفريقية ، إذ كانت معظم الشركات الهندية تتخذ من زنجبار مقراً لمراكزها الرّئيسية ، وتعين لها وكالات فرعية في الموانيء والداخل ، وتمد جميع الأقسام الساحلية في شرق أفريقيا بالتجارة المجلوبة من الخارج ، وتورّد إلى زنجبار منتجات الداخل ، والتي كانت تخزّنها لبيعها إلى الخارج في الوقت المناسب .

وقد عمّ الاستياء من قِبل التجّار الزّنجباريين بعد عام ١٣٠٩هـ/١٨٩٢م ، إذ أصبحوا يدفعون الضّريبة مزدوجة ، أولا في زنجبار ، ثم في المنطقة الساحلية الألمانية ، وأخذ الموضوع جهة خطرة إذ صار التجار الهنود وغيرهم ينقلون البضائع من أُوروبا مباشرةً إلى ميناء دار السّلام دون المرور بزنجبار مما يُضعف من أهميتها الاقتصادية(٢) . لذلك اقنع بورتال(*) سلطان زنجبار على جعل ميناء زنجبار حُرّاً من أول فبرايـــر سنة ١٣٠٩هـ/١٨٩٢م

---

(١) F. O. 84/2149, No. 273, OP. Cit..

(٢) F. O. 84/2150, No. 307, From Portal to Salisbury, dated 19, 12, 1891.

(*) ضابط إنجليزي ، قام بشئون القنصلية في زنجبار في عام ١٨٨٩م ، أثناء غياب أيوان سميث القنصل البريطاني في زنجبار ، وفي عام ١٨٩١م وصل إلى زنجبار كقنصل عام ، وممثّلاً دبلوماسيّاً لبريطانيا في زنجبار ، هولنجزوورث ، زنجبـار ، ص ٦٥ .

وقد أعطىٰ ذلك التجارة دون شك دفعاً قوياً إلى الأمام ، كما أنه أحدث تنافساً شديداً بين التجّار في زنجبار(١) .

ثم جاء إلغاء الضرائب المفروضة على جميع البضائع المستوردة عدا المشروبات الكحولية ، والأسلحة والذّخيرة ، والكيروسين والزّيوت القابلة للاشتعال ، والمواد المتفجّرة بعد أن كانت خاضعة للرسوم المفروضة بموجب الاتّفاقيات المبرمة بين زنجبار والدّول الأجنبية(٢) .

ونتيجة لجعل زنجبار ميناء حراً تعرّض التجار لبعض الخسارة في الدخل العام بالمنطقة ، فضلاً عن فقدان جُزء كبير من الفوائد . إلا أنه تم تعويض هذه الخسارة عن طريق إيجاد الأرصفة ، وتخزين البضائع في مخازن الحكومة ، بينما نجد أن الواردات قد زادت بشكلٍ كبير منذ إعلان زنجبار ميناءً حراً زيادة تقارب المليون روبية(٣) .

وفي شهر ذو القعدة عام ١٣٠٩هـ / يونية ١٨٩٢م تأسست الغرفة التجارية ، وأمكن بعد ذلك الحصول على تأكيدات لتدعيم هذه الفكرة بين الشركات الكبيرة القائمة في زنجبار ، حيث اجتمعت فيما بينها ، وبعد حوار هادىء اتّخذ قرار بالإجماع يدعو إلى قيام هذه الغرفة ، وكان رئيسها الذي تم انتخابه بالاقتراع السّري ، هو ممثل الشركة الانجليزية ، شركة سميث ماكينزي Smith Mackinzi أمّا نائبه فكان رئيس بيت تجاري ألماني ،

---

(١) المغيري ، جهينة الأخبار ، ص ٣٧٤ ،
F. O. 403/172, No. 148, From Portal to Salisbury, dated 2, 7, 1892. Vide also :
F. O. 84/2150, No. 307.

(٢) F. O. 84/2150, No. 307.

(٣) انظر الملحق رقم (٢) ص ٤٢٩ F. O. 84/2232, No. 148, From Portal to Salisbury, dated 2, 7, 1892, F. O. 84/2150, No. 307.

لشركة هانسنج Hansing واختير أعضاء الغرفة من اثنين من الإنجليز ، واثنين من الألمان ، وفرنسي وأمريكي ، وأربعة هنود من ثلاث مجموعات دينية(١) . فهذا دليل واضح على ضعف الحاكم العربي والسيطرة الاستعمارية على هذه المنطقة .

ثم فُتح مكتب لتوثيق وتسجيل جميع المبيعات ، ونقل الملكيّات والرّهونات ، على أن يقوم بذلك أحد رعايا السلطان . وكانت الرّسوم المدفوعة تقدّر بـ ١٪ من المادة المراد تسجيلها ، ويصدّق على دفع الرّسوم بلصق طوابع الدّمغة ، لذا فقد تم عمل طوابع للتبادل والبيع ورهونات الأملاك ، ولاستلامها عند الدّفع(٢) .

ومن المعروف أنه لم يكن أحد من المقيمين الأجانب يدفع أي ضرائب في زنجبار ، وكانت نصف الإيرادات تقريباً تُجمع كلّها من العرب بضريبة القرنفل من زنجبار وبمبا ، التي كانت تقدّر بـ ٢٥٪ . إذ كان الرّعايا الأجانب في الجزيرة يتمتّعون بمزايا اقتصادية مُريحة ، ولايُسهمون بشيء في مصروفات الدّولة(٣) .

ولكن فرض فيما بعد على المقيمين الأجانب نوعاً من المساهمة المالية ، تمثّل في ضريبة على الواردات تقدّر بـ ٢٥٪ لانعاش الحالة الاقتصادية في منطقة زنجبار(٤) .

ثم أُعيد فيما بعد في عام ١٣١٦هـ / ١٨٩٩م فرض ضريبة أُخرىٰ قدرها ٥٪ من قيمة البيع على جميع الواردات ، عدا بعض السلع مثل العملة النّقدية ، والصمغ ، والعاج ، وعظم السّلاحف ، والمطّاط .

---

(١) F. O. 84/2232 , No. 148 , F. O. 403/172 , No. 148 .

(٢) F. O. 84/2233 , No. 194 , From Portal to Salisbury , dated 1 , 9 , 1892 .

(٣) F. O. 403/367 , No. 29 From Ali-bin Hamoud to Mr. Clarke , dated 14 , 6 , 1906 .

(٤) F. O. 107/96 , No. 281 , From Hardinge to Salisbury , dated 6 , 9 , 1898 .

وقدّر أن متوسّط الدخل السنوي من هذه الضريبة سوف يبلغ سبعة وعشرين ألف جنيه استرليني ، وهذا المبلغ سيكون عوناً لبعض الالتزامات المُثقلة للدّولة ، إلى جانب تحقيق بعض الفائض الذي قد يصل إلى ٥٠٠,٠٠٠ جنيه استرليني(١) .

ثم وضعت بعض الترتيبات والمراسلات لفرض ضريبة جديدة خاصة برسوم النّور والميناء في زنجبار ، تقدّر بـ ١٥٪ على السّفن التجارية من ١٠ رمضان ١٣١٨هـ / ٣١ ديسمبر ١٩٠٠م ، ثم بُدىء بتطبيق هذه الضريبة فيما بعد أي في عام ١٣٢٤هـ/١٩٠٦م(٢) .

---

(١) F. O. 2/188 , No. 20 , Confidential , From Hardinge to Salisbury , dated 10 , 1 , 1899 .

(٢) F. O. 403/367 , No. 24 , From F. O. to Board of Trade , dated 11 , 6 , 1906 ,

F. O. 403/368 , No. 70 , From F. O. to Mr. Cave , Dated 6 , 7 , 1906 ,
F. O. 403/368 , No. 63 , From F. O. to Mr. Cambon , dated 24 , 8 , 1906 .

النظام المالي والنقدي :

كانت التجارة من الموارد الأساسية في ساحل شرق أفريقيا منذ القدم ، وقبل قيام دولة البوسيعديين في زنجبار وشرق أفريقيا .

كان التعامل التجاري يجرى على نظام المقايضة بواسطة نبات الذرة ، الذي كان يستعمل بدلاً من العملة . ولكن البضائع ذات القيمة كانت تباع بالعملة الفضية آنذاك وهي : ريال ماريا تريزا Maria Theresa . والتي كانت تُعرف أيضاً بالكراون الألماني ، والرّيال الإسباني(*) . كما استخدم التجار العرب للمقايضة نوعاً من المكاييل يُسمىٰ ريبا أو كيبابا Kibaba(**) . كذلك استعملوا القواقع Crwries كنوع آخر من المقايضة(١) .

ولتسهيل عمليات التجارة وتبادلها ، اتّخذ السيد سعيد خطوة عظيمة إلى الأمام، لكي يضع حداً لهذه العملات التجارية المتنوّعة . فقد أدخل نظام نقدي بسيط ، أخذ يحل تدريجياً محل تلك العملات السابقة ، إذ أمر السيدسعيد أن تُسك عملة نحاسية خاصة

---

(١) Coupland , East Africa , P. 30 , Gray , John , History of Zanzibar , P. 144 ,
Siqiroon , Ebraheam , The Omani and South Arabian Muslim in East Africa , P. 143 - 144 , Riyadh , 1405 AH , 1985 ,

(*)تلك العملات : كانت قيمتها تتراوح بين ٤،٥٠ إلى ٤،٧٥ بالنسبة إلى قيمة السفرن Sovereign . وهو الجنيه الإنجليزي الذّهبي ، Coupland , East Africa , P. 403 .

(**)الريبا أو الكيبابا : هو مكيال ، يُعادل رُبع جالون إنجليزي تقريباً ، وقيمة كيبابا واحدة تعادل نصف بنس إنجليزي Gray , Jhon , History of Zanzibar , P. 144 .

به ، وذلك عندما حصل على ماقيمته خمسة آلاف دولار من العملات النُحاسية الصغيرة من الهند(١) .

وفي يوم الخميس الرّابع من شهر صفر ١٢٦٥هـ ، الموافق يناير ١٨٣٩م ، أُدخلت إلى زنجبار أوّل عُملة صغيرة ، وكانت تُسمىٰ بيسا(*) ، وفيها صورة أسدين(٢) .

وعند نهاية حُكم السيد سعيد اختفىٰ الريال الإسباني وبقي ريال ماريا تريزا كعملة متداولة كانت تسك ، وتُصنع في فيينّا Vienna عاصمة النّمسا ، ثم أصبحت هذه العملة نادرة في حين أخذت البيسا في الانتشار في جميع السّواحل في شرق أفريقيا ، حتىٰ صارت يصعب الحصول عليها ، بينما أخذ سعرها في الارتفاع(٣) .

---

(١) مصلحي ، محي الدين ، " النشاط التجاري في شرق أفريقيا في القرن التاسع عشر حتىٰ بداية السّيطرة الأُوروبية على المنطقة " ، العرب في أفريقيا ، ص ١٧٤ ، القاهرة ، ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م .

Coupland , East Africa , P. 304 .

(٢) المغيري ، جهينة الأخبار ، ص ٢٧٦ ، الفارسي ، عبدالله ، البوسعيديون ، ص ١٤٦ .

(*) البيسا : هي عُملة هندية تعادل ١ على ٤٦ من الرّوبية الهندية ، والرّوبية الهندية تعادل ١ على ١٢ من الجنيه الاسترليني . وظلّت قيمتها كالسّابق إلى أن تولّىٰ الحُكم السيد ماجد بعد وفاة السيد سعيد ، وأصدر مرسوماً ينص على أن الدولار يجب أن يساوي روبيّتين وأن كلّ روبيّة ، تساوي أو تُعادل ٦٤ بيسا . Gray , Jhon , History of Zanzibar , P. 144.

(٣) Coupland , East Afric , P. 304 .

وقد أدخل السيـد برغـش بن سعيـد عُملة نقدية من الذّهب ، نقش اسمه عليها وهي تُعادل خمس عشـرة روبيـة ، وأُخرىٰ من الفضّـة تعادل ثلاث روبيات ، كانت تسمىٰ دينـار(١) .

وفي عام ١٢٩٩هـ / ١٨٨٢م أدخل السيد برغش عُملة نُحاسية سُمّيت بيسا أيضاً طبع على أحد وجهيها عبارة « السّلطان برغش بن سعيد بن سلطان ، حفظه الله » والوجه الآخر نقش عليه ميزان(٢) . وقد استخدمت لأول مرّة عام ١٣٠٠هـ / ١٨٨٣م . ثم قام السيد برغش في عام ١٣٠٤هـ / ١٨٨٧م بإصدار عُملة نُحاسية جديدة أُخرىٰ ، طبع عليها كلمة زنجبار . ولكنها لم تُطرح للتداول إلا بعد وفاته ، أي في عهد السيد خليفة بن سعيد(*) لذلك أطلق عليها البعض بيسة السيد خليفة .

وفي عام ١٣٢٣هـ/١٩٠٦م صدر مرسوم في حكومة زنجبار بسك عُملة فضّية ، وهي الرّوبية الهندية الانجليـزية ، وتم صرفها رسمياً في زنجبار على أن يستخدم إلى جانبها البيسة بصفةٍ قانونية . التي تعادل كل ٦٤ قطعة منها روبية واحدة(٣) .

ثم صدرت فيما بعد عام ١٣٢٥هـ/١٩٠٨م عُملة حكومية ورقية ذات الفئات من ٥ روبيّات ، و ١٠ روبيات ، و ٢٠ روبية ، و ٥٠ روبية ، و ٥٠٠ روبيـة(٤) . وهذه الأنماط عُملت خصّيصاً لزنجبار ، وعليها رسم شجرة القرنفل(٥) .

---

(١) المغيري ، جهينة الأخبـار ، ص ٣٣٩ .

(٢) المغيري ، جهينة الأخبـار ، ص ٣٣٩ ، الفارسي ، عبدالله ، البوسعيديون ، ص ١٤٧ .

(*)السيد خليفة : ولد في ١٢٦٩هـ/١٨٥٢م ، حكم زنجبار بعد السيد برغش وهو الحاكم الثالث بعد السيد سعيد ، وحكم من ١٣٠٥هـ / ١٨٨٨م إلى ١٣٠٧هـ / ١٨٩٠م ، الفارسي ، البوسعيديون ، ص ٢٢ .

(٣) Annual Report, 1921, Zanzibar, P. 6.

(٤) المغيري ، جهينـة الأخبـار ، ص ٤٢٢ ، Annual Report, 1921, Zanzibar, P. 6.

(٥) المغيري ، جهينـة الأخبـار ، ص ٤٢٢ .

وظل الحال كما هو إلى أن أدخلت العملة الفضّية الإنجليزية الشلّن والبنس ، بدلاً من الرّوبية والبيسا ، وذلك في الخامس من شوّال عام ١٣٥٤هـ / الأول من يناير ١٩٣٦م ، عندما قويت شوكة الاستعمار البريطاني ، واستمرّت بيسة السيد برغش إلى جانب ذلك في التداول بشكل غير رسمي ، بعد أن تقرر سحبها من الأسواق التجارية . إلا إن المواطنين في زنجبار وشرق أفريقيا طلبوا من الحكومة أن تترك لهم استعمالها تذكاراً وإكراماً للسيد برغش ، فاستجابت الحكومة لرغبتهم(١) .

كما كانت بعض العملات الأجنبية ، تتداول في زنجبار مثل الرّوبل Rouble ، الذي كان يعادل الفرنك الفرنسي ، والرّبع Robo ، الذي هو عبارة عن قطعة فضّية تعادل رُبع دولار إسباني ، وقيمتها ٢٥ سنتاً ، والبستولين Pistoline ، التي كانت تعادل ٢٠ سنتاً . ومن الغريب ندرة السبائك الذهبية والفضّية في أرض كزنجبار بالغة الغِنىٰ والثراء ، ولعل هذا يُفسّر العادة الشرقية في دفن الكنوز(٢) .

---

(١) المغيري ، جهينة الأخبار ، ص ٣٤٧ ، الفارسي ، عبدالله ، البوسعيديون ، ص ١٤٧ - ١٤٨ .

(٢) Burton, R. F., I, Zanzibar, Vol., PP. 324 - 325.

الفصل الرابع

الصّناعة والحِرف

الصناعـــة والحِرف :

تعددت سُبل الحياة في زنجبار ، إلى جانب التجارة والزراعة ، وكانت هناك أساليب عمل متعددة أهمها : الصيـد .

ويمكـن القول في كثيرٍ من الأحيان بأن كل مولود سواحلي يعتبر صيّاداً وبحّاراً وأن المصدر الرّئيسي لغذائه السّمك(١) .

وإلى جانب صيد الأسماك واستخراج الأصداف من السّواحل السّاحلية في شرق أفريقيا ، استخرج العرب العنبر ، الذي كان يوجد بكثرة على سواحل جزيرة زنجبار ، نظراً لكثرة الحيتان في البحـر(٢) .

وعندما جابت القوافل التجاريـة العربيـة داخـل القـارة الأفريقية ، ووصلوا إلى أرض الكـونغـو ، وجدوا معادن مختلفة . مثل : الذّهب والفضّة والحديد والنّحاس والفحم .

ويتحدّث المغيري عن وجود الذّهب داخل الكونغو في مكان يُسمّىٰ وردة ، كما كان معدن الحديد يوجد في مكان يُسمّىٰ كونجو(٣) .

ويقوم الزّنجباريّون بحِرف وأعمال متنوّعة ، مثل العمل في الميناء حيث السّفن وشحنها وتفريغهـا ، وفي مزارع القرنفل ، وفي رصف الطّرق ، والخدمة في الجيش السّلطاني والبحريـة ، بالإضافة إلى الأعمال الحكومية المختلفة(٤) .

---

(١) Pearce , F. B. , Zanzibar , P. 16 .

(٢) مالكي ، سليمان عبدالغني ، سلطنة كلـــوة الإسلاميـة ، ص ٦٠ .

(٣) المغيري ، جهينة الأخبـار ، ص ٣٢٥ .

(٤) Pearce , F. B. , Zanzibar , P. 242 .

وعندما قدم العرب إلى زنجبار طوّروا بعض الصناعات المحلّية السّابقة ، مثل استخراج الزّيوت من أشجار النّخيل ، والخروع ، والنارجيل . كما قامت بعض الصناعات الجديدة كصناعة الصّابون ، الذي كانوا يصنعونه محلّياً ، من حرق سباط الموز وأوراقه ، لاستخراج مادة البوتاس ، التي تُخلط بعد ذلك بزيت النّخيل(١) .

وكان يوجد في زنجبار بعض الحرفيين كالحدّادين والخيّاطين والنجّارين والبنّائين . هذا إلى جانب صناعة الحِبال والفخار والرّماح والفؤوس(٢) .

وقد اشتهر المهاجرون السّنغاليون Cingalese الذين استقرّوا في زنجبار والهنود البانيان بصناعة وبيع المعادن الثّمينة والأحجار الكريمة مثل : الذّهب والفضّة والمجوهرات ، كذلك صناعة بعض أشكال الزّينة من ظهور السّلاحف ، وخشب الأبنوس ، والعاج(٣) .

---

(١) مرقص ، يواقيم رزق ، " الاستعمار البلجيكي " ، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم ، ص ٢٣١ .

(٢) Pearce , F. B. , Zanzibar , P. 242 .

(٣) السيدة سالمة ، مذكرات أميرة عربية ، ص٢٢٧ . Parce , F. B. , Zanzibar , PP. 257 - 258 .

البـــاب الثـــاني

النواحي الاجتماعيـــــة

الفصل الأول : عناصـر المجتمـع .

- القبائل العربية العُمانية .
- عرب حضرموت وجنوب الجزيرة .
- القبائل السواحلية .
- القمـريّـــون .
- المجموعات الأفريقية الأُخرىٰ .
- الهنـــود .
- الرّوابط الاجتماعية ومدىٰ الانصهار والاندماج بين العناصر المختلفة .

الفصل الثاني : مظاهـر الحيـاة الإجتماعيـة .

- مستوىٰ المعيشة .
- الـــزّي .
- المأكل والمشرب .
- الأعيـاد والمناسبات .
- الزّواج والمآتم .
- العادات والتقاليـد .
- السّحـر والشّعوذة ودور العُلماء المسلمين في القضـاء على هذه العادات .
- الرقّ في مُجتمع زنجبـار وشرق أفريقيا .

الفصل الأول

عناصر المجتمع

- القبائل العربية العُمانية .
- عرب حضرموت وجنوب الجزيرة .
- القبائل السّواحلية .
- القمريّون .
- المجموعات الأفريقية الأُخرىٰ .
- الهنود .
- الرّوابط الاجتماعية ومدىٰ الانصهار والاندماج بين العناصر المختلفة .

عناصـــــر المجتمـــــع

القبائـل العربيـة العُمانيــة :

يعتبر الساحل الشرقي لأفريقيا خير مكان يضم أنواعاً متعددة لاحصر لها من الشعوب والأجناس المتباينـة ، وكان التجّار العرب أقدم من وطأه ، وكان قدومهم للتجارة حيناً أو للاستيطان حيناً آخر .

والمجموعات السكانية الرئيسية في زنجبار تتكوّن من الأفارقة والعرب والهنود والقمريين والقونيين(*) Goans والأُوروبيين والصّوماليين وغيرهم ، ويوضّح آخر إحصاء لتعداد السكّان في زنجبار وجزيرة بمبا عام ١٣٦٧هـ / ١٩٤٨م ، أن عدد السكان قد بلغ ٢٤٦، ١٦٢ نسمة موزّعة على النّحو التّالي(١) :

جدول رقم (٣)

تعداد السكان في زنجبار وجزيرة بمبا عام ١٣٦٧هـ / ١٩٤٨م

المجموعات السكانية	زنجبـار	بمبا	المجموع	٪
الأفارقة	١١٨، ٦٥٢	٨١، ٢٠٨	١٩٩، ٨٦٠	٪٧٥، ٧
العرب	١٣، ٩٧٧	٣٠، ٥٨٣	٤٤، ٥٦٠	٪١٦، ٩
الهنود	١٣، ١٠٧	٢، ١٠٤	١٥، ٢١٢	٪٥، ٨
القمريون	٢، ٧٦٤	٥٠٣	٣، ٢٦٧	٪١، ١
القونيون	٥٩٨	٨٣	٦٨١	٪٠، ٣
الأُوروبيون	٢٥٦	٤٠	٢٩٦	٪٠، ١
الصّوماليّون وغيرهم	٢٢١	٦٦	٢٨٧	٪٠، ١
	١٤٩، ٥٧٥	١١٤، ٥٨٧	٢٦٤، ١٦٢	٪١٠٠

---

(١) Middleton , J. , and Campbell , J. , Zanzibar , PP. 12 - 13 , Lofchie , M. F. , Zanzibar , P. 71 , New Jersey , 1965 .

(*)القونيون : أغلبهم من أصل برتغالي .

ويمثل العرب المجموعة الثانية بالنسبة لتعداد السّكان في زنجبار ، إلا إنهم يُعتبرون أهم العناصر الاجتماعية(١) .

ويقسّم المؤرّخون العرب في زنجبار إلى أربعة أقسام رئيسية :

أولاً : العرب الشحريون من حضرموت Mshihiri .

ثانياً : القمريون ، وهم من جُزر القمر Comoro .

ثالثاً : عرب الساحل والشاطري Shatri ، والمفازي Mafazi .

رابعاً : عرب عُمان(٢) . (شكل رقم ٣ ، ٤ ، ٥)

وللعرب أهمية كُبرىٰ في زنجبار ، فقد كان من بينهم الأرستقراطية الحاكمة ، والصّفوة المستنيرة ، التي تمثّل القيادة الفكرية والدّينية ، ويضاف إلى ذلك عملهم التقليدي في التجارة ، وماترتّب عليها من تقدّم اقتصادي في المنطقة .

---

(١) Pearce, Zanzibar, P. 214.

(٢) العقاد ، صلاح ، وقاسم ، جمال زكريا ، زنجبار ، ص ٦٢ ، Pearce, Zanzibar, P. 215.

- العُمانيّون : أول شعب يُقيم مستوطنات له على الساحل الشرقي الأفريقي ، ففي عام ٧٥هـ/٦٩٥م قاموا بزعامة سليمان وسعيد الجلندين - ملوك عُمان في الجاهلية قبل الإسلام ، وكان لهم سلطان عظيم - بثورة ضد الخليفة عبدالملك بن مروان (٥٤هـ/٦٧٤م - ٨٧هـ/٧٠٧م) ، إلا إنهم هُزموا ، فاضطرّت بعض القبائل المنهزمة ومن بينها قسم من قبيلة الأزد - أصل العرب ، وهم من أعظم الرّجال ، وأكثرها بطوناً ، وأميزها فروعاً ، وأزد العُمانيين منهم أبناء الجلندي ، القلقشندي ، (أبي العباس أحمد بن علي ، قلائد الجمان ، ط٢ ، ص٩٢-٩٤ ، تحقيق ابراهيم الإبياري ، القاهرة ، بيروت ، الرياض ، ١٤٠٢هـ/١٩٨٢م) - العُمانية إلى الهجرة إلى شرق أفريقيا .

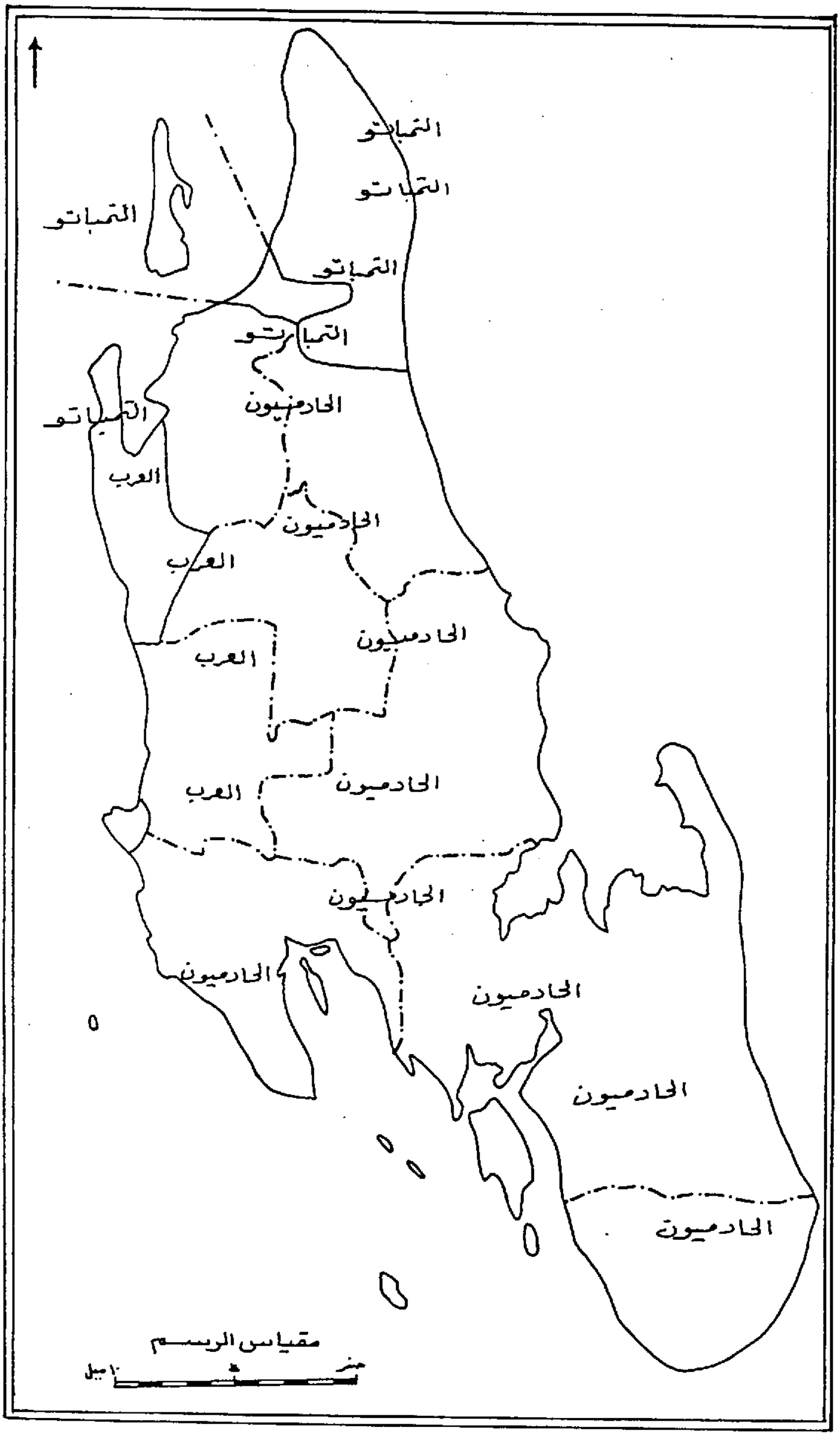
العقاد ، صلاح ، وقاسم ، جمال زكريا ، زنجبار ، ص ٦ ، السيابي ، سالم بن حمّود ، اسعاف الأعيان في أنساب أهل عُمان ، ص ٧٤ - ٧٦ ، بيروت ، ١٣٨٤هـ ، قاسم ، جمال زكريا ، الأصول التاريخية ، ص ٥٨ .



المجموعات العرقية في مدينة زنجبار

شكل رقم (٣)

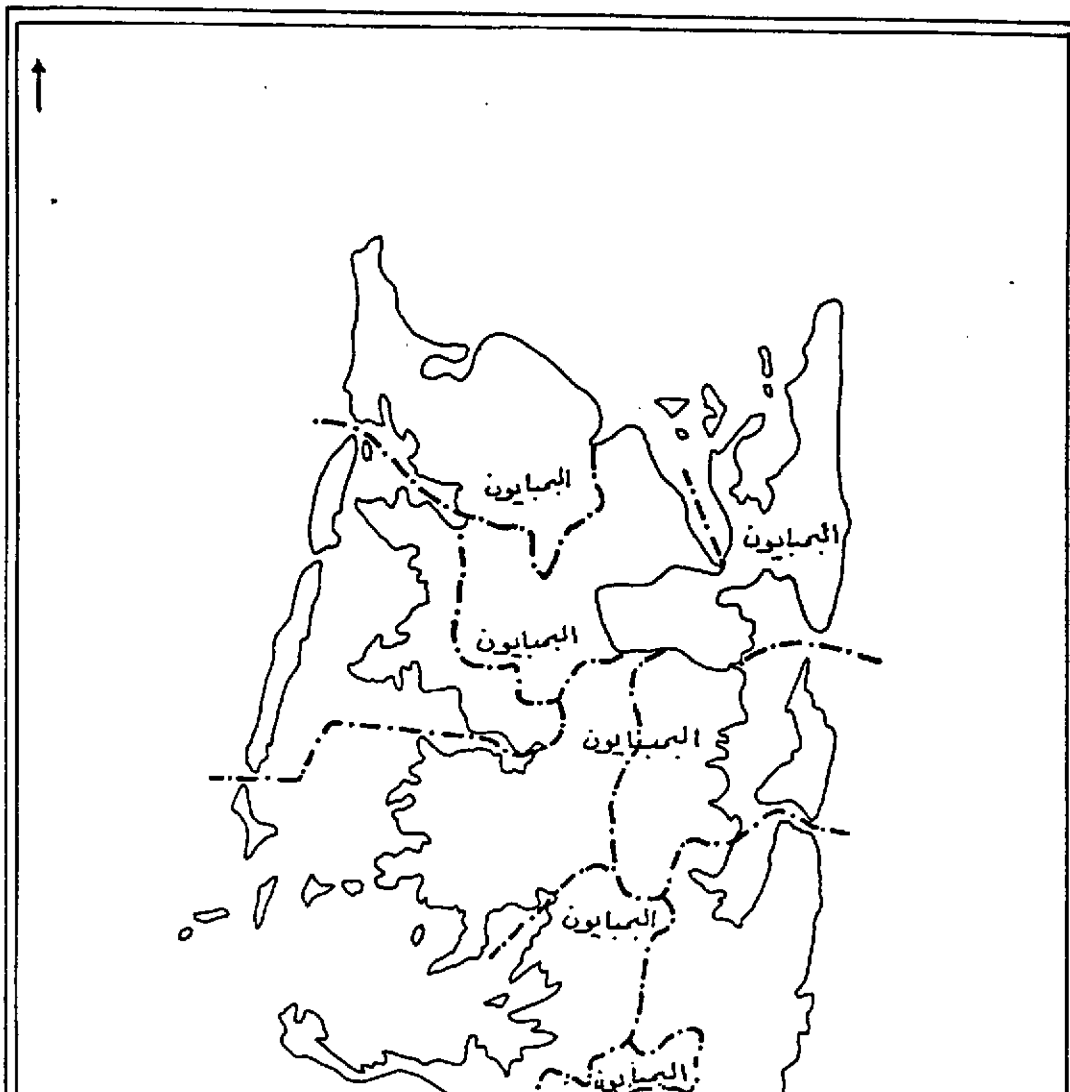
MICHEAL F. LOFCHIE : ZANZIBAR , P.241 .



المجموعات العرقية في جزيرة زنجبار

شكل رقم (٤)

MICHEAL F. LOFCHIE : ZANZIBAR , P.240 .



المجموعات العرقية في جزيرة بمبا

شكل رقم (٥)

MICHEAL F. LOFCHIE : ZANZIBAR , P.242 .

ومن أهم القبائـل العُمانيـة الموجـودة في شـرق أفريقيـا . وقبل قـدوم السيـد سعيد ،

قبيلـة السعديين(*) ، والرّياميين(**) ، وبني هناة(***) ، ثم أتت الحبوس(****) بأعداد كبيرة ، (المغيري ، جهينة الأخبار ، ص ١٥١) .

(*) السعديون : ويطلق عليهم أيضاً آل سعد « حضنة رسول الله (صلىٰ الله عليه وسلّم) » ومنازلهم الباطنة في عُمان ، وتاريخهم مجيد بالشجاعة والكرم ، وهم من أعيان المسلمين ، مايلز ، س . ب . ، الخليج بلدانه وقبائله ، ص ٢٦٩ ، ترجمة محمد أمين عبدالله ، القاهرة ، ١٤٠٣هـ / ١٩٨٣م .

(**) الرّياميون : قبيلة حضرية ، تسكن المناطق الجبلية في عُمان ، كما يسكن عدد منهم في نزوى وجهات أُخرىٰ من عُمان ولهم نفوذ قوي في مناطقهم ، ويشتغل أفراد هذه القبيلة في الزراعة ، وهم من القبائل التي رحلـت إلى شرق أفريقيا ، السيار ، عائشة ، دولة اليعاربـة ، ص ١٢٦ .

(***) بنو هناة : قبيلة حضرية ، يسكن قسم من أفرادها في نزوى ، تزعم « خلف القصير » رئاستها منذ أوائل القرن الثامن عشر الميلادي ، وقد كان هناك نضال طويل بين أفراد هذه القبيلـة وبين أفـراد قبيلة الغافرية ، بزعامة محمد بن ناصر الغافري ، وهي قبيلة حضريـة أيضاً ، يشتغل معظم أفرادها بالزّراعة ، السيار ، عائشة ، دولة اليعاربـة ، ص ١٣٩ .

(****) الحبوس : قبيلة حضرية ، فيها أعداد قليلة من البدو الرّحل ، يسكن أفراد القبيلة في وادي قائم بذاته ، وهم من أوائل القبائل التي رحلـت إلى شرق أفريقيا ، السيار ، عائشة ، دولة اليعاربة ، ص ١٤٠ .

وقد كان أكثر العرب المهاجرين من عُمان إلى جزيرة زنجبار في عهد دولة البوسعيديين من قبيلة الحرث(*) وأهم فروعها : البراونة والخناجرة ، والغيوث ، والمحارمة ، والسمرات ، والمواهبة ، وأولاد فادي ، والمطارقة ، وأهل سناد ، والأعاسرة ، وغيرهم ممن شاركهم في سكنى هذه الجزيرة . وكلّهم كانوا يدينون بالإسلام ، وعلى المذهب الأباضي ، وكان لهم دور كبير في تقدّم الحياة الاجتماعية وتغيير جزيرة زنجبار(١) .

وقد تميّز العُمانيون عن غيرهم من الشّعوب الأُخرىٰ بأنهم كانوا يشكّلون الطّبقة الأرستقراطية الحاكمة ، التي ازدهرت بها السّلطنة العربية في زنجبار بعد قدومهم إليها ، وكانوا يملكون أكثر الأراضي ، ولهم مكانة عظيمة ومرموقة ، ويبدو أن السيد سعيد تعمّد أن يأخذ معه عند انتقاله إلى زنجبار أغنياء العرب ، وأشهر أثرياء التجّار ، حتىٰ يكون لهم ذلك المركز الممتاز(٢) ، وأطلق عليهم اسم وامانجا Wamanga(**)(٣) .

وقد استفاد العُمانيون من مكانتهم السياسية في المقام الأول ، إذ هي التي سخّرت وضعاً اقتصادياً واجتماعياً متميّزاً .

---

(١) المغيري ، جهينة الأخبار ، ص ٧٧ .

(٢) قاسم ، جمال زكريا ، دولة بوسعيد ، ص ٢١٨ ، Pearce , Zanzibar , PP. 216-218 , Middleton , J. and Campbell , J. , Zanzibar , P. 22 .

(٣) المغيري ، جهينة الأخبار ، ص ١٥٧ ، Lofchie , M. F. , Zanzibar , P. 78 .

(*)الحرث : قبيلة حضرية ، لها عدد كبير من الموالين من البدو ، وتعتبر من أهم القبائل ليس بعدد أفرادها وإنما لمركزها الاجتماعي الكبير ، يشتغلون بالزراعة خاصةً زراعة البلح ومنهم من يعمل بالتجارة ، ويتّصف أبناء هذه القبيلة بالنّزعة الحربية ، السيار ، عائشة ، دولة اليعاربة ، ص ١٣٨ .

(**) وامانجا Wamanga : كلمة سواحلية تعني منطقة مسقط .

ويعتبر وجود عرب عُمان في أفريقيا الشرقية نقطة تحوّل هامة في تاريخ المنطقة ، فمنهم السيد سعيد بن سلطان ، الذي أسس سلطنة زنجبار الإسلامية ، وأخضع المنطقة لسياسة موحّدة ، واتّخذ من زنجبار عاصمةً له ، كما ربط المنطقة الداخلية بالسّاحل بصورةٍ منظّمة وقويّة(١) .

والعُمانيّون ذوو بنية نحيفة ، طوال القامة ، سُمر الألوان ، تظهر عليهم معالم النظافة والرقي والاحترام ، لديهم القدرة على هدوء النّفس ، وضبط الأعصاب والرّصانة(٢) .

عرب حضرموت وجنوب الجزيرة :

أما عرب حضرموت وجنوب الجزيرة فهم الذين قدموا من اليمن وجنوب غرب عُمان ، خاصةً من الشحر وعدن والمكلا وظفار(٣) .

وقد عرفوا بحُب الترحال والهجرة في جميع أنحاء المحيط الهندي ، ومستوطناتهم في جُزر الهند الشرقية وأندونيسيا خير مثال على ذلك(٤) .

ومن أهم الأُسر الحضرمية التي وجدت في شرق أفريقيا قبل قدوم السيد سعيد إليها : الشّاطري والمغازي والأشراف ، وكان لهم دوركبير في نشر الإسلام في شرق أفريقيا ومنهم

---

(١) العقاد ، صلاح ، وقاسم ، جمال زكريا ، زنجبار ، ص ١٢ .

(٢) ستودراد ، لوثروب ، حاضر العالم الإسلامي ، ص ٧٦ ، Pearce , Zanzibar , P. 217 .

(٣) المغيري ، جهينة الأخبار ، ص ٢٦١ ، حريز ، سيد حامد ، المؤثّرات العربية في الثّقافة السواحلية في شرق أفريقيا ، ص ٣٠ ، بيروت ، ١٤٠٨هـ / ١٩٨٨م .

(٤) سرجنت ، ر . ب ، سادات حضرموت ، ص ٣٠ ، ترجمة السيد أحمد حسين بن سميط ، لندن ، ١٩٥٧م .

آل حسين ، وآل جديد ، وباعلوي ، وبافقيه ، وآل جمل الليل ، ومهدي ، والسقاف ، والشّاطري . وبعض العائلات استمدّت شُهرتها من مشايخها وتفقّهم في العلوم الدينية ، وقد حافظ أفراد هذه العائلات على علاقاتهم بموطنهم الأصلي في حضرموت(١) . وهم يختلفون عن العرب العُمانيين في مظهرهم الخارجي ، وحِرفهم ومزاجهم الشّخصي . وقد وصفهم بيرتون بأنهم أفقر المجموعات العربية ، ويجتمعون في زنجبار خلال المواسم التجارية ، ويعملون بجدٍ ونشاط وتصميم دون تخاذل أو تكاسل(٢) .

والعربي الحضرمي رشيق ، متوسّط الطّول ، ليس في جسمه أي زيادة من سمنة ، وذلك لقيامه بالأعمال الشّاقة المختلفة . فهو يعمل في الموانيء للشحن والتفريغ في السّفن ، خاصةً التي تجلب الحيتان المجفّفة ، كما يقوم ببعض الأعمال الخفيفة ، مثل نقل الماء من بيت إلى بيت ، ودفع العربات ، والجزارة ، وبيع السجاد ، والزّيوت ، وصنع الأكياس والأقفاص الخاصة لتعبئة القرنفل ، وغير ذلك من الأعمال الأُخرىٰ ، وقد كان يُطلق في زنجبار لقب شحري على جميع أصحاب المحلاّت التجارية الصغيرة(٣) .

ولم تقتصر أعمال الحضارمة على هذه الأعمال الخفيفة فقط ، بل إنهم تسلّموا بعض المهام ، التي جعلت لهم الفضل الأكبر في خدمة حكّام السّلطنة الزنجبارية ، فقد اشتهروا بالمواظبة والجدّ والنّشاط في أداء جميع أعمالهم الصّغيرة منها والكبيرة .

---

(١) ترمنجهام ، سبنسر ، الإسلام في شرق أفريقيا ، ص ٧٨ .

(٢) ستودراد ، لوثروب ، حاضر العالم الإسلامي ، ص ٧٦ .
Burton , Zanzibar , Vol I , P. 378 .

(٣) ستودراد ، لوثروب ، حاضر العالم الإسلامي ، ص ٧٦ ، ترمنجهام ، سبنسر ، الإسلام في شرق أفريقيا ، ط ١ ، ص ١٠٨ ، ترجمة محمد عاطف النواوي ، القاهرة ١٩٧٣م ،
Pearce , Zanzibar , P. 215 .

وقد تولّىٰ الكثير منهم ولاية القضاء ، وإدارة أمور الجمارك ، واستعانت بهم الدّولة أيضاً في أعمال الجندية(١) .

أما عن علاقاتهم الاجتماعية فكانت محصورة فيما بينهم إذ يعيشون في أحياء خاصة بهم ، ومنهم من جاء إلى زنجبار بغرض الإقامة الدّائمة ، وهم ذوو نفوذ وثراء ، وإن كان أكثرهم قد وفد إلى السّلطنة لفترة من الزّمن بغرض الكسب المادي والتجارة ، ثم العودة إلى الوطن الأصلي في الجزيرة العربية(٢) .

ويتميّز العرب الحضارمة بأداء شعائرهم الدّينية ، ولهم مساجدهم ومقابرهم الخاصة بهم . وهم من أهل السُنّة عل مذهب الإمام الشّافعي ، لذلك فإنهم يختلفون عن عرب عُمان الأباضيي المذهب(٣) .

وكانت هجرات عرب سواحل الجزيرة العربية إلى شرق أفريقيا هجرات مستمرّة في عصور مختلفة من التّاريخ ، حيث كانوا يجدون في السّواحل الشرقية لأفريقيا فرصاً كثيرةً لكسب الرّزق عن طريق التجارة وغيرها من المهن الأُخرىٰ ، لأنهم كانوا على علمٍ بأسرار المحيط الهندي ، فكثرت رحلاتهم إلى شرق أفريقيا وبلاد الهند .

وكانت الصّلة بين جنوب الجزيرة العربية والساحل الشرقي لأفريقيا أمراً بديهياً وحتميّاً ، وذلك لأن الحاجز المائي بينهما لايزيد على الخمسة عشر ميلاً عند منطقة باب المندب .

---

(١) المغيري ، جهينة الأخبار ، ص ٢٦١ .

(٢) Pearce , Zanzibar , P. 215 .

(٣) Pearce , Zanzibar , P. 215 .

ومن عـرب الجزيرة العربيـة القدمـاء من استقـرّ في بنجـاني Pangani مثـل آل عبدالسّلام ، وبني حسن جعلان ، ثم آل اللمكي وعلى رأسهم الشيخ سليمان بن ناصر اللمكي(١) .

ويُقال إن عائلة الميوبيلي - وهي من أشهر العائلات - أصلها عربية قدمت من ينبع في الجزيرة ، ثم استقـرّوا في شـرق أفريقيا ، واشتغلوا بالتجارة . ومن أشهرهم الشيخ خميس بن عُثمان الميوبيل ، وكان واسع الثراء ، ويجيد التحدّث باللغات الأجنبية ، حتىٰ قيل : إنه كان يتكلّم أربع عشرة لُغة(٢) .

وقد هاجر عرب من أهل الشّام إلى أفريقيا الشرقية ، وعمروا بها عدّة مُدن ، كما أن عرب الحجاز هم الذين عمروا جزيرة عندة على السّاحل الشرقي لأفريقيا ، وسمّوها جـدّة نسبةً إلى جـدّة في المملكة العربية السعودية(٣) .

القبائـل السّواحليـــة :

السّواحليّون : اسم اختلفت المصادر والمراجع في تعريفهم بشكلٍ دقيق . ولكن الذي لاشك فيه أن هذا الاسم كلمة مشتقّة من كلمة السّواحل في اللغة العربية ومفـردها ساحل ، أي الشاطىء ، والمقصود بذلك الشعب الذي يعيش على السّاحل .

والشعب السّواحلي هو سُلالة اتّحاد وتـزاوج بين العُنصرين الأفـريقي والعربي ، أو الأفـريقي والعربي والفارسي . وكانوا يعيشون في معظم سواحل شرق أفريقيا منذ أكثـر من

---

(١) المغيري ، جهينة الأخبار ، ص ١٥٦ .

(٢) الفارسي ، عبدالله ، البوسعيديون ، ص ١٥٨ .

(٣) المغيري ، جهينة الأخبار ، ص ص ١٧١ - ١٧٢ .

ألف سنة(١) . وفي روايةٍ أُخرىٰ منذ ألفي سنة على الأقل(٢) . ومع مرور الزّمن أصبحت كلمة سواحلي تدل على المسلمين الذين يتكلّمون اللغة السّواحلية Ki-Swahili(✽) حتىٰ يميز بينهم وبين الزّنوج الذين يُشار إليهم بكلمة Wa-Shenzi(✽✽) أي زنجي والذين لم تمسّهم الحضارة الإسلامية (٣) .

والسّواحليون قوم مسلمون ينتسبون في جوهرهم إلى شعب البانتو الذين اختلطوا مع الشعوب المهاجرة إليهم من عربٍ أو فُرسٍ أو غيرهم ، فنتج عن ذلك الشعب السّواحلي ، ويدينون بدين واحد ألا وهو الإسلام ، ويتكلّمون اللغة السّواحلية ، ولهم حضارة عامة هي الحضارة الإسلامية التي امتزجت بالمؤثّرات الأفريقية المحلّية فنشأ بذلك شعب تميّز عن غيره من القبائل باستعداده التّام للتقدّم والتحضّر تحت هذه الظّروف الجديدة(٤) .

ولقد تأثر السّواحليون العرب بكل شيء مما حولهم ، سواء كان ذلك في الدّين أو

---

(١) ستودراد ، لوثروب ، حاضر العالم الإسلامي ، ص ٧٥ ، حريز ، سيد حامد ، المؤثّرات العربية في الثقافة السواحلية ، ص ٤٠ .

(٢) هولنجز وورث ، زنجبار ، ص ١٢ .

(٣) ترمنجهام ، سبنسر ، الإسلام في شرق أفريقيا ، ص ٧٣ ، Lyne , Zanzibar , P. 222 .

(٤) Reusch , R. , History of East Africa , P. 216 , Middleton , J. and Cambell , J. , Zanzibar , P. 16 .

(✽)كلمة سواحلي : (Swahihi) وحدها معناها الإنسان السواحلي ، وعندما تضاف إليها (Ki) فهي تدل على اللغة التي يتكلّم بها الفرد ، ترمنجهام ، الإسلام في شرق أفريقيا ، ص ٧٣ .

(✽✽) يستعمل لفظ (Wa) ليدل بها على الشعب أو السّكّان ، ترمنجهام ، الإسلام في شرق أفريقيا ، ص٧٣ .

العادات والتقاليد أو العلاقات الاجتماعية ، وكذلك في جميع دقائق الحياة اليومية من مأكلٍ ومشربٍ وملبسٍ وغير ذلك من الأمور الأُخرىٰ .

ويمكن تقسيم الشعب السّواحلي إلى الفئات التاليـة :

أولاً : **الشيرازيون :**

وقد اختلفت المصادر والمراجع في أصل هذه التسمية ، فالبعض يقول : إنها أُخذت من اسم مدينة شيراز في إيـران ، والتي هاجرت منها مجموعات فارسية - أو فارسية مختلطة بالعرب - إلى السّاحل الشرقي في أفريقيا ، واستطاعوا أن يكوّنوا أمارات لهم على السّاحل(١) .

بينما يقول المغيري « إن الشيـرازيين ينتسبون إلى بلدة شيراز ، التي هي في جنوب بلد الجاسي من أعمال ممباسا »(٢) .

ويُستعمل لفظ شيرازي حتىٰ يميز بينهم وبين العرب السّواحليين ، أو الذين وفدوا من القـارة . وهم من أصل بانتـوي ، ويمكـن تقسيمهم إلى ثـلاث مجموعات رئيسيـة هي : المخاديـم Hadimu ، والتمباتـو Tumbatu ، والبمبابيّون Pemba ، وهم السّكان الأصليون للجزيرة ، ويُشكّلون قلّة بالنسبة لتعداد السواحليين بصفةٍ عامة في جميع مناطق شرق أفريقيا ، وكان عددهم في سنة ١٩٤٨م كالآتـي(٣) :

---

(١) محمد ، عبدالله بخيت ، دراسات في الأدب السّواحلي ، ص ٦٣ ،
Middleton , J. and Cambell , J. , Zanzibar , P. 16 , Bennett , N. R. , History of The Arab State , PP. 5 - 6 .

(٢) المغيري ، جهينة الأخبـار ، ص ١٧٧ .

(٣) Middleton , J. and Cambell , J. , Zanzibar , P. 17 , Lofchie , M. F. , Zanzibar , PP. 81-82.

جدول رقم (٥)

الشيرازيّـــون

	زنجبـــار	بمبـــا	المجمـــوع
- المخاديـم	٤١١٨٥	٥٨١	٤١٧٦٦
- التمباتـــو	٣٨٥٤٨	٧٥٨٣	٤٦١٣١
- البمبابيّون	٩٠٠	٥٨٨٦٨	٥٩٧٦٨
- آخـــرون	٥٧١	٢٩٢	٨١٥
المجمـوع	٨١١٥٠	٦٧٣٣٠٠	١٤٨٤٨٠

- **المخاديـم :**

من التعداد السابق نلاحظ أن المخاديم يكثرون في زنجبار ، ومنهم قلّة في جزيرة بمبا وهم يسكنون في القرىٰ المطلّة على السّاحل الشّرقي ، وأجزاء من المناطق الوسطىٰ وأقصىٰ الشّمال والجنوب في جزيرة زنجبار(١) .

ومثل معظم أسماء القبائل الأفريقيـة فالمخاديم : اسم مستعار يعني العبيد ، وقد أعطىٰ لهم من قبـل العـــرب المهاجرين ، وبمـرور الوقت أصبح هذا الاســم غير شائــع ، وأصبح

---

(١) محمد ، عبدالله بخيت ، دراسات في الأدب السواحلي ، ص ٦٤ ، ترمنجهام ، سبنسر ، الإسلام في شرق أفريقيا ، ص ٧٤ .

أفـراد هـذه القبيلـة يفضّلـون أن يُطلق عليهم اسم شيـرازي ليدل على أن موطنهم الأصلي بلاد فارس . والبعض الآخـر ادّعى انتماءهم إلى أصلٍ عربي . وباختصار يمكن أن يُقال : إن المخاديم فـرع لعـروق من قبائل رئيسيـة لكل منهـا منشـأهـا الخاص ، وقد استقرت في زنجبار في أوقات مختلفـة . والشيء الوحيـد الذي يصل بينهـم ويوحّدهم ، هو الاعتـراف بسلطة حاكم واحد للقبيلـة ، يطلق عليـه اسـم موني مكو Mweny Mku ، أو الجومبي Jumbe أي الحاكم العظيم ، أو السيـد العظيم(١) ، وهؤلاء الحُكّام هم شيـرازيون في الأصل ، وقد حكـموا زنجبـار في الفتـرة قبل وصول البوسعيديين(٢) .

- <u>التمباتـو :</u>

يعيشـون في جـزيـرة تومباتـو جنوب جـزيرة بمبا ، وفي بعض أجـزاء من جـزيـرة زنجبار ، ويدعون أن لهم صلة بحُكّام شيراز الأوائل ، أو أنهم أحد فروعهـا ، وقد اختلطوا مع القبائل الفارسية المهاجرة إلى هذه المنطقة منذ القِدم ، وهم يختلفـون عن غيـرهم من القبائل السواحلية بحُبّهم للعُزلة ، ولايسمحون للعناصر الأُخـرىٰ بالاستيطان أو العمل في جـزيـرتهم ، ومن النّادر جداً أن يسمحوا لأفـرادهم بالزّواج من خارج مجموعتهم(٣) .

---

(١) Gray , J. M. " The Hadimu and Tumbatu of Zanzibar " , <u>Tanzania notes and Records</u> , No place , No. 81 - 82 , PP. 135 - 137 , 1977 , Perce , <u>Zanzibar</u> , P. 248 .

(٢) الفارسي ، عبدالله ، <u>البوسعيديون</u> ، ص ٥٦ - ٥٧ .

(٣) Gray , J. M. , " The Hadimu and Tumbatu " , P. 150 , Pearce , <u>Zanzibar</u> , P. 249 .

- **البمبابيّـون :**

وهم سكّان جزيرة بمبا ، ويعودون في أصلهم إلى قبائل البانتو وفي الإحصائية السّابقة نلاحظ أنهم يمثّلون أكثر القبائل السواحلية الشيرازية عدداً . وتتكلّم المجموعات الثلاث السابقة لغة سواحلية ذات لهجات مختلفة عن بعضها البعض بشكلٍ كبير(١) .

ثانياً : العـرب السّواحليّون :

وهم العناصر الاجتماعية التي استقرّت في زنجبار وشواطىء شرق أفريقيا ، ويدّعون انتسابهم إلى أصول عربية ، وينقسمون إلى مجموعتين تبعاً لفترات الهجرة :

المجموعة الأُولىٰ : وتنتسب إلى العرب الأوائل ، الذين سكنوا المنطقة قبل وجود السّلطنة العُمانية . ومنهم الشيرازيون الذين انتسبوا إلى العرب أو البانتو ، وأسّسوا مدينتي مقديشو وبراوة . ويظهر بوضوح أنه بسبب هجرة هذه المجموعة رجالاً دون نساء ، وزواجهم من الأفريقيات ، فقد تغيّرت صفاتهم الجُسمانية بحيث لايمكن التمييز بينهم وبين القبائل البانتوية .

أما المجموعة الثانية : فهم يعودون في أُصولهم إلى المهاجرين العُمانيين الذين هاجرو إلى زنجبار منذ القرن الثامن عشر الميلادي(٢) .

---

(١) ترمنجهام ، سبنسر ، الإسلام في شرق أفريقيا ، ص ٧٥ .

(٢) ترمنجهام ، سبنسر ، الإسلام في شرق أفريقيا ، ص ٧٧ - ٧٨ ،

Burton , R. F. , Zanzibar , Vol. I , PP. 410 - 411 .

ثالثاً : المستوعبون أو الذآئبون :

وهم السّواحليّون - غير الشيرازيين والعرب - وأصلهم من البانتويين الذين فقدوا نسبهم القبلي ، ولم يدّعوا انتماءهم إلى أي سلالة عربية ومنهم الوازاليا Wazaila أي عبيد المنازل ، ويُطلق عليهم أيضاً Wa-Mangu أو Masikini المساكين . وتعني العبيد المحررين من الرّق .

ومنهم أيضاً الأفريقيون الساحليّون الذين مازالوا يطلقون على أنفسهم أسماء قبائلهم . وهم من قبائل النييكا Nyika السّاكني جزيرة باتا . ومنهم الكثير من سواحلي تانجا والواجمبي WaJombe ويعودون في أُصولهم إلى قبائل الدّيجو . وأيضاً سواحليو لندي Lindi ، وهم من قبيلة Makua ، أو الياو Yao . وهؤلاء ليس لهم علاقة بقبائلهم ، ولكنهم مازالوا يتمسّكون بأصلهم القبلي ، ويضم هذا النّوع من السّواحليين أيضاً الأفريقيين الذين نزحوا من الدّاخل واستقرّوا في المناطق الساحلية بصورةٍ دائمةٍ وهم ينتمون إلى هذه الحياة السّاحلية أكثر من انتمائهم إلى قبائلهم السّابقة . ومنهم النيامويزي Nyamwezi ، ونياسا Nyasa ، وماكوندي Makonde(١) .

رابعاً : السواحليون الذين احتفظوا بطابعهم الأصلي المميّز :

رغم أن ثقافتهم ثقافة سواحلية مثل الباجون Bajun ويسمّون سواحليّاً واتيكو WaTikuu أو واجونيا WaGunya ، ويعيشون على الساحل والجُزر الممتدّة جنوب الصّومال ، وحِرفتهم الرّئيسية الملاحة والصّيد ، ويتكلّمون لهجة سواحلية

---

(١) ترمنجهام ، سبنسر ، الإسلام في شرق أفريقيا ، ص ٧٩-٨٠ ، محمد ، عبدالله بخيت ، دراسات في الأدب السّواحلي ، ص ٦٤ - ٦٥ .

تسمىٰ كيتيكو Ki Tikuu وهم أساساً بانتو اختلطوا بالحاميين والعرب ، وهناك أيضاً السيجيجو Segeju الذين أسلموا في القرن التاسع عشر الميلادي ، وهم يتحدّثون اللغة السواحلية لاختلاطهم بالشيرازيين(١) .

والسواحليون بصفةٍ عامة يميلون إلى النظافة في كل شيء من مأكل وملبس ومسكن ، ولايستعملون الوشم كالزّنوج لأنهم مسلمون ، وقد اشتهروا بالأدب وحُسن المعاشرة والأُلفة والترابط إذ يعطف بعضهم على بعض ، ويبنون منازلهم عادةً بشكلٍ منظّم ومرتّب ، وتُحيط بها الأشجار المتنوّعة ، لأنهم كانوا قوماً يعتنون بالزّراعة ، وتقوم النساء بالعمل في المزارع والحقول ، بينما يشتغل الرّجال بصيد الأسماك والتجارة ، وحمل وتفريغ البضائع من السّفن(٢) .

القمريّـــون :

وهم سكّان جُزر القمر Comoro ، التي تتكوّن من أربعة جُزر ، تقع على الساحل الشرقي لأفريقيا ، وأكبر وأشهر هذه الجُزر انجزيجة Angazijeh وتقع على المحيط الهندي ، وتسمىٰ بالقمر الكبرىٰ . ثم يأتي بعدها في المساحة انجوان Anjuan والتي كان يُطلق عليها قنبلوا ، ثم مايوت Mayotte ، وموالي Mohilla(٣) .

وقد هاجر العرب إلى هذه الجُزر منذ القِدم ، ويُقال : إن جزيرتي قمبلوا وانجوان فتحها الأزد الأباضيون ، وسكانهما كانوا مزيجاً من العرب والشيرازيين والحضارم

---

(١) ترمنجهام ، سبنسر ، الإسلام في شرق أفريقيا ، ص ٨١ .

(٢) ستودراد ، لوثروب ، حاضر العالم الإسلامي ، ص ٧٥ .

(٣) المغيري ، جهينة الأخبار ، ص ٥٢٦ ، Burton , R. F. , Zanzibar , Vol. I , P. 340 .

الجاويين والأفريقيين ، وقد توالت الهجرات العربية إلى هذه الجُزر - على مرّ السّنين - من عرب عُمان واليمن وحضرموت ، كما كثرت هجرة القمريين إلى جزيرة زنجبار طلباً للرّزق ، حيث كانوا يشتغلون عُمّالاً في الشركات الأُوروبية ، أو تجّاراً أو أصحاب حِرف في مناطق متفرّقة على السواحل .

واللغة التي يتحدّث بها القمريون هي اللغة السواحلية ، وكانوا شديدي التّمسّك بأوامر الدين الإسلامي ، ويضحي معظمهم بأنفسهم لنشر العلوم الإسلامية(١) ، وهم شعب ذو لباقة وفطنة وذكاء(٢) .

المجموعات الأفريقية الأخرى :

وهي المجموعات التي تعيش داخل القارة الأفريقية ، وهم يكوّنون معظم القبائل الأفريقية الساحلية والدّاخلية ، وقد وفِدت هذه القبائل إلى جزيرتي زنجبار وبمبا بأعداد كبيرة للعمل في مزارع القرنفل والنارجيل منذ أن تم التوسّع الزّراعي في المنطقة في القرن التاسع عشر الميلادي ، كما يقومون أيضاً بصيد الأسماك على السواحل ، ونقل البضائع ، هذا إلى جانب الأعمال اليدوية المختلفة كالحدادة والنجارة والبيع في الأسواق الصغيرة ، إلا إنه من النّادر جداً أن نجد بينهم من يعمل في التجارة لصالح نفسه(٣) .

---

(١) المغيري ، جهينة الأخبار ، ص ص ٥٢٤ - ٥٢٦ .

(٢) ستودراد ، لوثروب ، حاضر العالم الإسلامي ، ص ٧٦ ،

Burton , R. F. , Zanzibar , OP. Cit. , Vol. I , P. 342 .

(٣) حريز ، سيد حامد ، المؤثّرات العربية في الثقافة السواحلية ، ص ٣٧ ،

Lofchie , M. F. , Zanzibar , PP. 81 - 82 .

وإلى جانب الأعمال السّابقة ، فقد كان بعضهم يقوم بأعمال حكومية مختلفة كالجندية والجيش والوظائف الإدارية(١) .

ومن أهم القبائل الأفريقيـة الداخليـة :

قبائل البوكومو : Pokomo

وهم الذين يعيشون في وادي ، نهر تانا في شمال شرق كينيا ، وعددهم يقرب من عشرين ألف نسمة ، ويشتغلون بالزّراعة والصيد .

قبائل النييكا : Nyika أو ميجي كيندا Miji Kenda :

أصلهم قبائل بانتوية ، سكنوا المناطق الشمالية الشرقية بساحل كينيا ، ويطلق عليهم الساحليون كلمة نييكا ، والتي تعني مدرج الغابات . ويفضّل هؤلاء القبائل أن يُطلق عليهم اسم ميجي كينـدا Miji Kenda أي سكّان المدن التّسع ، لأنهم يكوّنون مجموعة من تسع قبائل ، هي الجيـسرياما Giryama ، والرّابــاي Rabai ، والدوروما Duruma ، والدّيجـو Digo ، وكاوما Kauma ، وتشـوينـي Chonyi ، وجيبانا Jibana ، وكامبي Camby ، ورايب أو ريهي Ribe or Rihe .

قبائل الزّارامو : Zaramo

يعيش السكّان الأصليّون منهم في ساحل مقاطعة دار السّلام ، وهم خليط من مجموعة كبيرة من القبائل ، اتّحدوا بسبب بنائهم الاجتماعي والإقليمي الذي يعيشون فيه . وكانت العلاقة بينهم وبين العرب وغيرهم من الأجناس الأُخرىٰ علاقة احترام ومودّة متبادلة ، ولم يتدخّل العـرب كثيـراً في شئونهـم ، بل اكتفـوا بأن عيّنوا عليهم اثنين من الولاة ، أحدهمـا

---

(١) حريز ، سيد حامد ، المؤثرات العربية في الثقافة السواحلية ، ص ٣٧ .

في كيسيجو Kisiju ، والآخـر في دار السّلام ، ويقدّر عدد الزّارامو بحوالي ١٨٣٧٦٠ نسمة(١) .

قبائل الزّيجولا : Zigual وتعيش هذه القبائل الأفريقية حول نهر بنجاني وجبال انجوره .

قبائل النجولا : Nigulu وهي قبائل أفريقية من جبال نجورو شمال تنجانيقا ، ولهم نفس عادات وتقاليد الزّيجوال ، ولكن تختلف قبائلهم عنها .

قبائل الشامبالا : Shambla قبيلة أعدادها كثيرة ، تصل مايقرب من ١٩٣٨٠٠ نسمة ، ويسكنون في وادي بنجاني(٢) .

أما عن القبائل الأفريقية التي تعيش في تنجانيقا فيُشكّلون ٩٩٪ من أعداد السّكان الكُلّي في هذه المنطقة . ومن أهم القبائل :

قبائل النيامويزي : وعددهم يقرب من ٣٦٣٢٦٠ نسمة ، وهم من أكبر القبائل في تنجانيقا ، ولهم صلة قوية بالمسلمين منذ أكثر من مائة عام . وقد كانوا يقومون بأعمال مختلفة أهمها : الزراعة في السّهول السّاحلية ، والعمل حمّالين في الموانىء ، كما اشتغل بعضهم كجنود مرتزقة عند العرب والألمان(٣) .

وقبائل سوكوما : Sukuma

من أكثر القبائل عدداً ، ويُشكّلون مايقرب من المليون نسمة . وهم من الفرع الشمالي للنيامويزي ، وتقع معظم مساكنهم في أقصى شمال تنجانيقا وبشكلٍ متفرّق ، ويفضّل أفراد

---

(١) ترمنجهام ، سبنسر ، الإسلام في شرق أفريقيا ، ص ص ٨٣ - ٨٥ ، محمد ، عبدالله بخيت ، دراسات في الأدب السّواحلي ، ص ص ٦٥ - ٦٦ .

(٢) ترمنجهام ، سبنسر ، الإسلام في شرق أفريقيا ، ص ٨٩ .

(٣) ترمنجهام ، سبنسر ، الإسلام في شرق أفريقيا ، ص ص ٩٤ - ٩٥ .

هذه القبيلة العيش في مناطق متباعدة فيما بين المزارع والحشائش ، لأنهم يعتمدون في مواردهم الاقتصادية على الزّراعة وتربية الماشية(١) .

قبائل النياكيوزا : Nyakyusa

ويعيشون في المناطق الجنوبية من تنجانيقا ، وهم شعب يعتمد في موارده الاقتصادية على الزّراعة(٢) .

وبجانب هذه المجموعات السابقة توجد أعداد كبيرة من القبائل الأفريقية الأُخرىٰ منها : النجيندو Ngindo ، والموير Mwera ، والماكوا Makwa ، والياو Yao ، والهايا Haya ، والباجون Bajun ، والأنقوني Angoni ، والقوقو Gogo ، وغير ذلك من المجموعات الأفريقية المتفرّقة(٣) .

الطوائف الهندية :

عرف الهنود الساحل الشرقي لأفريقيا منذ القِدم ، وقد شجّع السيد سعيد نشاطهم الاقتصادي واستيطانهم في هذه المنطقة - وشكّلوا الطّبقة الوسطىٰ في زنجبار - وقد عملوا في التجارة واحتكروا الاستيراد والتصدير ، وتوزيع البضائع ، إضافةً إلى سيطرتهم

---

(١) حسن ، سميرة محمود ، « هذه هي تنجانيقا » ، مجلّة نهضة أفريقيا ، العدد ٤٤ ، ص ٦٥ - ٦٦ ، القاهرة ، ١٩٦١م .

(٢) حسن ، سميرة محمود ، « هذه تنجانيقا » ، ص ٦٧ .

(٣) ترمنجهام ، سبنسر ، الإسلام في شرق أفريقيا ، ص ٩٨ - ١٠١ ، حريز ، سيد حامد ، المؤثرات العربية في الثقافة السواحلية ، ص ٢٩ ، محمد ، عبدالله بخيت ، دراسات في الأدب السواحلي ، ص ٦٦ .

على الوظائف الحكومية والأعمال المصرفية ، فزادت ثرواتهم وتملّكوا الأراضي الواسعة ، واستقر بعضهم بصفةٍ دائمة في المنطقة(١) .

وهم يمثّلون نظام الطّبقة المنعزلة المقصورة على جماعة معيّنة ، وكان اختلاطهم في المجموعات الأُخرىٰ في حدود ضيّقةٍ جداً ، وذلك لأن العمل في التجارة أرغمهم على تجزئة هذا التركيب الطّبقي بعض الشيء(٢) .

وعدد الهنود في زنجبار في عام ١٢٨٩هـ / ١٨٧٣م كان حوالي ٢٨٩٨ نسمة(٣) ثم ابتدأ هذا العدد بالتزايد بشكلٍ كبيرٍ وملحوظ في عام ١٣٣٧هـ / ١٩١٩م ، إذ بلغ حوالي عشرة آلاف نسمة(٤) ويحدد توفيق ميخائيل أحد المعاصرين عدد الهنود بنحو عشرين ألفاً ويُذكر أنه يُخال للإنسان في زنجبار أنه في بلدٍ من بلاد الهند(٥) خاصةً أن الشعب الهندي سلالة تُحب التكاثر .

وقد أحب الهنود زنجبار حتىٰ أن كثيراً منهم أعتبرهـا بلده الدّائم ، وشبابهم يتكلّمون اللغـة السواحلية أكثر من لغتهم الأصلية . وهم قسمان كبيران : المسلمون ، والوثنيّون الهندوس .

وهناك عدد كبير من هذا المجتمع ينتمون إلى فرق الشيعة الإسماعيلية والإثناعشريـة

---

(١) Lofchie , M. F. , Zanzibar , P. 79 , Coupland , East Africa , P. 302 .

(٢) Gundara , J. S. , " Fragment of Indian society in Zanzibar " , Africa Quarterly , P. 30 .

(٣) Martin , B. J. , Notes on some member of the learned classes of Zanzibar and East Africa in the ninteenth century " , The International Journal Of African Historical Studies , P. 36 .

(٤) Pearce , F. B. , Zanzibar , P. 254 .

(٥) ميخائيل ، توفيق ، غرائب الأخبار ، ص ٦٧ .

ثم تأتي بعد ذلك طائفة البهرة Bahoras ، وهم اسماعيليـــون مسلمون أيضاً ، وعددهم حوالي ٧٠٠ نسمـة ، ومجتمعهـم متماسـك ولـه سُمعـة طيّبـة في زنجبـــار .

والمرأة من الطّائفة البهرية تحافظ على لبس الحجاب ، ولاتشارك في العمل مع زوجها مثل زوجات الإسماعيليين الخوجا(٢) .

والميمن Memons والسّنديون Sindhis من أقل الهنود عدداً في زنجبار ، وهم مسلمون أحناف . أما الهندوس Hindus فيمثّلون البانيان على اختلاف قبائلهم ومذاهبهم ، وهُم يُشكّلون مجموعة لها نفوذ وسلطة ، إلا إنهم مجتمع منعزل ومنفرد عن الآخرين ، ولهم نظامهم الخاص ، وغرضهم الوحيد في الحياة هو جمع المال ، ويتميّزون بملابسهم الخاصة المصنوعة من جلود الأسود ، وهي تتكوّن من قميص أبيض وقُبّعة حمراء اللون مطرّزة بالخيط الذّهبي ، ويضعون شالات على أكتافهم تُسمّى Shudda ، ورجالهم طوال القامة ذوو بنية نحيفة ، نباتيّون لايأكلون لحوم الحيوانات ، ولايحضرون معهم أقاربهم أو أهلهم من النساء لذا فهُم يُفكّرون في العودة إلى بلادهم ، حالما تتوفّر لديهم المبالغ الكافية لتقاعدهم(٣) .

ويوجد في زنجبار أيضاً الهنود الوثنيّون كالبراهمة والبوذيين . وهؤلاء لايحضرون معهم

---

(١) Pearce , Zanzibar , PP. 254 - 255 .

(٢) المغيري ، جهينة الأخبار ، ص ٢٦١ ، Pearce , Zanzibar , P. 256 .

(٣) Pearce , Zanzibar , P. 257 , Coupland , East Africa , P. 302 .

زوجاتهم وأهليهم أيضاً ، ويشتهرون بعدم اهتمامهم بالنظافة في المسكن وجميع مايُحيط بهم ، حتىٰ الشوارع والأحياء التي فيها منازلهم تغلب عليها القذارة(١) .

وقد اهتم أفراد الجالية الهندية على اختلاف أجناسهم وأديانهم بالتعليم حتىٰ يضمنوا مركزاً اجتماعياً واقتصادياً ممتازاً ، وقد علّم الهنود أجيالهم اللغة العربية والإنجليزية ، والقراءة والكتابة إلىٰ جانب لُغتهم الأصلية ، إضافةً إلى تعليمهم طبائع وعادات الجالية الهندية في شرق أفريقية(٢) .

وهناك أيضاً مجموعات صغيرة من النّوبيين والصّوماليين والجاوة والبلوش والأحباش والأتراك والشّركس والأُوروبيين(٣) .

الرّوابط الاجتماعية ومدىٰ الانصهار والاندماج بين العناصر المختلفة :

عندما انتقل السيد سعيد من مسقط إلى زنجبار ، وجعلها مقراً لسلطنته ، وجد فيها خليطاً من أجناس مختلفة . وتوالت بعد ذلك الهجرات العربية الإسلامية ، التي لم تلبث أن اندمج أفرادها مع السّكّان الأصليين ، وامتزج العرب المهاجرون بالأفارقة المقيمين على السّاحل .

---

(١) ستودراد ، لوثروب ، حاضر العالم الإسلامي ، ص ٧٧ .

(٢) المغيري ، جهينة الأخبار ، ص ٤٧٠ .

(٣) المغيري ، جهينة الأخبار ، ص ٢٦٢ ، الفارسي ، عبدالله ، البوسعيديون ، ص ٨٥ - ٨٦ ، ميخائيل ، توفيق ، غرائب الأخبار ، ص ٦٨ ، حريز ، حامد ، المؤثرات العربية في الثقافة السواحلية ، ص ٣٣ .

ومع مرور الزّمن تكون جنس مميّز وصار من الصّعب معرفة أو تمييز العربي من السّواحلي . وقد ظهر على هذا الجنس كثير من الصّفات والعادات والتقاليد الأفريقية المشبّعة بروح الحضارة الإسلامية وسادت فيما بينهم روح المحبّة والتّسامح والوفاق(١) .

ومن حُسن سياسة الوفاق والانسجام التي اتّبعها السيد سعيد ، أنه عقد بينه وبين السلاطين الأفارقة والأهالي الأصليين في الجزيرة صِلات مودّة وحُسن جوار ، فأبقىٰ نفوذ الموني مكوا - حكّام زنجبار قبل وصوله - على مواطنيهم ورعاياهم ، ولم يتدخّل في شؤونهم ، بل منحهم حريّتهم ، كما ولى على كل قبيلة أحد زعمائها .

وكان صبوراً حليماً ، لايعترض على الأحكام التي يسنّها الموني مكوا . ومن ذلك الترتيبات الاقتصادية التي كان يقوم بها الموني مكوا ، كجمع دولارين من كل فردٍ بالغ من رعاياه سنوياً . ثم أخذه النصف لنفسه ودفع النّصف الباقي للسيد سعيد ، واستمرّت العلاقة هكذا مبنية على الوفاق التّام(٢) . وكانت أسماء الموني مكوا تذكر بجانب أسماء السلاطين البوسعيديين في المساجد أثناء صلاة الجمعة ، كما تركت عادة إمامة صلاة العيد

---

(١) المغيري ، جهينة الأخبار ، ص ٢٨٤ ، ٥٢٧ ، ارنولد ، توماس ، الدّعوة إلى الإسلام ، ط ٢ ، ص ٢٨٨ ، ترجمة وتعليق حسن إبراهيم حسن وآخرين ، القاهرة ، ١٩٥٧م ،
Pearce , Zanzibar , PP. 117 - 120 .

(٢) المغيري ، جهينة الأخبار ، ص ٢٦٣ - ٢٦٤ ، الفارسي ، عبدالله ، البوسعيديون ، ص ٥٦ - ٥٧ ، فيلبس ، وندل ، تاريخ عمان ، ص ١٤٠ .

في مسجد الجمعة في زنجبار للموني مكوا ، وقد استمرّت هذه الطّريقة سارية إلى عهد السيد برغش(١) .

وكان السيد سعيد يُعامل زُعماء الأُسر التي تغلب عليها في شرق أفريقيا كالمزروعين بالاحترام ، فأبقىٰ لهم الزّعامة على جماعتهم ، والعوائد التي كانوا يتعاملون بها فيما بينهم(٢) .

ولعل في الخطاب الذي أرسله إلى أهل ممباسا مايدل على التسامح وروح الاندماج والانصهار بين السيد سعيد ورعاياه . وقد جاء فيه :

« وبعد فقد عاهدنا مشايخ السواحليين أهل ممباسا التّسع طوائف مع كافة ويكتهم(*) ، على أن يكونوا في طاعتنا ، حالهم حالنا ، وصاروا من رعايانا ، وقد عاهدناهم ، وأثبتنا لهم العوائد التي لهم من سابق عند المزاريع ، وفي طرف العشور في البروالبحر ، فهم مسموحون لا عليهم عشور في بندر ممباسا ، وعلى هذا عهد الله ورسوله ، ليعلم الواقف على هذا والسلام . . »(٣) .

وأهم ماتميّزت به السّلطنة في زنجبار عدم التعصّب لجنسٍ أو دينٍ معين ، إذ كان السيد سعيد يميل إلى الرّفق واللين والعطف والرأفة والتسامح والتعايش السّلمي بين الأجناس المختلفة من رعاياه(٤) .

---

(١) الفارسي ، عبدالله ، البوسعيديون ، ص ٥٨ .

(٢) المغيري ، جهينة الأخبار ، ص ٢٤٤ .

(٣) المغيري ، جهينة الأخبار ، ص ٢٣٩ .

(٤) المغيري ، جهينة الأخبار ، ص ٢٦١ - ٢٦٢ .

(*) ويكتهم : جماعتهم .

ولقد كان لهذا التجانس الاجتماعي تأثير كبير في ربط العلاقات العربية الأفريقية ، والتي تبرهن على روح التّسامح والمحبّة في المنهج الإسلامي الحنيف ، الذي لايعرف التّفرقة ولا العنصرية . لذلك انصهرت المجموعات المختلفة السّابقة التي تسكن زنجبار وشرق أفريقيا ، لتكوّن مجتمعاً متجانساً جديداً ، يُدين بالدّين الإسلامي ، ويرتبط مع بعضه البعض في إطار سلوكي وثقافي وسياسي مشترك .

الفصـــل الثانـــي

مظاهـر الحياة الاجتماعيـــة

- مستوى المعيشة .
- الـزّي .
- المأكل والمشـرب .
- الأعيـاد والمناسبـات .
- الولادة .
- الختّـان .
- الزّواج .
- المآتـم .
- السحـر والشعـوذة ودور العلمـاء المسلميـن في القضاء على هذه العادات .
- بعض العادات والتّقاليد في القصـور السّلطانيـة .
- الرّق في مجتمع زنجبـار وشرق أفريقيـا .

مظاهـــر الحيـــاة الاجتماعيـــة

مستوى المعيشـة :

القصور السّلطانية :

إن عمران مدينـة زنجبـار من قصـور ومساجد ومبـانٍ يعود فضله للعـرب المسلمين . فعندما قدم السيد سعيد إلى زنجبار لأول مرّةٍ في عام ١٢٥٣هـ/١٨٣٨م ، بدأ بناء أوّل قصـر من قصوره ، فأمر الشيخ صالح بن حريمل العبري أن يبني له بيت المتوني . والذي كان ضخماً وكبيراً ، شمل حيّاً بأكمله ، ولكنه رغم سعته إلا أنه كان غيـر منسّق الطّراز والتكوين الهندسي .

ويقع في مكانٍ جميلٍ على شاطىء البحر ، تحيط به الأشجار الاستوائية المختلفة ، والبسـاتين الكثيفة المحمّلة بالفواكه والخُضـار المتنوّعـة ، ويبعد مابين ثلاثة إلى خمسة أميال عن مدينة زنجبار(١) .

وسُمّي بالمتوني نسبةً إلى نهر المتوني القـريب منه ، حيث كانت مياهه تجـري في البساتين المحيطة به .

ويتكوّن هذا القصـر من عدّة أجنحـة وبنايات مختلفة التصميم والأشكال ، تصل بينها مسالك وممرّات متعددة ، ومتشابكة مع بعضها البعض ، بنيت في أزمنةٍ مختلفةٍ ، ولكل

---

(١) المغيري ، جهينة الأخبـار ، ص ٢٥٠ ، ابن سلطان ، السيدة سالمة بنت السيد سعيد ، مذكرات أميرة عربية ، ص ٥٥ ، الفارسي ، عبدالله ، البوسعيديون ، ص ١٠٤ ، روت رودلف سعيد ، سلطنـة عمـان ، ص ١١٥ - ١١٦ .

Graham , Gerald , S. , Great Britain In The Indian Ocean , P. 175 , London , 1976 .

جناح سلّمه الخاص به ، لذلك كثرت وتعددت السلالم في هذا القصر(١) . وأشهر مكان في بيت المتوني هو المنظرة أو الاستراحة ، وكان اسمها المتعارف عليه في زنجبار البنجلة(*) . وتقع بجانب شاطىء البحر أمام القصر ، وهي عبارة عن بناء مستدير الشّكل ، مفتوح الجوانب يغطّي أرضيّته وجميع جوانبه أجود أنواع الخشب الثّمين ، ومساحة المنظرة كبيرة جداً ، وكانت تُرصّ فيها كراسي مصنوعة من الخيرزان(٢) .

وكان يعيش في هذا القصر زوجة السيد سعيد السيدة عزّة بنت سيف بن الامام أحمد ، وبعض من أبنائه مع أمهاتهم السراري ، وكان السيد سعيد يقضي أربعة أيام من الأسبوع في هذا القصر(٣) .

ومن القصور السّلطانية في مدينة زنجبار بيت الساحل ، وهو أصغر بكثير من بيت المتوني ، إلا إنه أكثر ازدحاماً ، ويسكن فيه عدد كبير من أبنائه وسراريه وحاشيته ، ويتكوّن هذا القصر من طابقين ، وهو أكثر تنسيقاً من القصر السابق ، وأجمل مافيه شُرفته الواسعة التي تمتد لتُحيط واجهات القصر ، والمزيّنة بعدد كبير من المصابيح الملوّنة ، والكراسي الوثيرة . وكانت تمتلىء بالنّاس ليلاً ونهاراً ، وهي تُطلّ على الميناء وحركة السّفن الدائمة ، ويزيّن سطح القصر الأنابيب الفخارية الملوّنة ، كما يزين أعمدته الرّخام ، ويُطل القصر على ميدان فسيح ، في منتصفه سارية العلم السّلطاني الأحمر ، وله سلّمان كبيران ،

---

(١) ابن سلطان ، السيدة سالمة بنت السيد سعيد ، مذكرات أميرة عربية ، ص ٥٦ - ٥٨ .

(*) البنجلة : اسم المنظرة باللغة السواحلية ، وكانت تُستعمل للاجتماعات العائلية والرّسمية ، وهي معروفة في بيوت وقصور اليمن وجنوب الجزيرة العربية ، وهذا دليل على التأثير العربي الإسلامي ، السيدة سالمة ، ص ٦٥ .

(٢) السيدة سالمة ، مذكرات أميرة عربية ، ص ٦٥ .

(٣) السيدة سالمة ، مذكرات أميرة عربية ، ص ٥٩ ، الفارسي ، عبدالله ، البوسعيديون ، ص ١٠٤ - ١٠٥ .

أحدهما خاص باستعمال السّلطان وحاشيته ، والآخر للعُمّال والخدم ، وفي الطّابق الأول يوجد ديوان السّلطان الخاص ، وغُرف استقبال الضّيوف والطّعام . أما الطابق الثاني فتوجد فيه غُرف النّوم والجلوس التي كانت جميعها تطل على الشرفة الواسعة(١) .

وكان هُناك عدد آخر من القصور أو البيوت السّلطانية في عهد السيد سعيد ، نذكر منها بيت الوتورو الذي يقع على ساحل البحر ، والذي كان يقيم فيه السيد ماجد وأُخته السيدة خديجة ، ثم انتقلت إليه السيدة سالمة مع والدتها(٢) .

ومن القصور أيضاً البيت الثاني ، وكان مُلاصقاً لبيت السّاحل ، يصل بينهما جسر صغير ، يمر فوق أحد الحمامات التركية .

وكان هذا البيت مسكناً خاصاً لزوجة السيد سعيد الثانية الفارسية الأصل(*) ، وبعد

---

(١) المغيري ، جهينة الأخبار ، ص ٢٥٠ ، ابن سلطان ، السيدة سالمة ، مذكرات أميرة عربية ، ص ٨٦ - ٨٧ ، الفارسي ، عبدالله ، البوسعيديون ، ص ١٠٦ - ١٠٧ .

(٢) السيدة سالمة ، مذكرات أميرة عربية ، ص ٧٦ ، الفارسي ، عبدالله ، البوسعيديون ، ص ١٠٨ .

(*) عندما توفي السيد سعيد لم يكن لديه سوىٰ زوجة شرعية واحدة ، هي السيدة عزّة بنت سيف ، وحوالي سبعين سرية ، وقد تزوّج السيد سعيد ثلاث مرّات ، الأُولىٰ السيدة عزّة ، والاثنتان الاخريتان كانتا فارسيّتين ، طلّق الأُولى بعد فترة وجيزة من زواجه منها والثانية هي شهر زاد بنت أريش مرزا حاكم أصفهان وقد سكنت البيت الثاني . وبنىٰ لها السيد سعيد حماماً فارسيّاً خاصّاً ، ويُقال : إنها كانت على جانب كبير من البذخ والتّرف والإسراف ، فكانت تطرّز ملابسها بالخيوط الذّهبية واللؤلؤ الطّبيعي ، وقد أثارت بتصرّفاتها وسيرتها العرب العُمانيين ، مما دفع السيد سعيد إلى طلاقها وإرجاعها إلى وطنها ، الفارسي ، البوسعيديون ، ص ١١ - ١٤ .

أن طلّقها السيد سعيد سكنت فيه السيدة سالمة مع والدتها ، وعدد من أبناء السيد سعيد وأبنائهم(١) . ثم بنىٰ السيد سعيد في عام ١٢٦٣هـ / ١٨٤٧م بيت رأس وهو أحد القصور التي شيّدت لبناته ، ويبعد عن المدينة بحوالي خمسة أميال ، وقد استعمل كمدرسة فيما بعد في عام ١٣٦٩هـ / ١٩٥٠م(٢) .

ومن القصور المشهورة في زنجبار بيت العجائب ، وقد بناه السيد برغش في عام ١٣٠٢هـ/ ١٨٨٣م ، وسمي بهذا الاسم لجماله وروعة بنائه العجيب في ذلك الوقت ، ويقع في مواجهة البحر ، ويشتهر بشرفاته الكثيرة الواسعة ، التي تُحيط به من جهاته الأربعة ، وساعة بُرجه الأوسط ذات الأربعة أوجه(٣) ، والصوت العالي الذي كان يُسمع في جميع أنحاء المدينة ، ويتّصل هذا القصر بعدّة ممرّات سرّية توصّله بسرايات الحريم ، وبعض القصور الصغيرة المجاورة ، وكان يحرس أبواب هذه السرايات حُرّاس مسلّحون ليلاً ونهاراً ، وكان السيد برغش يستعمله للسّكن ، والضّيافة والحفلات الرّسمية ، والاجتماعات الخاصة بالعمل(٤) .

كما قام السيد برغش ببناء قصر شويني وتعني النمر . هذا إلى جانب قصور صغيرة أُخرىٰ متفرّقة في مناطق مختلفة في زنجبار والشّواطىء الساحلية(٥) .

---

(١) السيدة سالمة ، مذكرات أميرة عربية ، ص ١٠٣ ، الفارسي ، عبدالله ، البوسعيديون ، ص ١٠٨ .

(٢) الفارسي ، عبدالله ، البوسعيديون ، ص ١٠٨ .

(٣) المغيري ، جهينة الأخبار ، ص ٣٣٧ ، ميخائيل ، توفيق ، غرائب الأخبار ، ص٩٢-٩٣ ، Pearce , Zanzibar , P. 199 .

(٤) المغيري ، جهينة الأخبار ، ص ٣٣٧ - ٣٣٨ ، ميخائيل ، توفيق ، غرائب الأخبار ، ص ٩٢ - ٩٣ .

(٥) المغيري ، جهينة الأخبار ، ص ٣٤٠ .

وكان الطّراز الاسلامي العربي والفارسي ، هو المتعارف عليه في تصميم هذه القصور ، فالأبواب والنّوافذ والواجهات نُقشت بالآيات القُرآنية الكريمة ، وبعض من أبيات الشّعر كتبت بماء الذّهب(١) .

أما عن ترتيب هذه القصور داخلياً ، فكان بصفةٍ عامةٍ ذا طراز موحّد ، ففي كل قصر يغطي السجّاد الفارسي الثمين أو البسط الناعمة الرقيقة الصّنع جميع أرضية الغُرف الواسعة العالية الأسقف ، وفي كل غُرفة يوجد أربع أو خمس ثريات كبيرة ، ويغطّى جدار الغُرفة بالدّهان الأبيض ، ثم يقسّم بشكل هندسي جميل ، وتوضع به الأرفف المزخرفة بالألوان الزّاهية الممزوجة ببعض الخطوط الذّهبية ، وعلى هذه الأرفف تُرصّ أفخر وأثمن التّحف النّادرة ، بالإضافة إلى بعض الأسلحة التذكارية الثمينة ، مثل السّيوف والخناجر والبنادق المتنوّعة ، وإلى جانب هذه الأرفف عُلّقت المرايا الكبيرة الأُوروبية الصّنع وبأحجام وأشكال مختلفة ، ثم يُرصّ في الغُرفة الكراسي والمناضد الوثيرة المصنوعة من أجود وأغلى أنواع الأقمشة ، مثل المخمل والحرير الملوّن والمنقوش بالخيوط الذّهبية(٢) .

وفي غُرف النّوم ، توجد سُرر كبيرة ذات أربع قوائم عالية ، تغطى بفرشات من الحرير والتل النّاعم ، كما يوجد عدد كبير من السحّارات(*) التي يستعاض بها عن الدّواليب ،

---

(١) المغيري ، جهينة الأخبار ، ص ٣٣٧ ، ميخائيل ، توفيق ، غرائب الأخبار ، ص ٩٣ .

(٢) السّيدة سالمة ، مذكرات أميرة عربية ، ص ٧٦ - ٧٧ ، ميخائيل ، توفيق ، غرائب الأخبار ، ص ٩٣ .

(*) السحارات : السحارات في نجد عبارة عن صندوق كبير يصنع من أجود أنواع الخشب . يستورد من الهند ، ويسمى صندوق الهند ، ويشترى للعروس ، وهو يشبه ميزة غرفة النوم في الوقت الحاضر ، له أدراج متعددة لحفظ الملابس والأشياء الخاصة ، إلى جانب درج سري لحفظ النقود والحُلي . وهذا يعكس لنا وحدة العادات والتقاليد العربية والإسلامية ، وقوة الصلة التي كانت سائدة بين الجزيرة العربية ومنطقة شرق أفريقيا .

لحفظ الملابس ، وهذه السّحّارات تُرصّ على جدران الغُرفة ، وتُصنع في الهند أو محلّياً ، من أجود أنواع الخشب ، وتزيّن بالنّقوش المحفورة ، والألوان المتناسقة الزّاهية ، وأهم مايُزيّنها المسامير النّحاسية الصّفراء التي توضع بأشكال متنوّعة(١) .

ويُلاحظ أن أغلب القصور في زنجبار كانت تخص العرب ، فنجد أن كل عائلة عربية كانت تعمر وتسكن حيّاً بأكمله ، فعمارة بانجاني للبراونة ، وسكّة البرتغاليين للمحارمة ، وحارة شنقاني للمواهبة ، وحارة مبارك لعرب المناذرة ، وحارة مكنزين للشواطر ، وأكثر حارة مليندي والسهول الساحلية لآل بوسعيد ، وحارة كجفشيني لآل المغيرة وبني ريام . وهكذا نجد أن عمارة مدينة زنجبار يعود للعرب المسلمين ، وبدأ هذا العمران يزيد بالتدريج منذ أن غرست فيها شجرة القرنفل في عهد السيد سعيد ، وقد كان للهنود بعض المشاركة في بناء عدد من القصور والمنازل في زنجبار ، وظل الحال كذلك إلى أن خضعت زنجبار تحت الاستعمار البريطاني ١٣٠٤هـ/١٨٨٦م ، فأصبحت أوضاع العرب الاجتماعية متردّية ، مقارنةً بالجالية الهندية ، الذين أصبحوا يكونون العدد الأكبر من السّكّان ويملكون أغلب المرافق الاجتماعية في زنجبار(٢) .

الحمامات :

وفي زنجبار العديد من الحمامات العامة ، أهمها الحمامات السّلطانية ، بجانب بيت المتوني ، فهي عبارة عن غُرف منفردة ، بجانب بعضها البعض ، يفصل بينها قناطر حجرية مقوّسة الشّكل . ولهذه الغُرف طراز موحّد ، ففي داخلها يوجد دكّتان متقابلتان

---

(١) السيدة سالمة ، مذكرات أميرة عربية ، ص ص ٧٧ - ٧٨ .

(٢) المغيري ، جهينة الأخبار ، ص ص ٧٨ - ٧٩ .

مفروشتان بحصير جيّد الصّنع ، يستعمل للجلوس والصّلاة ، وفي المنتصف يوجد حوضان كبيران للماء ، طول كل منهما أربع ياردات وعرضه ثلاث ، ويغطّي هذه الأحواض قُبّة زجاجية للزّينة والإنارة . بجانب هذه الحمامات السابقة ، يوجد الحمام الفارسي في كجيشي في زنجبار ، والذي بني في عام ١٢٦٥هـ/١٨٤٩م ، وينفرد بموقعه عن غيره من الحمامات . وهو عبارة عن تحفة معمارية من حيث الطّراز الهندسي والبُنيان ، وظل الوحيد من نوعه في كل زنجبار(١) حتىٰ عهد السيد برغش ، الذي قام ببناء حمام متقن الصّنع والبناء على غرار الحمامات التركية في مصر والشّام(٢) .

وفي المنطقة المحيطة بالحمامات توجد أنواع مختلفة من الحيوانات والطّيور الأليفة الجميلة المنظر ، كالنعام والغزلان والببغاوات والطواويس والدّيوك الرّومية والهندية والغرانق(*) والبطّ والأوزّ وكلّها تعيش بسلام ووئام مع روّاد هذه الحمامات(٣) .

وكان للسيد سعيد خمس وأربعون مزرعة أو مقاطعة في أماكن مختلفة من جزيرة زنجبار ، يذهب إليها في بعض الأوقات للرّاحة والاستجمام(٤) . منها مقاطعة كزيمباني ، وهي من المقاطعات الهامة في زنجبار ، والتي كان يزرع فيها القرنفل ، وتحتوي على عدّة قصور ومنازل وحمامات فاخرة . ثم مقاطعة كجيشي ، التي كان يتردّد عليها كثيراً مع زوجته الفارسية شهرزاد ، وتقرب من المقاطعة السابقة ، وتكثر

---

(١) السيدة سالمة ، مذكرات أميرة عربية ، ص ٥٦ - ٥٧ .

(٢) المغيري ، جهينة الأخبار ، ص ٣٣٨ .

(*) الغرانق : جمع غرنوق ، وهو طائر جميل له ألوان زاهية .

(٣) السيدة سالمة ، مذكرات أميرة عربية ، ص ٥٧ .

(٤) السيدة سالمة ، مذكرات أميرة عربية ، ص ١٣٩ ، الفارسي ، عبدالله ، البوسعيديون ، ص ١١٣ .

بها القصور والحمامات الفاخرة ، وتأتي بعد ذلك في الأهمية مقاطعة السبليني وهي قريبة من المدينة ، وتليها مقاطعة شويني ، التي تبعد حوالي تسعة أميال عن المدينة ، وقد خصص السيد سعيد هذه المزرعة لإقامة جواريه اللاتي لم يُنجبن أطفالاً ، أو اللاتي مازال أطفالهُن صغاراً(١) .

وفي ثمانٍ من هذه المزارع توجد بعض البيوت أو الاستراحات الصّغيرة ، والبقية لايوجد فيها أماكن للإقامة ، وكان يشتغل في كلٍ منها عبيد يتروواح عددهم من خمسين إلى خمسمائة عبد حسب مساحة المنطقة ، ولكل مزرعة رئيس أو ناقور(*) عربي يعتبرالمسئول الأول عنها(٢) .

وفي زنجبار كانت تكثر الحدائق الجميلة مثل حديقة فيكتوريا المتنوّعة الأزهار والورود والريّاحين على اختلاف ألوانها وأشكالها ، إلى جانب أنواع مختلفة من الحيوانات والطّيور والأسماك ، وكان الزوّار يقصدون هذه الحديقة العامة في كل آن ، وهناك حديقة المرهوبي التي كان يوجد بها استراحة كبيرة ، تُحيط بها الأشجار المتنوّعة من كل جانب(٣) .

وقد بلغت زنجبار قمّة الرّخاء والسّعادة ، فصار العرب وحُكّامهم يتنافسون في بناء القصور ، كما يتنافسون بالجود والكرم ، وكثرة الخدم والحشم ومنهم من كان يملك ألف

---

(١) الفارسي ، عبدالله ، البوسعيديون ، ص ١١٣ - ١١٤ .

(*)النّاقور : كلمة سواحلية الأصل تعني النّاظر أو المسئول بصفةٍ عامة عن كل العاملين في المزرعة ، وهو همزة الوصل بين العمّال وصاحب المزرعة . السيدة سالمة ، مذكرات أميرة عربية ، ص ١٣٩ .

(٢) السيدة سالمة ، مذكرات أميرة عربية ، ص ١٣٩ .

(٣) المغيري ، جهينة الأخبار ، ص ٣٣٨ - ٣٣٩ .

خادم أو أكثر ، ويحضر لتناول الطعام على مائدته مايزيد على الثلاثين مدعواً ويقدّم إليهم أكثر من عشرين صنفاً من الطّعام ، من أطايب ماكان موجوداً بكثرة في مزارعه(*) .

وكانت الأطعمة وسُبل المعيشة متوفّرة للجميع بشكلٍ جيّد بدون مشقّة ولاتعب . فالغني والفقير سواء في الحصول على الخُبز واللحم والأُرز واللبن التي كانت تُباع بأرخص الأثمان(١) .

المنازل والمساجد وغيرها من الأبنية :

أما عن المنازل السواحلية فكانت تُشبه إلى حدٍ كبيرٍ المنزل الأفريقي المخروطي الشكل ، كما في المناطق الاستوائية ، ويحتّم ذلك طبيعة المنطقة ، مثل هطول الأمطار الغزيرة ، وكثرة الحشائش والأشجار ، التي كانت المصدر الأساسي للمواد الأوّلية لبناء هذه المنازل وسقفها بفروع الأشجار والنّخيل والحشائش الجافة ، ومن أهم مميزات المنازل السواحلية وجود الدّكة العربية ، وتعرف سواحلياً باسم Daka وهي المكان الرّئيسي للتجمّع والجلوس العائلي(٢) .

ورغم بساطة المنزل السواحلي إلا أنه كان شائعاً تزيين أبوابه بالنّحت والنّقوش البسيطة المستوحاة من البيئة المحلّية ، أو المأخوذة من الأنماط العربية أو الفارسية أو الهندية ، وأهم هذه النّقوش وأبرزها الآيات القرآنية ، التي تنقش أو تُنحت على الأبواب والنّوافذ(٣) . وهكذا نجد السكن السواحلي متأثّراً بشكلٍ كبيرٍ بالأنماط العربية والفارسية والهندية والأفريقية ذات الصّبغة الإسلامية .

(*) البزخ والترف الزائد عن الحد المعقول أدى إلى ضياع أملاك العرب .

(١) المغيري ، جهينة الأخبار ، ص ٢٧٩ ، ٢٨٤ ، ٢٨٧ .

(٢) حريز ، سيد حامد ، المؤثرات العربية في الثقافة السواحلية ، ص ٤٩ .

(٣) حريز ، سيد حامد ، الثقافة العربية في الثقافة السواحلية ، ص ٥٠ .

وتكثر في المناطق السواحلية المساجد والمقاهي ، ويطلق عليها سواحلياً اسم Mkahawa(*) إضافةً إلى الأسواق التي تتّسم بضيقها ، وتكثر فيها الدكاكين التي تبيع بالجُملة والقطّاعي ، والأكشاك التي تخدم المتطلّبات اليومية للسّكّان(١) .

ويفضّل الذين يعملون في الزّراعة من الأفارقة وغيرهم العيش في الأكواخ المتناثرة على طول الشريط السّاحلي ، أو بين المناطق الزّراعية .

وفي مدينة زنجبار تكثر البيوت التي يسكنها العرب والهنود ، وكل من يستطيع أن يدفع السعر المطلوب لهذه المساكن ، وهي تتكوّن عادةً من طابقين أو أربعة طوابق ، مبنيّة من الأحجار المرجانية التي توجد بكثرة في المنطقة والممرات مزخرفة بآيات من القرآن الكريم وكانت إطارات الأبواب والنّوافذ مقوّسة الشّكل ومزخرفة بقطعٍ من النحاس والنّقوش البارزة والأدوار الأرضية ليس لها نوافذ ، حيث تستعمل كمستودعات ، أما النوافذ الموجودة في الأدوار العلوية من المنزل فكان يتم حمايتها بأعمدة من الحديد ، كما يوضع على النوافذ حاجز أو شيش خشبي(٢) .

المرافق العامة :

لقد كانت تتوفر في زنجبار معظم المرافق العامة ، وقد عمل سلاطينها وحكّامها على توفير كل الأسباب لتحسين الوضع فيها ، حتىٰ أن القنصل البريطاني العام أصدر قراراً يُلزم كل فرد من الرّعايا البريطانيين بإسراج أو وضع ضوء فوق مدخل بيته من غروب الشمس إلى شروقها ، كذلك فإن السّلطان أمر أفراد رعيّته بمثل ذلك ، كما طلب من مختلف

(*) هذا يدل على التأثير العربي الإسلامي ، لأن المقهى في اليمن يسمى (المقهاية) .

(١) ترمنجهام ، سبنسر ، الإسلام في شرق أفريقيا ، ص٢٤٩ ، Lofchie , M. F. Zanzibar , PP. 6 - 7 .

(٢) Osgood , J. B. F. , Notes of Travel , P. 29 .

القناصل المعاونة في تطبيق هذا الأمر على رعاياهم ، لأن الأجانب لم يكونوا ملزمين بذلك(١) .

وقد شُقّت الطّرق العديدة التي تربط بين أجزاء المنطقة ، ومنها خط سكّة حديد من زنجبار إلى بوبوبو Bububu ، كما أُدخلت الكهرباء في جميع أنحاء البلاد والبيوت في عام ١٣٣٠هـ/١٩١٢م . وأُنشئت المحاكم ، وفُتحت مكاتب للجباية ، والزّراعة والتعليم ، والتشريع ، والقضاء . هذا بالإضافة إلى التحسينات التي تمّت في مكاتب البريد والجمارك والحربية والشرطة(٢) .

وفي عام ١٣٣٥هـ/١٩١٧م فُتح أول مكتب تلّغرافي لاسلكي في شرق أفريقيا ، ثم أُدخل التليفون في جزيرتي زنجبار وبمبا(٣) .

وشيّدت في زنجبار عدّة مستشفيات ، أهمها مستشفىٰ شكشك ، بالإضافة إلى ثلاث صيدليات ، ودار مشتركة للدراسة والأيتام(٤) . وعلى بعد ثلاثة أميال من جزيرة زنجبار كان يوجد مركز للحجر الصحّي ، يستوعب عدداً كبيراً من الحالات التي كانت تصل إليه من جميع أجزاء شرق أفريقيا وزنجبار(٥) . هذا بالإضافة إلى الكثير من المساجد التي كانت تنتشر في كل أنحاء جزيرة زنجبار والمدن الساحلية . إضافةً إلى النوادي الرّياضية والأدبية والمدارس وكنيستين وأربعة فنادق(٦) .

---

(١) F. O. 84/2149 , No. 223 , from Portal to Salisbury , dated 23,8,1891 .

(٢) المغيري ، جهينة الأخبار ، ص ٤٢٢ - ٤٢٣ .

(٣) ل . و . هولنجز وورث ، زنجبار ، ص ٢٢٧ .

(٤) F. O. 84/2149 , No. 223 , from Portal to Salisbury , dated 23,8,1891 .

(٥) هولنجز وورث ، زنجبار ، ص ٢١٦ .

(٦) ميخائيل ، توفيق ، غرائب الأخبار ، ص ٧١ .

الـــــزّي :

تختلف أزياء سكّان منطقة زنجبار بصورةٍ متباينـة ، ولاشك أن هـذا الاختلاف والتباين يرتبط باختلاف أجناسهم ، والوضع الإجتماعي للفـرد .

إلا إن تعدد الجنسيات في القصور السّلطانية لم يكن له أثر في هذا التباين ، فقد كان الزّي العربي هو الزّي الموحّد لجميع سُكّان القصور .

إذ يُعطىٰ القادم الجديد أو القادمة مُهلة ثلاثـة أيام للظّهور في لباسـه الوطني ، ثم تقدّم له الملابس العربيـة في اليوم الثالـث لتصبـح الـزّي الرّسمي ، الذي يجب عليـه ارتداؤه بعد ذلك(١) .

ويتميّز الـزّي في زنجبـار بالبساطة وعدم التعقيد بصفةٍ عامة ، ويعكس أثر العرب المسلمين ، والدور الحضاري الذي قاموا به في نشـر عادة اللبس المحتشم ، وتـرك العادات البدائيـة ، مثل عـادة العُـري التي كانت منتشـرة في كثيـرٍ من المناطـق الدّاخليـة في القـارة الأفريقيـة .

وتتكـوّن ملابس الرّجـال عـادةً من ثوبٍ قُطني أبيض طـويل ذي أكمام تصـل إلى المرفقين ، وهو عبارة عن الثوب العربي الإسلامي ويُطلق عليه اسم الكنزو Kanzu . ويلبس العربي خارج بيتـه عمامة كبيرة ، تسمىٰ كليمبا Kilemba وتحتاج في لفّهـا إلى شيءٍ من الدّقّـة والمهـارة والوقت ، وقد تستغرق مايقرُب من نصف الساعة ليتم لفّها بالطـريقة الصحيحة ، لذلك يحرص الرّجل على رفع عمامته عن رأسه بحذرٍ وانتباهٍ شديدين عند

---

(١) السيدة سالمة ، مذكرات أميرة عربية ص ٦٦ .

خلعها ، فالأقمشة التي تستعمل للعمائم لايُشترط أن تكون من النّوع الغالي الثمين والرّجل السّواحلي يلبس على رأسه الكوفيـة Kofia(١) .

وفوق الثـوب يلبس الرّجل الزّنجباري حِزاماً من الحرير الكشميري الممتاز الغالي الثمن ، والذي قد يصل سعره إلى المائتي دولار ، ويملك الرّجل من علية القوم عدداً كبيراً من الأحزمة المختلفة الألوان والأشكال(٢) .

وفي بعض المناطق السواحلية يلبس الرّجال فوق الكنزو رداءً طويلاً مفتوحاً من الأمام يُسمّىٰ جبّة Jubbeh أو قفطاناً Caftan(٣) . وهناك من يلبس في المناسبات الرّسميّة سُترة للصّدر تُسمىٰ كوتي Koti(٤) ، وفي بعض المدن الساحليـة المتمسّكـة بالعادات والتقاليد القديمة يلبس الرّجـل العبـاءة ، أو التي يُطلـق عليهـا سواحـليّاً كيـزبـــاو

---

(١) المغيري ، جهينة الأخبار ، ص ٥٤٣ ، السيدة سالمة ، مذكرات أميرة عربية ، ص ٢٢١ ، حريز ، سيد حامد ، المؤثّرات العربية في الثقافة السواحلية ، ص ٥١ - ٥٢ ، محمد ، عبدالله نجيب ، مصطلحات سواحلية في ضوء العلاقات الاجتماعية ، القاهـرة ، ص ٢٤ ، ١٩٨٧م ،

General Rigby , Zanzibar , P. 102 , Pearce , Zanzibar , P. 240 , White , G. H. Shelswell , A guid to Zanzibar , P. 28 , R. F. Burton : Zanzibar , Vol. I , PP. 382 - 383

(٢) السيدة سالمة ، مذكرات أميرة عربية ، ص ٢٢١ ، حريز ، سيد حامد ، المؤثّرات العربية في الثقافة السواحلية ، ص ٥٢ ، Burton , R. F. , Zanzibar , Vol. I , P. 383 .

(٣) محمد ، عبد الله بخيت ، مصطلحات سواحلية ، ص ٢٤ . ،

Burton , R. F. , Zanzibar , Vol. I , P. 383 .

(٤) حريز ، سيد حامد ، المؤثّرات العربية في الثقافة السواحلية ، ص ٥٢ .

Kizibao ، فوق الكنزو ، ثم يضع الشال كاشيدا Kashida فوق كتفيه(١) . والسّواحليون ذوو الأصول العربية لاتكتمل زينة ملابسهم إلا بالسلاح ، مثل السّيف والخنجر العربي المعكوف ، المطعّم بالعاج وقطع الذّهب والأحجار الكريمة(٢) .

أما عن ملابس الرّجال الهنود من سُكّان زنجبار ، فهي عادية ولاتلفت الانتباه ، وتتكوّن من قميص طويل ، وبنطلون واسع ، وكلاهما مصنوع من القُطن الأبيض . وغطاء الرّأس عبارة عن طاقية بسيطة وصغيرة ، وذوو النفوذ والجاه منهم يلبسون ثياباً حريرية ، مزيّنة بالأشرطة الذّهبية الكثيرة ، إضافةً إلى كوفية مطرّزة أيضاً(٣) .

ويضيف لنا توفيق ميخائل - شاهد عيان - لباس الهنود البانيان فيقول : « أقبح كل الأزياء لباس رجال البانيان ، فهم مهما كان قدرهم ، لايلبسون سوىٰ جاكتة أو بالطو . ويلفّون نصفهم الأسفل بقطعةٍ من الشاش بكيفية قبيحة لاتسترهم تماماً . . . ، ويتعمّمون بعمامة كبيرة ، أو يكتفون بالطاقية الهندية »(٤) . وفي بعض الأحيان يضعون شالاً على أكتافهم يسمّىٰ شودا Chudda(٥) .

أما بالنسبة للنساء فمن العادات المتعارف عليها لاختيار الملابس في زنجبار ، أن يحضر الرّجل كل ماتحتاجه أُسرته ، لأنه لايُسمح للنّساء بالذّهاب إلى الأسواق ، والنّظام المعروف

---

(١) حريز ، سيد حامد ، المؤثّرات العربية في الثقافة السواحلية ، ص ٥٢ ،
Burton, R. F., Zanzibar, Vol. I, P. 383.

(٢) السيدة سالمة ، مذكرات أميرة عربية ، ص ٢٢٢ ، حريز ، سيد حامد ، المؤثّرات العربية في الثقافة السواحلية ، ص ٥٢ ، Burton, R. F., Zanzibar, Vol. I, P. 385.

(٣) Pearce, Zanzibar, PP. 254 - 256.

(٤) ميخائيل ، توفيق ، غرائب الأخبار ، ص ٧٠ .

(٥) Pearce, Zanzibar, P. 257.

في القصر السّلطاني ، هو أن يستورد السّلطان كل ماتحتاجه أُسرته وخدمه وحشمه مرةً واحدةً في كل عام ، ثم توزّع على الجميع في وقتٍ محدد بيومين أو أربعة أيام ، بعد أن يقوم العبيد بترتيب وتصنيف البضائع ، ثم يفوّض السّلطان بناته الكبيرات للقيام بعملية التوزيع(١) .

والزّي المتعارف عليه للطّبقة العليا من النساء ، يتميز بالبساطة وعدم التعقيد ، وهو عبارة عن قميص واسع يصل إلى الرّكبتين وتحته يلبس سروال عريض من الأعلىٰ وضيّق عند القدمين ، وعصابة من الحرير يلف بها الشعر تسمىٰ دوسمالي Dusmal أو دستمال Dastmal(✻) تتدلّىٰ من الخلف حتىٰ تصل الوسط(٢) .

وليس هناك اختلاف بين أزياء النساء العربيات في الشكل ، وإنما يكون التميز في جودة القماش ، وكيفية اختيار الألوان وتناسقها مع بعضها البعض . وتشرح السيدة سالمة ذلك بقولها :

---

(١) المغيري ، جهينة الأخبار ، ص ٥٤٤ ، السيدة سالمة ، مذكرات أميرة عربية ، ص ص ١٣٤ - ١٣٥ ، محمد ، عبدالله بخيت ، مصطلحات سواحلية ، ص ١٨ .

(٢) Burton , R. F. , Zanzibar , Vol. I : P. 386 .

(✻)الدوسمالي أو الدستمال هي عبارة عن منديل ملوّن من الحرير ، يربط به الرّأس على شكل عُصبة ، وأصله من مسقط ، وتستعمله نساء الطّبقة العليا ، ويُسمىٰ بالفارسية داست مال Dast mal ، وفي عدن الدّيسمالي Dusmali ويسمىٰ سواحلياً نجوكوجيتندو Nguo Ku Jitanda ، محمد ، نجيب عبدالله ، مصطلحات سواحلية ، ص ١٨ .

« لاتخضع القمصان والسراويل إلى شكل معيّن ، وكل مايشترط فيه ، أن لاتكون القمصان طويلة ، فتغطي الوشي المذهب على السروال ، وأن لايغطي السروال بريق الخلخال الذّهبي الثمين ، الذي يحيط بالساق ، والذي تتدلّىٰ منه أجراس ذهبية صغيرة . . . ، وتغطي عُصبة الرأس أكثر الجبهة ، دون أن تؤثّر على الحواجب . . . . ، ويتدلّىٰ من العصبة على الظّهر شريطان أنيقان . . . . ، حاملين في نهايتهما المطرزتين بشتىٰ الألوان الذهبية بعض مصوغات دقيقة من الزّاهية والفضّة »(١) .

وعند الخروج من المنزل - ويكون ذلك للضّرورة فقط - ترتدي المرأة العربية العباءة ، وتسمىٰ بوبــو Bui Bui(*) ، وهي عبارة عن قطعة كبيرة من الحرير الموسلين الأسود أو الأحمر ، وتطرز جوانبها بخيوط الذهب أو الفضّة ، ويعود ذلك حسب مكانة وذوق صاحبة العباءة . تلفّها المرأة حول جسدها من الرأس حتىٰ القدم بشكلٍ فضفاض يخفي جميع أجزاء جسمها ورأسها ، وكانت تلك العباءة لاتستخدم في الماضي إلا من قِبل النساء العربيات ، ولكن شاع استعمالها بعد ذلك بين معظم النساء في زنجبار(٢) .

وهذا كلّه يقوم دليلاً على الأثر العربي الإسلامي وتعمّقه في هذه المنطقة ، حتى شمل كل شيء فيها من مأكلٍ ومشربٍ وملبس .

---

(١) السيدة سالمة ، مذكرات أميرة عربية ، ص ١٣٦ .

(٢) السيدة سالمة ، مذكرات أميرة عربية ، ص ١٣٦ ، محمد ، عبدالله بخيت ، مصطلحات سواحلية ، ص ١٩ ، حريز ، سيد حامد ، المؤثرات العربية في الثقافة السواحلية ، ص ٥٢ - ٥٣ .

Pearce, Zanzibar, P. 247, White, G. H. Shelswell, A guide to Zanzibar, P. 28.

(*) البوبو : تشبه العباءة النسائية التي تستعمل في الجزيرة العربية ومنطقة الخليج العربي الباحثة .

وفي فصل الشّتاء يندر أن تلبس المرأة - في زنجبار - المئزرة ، وهي عبارة عن معطف صوفي يشبه العباءة ، يُلبس من الرّأس حتىٰ القدمين ، وله فتحة في الوسط تُقفل بأزارير معدنية أو ذهبية(١) .

كما كانت نساء الطّبقة العُليا في زنجبار تستعمل الشّراعة Sheraa وهي عبارة عن مظلّة كبيرة ، يحملها العبيد والخدم لتحجب المرأة عن أعين النّاس(٢) . وكبر الشّراعة وكثرة عدد حامليها يدل على رِفعة منزلة ومكانة المرأة التي تحجبها .

والفتيات الصّغيرات السّن اللاتي لم يبلُغن سن الرّشد ، يلبسن الثياب المعتادة ، وفوقها قميص واسع مطرّز بخيوط من الذّهب والفضّة ، ويزين شعر هؤلاء الفتيات بضفائر صغيرة كثيرة العدد ، تُربط بشرائط جميلة ملوّنة ، ثم تُلف جميع الضّفائر والأشرطة في جديلة أو ضفيرة واحدة ، تحلىٰ بالقطع الذّهبية المطعّمة بالأحجار الكريمة الثّمينة ، أو قد تُترك جميع الضّفائر الصّغيرة على الظّهر، بعد أن تُربط نهاية كل منها قطعة ذهبية محفور عليها آية من الآيات القرآنية الكريمة(٣) .

وترتدي النساء، من الطّبقة العامة الوقاية wkaya ، وهي قطعة طويلة من القماش القطني أو الموسلين ، تُلف بعناية تامة حول الرّأس لتغطّي الصّدر والرّقبة ، وتُترك نهايتها تتدلّىٰ إلى الأمام(٤) .

---

(١) السيدة سالمة ، مذكرات أميرة عربية ، ص ١٣٦ .

(٢) محمد ، عبدالله بخيت ، المصطلحات السواحلية ، ص ١٨ ، المغيري ، جهينة الأخبار ، ص ٥٤٣ - ٥٤٤ .

(٣) السيدة سالمة ، مذكرات أميرة عربية ، ص ص ٦٧ - ٦٨ .

(٤) محمد ، عبدالله بخيت ، المصطلحات السواحلية ، ص ١٨ .

كما تستعمل بعض النساء العربيات والسواحليات البُرقع Borkoa ، وهو عبارة عن حجاب يغطي الوجه كله عدا منطقة العينين ، وهذا أيضاً يدل على الأثر العربي الإسلامي ، لأن هذا النّوع من اللباس كانت تستعمله النساء الحضرميّات القادمات من جنوب الجزيرة العربية(١) .

ومن أزياء النساء السّواحليات الواسعة الانتشار في جميع أنحاء زنجبار الكانقة Kanga ، كما تُسمىٰ ليسو Leso في بعض أجزاء المنطقة السواحلية ، وهي تمثل الأثر الأفريقي في الزّي النسائي . وهو عبارة عن قطعتين من القماش القطني المشجّر بالألوان والأشكال ذات الطّابع الأفريقي ، تُلف القطعة الرّئيسية حول الجسم من أعلىٰ الصّدر إلى تحت الرّكبتين بقليل ، وأحياناً تصل إلى كعب القدم . والقطعة الثانية تلبس فوق الرّأس والكتفين وتغطي الوجه ، وأحياناً تغطي الكتف الأيمن والرّأس فقط(٢) .

وفي الفترة الأخيرة أصبحت المرأة السواحلية تستعمل قطعة واحدة من الكانقة ، حيث تلبس ثوبها الاعتيادي ، ثم تغطي رأسها وأعلىٰ الجسم بهذه القطعة ليسو(٣) .

---

(١) محمد ، عبدالله بخيت ، مصطلحات سواحلية ، ص ١٨ .

R. F. Burton : Zanzibar , Vol. I , P. 386 .

(٢) محمد ، عبدالله بخيت ، مصطلحات سواحلية ، ص ١٩ ، حريز ، سيد حامد ، المؤثرات العربية في الثقافة السواحلية ، ص ٥٣ ،

Pearce , Zanzibar , PP. 246 - 247 , White , G. H. Shelwell , A guide to Zanzibar , P. 28 .

(٣) حريز ، سيد حامد ، المؤثرات العربية في الثقافة السواحلية ، ص ٥٣ .

ومن الطبيعي أن تكون ملابس الفقيرات من نساء السواحليين والمزارعين الأفارقة أقل شأناً في نوعيّة القماش ، ولكن يمكن القول بصفةٍ عامةٍ : إن المرأة السواحلية محتشمة بملابسها الطّويلة اللائقة ، المختلفة الألوان بشكلٍ أنيق(١) .

أما عن نساء الهنود بصفةٍ عامة فيلبسن ثياباً حريرية متوسّطة الطّول ومفتوحة الجوانب ، وسراويل واسعة ، ويضعن على رؤوسهن وأكتافهن شالات من الحرير الهندي المزركش بالألوان الجميلة ، وهو زي جميل وناعم . والنّساء المسلمات من الهنود يلتزمن بالحجاب(٢) .

ومن مظاهر الحياة في زنجبار أن تتزيّن المرأة بجميع مالديها من الحلي والمجوهرات ، وتقول في ذلك السيدة سالمة :

« إن الزّينة بالحلي أمر شائع إلى حدٍ أن الشّحاذات المتسوّلات يضعن عليهن حليهن ومصاغهن ، وهن يقفن في منعطفات الطريق يستجدين »(٣) .

ومن حلي المرأة القلادة ، والخلخال ، والأساور ، والبناجر ، والخواتم ، التي تلبس في جميع أصابع اليدين ، والحزام في الوسط ، وجميع هذه الحلي تكون ذهباً ، إذا كانت المرأة ذات ثروة ، ومن الذّهب والفضّة بالنسبة لمتوسّطة الحال(٤) .

---

(١) Pearce, Zanzibar P. 247.

(٢) ميخائيل ، توفيق ، غرائب الأخبار ، ص ٧٠ ، Pearce, Zanzibar P.256.

(٣) السيدة سالمة ، مذكرات أميرة عربية ، ص ٦٦ - ٦٧ .

(٤) المغيري ، جهينة الأخبار ، ص ٥٤٤ ، Burton, R. F., Zanzibar, Vol. I, PP. 386 - 387.

وكذلك الحال بالنسبة للمرأة الأفريقية والسواحلية ، فهي تستخدم بكثرة الحلي والزّينة مثل الأساور ، والخلاخل ، والخواتم ، من الذّهب ، والفضّة ، والنحاس ، كما تستخدم المرأة المتزوّجة الأصباغ والمساحيق الملوّنة ، وتهتم القبائل السواحلية الأفريقية بشكل كبير بتجميل الشّعر سواء للرّجال أو النّساء . وفي بعض المناطق - كما في قبائل الزّولو Zulu تحلق المرأة شعرها أو تقصّره كثيراً . ومن مظاهر الزّينة الغريبة في بعض القبائل مثل التسونجا Tosonga إتلاف الأسنان كبردها أو نزعها ، وقطع أو بتر أحد أصابع اليدين(١) .

ومن زينة المرأة السّواحلية الأفريقية ، أنها تثقب أُذنيها بثقوبٍ عديدة ، وتضع فيها قطعاً من ورقٍ مستدير ملوّن ، وفي المناسبات والأعياد يقوم النّساء والرّجال ، بوضع شقوق تسمىٰ سيكاتريزيشن Cicatrization ، في الوجه والجسم ، بأشكالٍ ونماذج هندسية معيّنة ، كما تخرم المرأة أنفها وتضع فيه قطعة كبيرة من الذّهب(٢) .

ولكمال زينة المرأة ، تستعمل العطور المختلفة مثل المسك والعنبر وماء الورد ، والعطور الأُوروبية المتنوّعة والزّعفران ، ويتزيّن أيضاً بالكحل والحنّاء(٣) .

---

(١) محمد ، عبدالله بخيت ، دراسات في الأدب السّواحلي ، ص ٣١ ، القاهرة ، بدون تاريخ .

(٢) محمد ، عبدالله بخيت ، دراسات في الأدب السّواحلي ، ص ٣١ ، ميخائيل ، توفيق ، غرائب الأخبار ص ٧ ،

Pearce , Zanzibar , PP. 246 - 247 .

(٣) السيدة سالمة ، مذكرات أميرة عربية ، ص ١٣٥ ، Burton , R. F. , Zanzibar , Vol. I , P. 388 .

المأكل والمشرب :

كان الأكل في زنجبار يتنوّع ويختلف حسب الشّعوب المقيمة فيها . ففي القصور السلطانية كانت المطابخ في جهةٍ منفصلةٍ عن القصر وهي تعج بالعاملين والطّبّاخين على اختلاف أجناسهم ، وكانت أطباق الطّعام التي تقدّم تحفل بالمأكولات العربية والتركية والفارسية والأُوروبية والرّوسية والهندية والأفريقية(١) . وذلك حسب تنوّع وتعدد الزّوجات والجواري التّابعات لحُكّام زنجبار .

وبجانب المطبخ يوجد مكان خاص تزدحم فيه الأغنام والأبقار والجمال ، حيث يقوم الجزّارون بذبحها وسلخها وتنظيفها ، ثم ينقلها العبيد إلى المطبخ ، ليعدها الطّبّاخون للطعام ، ولا يوجد في زنجبار أماكن أو دكاكين لبيع اللحوم ، وإنما يقوم كل بيت بتوفير مايحتاجه منها ، كلٍ حسب مقدرته(٢) .

وإلى جانب اللحوم ينقل للمطبخ عشرات السلال من الأسماك المختلفة الأحجام والأنواع ، كما يزود أيضاً بجميع أنواع الطيور ، التي تشترى بالعشرات . ويحتوي المطبخ أيضاً على كميات كبيرة من أكياس الأرز والسّكر والحنطة والطّحين . هذا إلى جانب الزبد والتوابل وكميات كبيرة من الفواكه المختلفة المستوردة والمحلّية ، التي يحملها كل صباح من ثلاثين إلى خمسين عبداً في أقفاصٍ كبيرةٍ وبكمّياتٍ هائلة(٣) .

وللطّعام في القصور السّلطانية مراسيم وعادات وتقاليد خاصة ، يراعى اتّباعها بكل دقّة واحتراس .

---

(١) السيدة سالمة ، مذكرات أميرة عربية ، ص ٦٦ .

(٢) السيدة سالمة ، مذكرات أميرة عربية ، ص ٨٧ .

(٣) السيدة سالمة ، مذكرات أميرة عربية ، ص ٨٨ .

وكان يقدّم في قصر السّلطان سعيد وجبتان رئيسيتان ، الأُولىٰ من حوالي التاسعة والنّصف أو العاشرة صباحاً ، حيث يجتمع الكل لتقبيل يد السيد سعيد إذ يتناول طعام الإفطار معه إخوته وأبناؤه وبناته وأحفاده الذين بلغوا سن الرّشد ، وزوجته عزّة بنت سيف .

والوجبة الثانية والأخيرة تقدم في حوالي الساعة الرّابعة بعد الظّهر ، وتطبق عليها نفس طرق ومراسيم الوجبة السابقة .

ولم يكن هناك غرفة خاصة لتناول الطعام ، وإنما كان يوضع في الشرفة الرّئيسية في بيت المتوني ، أو في إحدىٰ الغُرف الكبيرة في القصر ، حيث توضع السّفرة ، التي هي عبارة عن طاولة لاترتفع عن الأرض أكثر من ثلاث بوصات ، وفي بعض الأحيان كان يوضع الطّعام على السماط(*) وأول من أكل على المائدة من حُكّام زنجبار هو السيد حمود عام ١٣١٤هـ/١٨٩٧م(١) .

ويتناول الجميع الطعام جلوساً على الأرض، ولهذا الجلوس ترتيبه ونظامه الخاص أيضاً، حيث كانت مراعاة السن والمقام تطبّق بكل حرص ودقّة، فكان السلطان يجلس في صدر المائدة، ثم يليه أبناؤه حسب أعمارهم، وفي المقابل يجلس الأحفاد بنفس النظام والترتيب. وتحتوي المائدة على أكثر من خمسة عشر صنفاً ترصّ بنظامٍ في صحون صغيرة حول السّفرة، ويكون الأرز هو الطّبق الرّئيسي فيها - ماعدا وجبة الإفطار - حيث يوضع في أطباق كبيرة وسط السفرة ، ولم يكن هناك عادة تخصيص صحن لكل فرد ، بل الكل يأكل مما يليه ولاتستعمل الملاعق والشّوك والسّكاكين إلا نادراً - حين

---

(١) المغيري ، جهينة الأخبار ، ص ٤٠٣ .

(*)السماط : قطعة من الخوص أو البلاستيك ، تُفرش على الأرض ويوضع عليها الطعام ، ويجلس حولها الناس للأكل . الباحثة .

حضور بعض الضّيوف الأُوروبيين - وإنما تستعمل اليد اليمنىٰ لذلك الغرض مع تحاشي تناول الطعام باليد اليسرىٰ .

ومن عاداتهم الحسنة عدم التحدّث أثناء الأكل ، الذي يبتدأ بالبسملة ، ويختتم بالحمد والثناء ، وكل ذلك اتّباعاً لتعاليم الدّين الاسلامي الحنيف .

ويطوف العبيد قبل وبعد الطّعام بالأباريق والطشوت الصّغيرة والمناشف لغسل الأيدي . وبعد الانتهاء من الطّعام يكون السّلطان هو أوّل من يغادر غرفة الطّعام ، ثم يتبعه الباقون ، وبعد نصف ساعة تقدّم القهوة العربية للجميع . ولايوضع على السّفرة أي نوع من المشروبات أو الفواكه إلا بعد الانتهاء من الطّعام(١) . إذ كانت كؤوس العصير والحلوىٰ والفاكهة تُدار على الحاضرين في أوقات متتالية إضافةً إلى الوجبتين الرّئيسيّتين .

أما جواري السلطان وسراريه ، فلم يكن يسمح لهن بالجلوس معه ، مهما بلغت مكانتهن وحظوتهن . وتشرح السيدة سالمة التّميز الطّبقي في مراسم الطّعام بقولها :

> « ولايظهر التّميز الطّبقي على أشدّه في الشّرق إلا في مراسم تناول وجبات الطّعام ، فلكل طبقةٍ مقامها ودورها ، والشرقي بطبيعته كريم ، مضياف ، لايبخل على ضيفه بشيء ، ولكنه لايجد غضاضة في إبعاده عن مائدة الطّعام ، والطّلب منه انتظار دوره مع أنداده في المكانة والمقام . وهذه العادة أصبحت من القدم والرّسوخ في زنجبار ، بحيث لاتسبب أي إحراج أو إهانة إلى أحد »(٢) .

وكان لجواري السيد سعيد في زنجبار نظام طبقي معروف ، فكل مجموعة تتناول الطّعام

---

(١) ولمزيدٍ من التفصيل عن الطّعام ومراسيمه وأنواعه ، السيدة سالمة ، مذكرات أميرة عربية ، ص ١١٣ - ١١٥ .

(٢) السيدة سالمة ، مذكرات أميرة عربية ، ص ٩٠ ، ١١٣ .

على حدة ، فالشّركسيّات الشّقراوات يرفضن الجلوس على مائدةٍ واحدةٍ مع الحبشيّات السّوداوات . إلا أن ذلك لم يكن يؤثّر على أولادهن ، الذين يتساوون في الحقوق والواجبات مهما اختلفت جنسيّات أُمّهاتهم(١) .

ومن الأطعمة المعروفة في المنطقة السواحلية الأرز البرياني Biriani(٢) ، وكذلك هناك أنواع من الأطعمة البسيطة التي تتكوّن من الأرز الذي يطبخ بعصارة جوز الهند ، ثم يُضاف إليه بعض اللحوم مثل السّمك الجاف ، خاصةً سمك القرش ، أو الدّجاج أو لحم الضّأن ، أو الموز الأخضر المطبوخ بمرق اللحم أو الدّجاج .

ويصنع الخُبز على شكل دوائر صغيرة ، ولايؤكل بكثرة ، إذ يستعاض عنه بالأرز المطبوخ بالنارجيل .

ويتكوّن غذاء الزّنوج من العصيدة التي تُصنع من دقيق المهوقو Muhogo ، أو من الجزر اليماني ، كما يطبخون الحبوب بأنواعها مثل الفاصوليا والفول ، ويأكلون الموز الأخضر المطبوخ ، والأرز بالكاري المخلوط باللحوم المختلفة(٣) .

ويشرب السواحليون الشاي والقهوة العربية ، التي يحرص صاحب المنزل على أن يقدّمها بنفسه لضيوفه بأواني القهوة العربية المعروفة وطريقتها(٤) .

ومن العادات والتقاليد الاجتماعية التي أدخلها الإسلام في زنجبار ، عدم الأكل في

---

(١) السيدة سالمة ، مذكرات أميرة عربية ، ص ٩٠ .

(٢) حريز ، سيد حامد ، المؤثرات العربية في الثقافة السواحلية ، ص ٥٠ .

(٣) ميخائيل ، توفيق ، غرائب الأخبار ، ص ٧٤ ، Pearce , Zanzibar , PP. 241 - 242 .

(٤) توفيق ميخائيل ، غرائب الأخبار ، ص ٧٤ ، حريز ، سيد حامد ، المؤثرات العربية في الثقافة السواحلية ، ص ٥٠ - ٥١ ، Burton , A. F. , Zanzibar , Vol. I , P. 389 .

الطريق مهما كان السبب ، ويعتبر ذلك عيباً كبيراً ، إضافةً إلى وجوب الأكل باليد اليُمنىٰ وعدم استعمال اليد اليُسرىٰ ، تمشّياً مع أوامر الدّين الإسلامي الحنيف(١) .

ويُشبه طعام الهنود المسلمون طعام سكّان المنطقة السواحلية ، أما البانيان فطعامهم محدود ، ويتكوّن من الحبوب والقمح والخضار ، ويحرم عندهم أكل اللحوم ، لأن معتقداتهم تحرّم ذبح أي شيء فيه روح وحياة ، فهم طبقة معتزلة لاتسمح لهم معتقداتهم المشاركة الاجتماعية لأي طائفةٍ أُخرى(٢) .

أما عن مياه الشّرب في زنجبار فكان يستحصل عليها عن طريق العيون الطّبيعية النّقيّة والصحّية التي تبعد بعض الشيء عن المدينة ، وفي السّابق كان يصل الماء إلى المنازل عن طريق السّقا ، إذ ينقل الزّنوج الأقوياء الماء بواسطة الجرار على ظهورهم ، ثم استعملت المواسير والحنفيّات لتوصيل الماء إلى المنازل مجّاناً(٣) .

---

(١) ميخائيل ، توفيق ، غرائب الأخبار ، ص ٩٦ .

(٢) Pearce , Zanzibar , P.257 .

(٣) ميخائيل ، توفيق ، غرائب الأخبار ، ص ٧٤ ، السيدة سالمة ، مذكرات أميرة عربية ، ص ٨٧ .

الأعيــاد والمناسـبات :

كان لانتشار الإسلام في زنجبار وشرق أفريقيا أثره الواضح في المظاهر الاجتماعية ، التي أسهم العرب المسلمون في وضع قواعدها وأُسسها بشكلٍ تدريجي . ومن هذه المظاهر احتفال المسلمين بشهر رمضان المبارك ، فقد كان يُطلق على ليلتي البداية والنهاية فيه اسم ليلة الشّك ؛ لأن دخول شهر رمضان وخروجه يكون بتحرّي رؤية الهلال ، وكان لهذا الشهر فرحة واغتباط كبيرين لدى المسلمين ، فضلاً عمّا كان له من مكانةٍ كبيرةٍ بين الوثنيين ، إذ كانوا يبتعدون - في هذا الشهر - عن تعاطي الخمور ، وممارسة الطّقوس الدّينية التي يقوم بها السّحرة والمشعوذون ، على اعتبار أن الأرواح والشّياطين تسجن في هذا الشهر الكريم ، وأن شهر رمضان للنّسُك وقمع الشّهوات(١) .

وكان المسلمون يقومون بصيام شهر رمضان ، الرّكن الرّابع من أركان الإسلام الخمسة . ويبدأ الصيام في زنجبار عندما تطلق سفينة السيد سعيد المسمّاه الرّحمانية مدافعها إشعاراً ببداية الإمساك فيتوقّف الجميع عن الأكل والشّرب ، حتىٰ غروب الشّمس ، ويكون الإفطار عادةً ببضع تمرات ثم يجتمع أفراد العائلة حول المائدة بعد أداء فريضة صلاة المغرب ، حيث تقدّم أصناف الطّعام المتعدّدة الأشكال والألوان(٢) .

وليالي رمضان من أجمل وأروع الأيام ، حيث يتجمّع النّاس بعد أذان العشاء في المساجد والجوامع الكبيرة ، وبأعداد كثيرة لأداء صلاة التراويح ، حتىٰ أُولئك الذين

---

(١) ترمنجهام ، سبنسر ، الإسلام في شرق أفريقيا ، ص ص ١٧٠ - ١٧١ .

(٢) السيدة سالمة ، مذكرات أميرة عربية ، ص ص ٢٢٥ - ٢٢٦ .

لايهتمّون عادةً بالذّهاب إلى المساجد ، ويكثر في هذا الشهر تلاوة القرآن ، وعقد النّدوات الدّينية لشرح القرآن الكريم وتفسيره ، إضافةً إلى الأحاديث النّبوية الشّريفة(١) .

وبعد صلاة العشاء والتراويح ، يذهب الناس إلى منازلهم للرّاحة والنّوم ، أو يتجمّعون في مجالس خاصة للسّمر ، حيث تُدار عليهم الحلوىٰ والقهوة العربية ، والعصيرات إلى أن يُعلن وقت السّحور ، عن طريق مدافع السّفينة الرّحمانية(٢) .

وكبير الأُسرة يكون مسئولاً عن صيام جميع أفراد منزله عدا الأطفال دون العاشرة منهم ، وتكثر في شهر رمضان أعمال البرّ والخير والصّدقات والولائم التي تقام لجميع طبقات الفقراء والأغنياء ، حيث تُعدّ المأكولات المنوّعة ، وتفتح الأبواب لكل طارقٍ قريباً كان أو بعيداً(٣) .

وللعشر الأواخر من شهر رمضان مكانة عظيمة في نفوس المسلمين ، إذ يتحرّون فيه ليلة القدر ، التي هي خير من ألف شهر ، ويقضون هذه الليالي في التّهجّد والابتهال والاستزادة من العبادة إرضاءً لله سُبحانه وتعالىٰ .

---

(١) السيدة سالمة ، مذكرات أميرة عربية ، ص ٢٢٦ ، ترمنجهام ، سبنسر ، الإسلام في شرق أفريقيا ، ص ١٧٠ - ١٧١ .

(٢) السيدة سالمة ، مذكرات أميرة عربية ، ص ٢٢٦ .

(٣) السيدة سالمة ، مذكرات أميرة عربية ، ص ٢٢٦ - ٢٢٧ .

ويبدأ الاستعداد للعيد منذ الأسبوع الأخير من رمضان إذ ينهمك الجميع في تجهيز الحلوىٰ والهدايا والملابس الجديدة ، كما يقوم الزنجباريون بإعداد الكعك والمعجنات المختلفة ، هذا بالإضافة إلى تحضير الحيوانات المختلفة التي تُذبح في هذه المناسبة السّعيدة ، مثل الثيران والأبقار والأغنام والماعز والغزلان والخرفان والطّيور والدّواجن المتنوّعة كالبطّ والإوز والدّجاج والحمام ، كما تُكدّس المخازن بأنواع الأرز والحبوب وغير ذلك من الأطعمة(١) .

وفي آخر ليلة من ليالي هذا الشهر الكريم يتحرىٰ الجميع رؤية هلال شوّال ، ويرسل لذلك السيد سعيد بعض الرّجال ذوي البصر الحاد إلى أعلىٰ مكان في زنجبار كالقلاع القديمة ، أو صواري السّفن الكبيرة الرّاسية في الميناء . ولم يكن ذلك صعباً لصفاء السّماء معظم أيام العام في زنجبار . فإذا ثبت رؤية هلال العيد دوت المدافع تُعلن بدء أيام عيد الفطر واحتفالاته ، التي كانت لاتختلف في جوهرها ومضمونها عن الاحتفالات به في أي بلدٍ إسلامي آخر . إذ يحتشد الناس في السّاحة أمام قصر السّلطان حيث تصطف العساكر تحت الأعلام الحمراء المنتشرة على شاطىء البحر ، ثم تدق الفرقة العسكرية طبولها إيذاناً بختام شهر الصّوم ، ويتخللها دوي المدافع ، وتضاء الأنوار في القصر وساحاته ، وفي كل مكانٍ في المدينة حتىٰ السّفن التي ترسو في الميناء فإنها تتلألأ بالأنوار(٢) .

وفي الصّباح الباكر تطلق مدافع العيد ، ثم تليها موسيقىٰ السلام السّلطاني ، وكان من العادة المتّبعة في زنجبار إلزام كل سفينة تدخل الميناء في أيام العيد بإطلاق إحـــدىٰ

---

(١) السيدة سالمة ، مذكرات أميرة عربية ، ص ص ٢٢٧ - ٢٢٩ .

(٢) ميخائل ، توفيق ، غرائب الأخبـــار ، ص ٨٢ .

وعشرين طلقة ، ثم يذهب الجميع بملابسهم الجديدة إلى المساجد لأداء صلاة العيد ، حيث تزدحم بالمصلّين داخلها وخارجها وعلى رأسهم السّلطان وأبناؤه وحاشيته ، ثم تطلق المدافع إيذاناً بانتهاء صلاة العيد(١) .

ويذهب السّلطان ومرافقوه إلى القصر ، لتبدأ هناك مراسيم التشريفة العربية ، حيث يقابل السّلطان الوفود القادمة من أمراء ووزراء ورؤساء قبائل ، إضافةً إلى عامة الشّعب ، ويبارك الجميع للسلطان بنعمة تمام الصّوم ، وقدوم العيد . وبعد انتهاء هذه المراسيم تقدّم الموائد التي تحوي جميع أنواع اللحوم والطّيور والأسماك والحلوىٰ وغير ذلك من الأطعمة المختلفة والمتنوّعة . وتصف لنا السيدة سالمة ذلك بقولها :

« تبدو ساحة بيتنا في مثل هذه الأيام وكأنها بركة من الدّماء لكثرة مايُذبح فيها » .

وبعد الانتهاء من الطّعام ، يُرشّ على الحاضرين الرّوائح العطرية ، مثل ماء الورد والياسمين(٢) . وكانت توضع في المرش Mrashi ، وتستعمل في كل الاحتفالات والمناسبات(٣) .

وفي المساء تعاد نفس الاحتفالات ، وتنتشر الزّينات والأنوار في كل مكان من المدينة ، خاصةً في القصور السلطانية ، ثم تقام الرّقصات العربية بالسّيوف في ساحة القصر ، ويُدار على الحضور بأنواع الحلوىٰ المختلفة ، وكؤوس العصيرات المتنوّعة ، إلى أن تنتهي احتفالات تلك الليلة . وفي اليوم الثاني من أيام العيد تبدأ تشريفة الأجانب حيث يحضر

---

(١) ميخائيل ، توفيق ، غرائب الأخبار ، ص ٨٢ - ٨٣ ، السيدة سالمة ، مذكرات أميرة عربية ، ص ٢٣٢ .

(٢) ميخائل ، توفيق ، غرائب الأخبار ، ص ٨٣ ، السيدة سالمة ، مذكرات أميرة عربية ، ص ٢٣٠ .

(٣) محمد ، عبدالله بخيت ، مصطلحات سواحلية ، ص ٤٧ .

إلى القصر السّلطاني جميع وكلاء وقناصل الدّول ، ومن يتبعهم من أكابر الدّولة من بحّارة ، وضبّاط ، وغير ذلك من العاملين في الدّولة ، وكانت العساكر تصطف في ميدان السّراي ، تعزف النّشيد الوطني لكل دولة عند قدوم أو خروج مندوبها ، إلى أن تنتهي هذه التشريفة .

وكان من عادة السلاطين في زنجبار أن يخرجوا من القصر بموكبٍ سلطاني كبير ، يتكوّن من الفرقة الموسيقية العسكرية ، والفرسان والحشم والخدم ، يتبعهم آلاف المتفرّجين . ثم يطوف هذا الموكب بأُبّهته وعظمته جميع أنحاء المدينة حتىٰ يصل إلى الشّارع الرّئيسي الكبير في زنجبار المعروف باسم شارع الأجانب حيث يؤدي في ميدانه الفرسان والحرس ألعاباً بالسّيوف على ظهور الخيل . وعند انتهاء هذا العرض يعود الموب بنفس الترتيب السّابق إلى القصر السلطاني ، وتكون الشّمس في هذه الفترة تؤذن بالمغيب .

وكان من عادة كل من السيد سعيد - وسلاطين زنجبار من بعده - أن يجتمع إلى أفراد عائلته بعد صلاة العيد ، فيدخلون عليه الواحد تلو الآخر من الرّجال ، والنساء ، والأطفال ، والحشم ، والخدم ، ليقبّل كل منهم يده ، ويلقي عليه تحية العيد ، فيقدّم له السيد سعيد العيديّة و هدايا العيد ، وتقول في ذلك السيدة سالمة :

« وفي هذا العيد والعيد الكبير تنفتح خزائن أبي ليفرق منها هداياه الكثيرة والنّفيسة علينا ، ويصطحب أبي معه أُختي خولة(*) ، ورئيس الخصيان جوهر إلى غرفة الكنوز ، التي

(*)خولة : هي إحدىٰ بنات السيد سعيد الكبيرات ، وكانت تتمتّع بتقدير ومحبّة أبيها ، لكفاءتها الإدارية في شئون البيت ، وحكمتها وحُسن تصرّفها . وقد رفضت الزّواج رغم تقدّم أعداد كثيرة من الشّخصيات الهامة بطلب الزّواج منها ، وكانت تشتهر بجمالها ورشاقتها ، وتوفّيت في عام ١٢٩٢هـ / ١٨٧٥م ، الفارسي ، البوسعيديون ، ص ٣٥ .

تحتوي على أروع التّحف وأنفسها ، مما دق صُنعه ، وغلا ثمنه ، ومن كل شكلٍ ونوع من المصنوعات الذّهبية ، إلى اللؤلؤ والماس والمرجان ومن الخلاخل والأساور إلى القلائد والتيجان والأقراط ، ومن النّقود الذّهبية والفضّية لكل الدّول الأُوروبية . علاوة عما تحويه من فاخر القماش ، وفاخر العطور وكل مايخطر على البال . . . . .

ومن المستحيل على أبي أن يعرف ماعند كل واحدة من نسائه وبناته ونساء أبنائه من الحلي والمجوهرات ليهديها غيره أو ماترغب في الحصول عليه ، لذلك فقد كان يستطلع الأمر مقدّماً بطُرقٍ خفيّة ، ويستعين بخولة أن تدلّه ، أو تذكّره بما يجب أن يقدّم لكل واحدة منّا . وتنقل الهدايا إلى الصّالون ، وقد كُتب عليها اسم المهداة إليها ، ويقوم جوهر بالتوزيع . . . .

ولم تكن هدايا أبي مقصورة على أفراد البيت السلطاني من رجال ونساء في بيت المتوني وبيت السّاحل ، بل كان ملزماً أيضاً أن يهدي جميع الرؤساء العرب والأفارقة الموجودين في زنجبار ، وكل القادمين إليه من عُمان طمعاً في نيله وعطائه ، وكذلك جميع حرسه وجنوده وموظّفيه وربابنة سُفنه وملاحيها ، ونظّار مزارعه الخمس والأربعين ، وإلى كل عبيده البالغ عددهم حوالي الثماني آلاف عبد »(١) .

وقد أخذت مصاريف الأعياد في التزايد من عامٍ إلى آخر حتىٰ بلغت في عام ١٣١٦هـ/١٨٩٩م مابين ٢٠,٠٠٠ و ٣٠,٠٠٠ روبية(٢) .

---

(١) السيدة سالمة ، مذكرات أميرة عربية ، ص ص ٢٣٣ - ٢٣٤ .

(٢) F. O. 2/188 : OP. Cit., 10,1,1899.

أما بالنسبة لعامة الناس ، فإن كل رب أُسرة يجتمع بعد صلاة العيد بأفراد عائلته ، ليوزّع عليهم العيدية ويلبس الكل الملابس الجديدة خاصةً الأطفال ويتبادل الجميع الهدايا ، وتكثر الزّيارات والولائم . وتزول في هذه الأيام الضّغائن والأحقاد ، ويقبل المسلمون على بعضهم البعض بقلوبٍ صافيةٍ تشع محبّة وإخاء .

ويحتفلون في زنجبار بالليلة السابقة لعيد الأضحىٰ وتسمّىٰ سواحلياً الحلة الصغيرة أو كجينجو Kijungu ، أي يوم الوقفة ، ويسمىٰ الطعام المقدّم في هذه المناسبة ماليماتي Malimati . وكلّما بعدنا عن السّاحل لاحظنا استمرار الاحتفال مدّة أطول حتىٰ أنه قد يصل في الدّاخل إلى تسعة أيام(١) .

ويشبه عيد الأضحىٰ إلى حدٍ كبيرٍ عيد الفطر في الاحتفالات الرّسمية ومراسيمها وتوزيع الهدايا ، إلا أنه يختلف عنه بأن كثيراً من الناس يذهبون لأداء فريضة الحج التي هي ركن من أركان الإسلام الخمسة في مكّة المكرّمة(٢) .

ويقوم الجميع في عيد الأضحىٰ بتقديم الأُضحيات لوجه الله تعالىٰ بعد الاحتفال الرّسمي والتشريفة الحكومية ، كما يذبح السّلطان ذبائح خاصة يضحي بها نيابةً عن المسلمين ساكني زنجبار(٣) .

---

(١) محمد ، عبدالله بخيت ، مصطلحات سواحلية ، ص ٣٨ .

(٢) السيدة سالمة ، مذكرات أميرة عربية ، ص ٢٣٤ .

(٣) الفارسي ، عبدالله ، البوسعيديون ، ص ١٤٠ - ١٤٢ ، ترمنجهام ، سبنسر ، الإسلام في شرق أفريقيا ، ص ١٦٨ .

ومن العادات غيرالإسلامية التي كان يمارسها بعض السواحليين في زنجبار في الأيام العشرة الأُولىٰ من شهر ذي الحجة هي عادة إقامة الولائم كذكرىٰ لموتاهم . كما أن الشيعة الإثناعشرية من الهنود وغيرهم كانوا يحتفلون ببداية العام الهجري بطقوسٍ وعاداتٍ اجتماعية خاصة ، كما إنه في ذكرىٰ مقتل الحسين في كربلاء كانت تبدأ عندهم فترة الحُزن من اليوم الأوّل في الشهر ، ويكون ذلك بلبس السواد ، وتجهيزهم التّوابيت ، وعمل نماذج للمقبرة التي في كربلاء ، وكان اليوم العاشر من المحرم يعتبر عطلة رسمية في جزيرة زنجبار إذ تقفل جميع المتاجر والدّكاكين ، وتقدّم الاحتفالات الحزينة - ممايدل على تحكّم الهنود في الاقتصاد الزّنجباري - ويبدأ الاحتفال العام من الساعة التاسعة مساءً ، حيث يجتمع الرّجال والأولاد في أكبر المساجد ، وتقدم الأناشيد والأغاني باللغة الهندية الأُردو Urdu ، ويقوم الرجال والأولاد بضرب صدورهم بقبضات أيديهم تعبيراً عن حُزنهم . وفي الساعة العاشرة يتّجه الجميع خارج المسجد ، حيث تُدار عليهم كاسات الحليب . ثم يستعد الكل للمسيرة في الموكب الكبير الذي يتقدّمه جواد أبيض اللون ، مغطىٰ بالدّم ، وفوقه عمامة سوداء(١) . ثم يظهر في الموكب ستة وعشرون رجلاً ، يلبسون سراويل طويلة سوداء اللون ، وهم كاشفوا الصّدور ، ويحملون عصىٰ في نهايتها سلاسل من الحديد ذات أطراف حادة مثل الدّبابيس ، تسمىٰ زنجير Zanjirs ، وتبدأ المسيرة بشكلٍ منظّم ، وتتعالىٰ الأصوات بالأناشيد ، ويبدأ الرّجال السّتة والعشرون بضرب صدورهم المكشوفة بالزّنجير ، وتنزف أجسادهم بالدّماء ، ولكنهم لايُبالون معبّرين في ذلك عن حُبّهم

---

(١) حريز ، سيد حامد ، المؤثرات العربية في الثقافة السواحلية ، ص ٦٨ ، ترمنجهام ، سبنسر ، الإسلام في شرق أفريقيا ، ص ١٦٨ ، Martin, E. B., Zanzibar, P. 101.

للحُسين ، ثم يقوم المشاهدون برش ماء الورد على الدّماء . ويستمر هذا الموكب الحزين في سيره حتىٰ الواحدة صباحاً ، حيث يعودون إلى المسجد الذي بدأوا منه ، فيغتسل الرّجال ، وتضمّد جراحهم ، ثم يلبسون ملابس نظيفة .

وتشارك النساء في هذه الاحتفالات ، ولكن في مساجد خاصة بهن ، ثم يُدار على الحضور في المسجد صحون اللحم بالكاري والخُبز السّاخن المعدّ لهذه المناسبة ، فيأكل الجميع ، ثم يعودون إلى منازلهم(١) . ويستمر الحداد حتىٰ العاشر من شهر صفر ، ويُحتفل بعد ذلك بانتهاء مدّة الحداد .

وقد قاوم العلماء هذه العادات ، وأرشدوا المسلمين إلى خطئها ، ودعوهم إلى التّمسّك بسُنّة رسول الله صلّىٰ الله عليه وسلّم ، وهي الصّوم في يوم عاشوراء ويوماً قبله أو يوماً بعده . كما أرشدوهم إلى أن الاحتفال بعيد مولد النبي صلّىٰ الله عليه وسلّم ماهو إلا بدعة . إذ كان المسلمون يحتفلون بذكرىٰ مولد النبي صلّىٰ الله عليه وسلّم في الثاني عشر من شهر ربيع الأول ، ويتم ذلك بالطريقة المعروفة والمنتشرة في معظم أنحاء العالم الإسلامي .

وكان هذا اليوم يُعتبر عُطلة رسمية ، وتقام الاحتفالات في العواصم ومراكز المقاطعات وذلك بأن ينطلق موكب المولد من أحد المساجد الكبيرة في الساعة الرّابعة بعد صلاة العصر ، ويتقدّم الموكب معلّمو القرآن وتلاميذهم ، مع جموع كبيرة من أفراد الجماهير ينشدون بعض الأناشيد الدّينية . ثم تنتهي المسيرة إلى حيث بدأت ، ويؤدّي الجميع صلاة المغرب ثم يتفرّقون بعد قراءة الفاتحة ، ويعودون للتّجمّع ثانيةً بعد صلاة العشاء في المساجد ، لإنشاد بعض الأناشيد في مدح الرّسول صلّىٰ الله عليه وسلّم والتّغنّي

---

(١) Martin, F. B., Zanzibar, PP. 101 - 102.

بسيرته والثناء عليه . وكان يحضر المولد الرئيسي في زنجبار السّلطان وكبار رجال الدّولة ، وكان يُقدّر عدد الحاضرين بعشرين ألفاً(١) .

وكان يُحتفل في السابع والعشرين من شهر رجب بيوم الإسراء والمعراج ، ويسمىٰ سواحلياً سيكيو يا ميراجي Siku Ya Miraji ، ويسمىٰ أيضاً بيوم الابتهال والتضرع لا لاما Siku Ya Lalama . كما كان يطلق على شهر شعبان شهر الولائم مويزي واملبياه Mwezi Wa Mliaho .

واليوم الأخير من شهر شعبان يطلق عليه اسم مافينقو Mfungo(*) ، وهذه الليلة كانوا يعتبرونها رخصة للاستزادة في طلب الخير ، فينشدون بها الموالد ، ويقيمون الولائم ، ويحتفلون احتفالات كبيرة تعُم معظم المنطقة(٢) . (هذه العادات السابقة بدع وخرافات وقد قاومها العلماء المسلمين وأرشدوا الناس إلى التمسك بالعقيدة الإسلامية الصحيحة) .

وقد تأثر التقويم الذي يتبعه السواحليون بالدّين الإسلامي ، إلا إنه لم يمس بعض المعتقدات التي كانت شائعة في السّابق . وكذلك فإن سُكّان المُدن اتّبعوا التقويم الهجري ، بينما سار أهل الرّيف والمناطق الدّاخلية على التقويم الهجري في المناسبات الدّينية ، والتقويم الشّمسي في الدّورة الزّراعية ، مثل بذر البذور وحصاد المحصول ، وأغراض الملاحة(٣) .

---

(١) ترمنجهام ، سبنسر ، الإسلام في شرق أفريقيا ، ص ١٦٩ - ١٧٠ ، حريز ، سيد حامد ، المؤثّرات العربية في الثقافة السّواحلية ، ص ٦٥ ، Martin , F. B. , Zanzibar , P. 110 .

(*)مافينقو : تعني هذه الكلمة فترة الاحتفالات التي تسبق رمضان ، كما إنها تدل على تقييد الأرواح وبداية ليلة شهر الصّوم ، ترمنجهام ، الإسلام في شرق أفريقيا ، ص ١٦٦ .

(٢) محمد ، عبدالله بخيت ، مصطلحات سواحلية ، ص ٦٠ - ٦١ .

(٣) ترمنجهام ، سبنسر ، الإسلام في شرق أفريقيا ، ص ١٦٤ - ١٦٥ .

كما أدخل السّواحليّون بعض التغييرات على التقويم الهجري ، فأصبحت السّنة الجديدة تبدأ عندهم بانتهاء شهر رمضان ، وأوّل يوم في السّنة الجديدة ، هو أوّل أيام عيد الفطر ، ويسمىٰ مافينقو مويزي ، ويعني شهر شوّال أو العتق الأول(١) .

ويبدأ اليوم عندهم بغروب الشّمس لا بشروقها . أما أيام الأسبوع فأوّلها يوم السّبت ، ويسمىٰ جوما موزي Juma Mosi . ويسمىٰ الخميس Al-Hamisi . والجمعة Ijumaa . وبقيّة أيام الأسبوع تسمىٰ بأسماءٍ سواحلية ، أما شهور السّنة(*) فيسمىٰ معظمها بأسماءٍ عربيةٍ أو مُزدوجة(٢) .

واتّباع العقيدة الإسلامية من أهم مقوّمات المجتمع السواحلي ، إلا إن هذه العقيدة تشوبها الممارسات والمعتقدات السّائدة في المجتمع ، والتي تسيطر على حياة الفرد السّواحلي ، وتختلط بها المؤثّرات الأفريقية والفارسية والآسيوية . فالسّنة الشّمسية عندهم تتكوّن من ٣٦٥ يوماً ، ثم يقسّمونها إلى ٣٦ عقداً ، يُطلق عليها اسم

---

(١) محمد ، عبدالله بخيت ، مصطلحات سواحلية ، ص ٥٠ - ٥١ .

(٢) محمد ، عبدالله بخيت ، مصطلحات سواحلية ، ص ص ١٣ - ١٤ .

(*) شهر محرّم يسمىٰ : Mwezi Wa Muharamu , Mfunguo Nne
شهر صفر : Mfunguo Tano
ربيع الأول : Mwezi Wa Rabii Al-Awaii , Mfunguo Sita
ربيع الثاني : Mwezi Wa Rabii Al-Thani , Mfunguo Saba
جمادى الأول : Mfunguo Nana
جمادى الثانية : Mfunguo Tisa
رجب : Mwezi Wa Rajabu , Mfunguo Kumi
شعبان : Mwezi Wa Shaabani , Mfunguo Kumina Moja
رمضان : Mwezi Wa Ramadhani , Mfunguo Kumina Mbili
شوّال : Mwezi Wa Shawali , Mfunguo Mosi
ذو القعدة : Mwezi Wa Dhulkaadi , Mfunguo Pill
ذو الحجّة : Mwezi Wa Dhulhaji , Mfunguo Tatu

محمد ، عبدالله بخيت ، مصطلحات سواحلية ، ص ص ١٣ - ١٤ .

مونقـو Mwongo ، ويضـاف إلىٰ ذلك خمسـة أيام تسمـىٰ كيفبنـزي Kifunzi أو Kibunzi ، حيث تقام بها احتفالات خاصة(١) .

ويطلقـون علـى أول أيام السنة اسم يـوم النوروز أو النيـــروز Nairuzi . وأصـل هـذه الكلمـــة فارسـي ، وتعنـي بداية السنة ، أو رأس السنة الزراعية ، وهـي تـرتبط بالسّكّان السواحليين الأصليين من جزيرة زنجبار ، وهم يطلقون على أنفسهم اسم شيرازيين . كما تمثّل هذه العـادة الرّبـاط الثّقافي بين بلاد فارس والمناطق السواحلية في شرق أفريقيا ، التي تفاعلـت مع المعتقدات الأفـريقيـة ، وتـأثـر بها المجتمع السّواحلي(٢) .

وتقام في هـذا اليـــوم الاحتفـالات لاسترضـاء أرواح السّلف ، ودفع الشرّ الذي ســوف ينـزل علـى الجميـع ، ويعـرّضهـــم للخطـر إن لم يقومـــوا بهـذه الاحتفـالات والطّقوس . ويرأسها الوسيط الذي يكـون من أُسـرة معيّنة ، توارثت هذا العمل منذ قرونٍ عديدةٍ ، وصارت تقوم بالإشراف على هذه المناسبة ، وتنفيذ طقوسها من بناء حظيـرة أوكوخ مـن سيقـان وفـروع الأشجار لتكـون المكـان الرّئيسي لإقامـة الطّقـوس والاحتفالات(٣) .

ويعد تلاميذ مدارس القرآن في بيت مُدرّسهم الطّعام أثناء الليل للمشاركة في الولائم ، التي ستقدّم في اليوم الثاني . وفي الصّباح الباكر تبدأ الطّقوس للاحتفال ، فيذهب الجميع إلى البحر للاستحمام - خاصةً النّساء - كما أن تلاميذ المدارس يذهبون معهم وهُم يرتّلون القرآن ، وبعد الاستحمام يأخذ الرّجال جدياً معيّناً أعد لهذه المناسبـة إلى

---

(١) ترمنجهام ، سبنسر ، الإسلام في شرق أفريقيا ، ص ١٦٥ ، محمد ، عبدالله بخيت ، مصطلحات سواحلية ، ص ٥٨ .

(٢) حريز ، سيد حامد ، المؤثّرات العربية في الثقافة السواحلية ، ص ٦٥ - ٦٦ .

(٣) حريز ، سيد حامد ، المؤثّرات العربية في الثقافة السواحلية ، ص ٦٧ .

السّاحل ، ويتلون عليه القرآن ، ثم يذبحونه . وفي الظّهر تبدأ المرحلة الثانية من الطّقوس ، وهي تناول الطّعام الشّعائري ، المكوّن من الأُرز ويسمى كرامة Karama ، وفي تمباتو يسمى كيـوا Kiwao . وبعد الانتهاء من الطّعام ، تُطفأ النّار ، ويُؤخذ الرّماد ، ويوضع في مفترق الطّرق . ثم يُعاد إشعاله بواسطة عصاة موقدة ، وتسمى هذه العملية بيكيشا Pekecha(١) .

وفي منتصف الليل يواصل الاحتفال ، حيث ينقسم الشباب إلى معسكرين ، يحمل كل منهما عصاة أو فرع شجرة ، ويشتركون في معركةٍ صوريةٍ أو وهمية تسمى Ngomas ، وتستمر الليل بطوله . إذ يمثّل الفريق الأوّل الخير ، والفريق الآخر الشّر ، إشارةً إلى الصّراع بين السّنة القديمة والسّنة الجديدة ، ثم يدخل أحد أفراد الأُسرة المنظّمة لهذا الاحتفال الكوفي ، ويخاطب الجموع بكلماتٍ تحث على التقرّب من الأرواح ، بتقديم القرابين لها ، وتمجيد الأسلاف ، وذم الشرّ والأعداء . ثم يخرج من الكوفي بطريقةٍ سرّيةٍ بدون علم النّاس المجتمعين ، الذين يبدأون بقذف هذا الملجأ بالحجارة ، ثم يحرقونه ، لأنهم يعتقدون أن السّنة القديمة التجأت إلى هذا المكان ، وكأنهم يحرقون الشرّ الذي يقف عائقاً أمام عامهم المقبل . ويسمى ذلك الملجأ المحروق باندا Banda ، فتقدم القرابين للأرواح ، كما إن هناك بعض البدع والخرافات الأخرى(٢) .

ويحتفل السواحليون بإشهار الإسلام ، وتختلف ضخامة الاحتفال بذلك حسب طبقة الشّخص الدّاخل في الإسلام ومكانته ، ويهتم في شرق أفريقيا بهذه المناسبة كثيراً ،

---

(١) محمد ، عبدالله بخيت ، مصطلحات سواحلية ، ص ٥٨ ،
Ingrams , W. H. , Arabia and The Isles , PP. 280-282, Osgood, J. B. F. , Notes of Travel, P. 44 .

(٢) محمد ، عبدالله بخيت ، مصطلحات سواحلية ، ص ١٧ ، ٥٨ ، حريز ، سيد حامد ، المؤثّرات العربية في الثقافة السواحلية ، ص ٦٧ ،
Ingrams , W. H. , Arabia and The Isles , PP. 280 - 282 .

ويشبـه هذا الاحتفال إلى حدٍ كبيـرٍ احتفال العقيقـة للأطفال المولودين حديثاً ، على اعتبار أن الداخل في الإسلام مثل الطّفل حديث الولادة ، وأهم عناصر الاحتفال بإشهار الإسلام هي شرح وتعليم الأمور الدّينية ، مثل الشّهادتين ، والوضوء ، والصلاة ، وبعض الواجبات والمحرّمات ، ثم الختان والاغتسال والتسمية . كما تقدم وليمة في هذه المناسبة ، ويتم ذلك في بيت المعلّم ، أو بيت أحد أقرباء الداخل في الإسلام من المسلمين ، وفي بعض الأحيان يتم هذا كلّه في المساجد . وفي المناطق الداخلية تقام احتفالات وطقوس خاصة بهذه المناسبة خاصةً بعد الختان بثلاثة أو أربعة أسابيع ، عندها يخلع الداخل في الإسلام ملابسه القديمة ، ويتوضّأ ، ويغتسل اغتسالاً عاماً ، ثم يلبس مايغطّي عورته ، فيصب المعلّم الماء عليه سبع مرّات ، وهو يقرأ الفاتحة . ثم يسمّيه المعلم أمام الحاضرين اسماً مسلماً ، وتقام بعد ذلك الولائم . ويرحّب ويشجّع الوثنيّون الأفارقة دخول أبنائهم في الإسلام ، ليضمنوا لهم مستقبلاً أفضلاً(١) .

يرجع بعض المستشرقين مثل سبنسر ترمنجهام السبب في ذلك هو ضمان المستقبل الأفضل لأبنائهم فهو بذلك يشوه عملية دخول الأفارقة في الإسلام . وعزاها إلى المصالح الدّنيوية ، أي ليضمن الأفارقة لأبنائهم مستقبلاً أفضلاً ، بينما الأصح أن يعترف بأن سماحة الدّين الإسلامي ، وسمو مبادئه هي التي جذبت الأفارقة للدّخول في الإسلام ؛ لأن الإسلام دين الفطرة الذي خاطب عقولهم ، ودخل قلوبهم واستولىٰ على مشاعرهم عن اقتناع ومحبّة .

الـــــولادة :

كان لولادة الطّفل الجديد في المجتمع السواحلي عادات وتقاليد تتمشىٰ مع المبادىء الإسلامية ؛ بينما كان هناك عادات أُخرىٰ تتعارض معها ، وقد احتج العلماء عليها .

---

(١) ترمنجهام ، سبنسر ، الإسلام في شرق أفريقيا ، ص ٢٢٥ .

ومن العـادات التي كانت شائعـة في هـذه المنطقة ، ثم أخذت تتقلّص ، حتىٰ أصبحت تقام على نطاقٍ ضيّـقٍ جداً ، تقديـم قربان قبل الـولادة بأسابيع أو أيّام قليلـة ، ويسمىٰ كرامــة ، ويُطلق عليه سواحلياً Tahgalizi . حيث يطلب من أحد المشايخ وتلاميذه في المسجد الحضور إلى منزل المرأة الحامل ، فيصلّي عندها الظّهر ويختم الصلاة بالدّعاء لهذه المرأة بسهولة الولادة ، والقيام بالسّلامة مع وليدها ، وتكون المرأة تسمع وترىٰ كل شيء من وراء حجاب ، ثم يمرر كوب من الماء على الشيخ والمصلّين ليقرأ كل منهم على الماء بعض الآيات القرآنية مع الدّعاء ، ثم ينفخ فيه ، وهكذا إلى أن ينتهي الجميع ، ثم يؤخذ الماء ، ويُعطىٰ للمرأة الحامل لتشربه ، بعد ذلك يقدّم الطّعام ، الذي أعد بصورةٍ خاصة لهذه المناسبة . وهو عبارة عن خليطٍ من الأُرز والذّرة والبازلاء ، وتقدّم كقربان لنجاة المرأة الحامل وتسهيل ولادتها .

وبعد الانتهاء من الطّعام تغسل أيـدي المصلّيـن ، ويؤخذ الماء لتغتسل به المرأة الحامل ، وتسمىٰ هذه العادة كهيري يايانجو Kheiri Ya Uyungo(١) .

وعند الولادة يؤخذ المولود إلى المعلّم أو أكبر رجال العائلة سنّاً ، ليؤذّن في أُذنه اليُمنىٰ أولاً ثم اليُسرىٰ ، وليكون ذكر الله أول شيء يسمعه الطّفل عند قدومه للحياة(٢) .

وتعتني القابلة بالأم وتقوم بتنظيف الطّفل وغسله بالماء الدّافىء ، ثم ترشّه بمسحوق مكوّن من أعشاب عطرة ، ثم يلف الطّفل ، وتمد ذراعاه ورجلاه بصورةٍ مستقيمة ، ويُشد جسمه برباط قوي من كتفيه حتىٰ قدميه . ويظل الطّفل على هذا الوضع مــدّة

---

(١) حريز ، سيد حامد ، المؤثرات العربية في الثقافة السواحلية ، ص ٥٤ .

(٢) حريز ، سيد حامد ، المؤثرات العربية في الثقافة السواحلية ، ص ٥٥ .

أربعين يوماً كاملاً ، لايخرج من هذا الرّباط إلا عند الاستحمام فقط ، ليكون جسم الطفل نشيطاً وقويّاً ومستقيماً(١) .

وتقوم المرأة برعاية طفلها بنفسها ولو كان لديها الكثير من الخدم . وفي اليوم السّابع تخرم أُذن المولود - إذا كان بنتاً - بإبرةٍ حادةٍ ومعقّمة ويوضع بها خيط من الحرير يرفع بعد أُسبوعين لتوضع أقراط بدلاً عنه(٢) .

ومن العادات السواحلية أن يبقىٰ الطفل داخل البيت مدّة سبعة أيام - في بعض المناطق تسعة أيام ، وقد تصل في مناطق أُخرىٰ إلى الأربعين يوماً - ثم يوضع الطّفل في مروحة أو مطرحة من القش النّظيف الخالي من الشّوائب ، تسمىٰ أنجو Ungo ، ويُحمل إلى خارج المنزل ليرى الشّمس ، كما يصبّ الماء فوق سقف المنزل كناية عن المطر ونزول الخير ، ثم يقدّم الطّفل لجميع أفراد العائلة . وفي بعض الأحيان تقدم ذبيحة الطّفل في اليوم الثامن ، ثم يسمىٰ ، وتقام له الموالد في بيت والده ، أو بيت والدة الزّوجة بالنسبة للطّفل الأوّل ، وفي بعض المناطق يقدم القربان ديكاً إذا كان المولود ذكراً ، أو دجاجة إن كان أُنثىٰ ، ثم يطهى ، ويقسّم إلى أربعة أقسام ، توزّع للمعلّم والوالدين ، وكبير العائلة ، والقسم الأخير لأحد الفقراء أو المساكين ، وتفرض على الوالدين بعض الممنوعات منذ ولادة الطّفل حتىٰ فطامه ، حتىٰ لايتعرّض الطّفل للأذىٰ ، ولاتترك الأم حجرتها حتىٰ اليوم الرّابع عشر لكي لاتخطو فوق أي عتبة ، فيصيبها الأذىٰ حسب اعتقادهم ، ويزور المعلم الأم كل يوم ، ليرش الماء فوق رأسها ، ويحصّنها من الشّر والحسد ، ويقرأ عليها سورة يسٓ(٣) .

---

(١) السيدة سالمة ، مذكرات أميرة عربية ، ص ١١٨ - ١١٩ .

(٢) السيدة سالمة ، مذكرات أميرة عربية ، ص ١١٨ .

(٣) ترمنجهام ، سبنسر ، الإسلام في شرق أفريقيا ، ص ٢٢٠ - ٢٢١ .

وفي اليوم الأربعين Arobaini تقام بعض الاحتفالات ، وتسمىٰ العقيقة(*) Akika ، وهي في الأصل سُنّة إسلامية مؤكّدة، ولكنها في زنجبار مرتبطة ببعض الشّعائر القديمة، التي كان يعترض عليها بعض الفقهاء لمخالفتها للشّريعة الإسلامية . وتقام لهذه المناسبة وليمة كبيرة احتفالاً بتطهير الأم والطّفل من آثار الولادة . وفي هذا اليوم يخرج الطّفل من عزلة النّفاس ، ويقدم للجميع ، ويدار به في جميع أنحاء الدّار . ثم تبدأ مراسيم حلق شعر الطّفل وفق طريقة معيّنة يحرص على اتّباعها بكل دقّةٍ وحذر ، وتختلف من مكانٍ لآخر حسب الوضع الاجتماعي والاقتصادي للأسرة . إذ في جوٍ يتصدع بالبخور ، وفي حضور المقربين من أفراد الأسرة ، يقوم حلاّق القرية بقص شعر الطّفل ، وتختلف طريقة التخلّص من الشّعر المقصوص من مكانٍ إلى آخر ، فلايجوز حرقها أو رميها ، بل يجب أن تُدفن في التّراب في مكانٍ معين ، أو توضع في شقٍ من شقوق الجدران . وكان الحاديميون يدفنون الشعر على شاطىء البحر بجانب أبريق من الماء ، وذلك اتّقاء العيون الحاسدة أو التعرّض للسّحر(١) .

---

(١) السيدة سالمة ، مذكرات أميرة عربية ، ص ١١٨ - ١١٩ ، حريز ، سيد حامد ، المؤثرات العربية في الثقافة السواحلية ، ص ٥٤ - ٥٥ ، محمد ، عبدالله بخيت ، مصطلحات سواحلية ، ص ٢١٤ ، ترمنجهام ، سبنسر ، الإسلام في شرق أفريقيا ، ص ٢٢١ ،

Burton, R. F., Zanzibar, Vol. I, P. 303.

(*) العقيقة : تُذبح للطّفل المولود حديثاً بعد الولادة بأربعين يوماً ، كما تقام هذه المراسم أيضاً للطّفل الذي يموت بعد الولادة ، فيما بين اليوم الثاني والرّابع من وفاته ، وتسمىٰ كيزوما عقيقة Kusoma Akika . إذ يعتقد بأنه إذا لم تقم هذه الاحتفالات ، لايقبل الله هذا الطّفل ، ولايكون مسلماً ، وتقدّم الأضحية لهذه المناسبة، وهي عبارة عن عنزة أو اثنتين حسب نوع الطفل ، إذا كان ذكراً أو أُنثىٰ، ثم تشوىٰ على الفحم ، وتقدم للحاضرين مع العسل الأبيض ، محمد ، عبدالله بخيت ، مصطلحات سواحلية، ص١٤ .

وفي اليوم السابع أحياناً وإتماماً لهذه المراسيم يعلّق على رقبة الطّفل أو يربط على زراعه بعض الأحجبة أو التمائم ، وتسمىٰ حماية أو حرز(١) .

وتختلف الأحجبة والتمائم من مكانٍ إلى آخر ، وغالباً ماتكون عبارة عن كيس جلدي ، توضع بداخله بعض الآيات القرآنية ، التي تحتوي على بعض الطّلاسم أو الأشياء المرتبطة بالسّحر ، مثل قطعة من البصل أو الثوم أو العظم أو الصّدف . ويُستعاض عن هذه الأشياء لدىٰ أبناء الطّبقات العليا بقطعةٍ من الذّهب أو الفضّة تحفر عليها الآيات القرآنية(٢) .

كما يوجد في زنجبار بعض العائلات المتمسّكة بمبادىء الدّين الإسلامي لاتتبع العادات والتّقاليد السابقة ، فلا ينشدون في الموالد أو يقيمون الصّلاة ، ولايقومون بطقوسٍ معيّنة في هذه المناسبة(٣) ، بل تكتفي بحلق شعر المولود ، ثم وزنه وإخراج مايعادله ذهباً ، ثم التصدّق به لوجه الله ، ثم ذبح العقيقة ، وتكون شاة أو عنزة للبنت أو اثنتين للولد .

وفي بعض المجتمعات السواحلية لاتعطىٰ تسمية المولود أهمية خاصة ، إذ يمكن للفرد أن يغير اسمه حسب الظّروف والأحوال التي تحيط به . فيعطى الإنسان اسماً عند الولادة ، ثم يتغير بمناسبة الختان ، ثم عند الزّواج ، وفي كثيرٍ من الأحوال ينسب اسم الشّخص إلى عاهة أو عيبٍ قد يُصاب به(٤) .

---

(١) السيدة سالمة ، مذكرات أميرة عربية ، ص ١١٩ ، حريز ، سيد حامد ، المؤثرات العربية في الثقافة السواحلية ، ص ٥٥ .

(٢) السيدة سالمة ، مذكرات أميرة عربية ، ص ١١٩ .

(٣) ترمنجهام ، سبنسر ، الإسلام في شرق أفريقيا ، ص ٢٢٢ .

(٤) ترمنجهام ، سبنسر ، الإسلام في شرق أفريقيا ، ص ٢٢٢ .

ويحتفل بالطفل أيضاً عند بدئه في الجلوس ، وتشرح السيدة سالمة ذلك بقولها :

« ويُحتفىٰ بالطّفل حين يبدأ أولىٰ محاولاته للجلوس ، فيلبس الطّفل وأمّه ومربّيته أزهىٰ ثيابهم ، ، ويجلس الطّفل على عربة متوسّطة الحجم ولها عجلات صغيرة واطئة ، وتُفرش بالوسائد والفرش ، وتُمد رجلا الطّفل على عارضة خشبية ، تمتد أمامه ، ثم تقوم إحدىٰ الهنديات بتحميص الذّرة بطريقة خاصة ، تحيل الحبّة الواحدة منها بيضاء بحجم حبّة العنب ، تمزج الذّرة بالنّقود الفضّية ، وينشر هذا الخليط النّفيس فوق رأس الطّفل الغافل عن أمره ، فيتسابق أخوته وأخواته الصّغار لجمع مايتيسّر من النثار الثّمين »(١) .

وهناك بعض العادات السّيّئة كانت تمارسها المجتمعات السّواحلية في شرق أفريقيا ، وذلك بالنسبة للأطفال الذين يولدون في ظروف غير طبيعية ، مثل الأطفال الذين يولدون بأقدامهم قبل رؤوسهم ، أو المشوّهون خلقياً ، أو التّوائم ، أو من تظهر أسنانه العليا قبل السّفلىٰ ، أو غير ذلك من الأمور غير الطّبيعية - في رأيهم - ويطلق عليهم أطفال ذوو فأل سيء . وفي المناطق الجنوبية يسمىٰ الطّفل الذي يحمل إحدى الصّفات السّابقة كيجيجو Kigego . وفي جهاتٍ أُخرىٰ يسمىٰ شميفي Chimvi ، أو تمفي Timvi . وفي رأيهم أن مثل هذا الطّفل يعتبر خطراً على المجتمع . فكانت تقوم بعض القبائل مثل النييكا بترك هؤلاء الأطفال في الغابة للتخلّص منهم . وقد اعترض عُلماء المسلمين على هذه العادة ، واستنكروها ، وتوصّلوا إلى حلٍ يمنع وأد هؤلاء الأطفال ، ويرضي في نفس الوقت معتقدي هذه العادات والتّقاليد القديمة المتأصّلة في هذه الشّعوب ، وذلك بأن جعلوهم يحملون هؤلاء الأطفال إلى المساجد بدلاً من الغابة ، على أن يتركوهم هناك طوال الليل ، فإن أصبح الصباح عليهم ، وهم أحياء . فمعنىٰ ذلك أن الله قبلهم وبارك وجودهم(٢) .

---

(١) السيدة سالمة ، مذكرات أميرة عربية ، ص ١٢٠ .

(٢) محمد ، عبدالله بخيت ، مصطلحات سواحلية ، ص ٢٠ - ٢١ ، محمد ، عبدالله بخيت ، دراسات في الأدب السّواحلي ، ص ٢٨ ، ترمنجهام ، سبنسر ، الإسلام في شرق أفريقيا ، ص ٢٢٠ .

الختـــــــان :

يسمّىٰ الختان في شرق أفريقيا طهارة Tohara ، ويعني الاحتفال بالنّظافة والتطهير ، وهو سُنّة إسلامية ، ومن العادات الأفريقية القديمة الهامة في المجتمع السّواحلي ، تكوّنت واجتمعت فيها عناصر من الإسلام وعادات البانتو ، ولكنها لم تنصهر مع بعضها البعض .

والختان من شعائر الإعلان عن الانتقال من مرحلة الصّبا إلى بداية الشباب ، وترتبط باحتفالات تسمىٰ الجاندو Jando ، ورقصات تسمىٰ انياقو Unyago . وله ثلاث مراحل : الختان ، والعُزلة أوالخلوة ، ثم الخروج(١) .

وغالباً مايكون الخاتن ويُسمّىٰ نجريبا Ngariba ، هو المعلّم أو شيخ الجماعة ، ويختلف السن الذي يختن به الأطفال ، والطّريقة التي تتم بها هذه العادة من مكانٍ إلى آخر . فنجد عرب السّاحل يختنون أطفالهم من اليوم الثاني من ميلادهم ، وفي بعض المناطق مثل قبائل الباجون يختنون أطفالهم فيما بين الثانية والخامسة من العُمر . أما غالبية المسلمين الأفارقة فيختنون أطفالهم بين الخامسة عشر والسادسة عشر من العُمر(٢) .

وتتم عملية الختان في سُرادقات خاصة تُقام لهذه المناسبة يُجمع فيها مجموعات من الأولاد المتقاربين في السّن ، يشترك أفرادها مع بعضهم البعض في هذه العملية ومراسيمها .

---

(١) محمد ، عبدالله بخيت ، دراسات في الأدب السواحلي ، ص ٢٨ ، حريز ، سيد حامد ، المؤثرات العربية في الثقافة السواحلية ، ص ٥٦ ، ترمنجهام ، سبنسر ، الإسلام في شرق أفريقيا ، ص ٢٢٤ .

(٢) حريز ، سيد حامد ، المؤثرات العربية في الثقافة السواحلية ، ص ٥٦ ، ترمنجهام ، سبنسر ، الإسلام في شرق أفريقيا ، ص ٢٢٥ .

كذلك تُقام سُرادقــات منعزلــة للفتيات - إذ تقوم بعض المجتمعات السواحلية بختن البنات أيضاً - ويقوم كبير الملقّنين - وهو الذي يُلقّن أو يُعلّم الأولاد التعاليم الأساسية في الخُلوة أو العُزلة . ويُسمّىٰ نياكنجا Nyakanga - بإعداد مركز الخلوة أو العُزلة للمختونين ، وهي عبارة عن كوخٍ بسيط ، تُحيطه مساحة مسوّرة ، ويقوم كبير الملقّنين بدفن بعض الأحجبة أو تعليقها فيه .

وقد تؤخــذ حفنــة من التّراب ، تُتلىٰ عليها آياتٍ من القُرآن ، ثم تنثر في جميع أنحــاء الكــوخ . والغرض من ذلك طرد الأرواح الشرّيرة وإتقاء شرّها . ويُقيم الأولاد في هذا الكوخ ثلاثــة أسابيع أو أكثر ، ولايُسمح لهم بمقابلة النّساء . ثم يقــوم الملقّن ومساعدوه بتلقينهم التعاليم الأخلاقية وتعليمهم بعض الأغاني والرّقصات الخاصة بهذه المناسبة .

وتُعتبر مراسيــم التلقيــن تأهيــل لمرحلــة الرّجولــة والنّضج ، بالإضافةِ إلى ذلك فهم يغرســون في نفوسهــم القيــم الإسلاميــة ، وقواعــد السلوك القويم . ثم يقدم لهم نوع معيّن من الطّعام كالأُرز ، ويُطهىٰ بطريقــةٍ خاصــةٍ ، ويسمىٰ بونــو Bondo . وفي النّهايــة يُطلق على كل فــردٍ منهــم اسم جديــد ، ثم يؤخذون بشكلٍ جماعي إلى النّهــر أو البحــر للاغتسال ، ويلبسون هناك الملابــس والعمامــات الجديــدة ، ثم تُدهــن وجوههم بالكحل وعصير الليمون ، وتخضب أقدامهم بالحنّاء ، ويزينون بالسلاسل الفضّيــة ، ثم يُلفّون بالعباءات النسائيــة ، وذلك لإخفائهــم عن أعين الحُسّاد . وفي المساء تُقام الاحتفالات والموالد ، وتقدّم لهم الهدايا من الأصدقاء والأقارب . وفي بعض المناطق يؤخذ الأولاد إلى المقابــر لزيارة الآباء والأجداد ، ويوقد الأولاد لهم البخــور كواجب وفرض من الفــروض الاجتماعيــة التي يقومون بها نحو آبائهم ، ثم يعود الجميع إلى الكــوخ ، لايغادرونه حتىٰ الصباح ، عندها يُقام احتفال خــاص يسمىٰ جريو Grigo ، تشعل خلاله النار في الكــوخ ، فينطلــق الأولاد

منه هاربين مسرعين ، ويحاولون القفـــز من فوق النّار ، ثم يعودون إلى منازلهم ، وتنتهي بذلك هذه المراسيم والطّقوس(١) .

ويتم التلقين بالنسبة للفتيات بنفس أُسلوب وطريقة تلقين الأولاد مع فوارق بسيطة ، فتقوم امرأة عجوز - لها دراية ومعرفة بأساليب الحياة - بوظيفة النّاصحة المرشدة للفتيات ، وتسمىٰ سومو Somo . وبعد العُزلة ، يقام احتفال خاص يسمىٰ كشف النّقاب ولايسمحون لانسانٍ أن يرىٰ أي فتاةٍ أو يُخاطبها ، قبل أن يقدم لها هديّة تسمىٰ فيشو Fichuo ، فتقوم الفتاة برفع نقابها ، وتقبيل يد من قدّم لها الهدية ، دلالة على احترام وتمجيد الصّغار للكبار ، إذ لكل طبقة حقوقها وواجباتها ، وأي تقصير بحقوق الطّبقة يعتبر خروجاً على العادات والتقاليد الاجتماعية ، ويتطلّب عقاباً رادعاً(٢) .

ومن هذه العادات يلاحظ الاهتمام بالجانب التربوي لإعداد الفتيان والفتيات بطريقةٍ تتمشّىٰ مع العادات والتقاليد الأفريقية الرّاسخة الجذور ، إلى جانب غرس بعض القيم الإسلامية .

وقد ساعد تجمّع الناس لأداء العادة على انتشار الإسلام ، إذ أن احتفالات الجاندو لم تكن تقتصر على مجموعة معيّنة فقط ، بل كان يحضرها مجموعات الوثنيين أيضاً . وهذا بحد ذاته يعتبر مظهراً من مظاهر التعايش الإسلامي مع العادات الأفريقية الـذي

---

(١) حريـز ، سيد حامد ، المؤثرات العربية في الثقافة السواحلية ، ص ٥٦ - ٥٧ ، ترمنجهام ، سبنسر ، الإسلام في شرق أفريقيا ، ص ٢٢٤ - ٢٣٠ ، محمد ، عبدالله بخيت ، مصطلحات سواحلية ، ص ٢٨ - ٢٩ .

(٢) حريـز ، سيد حامد ، المؤثرات العربيـة في الثقافـة السواحليـة ، ص ٥٦ - ٥٧ ، ترمنجهام ، سبنسر ، الإسلام في شرق أفريقيا ، ص ٢٢٧ .

كان يسعىٰ للقضاء عليها بالتدريج ، ويعمل على تنقية المجتمع من هذه الشّوائب الضّارة التي لاتتمشىٰ مع مبادىء الدّين الإسلامي .

وتذكر السيدة سالمة عملية الختان بقولها :

« عملية ختانهم تُقام باحتفالات باذخة ، تطول ثلاث (ثلاثة) أيام ، ويحضرها السّلطان وعِلية القوم . وفي هذا العُمر - (سبع سنوات) - يُمنح الطّفل حصاناً خاصاً ليصبح ملكه ، وذلك لكي يتعلّم الفروسية في سنٍ مبكّر »(١) .

الـــــــــزّواج :

تتنوّع عادات وتقاليد الزّواج في زنجبار وشرق أفريقيا ، وتتعدّد حسب اختلاف المجتمعات التي تعيش في هذه المنطقة ، فنجد أنه يغلب على جزيرة زنجبار سيطرة العادات والتقاليد الإسلامية ، خاصةً في الجانب الرّسمي منها ، كما أنه يوجد أنماط مختلفة للزّواج . فمنهم من يكتفي بزوجةٍ واحدةٍ ، وهذا نادر . ومنهم من يتزوّج بمثنىٰ أو ثلاث أو رُباع . وهناك زواج الأحرار من النساء ، ويكون معلناً رسمياً ، وله عادات اجتماعية معيّنة . أما زواج السراري أو السريات Harisi Ya Siri ، فتقل فيه الاحتفالات والمراسيم الخاصة بالعادات والتقاليد(٢) .

فالمجتمعات ذات الأصول العربية لها عادات وتقاليد ، تتحكم المبادىء والقوانين الإسلامية في معظمها .

---

(١) السيدة سالمة ، مذكرات أميرة عربية ، ص ١٢١ .

(٢) حريز ، سيد حامد ، المؤثرات العربية في الثقافة السواحلية ، ص ٥٩ .

وتُخطب الفتاة عن طريق والدها أو ولي أمرها ، ويعطى لها الحق غالباً في القبول أو الرّفض . وقد تتم الخطوبة في بعض الأحيان في سن مبكرة جداً ، ويكون ذلك بناءً على اتّفاق يعقد بين الآباء .

ويهتم العرب في زنجبار أن يكون العريس كفؤاً للعروس في الحسب والنّسب والمركز الاجتماعي والاقتصادي ، وإذا ماتمّت الخطوبة ، تقوم خادمات بيت العروس بنقل هذا الخبر السّعيد إلى جميع الأهل والمعارف ، ويوزّعن دعوة عقد القران ، ويقبضن مقابل هذه الأخبار السّارة الهدايا والنّقود من كل منزل(١) .

وفي الأسبوع الأخير قبل الزّواج ، تُعزل العروس في غُرفةٍ مظلمة ، إذ يُعتقد أن ذلك يمنحها الجمال والنّضارة ، ويأتي لزيارة العروس في الأسابيع الأخيرة قبل زواجها - كل من قام بخدمتها وتربيتها وهي طفلة صغيرة ، وعلى رأسهم من قامت بحلاقة شعرها ، لينالوا منها أفخر الهدايا وأغلاها ، كالساعات الذّهبية والأقمشة الحريرية وغير ذلك .

أما بالنسبة للعريس فلايختلف كثيراً عن العروس في تقديم الهدايا ومقابلة الزّوّار ، إلا إنه لايُعزل في مكانٍ مظلمٍ كالعروس ، بل يجب عليه أن يقوم بالترتيبات اللازمة لإقامة حفلات الزّفاف ، التي تتم عادةً في بيت أحد العروسين ، ويقوم قاضي المدينة ، أو من ينوب عنه من العُلماء والفقهاء بعقد القران ، ولاتحضره العروس ، ولكن ينوب عنها ولي أمرها ، وإن لم يكن لها أحد من المحارم فتحضر بنفسها ملتفّة بعباءتها إلى غُرفة خالية إلا من القاضي والعريس والشّهود(٢) .

---

(١) السيدة سالمة ، مذكرات أميرة عربية ، ص ٢٠٨ - ٢١٠ .

(٢) السيدة سالمة ، مذكرات أميرة عربية ، ص ٢١١ - ٢١٢ .

ويقدّم العريس بعد ذلك المهر والصّداق ، الذي يختلف من شخص إلى آخر حسب المقام والمركز الاجتماعي والاقتصادي لعائلة العروسين ، ويتكوّن عادةً من النّقود الذّهبية والحلي والملابس ، إضافةً إلى العبيد والمنازل والمزارع ، ويكون ملكاً خاصاً للعروس(١) .

ثم يقيم العريس احتفالاً كبيراً يحضره جميع أهالي العروسين وأصدقائهما . والاحتفال بليلة الزّفاف قد يحصل بعد عقد القران مباشرةً ، وقد يتأخّر بعض الوقت ، ولكن أهم ترتيباته ومراسيمه أن تتحلّى العروس بأجمل وأحلىٰ ماتملكه من حُلي وملابس ، ثم يأتي بعض من أهل العريس من رجالٍ ونساء ليزفّوا العروس إلى بيتها الجديد ، ويذهب معها كل أهلها وأصدقائها وحاشيتها في موكبٍ كبير ، ويصل الجميع في حوالي الساعة التّاسعة أو العاشرة مساءً ، فيستقبلهم العريس وأهله ، وينثروا النّقود والحلوىٰ تحت أقدام العروس ، التي تؤخذ إلى غرفتها ، وبعد انصراف النّسوة الأجانب ، يدخل العريس وتنهض العروس لاستقباله إذا كان مساوياً لها في المقام ، ولاتنهض له إذا كانت أعلىٰ منه مكانةً ، ثم يرفع العريس البُرقع عن وجه عروسه ليراها لأول مرّة . ومن العادة المتّبعة لترضية العروس عند رفع بُرقعها أن يعطيها هديّة بهذه المناسبة . وهي عند الفُقراء قليل من المال ، ولكنها عند الأغنياء مبلغاً كبيراً من الذّهب والفضّة . وتستمر الاحتفالات في منزل العريس مدة تتراوح بين الثلاثة أيام والأسبوعين(٢) .

والزّواج بالنسبة للمجتمعات السّواحلية البانتوية على اختلافها ، يتحكّم فيه العُنصر الأقليمي بكل مافيه من عادات وتقاليد لأداء الدّور الطبيعي لبناء هذا المجتمع ، ويقوم

---

(١) السيدة سالمة ، مذكرات أميرة عربية ، ص ٢١٠ .

(٢) السيدة سالمة ، مذكرات أميرة عربية ، ص ٢١٢ - ٢١٣ .

الـزواج في هـذه المجتمعـات عـادةً على عقـدٍ يتم بين والد العريس ووالد العروس ، وقبل التقـدّم لخطبـة الفتـاة ، تلجـأ أُسـرة العريس إلى العراف ، ويسمىٰ مبوساجي Mposaji لمعرفة طالع الفتاة وأُسرتها . فإذا جاء الطّالـع سعيداً والفأل حسناً ، تذهب مجموعة من أهل الشاب ، ومن بينهم خاله لزيارة أهـل الفتـاة ، ويقدّمون قبل العرض لطلب الزّواج ، الذي يسمىٰ أبسو أو ابسوجي Uposo or Upusoji هديّة يُطلق عليها اسم كيبيليكا بوسا Kupeleka Posa ، إذا تم الاتّفاق بين الأُسرتين ، تقدّم أسرة العريس لأُسرة العروس مبلغاً من المال يسمىٰ فاتح الباب كي تنجا ملانجو Kifungaomlango ، وسمي بهذا الاسم لأنه يفتح الباب في وجه العريس ، ليتم إجراءات الزّواج ، ويقفل الباب أمام كل من يتقدّم لخطوبة الفتاة بعد ذلك(١) . ثم تناقش المسائل المالية بين الطّرفين ويكون أهمها المهر ، ويسمىٰ مهري Mahari ، ويقدّم للعروس إما كاملاً أو جُزءاً منه ، ويظل الباقي مؤخّر صداق ، يدفع للزّوجة عند الطّلاق ، أو إذا مات الزّوج تؤخذ من تركته . ويقدّم العريس لوالد العـروس مبلغـاً من المـال ، يسمىٰ ثمن العـروس كليمبا Kilemba ، ويُطلق عليه أيضاً ثمن العمامة ، كما يقدم العريس لوالدة العروس مبلغـاً من المـال يُعـادل ثمـن إحـدىٰ هـديتيـن هما مكـاجـا Mkaja(*) أو موليكـو Mweleko(**) ، ويضيف إلى هذه المبالـغ بعـض الهدايا الأُخرىٰ المتنوّعـة(٢) .

---

(١) ترمنجهام ، سبنسر ، الإسلام في شرق أفريقيا ، ص ٢٣٣ - ٢٣٤ .

(٢) ترمنجهام سبنسر ، الاسلام في شرق أفريقيا ، ص ٢٣٤ ، محمد ، عبـدالله بخيت ، مصطلحات سواحليـة ، ص ٤٥ - ٤٦ .

(*)مكاجا : عبارة عن قطعة من القماش تلفّه المرأة حول وسطها أثناء الحمل وبعد الوضع . محمد ، عبدالله بخيت ، مصطلحات سواحلية ، ص ٤٦ .

(**) موليكو : عبارة عن رباط يُشد به الطّفل إلى ظهر أمـه . محمد ، عبدالله بخيت ، مصطلحات سواحلية ، ص ٤٦ .

يذهب بعد ذلك أهل العريس والعروس للعراف حتى يحدد لهم الوقت السعيد أو الطالع السعيد لعقد النكاح ، إذ يعتقدون بوجود أوقات يحرّم فيها الزّواج مثل شهر صفر - ويسمىٰ عقد النكاح ميكاها Mikaha ، فيذهب في الوقت المحدد العريس وأقرباؤه وأصدقاؤه إلى المسجد أو المحكمة أو منزل العروس ، ويكون في انتظارهم المعلّم أو القاضي ، ووالد العروس أو ولي أمرها ووكيلها ، الذي يكون قد أخذ موافقتها مسبقاً ، والشّهود فيعقد القران على حسب الشّريعة الإسلامية ، ويهنّىء الحاضرون بعضهم بعضاً ، ثم تقدّم الحلوىٰ والقهوة(١) .

ويقام حفل الزّفاف بعد ذلك ويسمىٰ كينجو نامبانل Kuingo Nambanl ، ويحدد العراف موعده أيضاً ، ويكون عادةً في مساء اليوم التالي لعقد النكاح . وفي الساعة التي يحددها العراف ، يذهب العريس مع أصدقائه بعد أن يلبس كامل زينته - وهي عبارة عن عمامة كبيرة ، ورداء طويل مطرّز بشكلٍ رقيق - إلى بيت العروس ، حيث تذبح بعض المجتمعات السواحلية طيراً أو عنزة عند عتبة الباب قبل دخول العريس ، ليخطو فوق الدّم ، ويدخل منزل عروسه . ثم يجلس مع أصدقائه في غرفةٍ خارجية قبل الدّخول على العروس وتسمح له البلانة(*) بالدّخول إلى غُرفة العروس بعد أن يقدّم لها هديّة أو مبلغاً من المال ، يسمىٰ بفاتح الباب أيضاً سومو كونجو Somo - Kungw . وتطلب منه أن يخلع ملابسه ، ويلبس إزاراً جديداً يسمىٰ كيسوتو Kisutu ، وتكون العروس ملتفّة بإزارها النّسائي ، وعلى العريس أن يقدّم لها ثلاث هدايا ،

---

(١) ترمنجهام ، سبنسر ، الإسلام في شرق أفريقيا ، ص ٢٣٦ ، محمد ، عبدالله بخيت ، مصطلحات سواحلية ، ص ٥٢ .

(*) البلانة : إمرأة عجوز لها دراية ومعرفة واسعة بأمور الحياة ، تساعد العروس في اتّباع الأصول والتقاليد المتعارف عليها . الباحثة .

الأُولىٰ عندما يمسك يدها ، والثانية عند مسك ذراعها ، والثالثة عند رفع النّقاب عن وجهها(١) .

وتقام احتفالات للزّواج في اليوم الأول بعد الدّخلة على نفقة العريس ، وتسمىٰ الوليمة الشرعية للزّفاف Lima Ya Arusi ثم تقام احتفالات أُخرىٰ في اليوم التالي للدّخلة ، وتسمىٰ الفونجوتي Fungute ، وتكون على نفقة والد العروس ، وقد تستمر سبعة أيام . وأحياناً يتناوب أهل العريس وأهل العروس بتقديم الطعام(٢) .

وهناك بعض العادات والتقاليد الخاصة بالزّواج ، مثل عادة غسل الأقدام ، وتسمىٰ كيوشا ميجو kiosha Miguu ، وليس لها مكان أو زمان محدد ، حيث تقوم بلانة العروس بغسل أقدام العريس وأصدقائه ثم تدهنها بالزيت ، فيقدّمون لها مقابل ذلك الهدايا وبعض النقود . وقد تتم هذه العملية حين قدوم العريس مع أصدقائه إلى بيت العروس ، أو بعد ذلك في أحد أيام الفونجوتي(٣) .

وتفرض العادات والتقاليد على العريس أن يقدّم هدية إلى كل فتاة ، تحيط بعروسه وتساعدها في ليلة زفافها . وجميع هذه التكاليف الباهظة لاتنطبق إلا على الزواج من الفتاة العذراء ، أما المطلّقة أو الأرملة ، فيتم زواجها بطريقة بسيطة قليلة التكاليف .

---

(١) ترمنجهام ، سبنسر ، الإسلام في شرق أفريقيا ، ص ٢٣٦ ، محمد ، عبدالله بخيت ، مصطلحات سواحلية ، ص ٤٢ .

(٢) ترمنجهام ، سبنسر ، الإسلام في شرق أفريقيا ، ص ٢٣٦ ، محمد ، عبدالله بخيت ، مصطلحات سواحلية ، ص ٢٦ ، ٤٤ .

(٣) ترمنجهام ، سبنسر ، الإسلام في شرق أفريقيا ، ص ٢٣١ ، محمد ، عبدالله بخيت ، مصطلحات سواحلية ، ص ٣٨ .

وفي بعض المجتمعات السواحلية تطبّق عادة الزّواج غير الشرعي ، والذي يعارضه العلماء ، ويمنعونه في زنجبار . ومنه زواج المتعة ، الذي يعتبره الإثناعشرية زواجاً شرعياً ، وهناك الزواج السرّي ويسمّىٰ هريسي يا سيري Harusi Ya Siri ، وقد عارضه أيضاً العلماء المسلمون ، لأنه يتنافىٰ مع شروط العقد الصحيح التي منها إعلان الزّواج ، كالوليمة والاحتفال بالدّخلة ، ويتم هذا النّوع من الزّواج بين البحّارة وغيرهم ، كالتجّار الذين يزورون البلاد في فترة الرّياح الموسمية ، ثم يعودون إلى أوطانهم ثانيةً(١) .

ويحدد وقت الزّواج في المواسم الممطرة حتىٰ يستطيع أهل العروسين توفير متطلّبات الزّواج واحتفالاته(٢) ، لأنه في هذه المواسم تكثر المنتجات الزراعية التي تباع بربح وفير .

وللشّعوب البانتوية على اختلافها عادات وتقاليد قبلية شاذة للزّواج ، مثل زواج المبادلة ، بالأخت أو الابنة أو إحدىٰ القريبات ، وقد تتبادل قريتان بنسائهما ، وهذا النّوع من الزّواج منتشر ، ولكن بشكلٍ قليل في بعض المجتمعات الصغيرة ، وتتحكّم العادات القبلية في زواج الأرامل بالوراثة ، فيرث الأخ أرملة أخيه ، ويكون الأبناء منه باسم الأخ المتوفّي ، كما يرث الابن زوجات أبيه عدا أمه ، وهذه المجتمعات لايوجد فيها العانس أو الأرملة ، ومن المتعارف عليه إذا ماتت الزّوجة ، أن يعيد أهلها إلى الزّوج ماقدّمه من مهرٍ وهدايا ، أو يقدّموا له زوجة أُخرى(٣) .

وقد هذب الإسلام بعض هذه العادات والتقاليد الخاطئة عن طريق الوعظ والإرشاد

---

(١) ترمنجهام ، سبنسر ، الإسلام في شرق أفريقيا ، ص ٢٣٦ - ٢٣٧ .

(٢) Klima , George J. , The Barbaig East Africa Cattle - Herders, P. 71 , New York ,1970 .

(٣) محمد ، عبدالله بخيت ، دراسات في الأدب السواحلي ، ص ٣٠ .

ومخالطـة المسلميـن ، ومعرفـة المزايـا والفوائـد العظيمـة التـي يجنيهـــا معتنقـوا الإســـلام .

كما نجد أن القيم والفضيلة في المجتمعات الإسلامية ، وتسهيل الزّواج ، وعدم تعقيد الطّلاق ، كل هذا جعل للمرأة مكانةً مرموقة ، تحسدها عليها مثيلاتها في المجتمعات غير الإسلامية(١) . ويتبع السواحليون قواعد الشريعة الإسلامية في الطّلاق ، أما الشّعوب القبلية فيطبّقون عاداتهم وتقاليدهم وأعرافهم السّائدة في الطّلاق ، ويُسمّىٰ طلاقا Talaka ، وعلى الزّوج أن يدفع لزوجته إذا طلّقها مؤخّر صداقها . أما إذا كانت الزّوجة هي التي طلبت الطّلاق فعليها أن تُعيد للزوج كل ماقبضته ، وماقدّمه لها من مهرٍ وهدايا . والطّلاق قليل بين الزّرّاع مثل الحادميين ، والتومباتو ، وأهل جزيرة بمبا . إلا إنه يكثر في المدن والمستوطنات الساحلية والدّاخلية(٢) .

---

(١) F. O. 107/52 , From Harding to Salisbury , 14,5,1896 , P. 4 .

(٢) ترمنجهام ، سبنسر ، الإسلام في شرق أفريقيا ، ص ٢٣٨ .

المـــآتـــم :

بعض العـادات والتقاليد المتعلّقة بالمآتم في المجتمع السواحلي تتم في إطار إسلامي شامل ، فعند الاحتضار يستدعىٰ أحد الشّيوخ العارفين بأمور الدّين ، فيتلو ماتيسّر من القرآن كسورة يس بالقرب من فراش المحتضر ، ويساعده في تلقين الشّهادة ، وبعض المجتمعات السواحلية تقرأ بردة البوصيري ـ هذه بدعة مخالفة للشريعة الإسلامية ـ وبعد الوفاة يُغسّل الميّت ويسُمىٰ كوشا ميت Kuosha Maiti بواسطة المُغسّل الذي يُسمىٰ موشا Mwosha وعادةً مايكون المعلّم ، أو أحد تلاميذه الذين لهم دراية ، ومعرفة بهذه الأمور ، وفي أثناء غسل الميت يستمر الحاضرون في تلاوة القرآن في غُرفةٍ مجاورةٍ أو مكانٍ قريب من غرفة غسل الميت ، وبعد الغسل تضع بعض المجتمعات السواحلية الميت فوق حصيرٍ يُسمىٰ ميكيكا Mkeka ويستخدم هذا الحصير - فيما بعد - للصلاة عليه في المسجد .

وبعد أن يُكفّن الميت يُوضع في النّعش ، ثُم يُحمل إلى المسجد للصّلاة عليه ، وفي الطّريق يردد التهليل والدّعاء للميت ، أما إذا كان المتوفّي تابعاً لإحدىٰ الفرق الصّوفية ، فإن المنشدين يسيرون أمام النّعش ، وهم يُردّدون بعض القصائد والأدعية الصّوفية ، ثم يّدفن الميت ، تبعاً للعادات السّائدة عند المسلمين ، ولكل فئة اجتماعية مدافنها الخاصة بها(١) .

أما بالنسبة للحِداد ، فهناك شعائر وتقاليد طقوس تتبع في زنجبار وشرق أفريقيا ، ليس لها صلةٍ بالإسلام .

---

(١) حريز ، سيد حامد ، المؤثرات العربية في الثقافة السواحلية ، ص ٦٢ - ٦٣ ، ترمنجهام ، سبنسر ، الإسلام في شرق أفريقيا ، ص ٢٣٩ - ٢٤١ .

وفي فترة الحِداد يجب على كل فرد من أفراد عائلة الميت صغيراً كان أو كبيراً أن يعيش حياة تقشّف وحِداد ، فيترك الملابس الثّمينة الزّاهية الألوان والنّاعمة الملمس إلى الملابس السّوداء الخشنة ، مع الامتناع عن التطيّب أو التزيّن(١) .

وتستبدل البسط والكراسي الوثيرة بالحصر الكبيرة التي تُفرش على الأرض ، فيجلسون ويأكلون عليها ، ويترك الجميع فرشهم الوثيرة المريحة ، وينامون على الأرض أُسوةً بالميت(٢) .

وتختلف عندهم أيضاً فترة الحِداد ، وتكون في الغالب ثلاثة أيام . وإذا كان الميت من ذوي المكانة العالية أو المركز الهام ، فيستمر العزاء مدّة تسعة أيام ، ويحدد مكان استقبال العـزاء في منـزل المتوفّي ، أو منزل أحد أقاربـه . ويقول المُعـزّون عند دخولهم : ماكيـوا Makiwa وتعني : البقاء لله ، فيردّ عليهم أهل المتوفّي يامبيتا Yamepita وتعني : شكر الله سعيكم . ويُقدم الطّعام للفقراء في هذه الأيام ، وفي كل يومٍ من أيام الحِداد ، وبعد صلاة العِشاء يجتمع أهل الميت وأصدقاؤه ومعارفه ، ويتلون القرآن الكريم ، حتّىٰ يتمّوا الختمة ويُسمىٰ كوسوماهيتيما Kusomahitima ، ثم يقرأون دعاء ختم القرآن ، ويترحّمون على الميت ، ويهبون أجر الختمة لروحه . وفي بعض المناطق ينشدون الموالد في اليوم الثالث . ويسمّىٰ آخر يومٍ من أيام العزاء باسم الخاتمة Karamya Hitima(٣) .

ثم تُقام في اليوم الأربعين من وفاة الميّت وليمة كبيرة تُسمىٰ أوربياني Orbaini ، يُختتم

---

(١) السيدة سالمة ، مذكرات أميرة عربية ، ص ١٦١ .

(٢) السيدة سالمة ، مذكرات أميرة عربية ، ص ١٦١ ، ترمنجهام ، سبنسر ، الإسلام في شرق أفريقيا ، ص ٢٤١ .

(٣) ترمنجهام ، سبنسر ، الإسلام في شرق أفريقيا ، ص ٢٤١ ، محمد ، عبدالله بخيت ، مصطلحات سواحلية ، ص ٤٨ .

فيها القرآن ويُحتسب أجره لروح الميّت ، ويزورون المقبرة في ذلك اليوم ، ويقدّمون الأُضحيات والهدايا ، ويتركونها عند قبر الميت وتُسمىٰ فونجا فونجو Vunja Fungu ، حتىٰ تساعد على تسوية التُراب النّاتج عن حفر القبر ، ويصبح - حسب اعتقادهم - ظل الميّت الذي يسمىٰ كفيلي Kivali حراً ، فيرحل عن المقبرة ، إذ يُعتقد أن ظل الميّت يبقىٰ هائماً بالقُرب من جسد صاحبه في المقبرة ، حتّىٰ تعود الأرض إلى ماكانت عليه قبل الحفر ، وبرأيهم أنها لن تعود ، حتىٰ تقدّم الهبات والأُضحيات(١) .

وفترة العدّة وتسمّىٰ أزوكا Uzuka تختلف من مجتمعٍ إلى آخر ، وكانت في الماضي تحدد بأربعين يوماً ، وبعد انتشار الإسلام أصبحت حسب الشّريعة الإسلامية . والأرملة في هذه الفترة تخضع لعادات وتقاليد ، تتحكّم فيها البدع والخُرافات .

والمرأة في العدّة لاتخرج من منزلها ، ولاتزور أحداً ، لالتطبيق الشريعة الإسلامية فحسب ، بل لاعتقادهم أنها تجلب سوء الحظّ لمن تذهب إليه ، وتجلس مفترشة الأرض ، وتلبس الملابس القديمة القاتمة اللون ، وتترك شعرها ومظهرها عامةً دون تزيين أو عناية أو ترتيب ، إخلاصاً لظل زوجها الرّاحل(٢) .

وعلى الأرملة أن تقضي كل هذه المدّة في غُرفةٍ مظلمةٍ ، لايدخلها ضياء الشّمس ، ولاتخرج من هذه الغُرفة إلا للضّرورة القصوىٰ بعد أن تضع على وجهها غطاءً سميكاً لايسمح بدخول النّور ، وتبدأ فترة العدّة والعُزلة ببيان يتلوه القاضي على الأرامل ، ليوضّح

---

(١) ترمنجهام ، سبنسر ، الإسلام في شرق أفريقيا ، ص ٢٤١ - ٢٤٢ ، محمد ، عبدالله بخيت ، مصطلحات سواحلية ، ص ٦٠ .

(٢) ترمنجهام ، سنبسر ، الإسلام في شرق أفريقيا ، ص ٢٤٢ ، محمد ، عبدالله بخيت ، مصطلحات سواحلية ، ص ٦٤ - ٦٥ .

لهن مايجب عمله أو الابتعاد عنه ، ثم يأتي القاضي بنفسه بعد انتهاء العدّة ليتلو عليهن بيان انتهائها ، ومايجب عليهن عمله للخروج من هذه العُزلة . وتقول السّيدة سالمة في ذلك :

« وخروج المرأة من العُزلة يقتضي مراسم خاصة مبنية على الخرافات والأساطير ، فمن ذلك مثلاً أن على أرامل المتوفّي يوم انتهاء مدّة العُزلة أن يغتسلن جميعهن مرّةً واحدةً من أعلىٰ الرّأس إلى أخمص القدمين ، على أن تقف الخادمات خلف سيّداتهن ، تحمل كل منهن بيدها سيفين ، تسن نصلاهما فوق رأس السّيدة (وبالنسبة للفقيرات يُستعاض عن السّيوف بالمسامير ، أو بأية أداةٍ مصنوعةٍ من حديد) »(١) .

وتتم عملية الغسل هذه على شاطىء البحر ، كما تغسل جميع أدوات ولوازم المرأة المعتدة . وفي زنجبار أصبحت تتم هذه الإجراءات في المنازل ، ثم يُباح للمرأة أن تستعيد حُرّيتها بعد ذلك ، فتلبس الملابس الجديدة ، وتقام وليمة للأقارب يُعلن فيها القاضي رسمياً انتهاء مدّة عدّتها(٢) .

وتتمسّك بعض الشّعوب البانتوية بعادات وتقاليد ، وشعائر خاصة بالموت ، إذ يدفنوا موتاهم في كهفٍ يُطلق عليه اسم كهف الأسلاف . وعند وفاة أحد من القبيلة ، تجهّز طقوس معيّنة تقوم بها طائفة خاصّة . ففي بعض القبائل يقطعون رأس الميّت ، ويضعونه في كيس ، ثم يضعون الجسم في جلد بقرة ، ويعرضون بعد ذلك الرّأس والجسد لنار توقد بطريقةٍ تجعل الجسد والرّأس يجفّان ولايحترقان ، ويتطلّب ذلك عدّة

---

(١) السيدة سالمة ، مذكرات أميرة عربية ، ص ١٦٢ .

(٢) السيدة سالمة ، مذكرات أميرة عربية ، ص ١٦٢ ، ترمنجهام ، سبنسر ، الإسلام في شرق أفريقيا ، ص ٢٤٢ .

أسابيع ، ثم يأخذونهما للكهف الخاص بالدّفن ، وفي الطّريق يقومون بقتل كل من يواجههم من المشوّهين خلقيّاً ، وفي منزل الميت يذبحون عِجلاً أو عنزة عند بابه ارضاءً لروحه وراحةً لظله(١) .

وهناك بعض القبائل البانتوية تأكل لحم ميّتها ، ثم تحرق عظامه ، وهم - حسب اعتقادهم - يُدمجون ويخلطون بهذا لحمه في أبدانهم حِرصاً منهم على عدم عودة روحه إليهم ، فيبتعدون بذلك عن غضب الأرواح ولعنتها(٢) .

ومن العادات والتقاليد السّائدة عند الموت أيضاً ، ماتقوم به بعض القبائل الوثنية في دفن موتاهم في حُفرةٍ كبيرةٍ وعميقة ، فإذا تحلل اللحم وبقي العظم ، تؤخذ جُمجمة الرّأس ليكون تذكاراً . وتتبع هذه العادة بصفةٍ خاصة للموتىٰ المسنّين(٣) .

أما بالنسبة للهنود البانيان في زنجبار ، فإنهم يحرقون موتاهم في مكانٍ منفرد على شاطىء البحر ، وقبل الحرق يعرضون الجُثّة على أحد الكلاب ، فإذا اقترب منها ، دلّ ذلك على صلاح وتقوىٰ المتوفّي في زعمهم ، ثم يضعون مادة مشتعلة فوق الجُثّة ، ويحرقونها حتىٰ تتحوّل إلى رماد ، فيأخذونه ويذرونه في البحر(٤) .

وبعض المجتمعات السواحلية تقوم بزيارة القبور ، والأضرحة ، ومنهم من يقوم بهذه الزّيارة - على سبيل العادة - وللدّعاء للميّت لاللتبرك وطلب الشّفاعة . وأُشير هُنا - على سبيل المثال - إلى ماذكرته السيّدة سالمة :

---

(١) محمد ، عبدالله بخيت ، دراسات في الأدب السواحلي ، ص ٣١ - ٣٢ .

(٢) محمد ، عبدالله بخيت ، دراسات في الأدب السواحلي ، ص ٣٢ .

(٣) المغيري ، جهينة الأخبار ، ص ١٥٢ .

(٤) ميخائيل ، توفيق ، غرائب الأخبار ، ص ٦٨ .

« وخلال السّنة الأُولىٰ من الحِداد اعتاد بعضُنا على زيارة قبر أبي في ليلة الجُمعة من كل أُسبوع ، وكان ضريحه عبارة عن بناء مربّع ، تقوم فوقه قُبّة كبيرة ، وكنّا نبدأ بقراءة سورة الفاتحة من القرآن الكريم ، ثم نتلو بعض الصّلوات والأدعية طالبين من الله الرّحمة والغُفران للرّاحل ، ثم نسكب على المكان العطر وماء الورد والمسك والعنبر »(١) .

والبعض الآخر يقوم بزيارة قبور الأولياء الصّالحين ، وتقديم النّذور وطلب البركة ، والتضرّع بالدّعاء ، وطلب الشّفاعة منهم(٢) ، وهذا منافٍ لتعاليم الدّين الإسلامي الحنيف .

وبصفةٍ عامةٍ نجد أن الحِداد في زنجبار يتم في جوٍ إسلامي شامل ، عدا ماتقوم به بعض المجتمعات من عاداتٍ وتقاليدٍ غير صحيحة ، وقد عارضها العُلماء ، وحاولوا القضاء عليها بالتدريج . فمن أمثلة ذلك اعتراض العُلماء المسلمين في زنجبار على تطويل مدّة الحداد عن ثلاثة أيام ، كذلك وقفوا في وجه إقامة الموالد في أيام الحِداد . كما أرشد العلماء المسلمون النّساء إلى ترك الخُرافات والعادات القديمة بالنسبة للعدّة ، وبيان أحكامها في الشريعة الإسلامية ، والتي تراعي فيها مصلحة الزّوجة والأولاد والمجتمع الإسلامي بأكمله . ولم يسكت العلماء عن عادة بناء الأضرحة وزيارة القبور . ومن ذلك ماذكره المغيري عن اعتراض العلماء على بناء ضريح للسيد سعيد حيث قال :

« ورأى السيد ماجد بن سعيد البار بأبيه ، أن من الواجب عليه أن يشيّد ضريحه ، فأرسل إلى الهند يطلب المهندسين

---

(١) السيدة سالمة ، مذكرات أميرة عربية ، ص ١٦٢ - ١٦٣ .

(٢) ترمنجهام ، سبنسر ، الإسلام في شرق أفريقيا ، ص ١٧٢ - ١٧٤ .

والبنّائين والأحجار الجيّدة ، وغير ذلك من مواد البناء ، وأنفق في سبيل ذلك مبلغاً عظيماً من المال فشرع في بناء ذلك المقام المحتوى على أربعة أضرحة ، ولما بلغ إلى مستوىٰ رفع القُبّة عليه ، اعترض المطاوعة على ذلك البناء ، وعدوه مُنكراً عظيماً ، وأفتوا بعدم الجواز على بناء القبور ، فلم ير السيد ماجد بداً من القبول لأوامر الشّرع وأهمل البناء »(١) .

وفي قول المغيري ، وخاصةً ذِكر كلمة « المطاوعة » ، يُلاحظ الأثر السلفي ، وتأثير دعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب في الجزيرة العربية ، ثم انتقالها إلى عُمان ، وعلى أي حال فهذه المعلومة توضّح دور العلماء في محاربة البِدع ، وظهور المنهج السلفي ، وأثره في زنجبار وشرق أفريقية . وفي هذا رد على سبنسر ترمنجهام الذي يحاول أن يؤكّد على بعض العادات والتقاليد الوثنية وتفاصيلها ، ليعطي القارىء انطباعاً على أن جميع هذه الممارسات وثنية . كما أن هذا المجتمع ليس إسلامياً وسوء النّية واضح لديه . ومن الطبيعي أن نردّ على ذلك بتوضيح الدّور العظيم الذي كان يقوم به العلماء المسلمون في النّصح والارشاد ، لأن ديننا الإسلامي دين الفطرة ، فهو يأخذ العادة ويهذّبها دون أن يحدث هزّة عنيفة تنفر من يقوم بها .

---

(١) المغيري ، جهينة الأخبار ، ص ٢٥٢ .

السّحــر والشّعوذة ودور العلماء المسلمين في القضاء على هذه العادة :

من أهم مظاهر الحياة الاجتماعية في زنجبار الإيمان بالله وحده لاشريك له ، والبعد عن السّحر أو الاعتقاد بالأرواح ، إلا إنه توجد بعض المجتمعات السّواحلية تعتقد إلى جانب إيمانها بالله خالق كل شيء أنه بحكمته وقدرته خلق آلهة صغيرة ، وجعل لها مهمّة الإتصال بالنّاس ، والسّيطرة على شئون الحياة الأرضيّة . ونجد الأفريقي يلجأ إلى هذه الآلهـة الصغيرة ، حتىٰ لايُضايق الإله الأعلىٰ . فإذا عجزت هذه الآلهة عن إجابة طلبه عنـدها يلجـأ إلى اللـه سبحانـه وتعالىٰ وهذا بالطبـع مخالف للدين الإسلامي .

كما توجد عند بعض السّواحليين في البانتو عقيدة الإيمان بأن لكل شيء روحاً لها القدرة على الانتقال من كائن إلى كائن آخـر ، ولا تموت مع صاحبها ، وإنما تنتقل منه إلى شيء آخر(١) .

لذلك ظهـرت عندهم عقيدة تناسخ الأرواح ، وتنقسم الأرواح عنـدهم إلى ثلاث مجموعات رئيسية : أرواح الطّبيعة : وتسمىٰ ميزمو Mizimu ، ففي كل قرية من قُرىٰ البانتو مكان خاص للتضرّع إلى الأرواح ، وهو يختلف من مكانٍ إلى آخـر ، فقد يكون شجـرة أو صخـرة أو كهف أو غير ذلك ، حيث يعلّق عليه علـم ، ويقدّم له الطّعام ، ويحـرق له البخـور ، وتُذبح عنده القرابين ، لإرضـاء هذه الأرواح ، وطلب عطفها ورضاها ، واتّقاء شرّها وأذاها .

وأرواح السلف تسمىٰ وازيمـو Wazimu ، وهي مقـدّسة عنـدهم ، كأرواح الآباء والأجداد ، لأنها قادرة على الانتقـال من مكـانٍ إلى آخر ، ويمكنها أن تتقمّص أجساد

---

(١) محمد ، عبدالله بخيت ، دراسات في الأدب السّواحلي ، ص ١٣ .

الأحياء وتراقبهم وتحاسبهم(١) . ثم الأرواح المتقمّصة وتسمى أجوما ياكيبنجا بيبو Agoma Ya Kupunga Pepo ، وهذه العقيدة تتصل بنوعيّة من الأرواح تسمى بيبو Pepo ويُطلق عليها اسم الأسياد أو الأرواح المتقمّصة . ولها صِفات خاصة ، فهي غير محدودة العدد أو النّوع ، فلكل مكان أرواحه الخاصة ، ولكل أرواح مروّض خاص كوديه Kudy يتحكّم فيها ويسيطر عليها ، وقد جعل السّواحليون لهذه الأرواح نظاماً خاصاً بها ، فاعتبروا الجان مافنجي Majini التي تقيم في البر والبحر ضمن الأرواح عامةً ، أما التي أطلقوا عليها اسماء معيّنة ، فقد وضعوها ضمن مجموعة الأرواح المتقمّصة ، وهناك تداخل كبير بين الجان والشّياطين ماشيطاني Mashaitani ، إلا أن الاعتقاد الغالب أن الشياطين من الأرواح التي تعيش على الأرض ، وتتقمّص عناصر الطّبيعة ، مثل الأشجار والصّخور وغيرها ، أو أن تعتبر من أرواح السّلف ، أو من الأرواح المتقمّصة على حسب طريقة ظهورها . ويعتقدون بصفةٍ عامة أن جميع الأرواح يمكنها أن تؤذي ، ولكن الأبالسة بليسي Bilisi تمثل الأرواح الشّريرة منها ، وهي تسكن الإنسان فتتقمّص جسده أو تعيش معه في بيته(٢) .

وطّرق العلاج من أذى هذه الأرواح تختلف وتتنوّع ، ومنها التعاويذ التي تقي من تقمّص الأرواح - في اعتقادهم - وتهدئها وتسكنها ، ولكن بصفةٍ مؤقتة .

---

(١) محمد ، عبدالله بخيت ، دراسات في الأدب السّواحلي ، ص ١٤ - ١٦ ، ترمنجهام ، سبنسر ، الإسلام في شرق أفريقيا ، ص ٢٠٣ - ٢٠٧ .

(٢) محمد ، عبدالله بخيت ، دراسات في الأدب السواحلي ، ص ١٦ ، محمد ، عبدالله بخيت ، مصطلحات سواحلية ، ص ٦٨ ، ترمنجهام ، سبنسر ، الاسلام في شرق أفريقيا ، ص ٢٠٣ - ٢٠٨ .

Ingrams , W. H. , Zanzibar , PP. 435 - 436 .

وتحدثنا عن ذلك السّيدة سالمة بقولها :

« فقد كان من نتائج غلبة الجهالة والظّلام على العقول اعتقاد أكثر النّاس بالأرواح الخيّرة والشّريرة ، وسُكناها الأجساد البشرية ، فما يكاد الطّفل منّا يولد ، حتىٰ يتقمّصه الشّيطان ، ويسكن جسده . فإذا بكىٰ الطّفل أو صرخ أو جفاه النّوم ولم يُعرف سبب واضح لذلك ، فالسّر هو ركوب الشّيطان له ، والواجب طرده من الجسد حالاً ، وأبسط الطّرق لهذا الطّرد هو تعليق قلادة من رؤوس الثوم ، ورؤوس البصل الصّغيرة حول عُنق الطّفل ، وهي لعمري طريقة مجدية وأكيدة المفعول ، فلو كان للشّيطان أنف يشم لما ظل لحظةً واحدةً في ذلك الجسم »(١) .

وعندما يتعرّض الشّخص لنوبات من الصّرع أو الهستيرية ، أو أي نوع من أنواع المرض النّفسي ، فإنهم يذهبون إلى العرّاف الذي يحدد عن طريق الضّرب بالرّمل نوع الرّوح أو الأسياد التي تتقمّصه ، إضافةً إلى طّرق العلاج التي يجب اتّباعها(٢) .

أما عن عملية طرد الأرواح في جسد الشّخص الذي تقمّصته ، فيُطلق عليها اسم شوموتو بيبو Chomoa Mtu Pepo ، حيث يقوم - مروّض الرّوح - أو الكوديه بالطّلب من أحد الأسياد الذين يسيطر عليهم ، أن يتقمّصه هو أو أحد أتباعه ، ثم يسأله ،

---

(١) السيدة سالمة ، مذكرات أميرة عربية ، ص ٢٤٣ .

(٢) ترمنجهام ، سبسنر ، الإسلام في شرق أفريقيا ، ص ٢٠٨ .

Alpers , Edward A. , " Ordinary Household Chores : Ritual and Power in a 19th - century , Swahili Women's Spirit Possession Cult " , International Journal of African Historical Studies , Vol. 17 , No. 4 , P. 690 , Boston , 1984 .

ويطلب منه معرفة مطالب الرّوح التي تقمّصت جسد المريض ، وما هو العلاج والدّواء والنّذور والاحتفالات التي يجب أن تقدّم(١) .

ويكثر في جزيرة زنجبار الزّار ، الذي هو عبارة عن ظاهرة سيكولوجية ترتبط بأفكار العقل الباطن ، وتعبر عن رغبات وأمراض نفسية وقيود اجتماعية ، تمنع من ظهورها بعض العادات والتقاليد الاجتماعية(٢) .

والزّار من الممارسات المتأثّرة بالمعتقدات الأفريقية ، التي لها صلة بالأرواح الشريرة وسطوتها ، ويكثر بين الشّعوب الأفريقية عامة وفي بعض المجتمعات الأُخرىٰ في شرق أفريقيا وزنجبار .

والأشكال الرّئيسية لهذه الممارسات ، هي الزّار الحبشي ويسمىٰ Kihabashi وقد وصل إلى زنجبار عن طريق المجموعات الحبشية التي قدمت من أثيوبيا أحد المراكز الأساسية للزّار(٣) .

ثم هناك الزّار الملقاسي ، ويسمىٰ بوكي Kibuki ، ويعتقد أنه أتىٰ من جزيرة مدغشقر عن طريق بعض المجموعات التي نزحت إلى شرق أفريقيا . وأيضاً الزّار النّوبي Kinubi الذي انتشر بواسطة السّودانيين الذين وفدوا إلى المنطقة(٤) .

---

(١) ترمنجهام ، سبنسر ، الإسلام في شرق أفريقيا ، ص ٢٠٩ .

(٢) سالم ، ناهد حافظ ، " حفلات الزّار " ، مجلّة الشرق الأوسط ، العدد ١٢٥ ، ص ص ٤٢ - ٤٣ ، ١٩٨٨م .

(٣) حريز ، سيد حامد ، المؤثّرات العربية في الثقافة السواحلية ، ص ٦٩ ، حفلات الزّار ، ص ٤٢ - ٤٣ .

Alpers , Edward A. , " Ordinary Household Chores " , International Journal of African Historical Studies , P. 688 .

(٤) حريز ، سيد حامد ، المؤثّرات العربية في الثقافة السواحلية ، ص ٦٩ .

وتبدأ عملية طرد الرّوح الشّيطانية من جسد الشّخص المصاب ، بالقيام بحفلات الزّار التي تتم في غُرفة مظلمة ، يُطلق في جميع أرجائها البخور الكريه الرّائحة ، وتستخدم آنية من الفخّار تسمىٰ شانجو Chango ، وقرن بقرة يسمىٰ بني Pini مملوء بدواء معيّن ، يسمىٰ دواء يابيبو Dawa Ya Pepo ويجلس المريض بالقرب من الآنية الفخارية وسط حلقة من الأهل ، ومجموعة من النسوة والرّجال الذين أُصيبوا بنفس المرض سابقاً ، على أن يُلف المريض بالملابس تماماً من رأسه حتىٰ قدميه ، ثم يقوم الطبيب المشعوذ ببعض الطّقوس والرّقصات حول المريض ، ويرشّه بالدّواء الموجود في قرن البقرة ، مع ترتيل رقية معيّنة لطرد هذه الأرواح ، بينما يقوم الحاضرون بالغناء والرّقص حول المريض ، أو يقرعون جرساً على شكل طبق يسمىٰ أوباتو Upatu قرعاً متواصلاً وصاخباً ، هذا إلى جانب دقّات الدّفوف والطّبول المزعجة . ويأخذ المريض أو المريضة بالتلوّي والاهتزاز حتىٰ يتشنّج ويخرج الزّبد من فمة ، عند ذلك يعتقد أن الرّوح صعدت إلى رأس المريض ، ويبدأ المشعوذ المعالج بتحريك رأس المريض إلى الأمام وإلى الخلف لإخراج الرّوح التي تقمّصته ، ويصير المريض عندئذ هو الرّوح نفسها ، ويبدأ بالتّحدث إلى الرّوح الشيطانية بكلماتٍ غير مفهومه ، ليتبيّن المعالج ماتريده حتّىٰ تُجاب طلباتها(١) . وفي ذلك تقول السيدة سالمة :

« . . . . ويبدأ المتفرّجون يكلّمون
هذه الرّوح ، ويسألونها عن طبيعتها ، وعمّا تريد ، إذ أن
هناك أرواحاً خيّره تسكن أجسام البشر لحمايتهم وهدايتهم ،
كما أن هناك أرواحاً شرّيرة تسكنهم بقصد الأذىٰ والشّر
ولا يُستبعد أن تسكن الرّوحان معاً جسد شخص واحد في وقتٍ

---

(١) السيدة سالمة ، مذكرات أميرة عربية ، ص ٢٤٣ - ٢٤٤ ، ترمنجهام ، سبنسر ، الإسلام في شرق أفريقيا ، ص ٢٠٩ - ٢١٠ .

واحـد ، والـويـل حينـذاك لهـذا الجسـد الممـزّق بيـن الـرّوحيـن المتصارعين ، والعرافات المتمرّسات (في اعتقادهن) يستطعن طرد الرّوح الخبيث بالتعاويذ والأدعية في حين يعتقدن مع الأرواح الخيّرة صلحاً ، ينظّمن بموجبه أوقات زيارة تلك الرّوح لجسد المريضـة .

ويتعلّق بهـذه الخـرافات الجنـونية عـادات أُخـرىٰ أشدّ وحشية وقساوة وهي أن بعض الأرواح لاتخرج من أجسام أصحابها إلا بالقرابين والنّذور ، لذا تُذبح الأغنام والطّيور أمام المريضـة ، ويُطلب إليها أن تشرب من دمهـا الحـار ، وتأكل من لحمها النيىء ، فلا عجب بعد هذا كلّه أن يتردّىٰ الحال وتصل المريضة إلى شفا الجنون والدّمـار »(١) .

ولكي يتم السّيطرة على الرّوح المتقمّصة ، وتصبح عوناً ومساعداً لمن تسكنه ، وحتىٰ يكون المريض نفسه أحد أفراد مروّضي الأرواح أو الكوديات ، عليه أن يقوم بتكاليف باهظة وممارسات وطقوس معيّنة ، تختلف حسب اختلاف الأسياد أو الأرواح المتقمّصة(٢) .

وبصفةٍ عامـة فإن التحكّم وترويـض الأرواح - رغم تعـدد فصائلها - له أساس واحد ، ويبدأ عادةً بتقديم طلبات وطقـوس معيّنـة ، يقوم بها المريض ، حيث يوضع في غُرفة مظلمة لمدّة سبعة أيام ، ثم يقوم أهله بتقديم طلبات المعالج . وتسمىٰ تعزيمة Tezamia ، ويُطلق عليها في بعض الأحيان اسم الوليمة Walima ، وهي عبارة عن بعض النّقود ، وماعز ، وثلاث قطع من القماش ، وثلاثة مكاييل من الدّقيق ، وذلك لعمل نـوع خـاص من الفطائر ، وكمّية وفيرة من الأرز والعسل ، هـذا إلى جانب قطـع من

---

(١) السيدة سالمة ، مذكرات أميرة عربية ، ص ٢٤٤ .

(٢) ترمنجهام ، سبنسر ، الإسلام في شرق أفريقيا ، ص ٢١٠ - ٢١١ .

خشب الصندل للبخور ، وآنية لتقديم هذه الأطعمة . فيطهىٰ الطعام ، وتقدّم مائدة خاصة للمعالج أو الكودية ، ومائدة أُخرىٰ لكافة الحاضرين . ثم يبدأ في تجهيز المريض بعد العزلة للاحتفال ومراسيمه التي يعينها المعالج ، فيحلق شعر المريض بأشكال ورسوم خاصة ، وبعدها يغسل ويطيب بخلاصة نوع من الورود يُعد لهذه المناسبة ، ثم يلبس الجميع ملابس بيضاء اللون ، ويرسمون وجوههم بألوان بيضاء وسوداء وحمراء بشكلٍ غير منظّم ومفزع ، ويحمل كل واحدٍ منهم إما ذيل حمار ، أو ذيل زراف مُجفّف ، وتبدأ طقوس الرّقص والغناء بطريقةٍ هستيرية ، ثم يوضع المريض في المنتصف أمام المعالج ، ثم يطلب منه القيام والجلوس سبع مرّات ، وتشتد في هذه الفترة عملية الطّبول والغناء لإضعاف وترويض الرّوح المتقمّصة(١) .

ثم يطلب الكودية عمامة لها شكل معيّن تحدّده الأرواح أو الأسياد ، وتوضع على رأس المريض ، ثم تُنحر الذّبائح المعدّة لهذه المناسبة فترضىٰ بذلك الأرواح عنه ، ويصبح عندئذ واحداً من الكوديات ، وتصير عنده المقدرة على التحكّم بالرّوح التي تتقمّصه ، ويحرص بعد ذلك على لبس هذه العمامة في الاحتفالات المماثلة . وللقيام بهذه العملية يتكلّف المريض مصاريف باهظة ، ولكنه يتقبّلها بنفسٍ راضية ، فهي الثّمن ليصبح واحداً من مروّضي الأرواح(٢) .

وكان يُعتقد في زنجبار أن لبعض الينابيع في المنطقة قوّة سحريّة خارقة ، بسبب الأرواح التي تسكن حولها ، فمن يشرب منها يتحقق له المطلوب ، بعد أن يُقدّم لها النذور . ويُعتقد أن لهذه الينابيع بركة تشفي المرضىٰ ، وتُعيد الغائب ، وتجمع بين

---

(١) Alpers , Edward A. , " Ordinary Household Chores ", International Journal of African Historical Studies , PP. 690 - 693 .

(٢) ترمنجهام ، سبنسر ، الإسلام في شرق أفريقيا ، ص ٢١١ .

الأحباب ، وتهب العاقر الأولاد ، وغير ذلك من الأمور الأُخرىٰ . ومن أشهر هذه الينابيع في زنجبار عين شمشم التي تقع على بُعد عدّة أميال من المدينة . وللنّذور شروط ومراسيم يجب اتّباعها إذ أن فائدة الأرواح أو عملها محصور في فترة محدودة من الوقت ، كما إنه يجب على صاحب النّذر أن يعجل بالوفاء به ، وإلا تعرّض لعقاب وانتقام الرّوح(١) .

والناس في زنجبار يقبلون على السحر والشّعوذة والخرافات إقبالاً كبيراً ، فعندما يعجز الفرد منهم عن معرفة مسبّبات الأشياء ونتائجها ، أو عند الضّعف أمام ظواهر الطّبيعة وتفسيرها ، فإنه يلجأ إلى السّحرة والمشعوذين .

ولقد قسّم سبنسر ترمنجهام ممارسيها إلى خمس فئاتٍ رئيسيةٍ :

١ - المعلّم : ويقوم بدور المعالج .

٢ - المجانجا Mganga وهو المعالج عند البانتو ، وضارب الحصىٰ أو العرّاف .

٣ - المفيالي Mvyale وهو كاهن المنطقة .

وهؤلاء الثلاثة مقبولون اجتماعياً . أما الفئتان الباقيتان فمنبوذتان ملعونتان وهما :

٤ - الموانجا Mwanga(*) أو الساحر .

٥ - المشاوي Mchawi وهو المشعوذ(٢) .

وقد يكون لشخصٍ واحد وظيفتان أو أكثر ، كأن يكون المعالج ساحراً أو مشعوذاً في نفس الوقت .

---

(١) السيدة سالمة ، مذكرات أميرة عربية ، ص ٢٤٢ .

(٢) ترمنجهام ، سبنسر ، الإسلام في شرق أفريقيا ، ص ٢٠٢ .

(*) أصل الكلمة جانجا Ganga : تعني يربط أو يعالج بالدّواء ، محمد ، عبدالله بخيت ، مصطلحات سواحلية ، ص ٥١ .

والمعلّم في زنجبار يقوم بوظيفتين ، فهو معالج إلى جانب وظيفته الدّينية كمعلّم ، ويذهب إليه النّاس في حالة المرض ، ويكون علاجه بتلاوة القرآن والدّعاء ، وكتابة آيات من القرآن الكريم على صحنٍ أبيض بماء الزّعفران(*) ، ثم يغسل بماء الورد عند الاستعمال ليصبح شراباً ذا طعمٍ طيبٍ ، فيشربه المريض ثلاث مرّات في اليوم(١) .

وقد ينصح المعلّم المريض بعمل الحجامة(**) أو الفصد ، التي كانت العلاج الرّئيسي لمعظم الأمراض من الجدري إلى الكوليرا ومابينهما .

ويكمن خطر هذه الطريقة في عدم نظافة يد الحجام ، أو تلوّث أداته التي يستعملها ، كالمشرط وكاسات الهواء . كما قد ينصح المعلّم بالتدليك الذي يعتبر العلاج الثاني في زنجبار ، وهو نافع في معظم الأحيان ، ولايضر بصاحبه . ثم هناك طريقة القيء ، عن طريق تناول بعض الأعشاب الكريهة الرّائحة والطّعم ، وعند اشتداد المرض غالباً مايذهب النّاس إلى المشعوذين والدّجّالين(٢) .

أما الماجنجا أو العرّاف فهو يعالج ويصنع الدّواء في نفس الوقت ، ومن مهمّاته الأساسية علاقاته مع الأرواح المتقمّصة أو الأسيا ويطلق على مهنته اسم مواجوزي

---

(١) السيدة سالمة ، مذكرات أميرة عربية ، ص ٢٣٨ .

(٢) السّيدة سالمة ، مذكرات أميرة عربية ، ص ٢٣٧ - ٢٣٨ .

(*)يُعرف هذا الدّواء بـ « المحو » . الباحثة .

(**)الحجامة : هي المداواة والمعالجة بالمحجم . والمحجم : آلة أو أداة كالكأس ، يفرغ منها الهواء ، ويحرق ورقة فيها ثم توضع على الجلد ، فيحدث تجمّع للجلد وانتفاخه ، ويُجذب الدّم إلى هذه البقعة ، فيقوم الحجام بشرط هذا المكان بالمشرط ، فيخرج الدّم . وهي عادة يقام بها مرّة كل عام لتنظيف الدّم ، فيقوى الجسم وتكسب المناعة . السيدة سالمة ، مذكرات أميرة عربيـة، ص ٢٣٧ .

Mwaguzi وتعني العرافة ، أو آجوزي Uaguzi ، وتعني التّنبّؤ . وفي الغالب تكون هذه المهنة وراثية ، ولكن يجب أن تعلم على يدي ممارس متمكّن ، ويحق للغير نقلها نظير أجر معيّن ، وعلى مراحل متعدّدة . ويُطلق على من تعلمها بعد ذلك اسم مكليمبا Mkilemba ، ويضع عمامة المهنة التي تسمىٰ كليمبا Kilemba(١) .

وهناك فرق بين السّحر والشّعوذة ، فالمشعوذ هو في الحقيقة العرّاف المعالج ، الذي يستخدم في عمله وسائل مادية ، إلى جانب استخدام خدام له من الأرواح والأسياد(٢) .

ومن أمثلة ذلك ماتذكره السيدة سالمة عن المشّعوذة العجوز العوراء ، التي كانت عدّة عملها عبارة عن كيس جلدي قذر ، يحوي أدوات سحرها وعملها . ولم تكن تتعدّىٰ بضع أصداف بحرية وعِظام حيوانات صغيرة كالفئران والعصافير ، ثم قطع من الزّجاج والفخّار ، وبعض المسامير الصّدئة ، وقطع نقود فضّية ونُحاسية(٣) .

كذلك تذكر السيدة سالمة التجاء عائلتها إلى المشعوذات عندما طال غياب والدها السيد سعيد في عُمان(*) - يسألونهن استطلاع الغيب ، ومعرفة سبب تأخّره - وتقول عن ذلك :

« . . . . . . ومع الأسف فإن جزيرتنا ومايُقابلها من الساحل الأفريقي يعجّ بالمئات من الغجريّات اللآتي يتعاطين مهنة

---

(١) ترمنجهام ، سبنسر ، الإسلام في شرق أفريقيا ، ص ٢١٢ - ٢١٣ .

(٢) ترمنجهام ، سبنسر ، الإسلام في شرق أفريقيا ، ص ٢١٣ .

(٣) السيدة سالمة ، مذكرات أميرة عربية ، ص ٢٤١ .

(*) غادر السيد سعيد زنجبار إلى عُمان في عام ١٨٥٤م ، ثم توفي بعد ذلك أثناء عودته إلى زنجبار في عرض البحر في ١٩ صفر عام ١٢٧٣هـ / الموافق ١٩ أكتوبر ١٨٥٦م ، حيث نُقل جُثمانه إلى زنجبار ودُفن فيها ، الفارسي ، البوسعيديون ، ص ١٦١ .

الخداع هذه . فهنّ يدّعين قراءة الغيب ومعرفة المستقبل ، في حين أن الحقيقة أنّهن يتسقّطن أخبار النّاس من أهليهم وذوي قرابتهم ، ثم يمارسن أنواع الخداع والتمويه ، في إخراج مسرحية المعرفة إخراجاً متقناً ، يسلب لبّ النّاس ، فيتقبّلونها بإذعان وتصديق غريبين . . . .

وكانت أبرزهاته المتنبّئات تلك التي سمعنا أنها هي ، أو بالأحرىٰ جنينها يستطيع أن يستطلع الغيب . . . ، وكانت تدّعي أن طفلها الذي تحمله في بطنها منذ سنين وسنين هو معجزة الخالق الكبير ، يرىٰ ويتكلّم ، وهو في الرّحم جنين . . . ، وما من شيء في الحاضر أو المستقبل إلا وأحاط به علماً . . . ، ثم طلبت إلينا أن تنحر الذّبائح ، ونوزّع النّذور قرباناً لملكة الجان في البحر ، التي تحمي المسافرين في البحر ، وتدفع عنهم الضّرر والأذىٰ »(١) .

ثم تُكمل السيّدة سالمة قولها :

« وظل الأمر على هذا الحال حتّىٰ اكتشفنا حقيقتها وحقيقة أننا كُنّا فريسة سهلة لدجّالة أفّاكة ، تستطيع أن تتكلّم من باطنها ، فتدّعي أن المتكلّم طفل لها تحمله في بطنها »(٢) .

أما السّاحر أو الموانجا فهو الذي يعمل كعضو في جماعة أو طائفة ، دون أن يكون بينه وبين ضحيّته عداوة شخصيّة ، أو حتّىٰ معرفة ، أو اتّصال من أي نوع . وللسّحرة مكان للتّجمّع يسمىٰ الجينجي Ginangi ، وهو سرّي في وسط الغابة ، يعقد فيه السّحرة

---

(١) السيدة سالمة ، مذكرات أميرة عربية ، ص ١٥١ - ١٥٢ .

(٢) السيدة سالمة ، مذكرات أميرة عربية ، ص ١٥٢ .

اجتماعاتهم العامة . وهذه المجامع لها أنظمتها وتقاليدها الخاصة ، إذ لكل ساحر درجة ومكانة خاصة في هذه العضوية(١) .

ويعرّف الدّكتور عبدالله بخيت السحر بأنه :

« نظرية تقوم على التجربة ، وعلى الملاحظة ، والخبرة الطّويلة لظواهر الحياة وأحداثها ، وتقلّبات الفصول ، ومدىٰ التشابه والاتّصال بين مختلف الظّواهر ، حتىٰ في أدق التّفاصيل ، وهو أيضاً معرفة بالنّفس البشرية في أحوالها المختلفة ، ودقائق نزعاتها . وكل ذلك في أُسس العلم والتّفسير العلمي . فما نُسمّيه نحن سحراً هو في نظرهم (علم) يتحدد به معرفة أسرار الكون ، وظواهر الطّبيعة والنّفس البشرية » . ثم يكمل تعريفه إلى أن يقول : « أجمع الباحثون على أن السّحر والعلم يقومان على أساس معيّن في تداعي الأفكار أو المعاني ، ولكن هذا التداعي يتم بطريقة خاطئة في السّحر بعكس الحال في العلم »(٢) .

وهناك نوعان من السّحر : السّحر التشاكلي : وهو الذي يقوم على أساس التشابه أو المحاكاة Imitative ، وعلى مبدأ أن الشبيه يُنتج الشّبيه ، أو إن المعلول يُشبه علّته ، فالسّاحر يصل إلى مايُريد عن طريق محاكاته أو تقليده . فإلحاق الضّرر والدّمار بصورة إنسانٍ ما ، سوف يُصيب الإنسان نفسه بالدّمار .

ويتبع السّحر التشاكلي نظرية التحاشي Avoidance ، فمثلاً يستطيع أي شخص أن يؤثّر في الخضرة وازدهار الزّرع على حسب أفعاله وأحواله ومزاجه . والنّاس يبتعدون عن القيام بأشياء معيّنة في الظّروف السّيّئة ، خشية أن يؤثّر ذلك على عملهم .

---

(١) ترمنجهام ، سبنسر ، الإسلام في شرق أفريقيا ، ص ٢١٣ - ٢١٤ .

(٢) محمد ، عبدالله بخيت ، دراسات في الأدب السّواحلي ، ص ٢٤ - ٢٥ .

ثم هناك السّحر الاتّصالي : ويقوم على أساس أن الأشياء التي كانت متّصلة في وقتٍ من الأوقات ، ثم تُفصل بعد ذلك لأي سببٍ من الأسباب ، تستمر في التأثير في بعضها البعض على بعد ، حتىٰ بعد هذا الانفصال ، فمثلاً إلحاق الأذىٰ بخصلةٍ من الشّعر ، يؤدّي إلى إلحاق الأذىٰ في صاحب هذا الشّعر ، فالساحر يستطيع تحقيق أهدافه وأغراضه باستخدام الأشياء المادية ، التي كانت ملتصقة بالشيء الآخر والتأثير فيها ، وهذان النّوعان من السّحر يقعان في خطأ وإساءة تطبيق مبادىء تداعي وترابط المعاني ، لذلك يُطلق عليهما اسم العلم الكاذب ، كما يُسمىٰ هذان النّوعان من السّحر السّحر التعاطفي(١) .

وينقسم السّحر من حيث الهدف والغاية إلى نوعين : السّحر الأسود اوتشو Uchawi والغرض منه إلحاق الضّرر أو الأذىٰ بإنسانٍ أو جماعة ، والسّحر الأبيض اوجانجا Uganga والغرض منه طلب عون ومساعدة الأرواح بقصد جلب المطر أو الصّيد ، أو التغلّب على الأعداء ، أو علاج المرضىٰ ، وهذان النّوعان من السّحر مختلفان ومتناقضان تماماً ، إلا أنهما يمارسان بواسطة رجلٍ واحد ، ويكمن الاختلاف في القصد والهدف ، وليس في الطّريقة التي يجب أن تتّبع(٢) .

ولقد كان للعلماء المسلمين دور كبير في القضاء على معظم هذه الممارسات والأعمال الضّارة والسّيّئة ، والتي تؤدّي إلى فساد المجتمع . فمن ذلك اعتراض العلماء على الشيخ

---

(١) محمد ، عبدالله بخيت ، دراسات في الأدب السّواحلي ، ص ٢٥ - ٢٦ .

(٢) ترمنجهام ، سبنسر ، الإسلام في شرق أفريقيا ، ص ٢١٣ ، محمد ، عبدالله بخيت ، دراسات في الأدب السّواحلي ، ص ٢٦ - ٢٧ .

ناصر الخروصي ، الذي كان يتعامل مع الجِن رغم أنه كان عالماً أباضيّاً كبيراً ، وكان السيد سعيد يحترمه ، وجميع النّاس يوقّرونه(١) .

كما قام العلماء المسلمون بتغيير الشّعائر والأنظمة الدّينية ، التي تؤدّي إلى الشّرك بالله ، مع الإبقاء على مايتمشّىٰ مع مبادىء الدّين الإسلامي الحنيف .

وعارضوا أيضاً الطّقوس الدّينية التي كان يتوجّه بها النّاس ، إلى ظواهر الطّبيعة عند اختلالها ، فبدلاً من الالتجاء عند الجفاف إلى العرّافين والمشعوذين ، علموهم صلاة الاستسقاء لنزول المطر ، والتضرّع إلى الله سبحانه وتعالىٰ عند الشدائد ، ووضّحوا لهم أن صلاة الاستخارة وأدعيتها خير بديل عن اللجوء إلى الكهنة والعرّافين لمساعدتهم في أمور الغيب .

وبيّنوا لهم أن علم الغيب من الأمور التي استأثر الله بها ، ولم يُطلع عليها أحد من خلقه ، لقوله صلّىٰ الله عليه وسلّم : « من أتىٰ عرّافاً فسأله عن شيءٍ لم تُقبل صلاته أربعين ليلة »(٢) .

أما عن موقف العلماء من حفلات الزّار فقد منعوها ، واعترضوا عليها ، وحذّروا المسلمين من فتنة القرين والشّياطين ووسطائهم ووسوستهم ، لقوله تعالىٰ : ﴿ **وَمَنْ يَكُنْ الشَّيْطَانُ لَهُ قَرِين فَسَاءَ قَرِيناً** ﴾(٣) . إذ إن هذه الطّقوس لايُراعىٰ فيها الحِفاظ على مبادىء الدّين الإسلامي ، لما فيها من الاختلاط بين الجنسين ، والبذخ والإسراف ، والذّبح لغير الله لاستعطاف واسترضاء الأرواح أو الأسياد ، فهذا شِرك بالله ، كما أن

---

(١) الفارسي ، عبدالله ، البوسعيديون ، ص ٨٩ - ٩٠ .

(٢) النّووي ، صحيح مسلم ، ج ١٤ ، ص ٢٢٧ ، القاهرة ، ب . ت .

(٣) سورة النّساء ، الآية (٣٨) .

شرب الدّم محرّم ومخالف لأوامر الله لقوله تعالىٰ : ﴿ **حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ والدّمُ وَلَحْمُ الخِنْزِيرِ وَمَا أُهِلّ بِـــهِ لِغَيْرِ اللّـــهِ** ﴾(١) .

كما أوضح العُلماء للنّاس في هذه المناطق إن السّحر مُحرّم بجميع أنواعه وصوره ، ويبعد الإنسان عن توحيد الله ، ويزعزع عقيدته ، وربّما يوصّله أحياناً إلى بطلان العقيدة بالله نهائياً ، وذلك عندما تتعلّق النّفس بغير بارئها وخالقها لقوله صلّىٰ الله عليه وسلّم : « من عقد عُقدةً ثم نفث فيها ، فقد سحر ، ومن سحر فقد أشرك ، ومن تعلّق شيئاً وُكل إليه »(٢) .

---

(١) سورة المائدة ، الآيـة (٣) .

(٢) السيوطي ، سُنن النّسائي ، ص ١١٢ ، ج ٧ ، بيروت ، ب . ت .

بعض العادات والتقاليد في القصور السّلطانيـة :

تبدأ الحياة اليومية في قصر السيد سعيد عند الفجر لأداء صلاة الفجر ، ثم يختلف النّاس بعد ذلك في قضاء أوقاتهم ، كل حسب حاجته وطبيعته . فأهل الورع والتّقوىٰ يتلون القرآن الكريم حتّىٰ طلوع الشّمس وأداء صلاة الضّحىٰ ، ثم يعودون إن شاءوا للنوم ثانيةً مثل ذوي اليسار ، أما عامة النّاس فيبدأون أعمالهم بعد الصلاة مباشرةً .

وفي القصور السّلطانية التي تضم أجناساً متعدّدة ، لاتوجد قواعد أو أُصول معيّنة تُحدد منهاج الحياة اليومية ، إلا وجوب المحافظة وبدقّة متناهية على أوقات الصّلوات الخمس ، وعلى حضور الوجبتين الرّئيسيّتين(١) حِرصاً من السيد سعيد على أداء الصّلاة في أوقاتها والتّمسّك بقواعد الدّين الإسلامي .

وقبل الإفطار يذهب الجميع للسّلام على السيد سعيد . كما كان من العُرف السّائد في بيت المتوني أن يذهب جميع الأخوة والأخوات لإلقاء تحية الصّباح على السّيدة عزّة زوجة السيد سعيد(٢) .

ويذهب بعد ذلك الرّجال إلى أعمالهم سواء خارج أو داخل قصر السّلطان . وأهم الأعمال الدّاخلية هي حضور السيد سعيد وأبناؤه إلى البرزة أي البلاط أو المجلس السّلطاني ، والتي كانت تعقد مرّتين في كل يوم ، الأولىٰ من الصّباح قبل الإفطار ، والثانية بعد صلاة المغرب في المساء ، ويحضرها الذّكور من أبناء السيد سعيد والوزراء والمستشارون وجميع الموظّفين وأفراد حاشيته ، وكل من يرغب في مقابلة السّلطان أو التّحدث معه(٣) .

---

(١) السيدة سالمة ، مذكرات أميرة عربية ، ص ١٠٩ .

(٢) السيدة سالمة ، مذكرات أميرة عربية ، ص ٦٤ .

(٣) السيدة سالمة ، مذكرات أميرة عربية ، ص ٢٢٠ .

بينما يحدد عبدالله الفارسي انعقاد البلاط السّلطاني البرزة في يومي الجُمعة والإثنين من كلّ أُسبوع ، وعلى فترتين : الأُولىٰ من السّاعة التّاسعة صباحاً ، والثّانيـة في السّاعة الرّابعة عصراً(١) .

ولحضورها آداب وتقاليد تبدأ منذ الاقتراب من باب المجلس السّلطاني ، فيجب على الرّجل خلع نعليه قبل الدّخول إليها بعيداً عن باب الغُرفة ، وتوضّح السيدة سالمة هذه التّقاليد بقولها :

« ويستطيع المراقب أن يحكم على طبقة الرّجل ومكانته من طريقته في خلع نعليه . فالعامة من النّاس يخلعونها بعيداً عن باب الغُرفة ، في حين أن عِلية القوم يخلعونها بعد أن يجتازوا بها عتبة البرزة ، وهذه ، كما قلت من قبل عادة شائعة ، يتساوىٰ فيها الجميع ويخضع لها ، عن طيب خاطر ، ودون ماشعور بالامتهان أو التّحكّم »(٢) .

ويحضـر السّلطان إلى البـرزة عند امتلائها ، ويتكـوّن موكبه من الحـرس الزّنوج في المقدّمة ، ثم يليهم الخصيان برئاسة قائدهم ، ثم يتبعهم السّلطان ، ويحيط به أولاده الكبار حسب أعمارهم ، ثم الأولاد الصّغار ، حيث يخترق هذا الموكب صفوف الحرس المصطفّين عند الباب . وعندما يدخل السّلطـان يقـف الجميـع لأداء التّحيّـة له ولأبنائه ، ولايجلسون إلا بعـد جلوسه ، ثم تُدار عليهم الحلوىٰ والقهوة ، أثناء مناقشتهم للأمور والأحداث(٣) .

---

(١) الفارسي ، عبدالله ، البوسعيديون ، ص ١٠٨ .

(٢) السيدة سالمة ، مذكرات أميرة عربية ، ص ٢٢٢ .

(٣) السيدة سالمة ، مذكرات أميرة عربية ، ص ٢٢٢ ، الفارسي ، عبدالله ، البوسعيديون ، ص ١٠٩ .

وفي هذا المجلس تظهر الشّورىٰ في الحُكم ، إذ لكل فرد الحق في حضور هذه المجالس ، وعرض مطالبه أو مشكلته ، بطريقة تتمشىٰ مع الأخلاق الإسلامية ، ويقول في ذلك الشيخ عبدالله الفارسي :

« وكانت هناك حرّية تامة في الكلام ، ويستطيع كل واحد أن يتكلّم بمايريد . وعندما تنتهي جلسة البلاط فإن الحاضرين يُرشّون بماء الورد . وينهض الحاكم واقفاً ، فيقف الجميع ، ويستأذنونه في الإنصراف ، ثم ينصرفون . ويذهب الحاكم إلى جناحه الخاص ليستمع إلى المناقشات السّرية ، وعندما تُفضّ الجلسة يبقىٰ في القاعة كل من يريد رؤية الحاكم لأمرٍ ما . ويستدعىٰ لمقابلة الحاكم الواحد تلو الآخر ، كل على حدة . ويستمع الحاكم إلى كلٍ منهم ، ويحاول تلبية طلباته . وكان النّاس يذهبون أيضاً لتحية الحاكم في الأعياد وفي المناسبات المختلفة ، وعند عودته من رحلاته »(١) .

وقد واصل السلاطين العُمانيون في زنجبار عقد مثل هذه البرزة بنفس التقاليد والعادات السّابقة ، ومنهم السيّد برغش(٢) .

وكان الحضور لهذا المجلس إجبارياً لكل أعيان البلد مرّةً واحدةً على الأقل في كل يوم ، كذلك فهو إجباري على جميع أولاد السّلطان ممن تجاوزوا السّادسة عشر من العُمر(٣) .

وفي الأوقات التي يقضيها الرّجال في الأعمال وحضور البرزة أي مجلس السّلطان

---

(١) الفارسي ، عبدالله ، البوسعيديون ، ص ١٠٩ - ١١٠ .

(٢) المغيري ، جهينة الأخبار ، ص ٣٢٨ - ٣٣٠ .

(٣) السيدة سالمة ، مذكرات أميرة عربية ، ص ٢٢٣ .

تقضي النّساء أوقات فراغهن بتطريز الثياب بخيوط الذّهب والفضّة والحرير الأبيض والملوّن ، أو في قراءة القصص ، وتبادل الزّيارات داخل القصر ، بينما يرسلون الرّسائل الشّفوية إلى صديقاتهن لتحديد مواعيد الزّيارات المسائية(١) عن طريق العدّائين(*) الذين توضح عملهم السيدة سالمة بقولها :

« . . . . إن من مظاهر الرئاسة والجاه في تلك البلاد أن يمتلك المرء أكبر عدد ممكن من العبيد ، الذين يكون بينهم عدد من العدّائين الممتازين ، الذين يستطيعون أن يطووا أطول المسافات في يومٍ واحد ، وهؤلاء هم نقلة الرّسائل والأخبار من مكانٍ إلى آخر ، حسب مايأمرهم بهم سيّدهم . ومن البداهة أن يحظى هؤلاء بعناية سيدهم ورعايته ، وأن يخصّهم بمعاملةٍ خاصة في المأكل والمشرب تفوق مايتمتّع به أقرانهم العبيد الآخرون ، فعلى مقدار كتمانهم للأخبار ودقّتهم في نقلها ، تتوقّف خطط سيّدهم ومشاريعه ، وبالتالي يتوقّف مستقبله كلّه ، ناهيك بما تمتلىء به جعبتهم من أسرار البيوت ، وأخبار العوائل ، وكم أدّت خيانة أمثال هؤلاء بدافع الحقد والانتقام أو الرّشــوة والاغراء إلى هدم صداقات طويلة ، وإلى حدوث كوارث وبيلة ، وهذا ما أدّى بالبعض من رجالات البلد إلى تعلّم الكتابة والقراءة ليستغنوا بها عن أمثال هؤلاء العدّائين »(٢) .

---

(١) السيدة سالمة ، مذكرات أميرة عربية ، ص ١١٠ .

(٢) السيدة سالمة ، مذكرات أميرة عربية ، ص ٨٠ .

(*)العدّائون : هم الذين يستطيعون أن يقطعوا أطول المسافات بسرعةٍ فائقةٍ ، لنقل الرّسائل الشّفهيّة أو الخطّية ، وهي من العادات السّائدة في الجزيرة العربية وعُمان منذ القِدم . الباحثة .

وبعد صلاة الظّهر ينصرف كل فرد إلى غُرفته الخاصة ، لينال قسطاً من الرّاحة أو قيلولة خفيفة ، إلى أن يحين وقت صلاة العصر ، وبعد أدائها يذهب الجميع إلى غُرفهم للتّزيّن لإلقاء تحيّة المساء على السّلطان(١) ، الذي كان رغم بساطة ملبسه ومظهره فإنه شديد التّمسّك بعادة أن يرتدي الزّي الكامل ، ويتزيّن بأجمل الزّينة كل من يمثل للحضور أمامه من الأولاد والزّوجات والخدم(٢) .

وعندما تنتهي الوجبة الثانية والأخيرة ، يجتمع أفراد العائلة للجلوس في الشّرفة مع السّلطان لمدّة ساعة أو أكثر ، وبينما يجلس الكبار على الكراسي يقف الصّغار توقيراً واحتراماً لمن هم أكبر منهم سنّاً ، فاحترام الصّغير للكبير واجب إسلامي يتمسّك به الجميع ، وتُدار على الجالسين القهوة وعصير الفواكه ، وتتبادل الأحاديث ، وبعد ذلك ينصرف كل فرد حيثما يريد لقضاء وقت فراغه .

ومنهم من كان يقضي وقته في مضغ البيتل(*) ، وتصف السيدة سالمة هذه العادة بقولها :

« . . . . مضغ (البيتل) هواية شائعة في أوقات الفراغ . . . . ، وهو عادة سواحلية يمجها العرب سكّان شبه الجزيرة العربية ، ولكننا نحن الذين نشأنا بين الزّنوج والمولدين اعتدنا عليها ، رغم استنكار أهلنا

---

(١) السيدة سالمة ، مذكرات أميرة عربية ، ص ١١٠ .

(٢) السيدة سالمة ، مذكرات أميرة عربية ، ص ٦٧ .

(*) نبات ثمرته حادة الطّعم ، يمضغها الأفريقيّون وسكّان شبه الجزيرة الهندية ، وهي ذات تأثير مخدّر نوعاً ما السيدة سالمة ، مذكرات أميرة عربية ، ص ١١١ .

الآسيويين لها ، ومع هذا فقد كُنّا نمضغ هذا النّبات خلسة ، وفي
غياب السّلطان الذي حرم تداوله »(١) .

وللإعلان عن غروب الشّمس وحلــول وقت أذان المغرب ، تدق الطّبول من قِبــل الحُرّاس الهنود المكلّفين بهذه المهمّـة ، ويُطلق الرّصاص ، فيسرع الجميع لأداء الصّــلاة ، ثم يذهب كل فردٍ إما لاستقبال ضيوفه من الأهل والأقارب أو لزيارة الغيــر(٢) .

وللزّيارات بين النّساء مراسيم وعاداتٍ خاصـة ، فالإخبار المسبق بالزّيارة هو أول المراسيم التي يجب اتّباعها ، ثم تتزيّن المرأة بأحلىٰ وأجمل زينتها ، على أن يُراعىٰ عدم كشف الوجه ، لأن المرأة العربيـــة في زنجبـار لاتكشف وجهها حتىٰ داخل بيتها إلا نادراً ، إذ تغطّيه ببرقع يُصنع عادةً من الحرير الأسود المطرّز الحواشي بخيوط الذّهب والفضّة ، وإذا كان مكان الزّيارة داخل المدينة يُذهب إليه سيراً على الأقدام ، وإن كان خارجها تُستعمل البِغال أو الحميـر(٣) .

ثم تسير السيدة في موكبٍ يكبر أو يصغر حسب مكانة المرأة ، وعادةً يتكوّن موكب السيّدة ذات المقام العالي من عشرة أو عشرين عبداً من الأقوياء المسلّحين بأجود وأحسن الأسلحة ، يحملون معهم الفوانيس أو كشّافات الإضاءة ، ثم يسيرون أمام سيّدتهم ، التي يتبعها عدد من الخادمات المزيّنات بأحسن زينة ، وإذا صادف مرور أحد المارة بنفس الطّريق ، فعليه أن يغيّر اتّجاهه ، مهما كانت مكانته أو مركزه الاجتماعي . وعند وصول الموكب إلى البيت المراد زيارته ، تستقبل خادماته الزّائــرات

---

(١) السيدة سالمة ، مذكرات أميرة عربية ، ص ١١١ .

(٢) السيدة سالمة ، مذكرات أميرة عربية ، ص ١١١ .

(٣) السيدة سالمة ، مذكرات أميرة عربية ، ص ٢١٥ .

بالترحاب ، ثم تقودهن إلى مجلس ربّة البيت ، التي تجلس على المدة(*) ، ومن العادات المتعارف عليها أن لاتخرج ربّة البيت لاستقبال ضيوفها ، إلا إذا كانت زائرتها أعلىٰ منها مقاماً وأرفع منزلةً .

والزّائرة تُقبّل يد ربّة البيت أو رأسها أو وجنتيها أو كتفها حسب المكانة بين الاثنتين ، وقد يُكتفىٰ بالمصافحة إن كانتا متساويتين في المنزلة والمكانة ، ثم تجلس الزّائرة إلى جانب ربّة البيت على المدة ، أو بعيداً عنها قليلاً إذا كانت في نفس مكانتها أيضاً ، وقد تجلس على الأرض إذا كانت أقل مقاماً من ربّة البيت . وقبل أن تدخل الزّائرة تخلع حذائها عند الباب ، حيث تقوم الخادمات بترتيب الأحذية حسب قاعدة عامة متعارف عليها ، فيضعن حذاء أعلىٰ النساء الموجودات منزلةً في الوسط ، ثم تُرتّب بقيّة الأحذية حسب مقامات السّيدات بشكلٍ نصف دائري ، وتخلع الزّائرة العباءة فقط ، بينما تُبقي البرقع ، ثم تقدّم القهوة العربية ، والفواكه والحلويّات ، ولايُلحّ على الزّائرة في الأكل ، ولكن يجب عليها أن لاترفض كل مايُقدّم إليها(١) .

وتستمرّ الزّيارة من ثلاث إلى أربع ساعات تقريباً ، حيث تتبادل الهدايا قبل الخروج ، ثم تعود الزّائرة في نفس الموكب التي أتت به(٢) .

---

(١) السيدة سالمة ، مذكرات أميرة عربية ، ص ٢١٦ - ٢١٨ .

(٢) السيدة سالمة ، مذكرات أميرة عربية ، ص ٢٢٠ .

(*)المدة : هو أريكة ترتفع عن الأرض مايقرُب من الستة أقدام . يُوضع فوقها فِراش طويل ذو ألوان زاهية ، مطرّزة بخيوط الذّهب والفضّة ، ثم توضع عليه وسائد مصنوعة من نفس القُماش والتطريز ، السيدة سالمة ، مذكرات أميرة عربية ، ص ٢١٧ .

أما عن مجالس الرّجال ، فأهمها حضور البرزة عند السّلطان ، ثم هناك لكل رجل من أعيان البلاد ووجوهها برزته الخاصة به ، وتقع عادةً في الطّابق الأرضي ، حتّىٰ تكون بعيدة عن النّساء ، تمسّكاً بتعاليم الدّين الإسلامي الحنيف .

وبعد أداء صلاة العِشاء ، وفي حوالي الساعة العاشرة ، يذهب من لم تُتح له فرصة الزّيارة أو استقبال الزّوّار إلى النّوم ، ثم ينصرف الخدم إلى منازلهم أو غُرفهم ، وتُطفأ الشّموع ، وتبقىٰ الفوانيس الصّغيرة مُضاءة حتّىٰ الصّباح الباكر(١) .

وهكذا تسير الحياة اليومية في القصور السّلطانية ضمن عادات وتقاليد تأثّرت بروح الإسلام وعادات العرب في الجزيرة العربية .

---

(١) السيدة سالمة ، مذكرات أميرة عربية ، ص ١١٢ .

الـرّق في مجتمـع زنجبــار :

لم يكن الرّق والاستعباد معروفاً عند المسلمين وحدهم ، بل كان أمراً واقعاً ومشهوراً في كثيرٍ من أنحاء العالم ، وقبل ميلاد المسيح عليه السلام بقرونٍ عديدة(١) . ولكي نفهم الحالـة الاجتماعيـة للـرّقيق ، فـإن من الضـروري وصـف التنظيم الاجتماعي والسياسي لسلطنة زنجبار في أواخر القرن الثالث عشر الهجري الموافق التاسع عشر الميلادي . فالسّلطنة التي شملت كلاً من جزيرتي زنجبار وبمبا ، وكذلك الأراضي السّاحلية لشرق أفريقيا بين أرخبيل لامو Lamu ورأس دلجادو ، كانت أقرب إلى الدّولة العربية منها إلى الدّولة الأفريقية . وكان الوضع الاجتماعي للرّقيق في زنجبار وشرق أفريقيا يتميّز أو يتحدّد بثلاثة عوامل أساسية :

أولاً : أن أغلب الرّقيق تم جلبهم من مناطق داخلية لم تمسسها الثقافة السواحلية ، وهم مجموعة يطلق عليهم السّكان السّواحليون اسم الشّانزي Shenzi أي البربر غير المتحضّرين(٢) . كما يُطلق عليهم أيضاً منجة Miinga أي الجاهل غير المدرّب ، أو ماتيكة Mateka أي المقتنص حديثاً ، ويوضعون في أقل الدّرجات الاجتماعية مرتبة(٣) .

ثانياً : إن الرّقيق لم يعتنقوا الإسلام ، الدّين الرّسمي للسّلطنة باستثناء من تم تحريرهم من الرّق أو الذين عملوا في الأعمال المنزلية .

ثالثاً : إنهم كانوا بمثابة ثروة لأسيادهم ، ولذلك تمتّعوا فقط بالحقوق التي ضمنها لهم القرآن .

---

(١) انظر الملحق رقم < ٣ > ص ٤٣٧ .

(٢) Akinola , G. A. , " Slavery and Slave Revolts In The Sultanate Of Zanzibar In The Nineteenth Century " , Journal of The Historical Society of Nigeria, Vol. VI , No. 2 , P. 215 , June 1972 .

(٣) ترمنجهام ، سبنسر ، الإسلام في شرق أفريقيا ، ص ٢٥٢ .

فهذه العوامل الثلاث جعلت مجتمع الرّقيق لااعتبار لهم وأنهم طبقة منغلقة على نفسها داخل المجتمع الزّنجباري(١) .

ويمكن تصنيف الرّقيق إلى مجموعتين كبيرتين : أولهما الوانواجنجا Watunwa Wajinga أي الرّقيق الجدد المجلوبون من أعماق الجزيرة ، والذين لم يتم استيعابهم ضمن مجتمع الرّقيق السّاحليين ، أو أرقاء جزيرة زنجبار . ثم المجموعة الثانية : وهي الواكوليا وهم الذين تم جلبهم أطفالاً ، وترعرعوا في ولاية زنجبار . وبجانب هذه المجموعة الثانية يوجد الوازاليا Wazalia ، وهم الذين ولدوا في حُضن الاسترقاق .

ولأسباب عملية فإن الرّقيق كانوا يُصنّفون اجتماعياً بطريقة أفضل وذلك حسب عملهم الذي يؤدّونه ، وتبعاً لطول خدمتهم لأسيادهم ، وحسب ثقة أسيادهم ، سواء في الأعمال المنزلية ، أو في المناطق المتحضّرة Urban أو في الزّراعة(١) .

ويختلف الرقيق الذين يعملون في المنازل بشكل ملحوظ عن المجموعتين السّابقتين في سلطنة زنجبار ، من حيث المركز الاجتماعي والمزايا التي يتمتّعون بها ، فقد كانوا يعتبرون أفراداً في أُسر أسيادهم ، خاصةً وأنهم عاشوا معهم منذ الطّفولة ، وصارت العلاقة بينهم أقرب إلى علاقة المربّى ومن يعيش في كنفه من تلك التي بين السيد وعبده ، حتى إنه لم يكن هناك فرق كبير بين العبد والسيد ، فهم يعيشون في جوٍ أُسري ، ويتناولون وجباتهم سوياً ، ويعملون معاً ويتعاونون عند القيام بالأعمال الشّاقة(٢) .

---

(١) Akinola, G. A., " Slavery and Slave ", Journal of The Historical Society of Nigeria, P. 216.

(٢) Akinola, G. A., " Slavery and Slave ", Journal of The Historical Society of Nigeria, PP. 216 - 217

ترمنجهام ، سبنسر ، الإسلام في شرق أفريقيا ، ص ٢٥٢ .

(٣) F. O. 403/367, Momorandum by Sub-Commissioner, Macdogallx, Dated 26,5,1905,

Akinola, G. A., " Slavery and Slave ", Journal of The Historical Society of Nigeria, P. 217.

والعبد المسن لايقل منزلةً عن سيّده ، يوقّره صغار البيت ويحترمه الكبار ، كما كان بعضهم يتمتع بالسّلطة والثّراء ، حتى إنهم وصلوا إلى مراكز عالية في الدّولة(١) .

والعبيد الذّكور في هذه الطبقة يدعون دوقويانقو Udugu Yangu ومعناها ولدي ، كما أن عدداً من النساء كُن ينادين بالسريات أو المحظيات(٢) .

وكان الرقيق الصغار يقومون بالأعمال المنزلية لأسيادهم ، حتى إذا بلغوا سنّاً ملائماً تعلّموا صنعةً تجارية مثل ، الخياطة ، وصناعة الأحذية والتجارة والنّقش والبناء ، وبعد إجادة الصنعة ، تحدد لكل منهم نسبة من دخله . وكان البعض منهم يعينون كمشرفين مسيماميزي Msimamizi ، كالرّئيس الأول للرقيق نوكوا Nokoa والرّئيس الثاني كدامو Kadamu ، وذلك في مناطق جمع القرنفل وجوز الهند ، وبعضهم كانوا يُشرفون على الأعمال التجارية لأسيادهم ، وبعضهم يتولىٰ توصيل القرنفل إلى المناطق الداخلية في شرق أفريقيا . فهذا كله يدل على أن الأذكياء من الرقيق كانوا يجدون فرصاً في المجتمع ، كما أن عبيد السلطان في زنجبار ، كانوا يعينون في وظائف رسمية(٣) .

والمجموعة الأُخرىٰ من الرّقيق The Urban Slaves أي الرقيق المدني لم يظهروا كمجموعة مميزة حتى الستينات من القرن الثامن عشر الميلادي ، وقبل هذا التاريخ فإنهم كانوا عبيداً للفقراء من العرب الحضارمة في المكلا والشحر ، وبمرور الزّمن جمع هؤلاء العرب

---

(١) ابراهيم ، عبدالعزيز عبدالغني ، " علاقة ساحل عمّان ببريطانيا " ، دارة الملك عبد العزيز ، العدد « ٢٥ » ، ص ٢٢٦ ، الرياض ، ١٤٠٢هـ / ١٩٨٢م .

(٢) Burton, F., Zanzibar, Vol. II, P. 367.

(٣) F. O. 84/1453, Report about The slaves in Zanzibar, From Kirk To Derby, dated 1,5,1876; Akinola, G. A., " Slavery and Slave ", Journal of The Historical Society of Nigeria, P. 217.

الحضارمة بعض الأموال وتمكّنوا بها من شراء العبيد الذين تم تنظيمهم بعد ذلك في مجموعات العمل ، وقد استغل العرب الحضارمة المرسوم الذي صدر في أواخر الستينات من القرن المذكور من قِبل القنصلية البريطانية في زنجبار ، والذي يمنع بموجبه الهنود الإنجليز التابعين لهم من امتلاك الرّقيق ، ورغم أن هؤلاء الهنود كانوا من أكبر رجال الأعمال التجارية في سلطنة زنجبار ، إلا أن الحكومة البريطانية أرغمتهم على بيع رقيقهم بأي ثمن ، فاشترىٰ العرب الحضارمة هؤلاء الرقيق ، وتمكّنوا بعد ذلك من السيطرة على سوق الرقيق ، حتى صاروا أكبر مُلاّك للعبيد في مدينة زنجبار(١) .

وكان لهذه المجموعة من الرقيق في مدينة زنجبار حيّهم المفضّل في نقامبو Ngambo ، حيث يسكنون في أكواخٍ صغيرة ، ويدفعهم أسيادهم إلى الأعمال الشّاقة عن طريق تأجيرهم للغير(٢) . وكانوا يعملون كل أيام الأسبوع ، وفي نهايته يُسلّمون ماكتسبوه إلى أسيادهم مقابل نسبة ضئيلة ، وكان سوق العمل في زنجبار مكتظاً بهم .

والدرجة الثالثة من الرقيق هم الذين كانوا يعملون في الشامباز Shambas أو المزارع ، وكانوا ينتمون لعالم مختلف عن خدم المنازل ، الذين يعيشون في المدن . فالأخيرون اكتسبوا شيئاً من الثقافة السواحلية . كما اعتنق معظمهم الدّين الإسلامي ، وأحبوا أن يقلّدوا أسيادهم في طُرق معيشتهم ، إضافةً إلى أنهم كانوا ينتظرون تحريرهم ، ويتوقّعون أن يمتلكوا عبيدهم الخاصين بهم يوماً ما . أما عبيد الشّامبا فكانوا يؤخذون في الغالب إلى المناطق الزراعية ، داخل أفريقيا ، دون أن يمرّوا بتجربة حياة زنجبار التعليمية ، أو

---

(١) AKinloa , G. A. , " Slavery and Slave " , Journal of The Historical Society of Nigeria, P. 217 .

(٢) AKinloa , G. A. , " Slavery and Slave " , Journal of The Historical Society of Nigeria, P. 218 .

بأي مدينـة ساحلية أُخرىٰ ، ولأنهم استجلبوا كباراً ، فلم يكن من السّهل تبديل أي شيء في حياتهم . وكانوا في بعض الأحيان يحيون حياةً طيبةً ، ويسكنون في أكواخ متّسعة ، ولهم مزارعهم الخاصة بهم ، وقد أثرى بعضهم حتى امتلكوا عبيداً خاصين بهم ، وهم أحسن حالاً من غيرهم من الرقيـق في شيء واحد وهو أنهم يعملـون لمدّة خمسة أيام فقط في الأُسبوع ؛ لأن فترة عملهم تعتمد على نوع العمل الذي يمارسونـه في موسـم الحصاد أو غيـره . وفي بعض الأحيان كان العمل يتوقّـف في منتصف النّهار ، وفي بعضهـا يستمر حتى غروب الشّمس . وإلى جانب عملهم في حصاد القـرنفل أو جوز الهند ، فإن أشق عمل بالنسبة لهم ، كان قيامهم بنقل الإنتاج من المـزارع إلى أقـرب المواني . ولم يحـظ رقيـق الشامبا بطعام أو كسـاء من أسيادهـم كما حـدث لغيرهم من الرقيق ، ولكن كل واحدٍ منهم كانت تخصص لـه قطعـة أرض تسمى كودو Kodo ، يزرعها في وقت فراغه الخاص يومي الخميس والجمعة أي وقت راحته ، وكان العائد في هذه القطعة تحت تصرّف العبد ينفقه كيفما شاء . وكانت هذه العائدات تمدّهم بالإعاشة ، وكل مايفيض عن الحاجة يمكنهم بيعه(١) .

وعندما كان العبيد يمنحون حرياتهم ، إما لخير أصاب السيد ، أو وفاء لنذر أو كفّارة لذنب ، فكان أولادهم يسمّونهم الحاديميين Wahadimu أي عبيد الأرض ، أو كان يُطلـق عليهـم المساكين Masikini أي الذين حرّرهـم اللـه برحمته . وينتسب هـؤلاء

---

(١) AKinloa , G. A. , " Slavery and Slave " , Journal of The Historical Society of Nigeria, P. 219 ,
Coupland , The Exploitation of East Africa ,
AKinloa , G. A. , " Slavery and Slave " , Journal of The Historical Society of Nigeria, PP. 145 - 146 .
ترمنجهام ، سبنسر ، الإسلام في شرق أفريقيا ، ص ٢٥٢ .

سيّدهم الذي أعتقهم كواجب اجتماعي فقط ، وعِرفاناً منهم لجميل سيّدهم ، رغم أنهم قانونياً كانوا أحراراً بدون أي قيود أو شروط(١) .

وكان الرقيق عامة ينتظمون في الولايات العربية في مجتمعات متميّزة ، ولكن من الغريب أنه لم يكن هناك اتّصال أو صداقة بين مجتمعات هؤلاء الرقيق المختلفة(٢) .

ومع بداية القرن الثالث عشر الهجري الموافق القرن التاسع عشر الميلادي أصبحت زنجبار المركز الرئيسي للتجارة الخارجية على امتداد شاطىء شرق أفريقيا ، وملتقىٰ العرب والهنود والأُوروبيين الرّاغبين في مبادلة منتجاتهم ، بمنتجات أفريقية أُخرىٰ ، وكان الرقيق من ضمن هذه المنتجات التجارية إذ كان الصادر من الرقيق في بداية القرن التاسع عشر من المناطق الدّاخلية في القارة الأفريقية يقارب خمسة عشر ألف عبد سنوياً(٣) .

وكان شرق أفريقيا المصدر الأساسي لتجارة الرقيق ، خاصةً منطقة زنجبار ، وقد نشطت بعض الدّول الإستعمارية إلى منع وتحريم تجارة الرّقيق ، وكان على رأسها بريطانيا ، التي تعللت بحماية الإنسانية المعذّبة وأخفت أطماعها السياسة ، التي ظهرت في هيمنتها على الخليج وشرق أفريقيا ، واتّخذت من مكافحة الرّق ذريعة لبسط نفوذها على المناطق السابقة(٤) ، لأن في محاربة الرّقيق خدمة كبيرة لمصالح بريطانيا وأطماعها ، التي تتبدّىٰ في الأمور التالية :

- إن في منع الرقيق تأثير سيء على الاقتصاد الأمريكي الذي هو بأشد الحاجة إلى الأيدي العاملة ، ففي حجزها عنه تأخير له ، وبالتالي يبقىٰ الاقتصاد البريطاني هو الأقوىٰ .

---

(١) ترمنجهام ، سبنسر ، الإسلام في شرق أفريقيا ، ص ٢٥٣ .

(٢) AKinloa , G. A. , " Slavery and Slave " , Journal of The Historical Society of Nigeria, P. 218 .

(٣) هولنجز وورث ، زنجبار ، ص ٩ .

(٤) Coupland , The American Revolution and The British empire , P. 201 , London , 1930 .

- إن بريطانيا لم تعد تحتاج الرقيق في صناعتها كما كانت في السابق ، علما أنه صار يُعتبر مصدر إزعاج للمجتمع البريطاني المحافظ .
- إن استعمار بريطانيا لمناطق الخليج وشرق أفريقيا موطن الرّقيق ومصدره ، يجعلها تستفيد من منع تصديرهم ، إذ يظلّون أيدي عاملة في أراضيها المستعمرة ، فتستغل خيرات هذه الأراضي ، إضافةً إلى استئثارها بجهودهم(١) .

وفي عام ١٢٣٦هـ/١٨٢١م زار القبطان البريطاني فيرفاكس موريسبي Fair Fax Moresby زنجبار ، ولاحظ ازدياد الاتجار بالعبيد في أرضها ، فكتب للسيد سعيد بن سلطان طالباً منه التعاون في وضع نهاية لهذه التجارة ، وقد عمل موريسبي بشكلٍ مباشر ضد تجّار العبيد(٢) . وفي نفس العام أعلن روبرت فاركوهار Ropert Farquhar نائب الملكة في الهند عن عزم بريطانيا محاربة كل سفينة تحمل رقيقاً ، سواء كانت أُوروبية أو عربية . ومصادرة بضائعها ومعاقبة تجارها(٣) .

وحينما وصل موريسبي إلى مسقط في ذي الحجّة ١٢٣٧هـ / سبتمبر ١٨٢٢م للتفاوض بشأن اتّفاقية لتقييد تجارة العبيد ، تمكّن من توقيع الاتّفاقية التي عُرفت باسمه في ٢٢ سبتمبر ١٨٢٢م نيابةً عن الحكومة البريطانية ، والتي حرّمت تجارة الرقيق خارج أملاك السيد سعيد الآسيوية والأفريقية ، ومنع نقل العبيد في سُفن عُمانية نحو الشرق في خطٍ مرسوم ، يبدأ من رأس دلجادو ، ماراً نحو الشرق بمسافة ستين ميلاً من جزيرة

---

(١) ابراهيم ، عبدالعزيز عبدالغني ، " علاقة ساحل عمان ببريطانيا " ، ص ٢٢٨ .

(٢) Bennett , N. R. , A History Of The Arab State , P. 19 .

(٣) Sel R. P. G. No. 322 . From Farquhar to Syid Said , dated 31,5,1921 , No. 82 , History of Zanzibar , P. 229 .

سوقطرة Socotra ، وينتهي عند رأس ديو Diu في خليج كامبي Cambay في مدخل بحر العرب على الشّاطىء الغربي للهند ، وبعد ذلك فرض الأسطول الإنجليزي حراسة بوليسية منظّمة على مياه السّاحل الشّرقي ، كما نصّت المعاهدة على تعيين موظّف أو وكيل بريطاني في زنجبار والموانىء المجاورة لمراقبة هذه التجارة ، واعتقال أي سُفن تُمارسها(١) .

بذلك واجه السيد سعيد مشكلة كبيرة ، إذ إن اتّفاقه مع بريطانيا للحد من تجارة الرّقيق ، لن يقتصر على حجم الخسارة الفادحة ، التي ستصيب اقتصاد دولته ، بل سيعرّضه لغضب رعاياه العرب في عُمان والخليج العربي وزنجبار ، الذين ستتأثر مصالحهم بذلك ، ولكن في نفس الوقت لم يستطع الوقوف في وجه بريطانيا ، ولا الاستغناء عن مساعدتها له ، خاصةً خلال سنوات حُكمه الأُولىٰ ، وإذا رفض مطالبها فستغلق بريطانيا موانىء الهند البريطانية في وجه السّفن العُمانية ، فكانت حالة السيد سعيد كمن وقع بين البحروالنّار(٢) .

وقد كلّفته صداقة الإنجليز هذه ثمناً باهظاً ، إذ إن هذا التنازل عن ممارسة تجارة الرقيق، لم يقضِ فقط على ربع دخله السنوي ، الذي كان يقدّر بحوالي (٨٠) ألف جنيه

---

(١) المغيري، جهينة الأخبار، ص٢٥٧-٢٥٨ ، حراز ، رجب ، بريطانيا وشرق أفريقيا، ص٤٠ ، فيلبس ، وندل ، تاريخ عمان ، ص ١٣٧ ، هولنجز وورث ، زنجبار ، ص١٠-١١ ،

Nwulia, Moses D. E., " The Rule of Missionaries in the Emancipation of Slaves in Zanzibar ", Journal of History, No. 60, Part 2 ,1975, P. 270, London, 1975, Bennett , N. R., History of The Arab State. P. 20, Woolf, Empire and commerce, P. 232.

(٢) المغيري ، جهينة الأخبار ، ص ٢٥٨ ، هولنجز وورث ، زنجبار ، ص ١٠ .

استرليني ، بل قضىٰ أيضاً على أرباح مالية كبيرة كان يحصل عليها من رعاياه في ممارستهم لتلك التجارة(١) .

ثم أخذت بريطانيا تسعىٰ لتعديل معاهدة مورسيبي حتىٰ يتم إلغاء اختطاف الرقيق ، والاتجار بهم نهائياً في أملاك السيد سعيد ، ويكون للأسطول البريطاني الحق بسلطة أوسع في مراقبة وتفتيش السّفن العربية ، لكن السيد سعيد رفض ، ثم وافق بعد ذلك في عام ١٢٥٥هـ/ ١٨٣٩م على إبرام اتّفـاق اضـافي للمعـاهدة ، اشتملت المادة الأُولىٰ منها على تضييق مساحة المنطقة ، التي يسمح فيها بممارسة تجارة الرّقيق ، إذ كان الخـط المرسوم في معاهدة ١٣٣٨هـ / ١٨٢٢م يبيح للسّفن البريطانية تفتيش المراكـب العُمانيـة الواقعـة إلى الشّـرق منـه ، أي من رأس دلجادو إلى رأس ديو على حافة خليـج كمبي ، فزيدت هذه المسافـة في نهاية الخـط الشّمالي إلى مايقـرب من ٥٠٠ ميل ، أي غـرب بوسم Pussem على ساحـل مكـران ، والمادة الثانية : أعطت السّفن البريطانية حق التفتيش ، والاستيلاء على المراكـب العُمانية ، ومصادرة حمولة الرّقيق من الرجال والنساء والأطفال ، إذا تخطّت المراكب الخط المذكور سابقاً في المادة الأولى(٢) .

وتنص المادة الثالثة من المعاهدة ، على أن بيع الأحرار مُخالف لتعاليم الدّين الإسلامي ، والصّوماليون أحرار بطبيعتهم ، فكل من يقوم بسلبهم حرّيتهم سوف يعاقب ، باعتبار هـذا

---

(١) فيلبس ، وندل ، تاريخ عمان ، ص ١٣٧ ، سعيد ، زاهر بن ، تنزيه الأبصار والأفكار ، ص ٤٦ ، مراجعة ابراهيم عبده ، القاهـرة ، بدون تاريخ نشر .

(٢) العقّاد ، صلاح ، الاستعمار في الخليج الفارسي ، ص ٦٧ ، القاهرة ، ١٣٧٦هـ / ١٩٥٦م ص ٦٧ ، زلوم ، عبدالقادر ، عمان والامارات السبع ، ص ١١٣ ،
Coupland , East Africa , P. 502 .

العمل من أعمال القرصنة ، ويكون للسفن البريطانية حق مصادرة وتفتيش أي سّفن تمارس هذه التجارة(١) .

وفي عام ١٢٥٧هـ / ١٨٤١م عاودت بريطانيا ضغطها على السيد سعيد ، لإلغاء تجارة الرّقيق والقضاء عليها قضاءً تاماً ، على أن تدفع للسيد سعيد مقابل ذلك مبلغاً بسيطاً ، كتعويض عن الضرائب التي يأخذها على هذه التجارة لمدّة ثلاث سنوات ، تعادل ألف جنيه استرليني ، إلا أن السيد سعيد أبىٰ وامتنع عن قبول هذه المكافأة ، واعتبرها إهانة له ولكرامته ، إضافةً إلى أنها لم تكن تعادل سوىٰ رُبع الخسائر الاقتصادية ، التي حلّت بسلطنته بسبب هذه التجارة(٢) .

استمرّت بريطانيا في ضغوطها ، ففي عام ١٢٥٨هـ / ١٨٤٢م أرسلت خطاباً للسيد سعيد تطلب منه إلغاء تجارة الرّقيق من أملاكه نهائياً ، فانزعج لذلك وحاول التفاوض مع الحكومة البريطانية للتنازل عن هذا الطلب الذي سيدمّر سلطنتـه تماماً ، ولكن بريطانيا أصرّت عليـه ، فاقترح السيد سعيد حلاّ وسطاً وهو إبقـاء تجارة الرّقيق في موانىء أملاكه الأفريقية فقط . فوافقت وزارة الخارجية البريطانية على هـذا الاقتراح ، بناءً على توصيات هامرتون القنصل البريطاني في زنجبار ، الذي أوضح بأن إلغاء هذه التجارة سيؤثّر على الناحيـة الاقتصاديـة بجميـع جوانبهـا التجاريـة والزراعيـة ، لأن

---

(١) زلّوم ، عبدالقادر ، عمان والإمارات السبع ، ص ١١٣ - ١١٤ .

(٢) المغيري ، جهينة الأخبار ، ص ٢٥٨ ، الجماز ، صالح ، العلاقة بين أفريقيا والعالم الإسلامي والعربي ، ص ٢٧ ، ١٩٧٥م ، أبوياسين ، سمير محمد علي ، العلاقات العُمانية البريطانية ، ص ٨٩ ، البصرة ، ١٩٨١م ،

Zomarsh , East Africa , P. 28 , London , 1961 .

زراعة القرنفل والسّكر والمنتجات الزراعية الأُخرىٰ تعتمد على الرّقيق اعتماداً كلّياً ، كما أن بناء الحياة الاجتماعية في شرق أفريقيا وزنجبار تقوم على نظام الرّق ، إذ تبلغ نسبة الرقيق في جزيرتي زنجبار وبمبا أربعة أخماس عدد السّكان(١) .

ونجحتْ مساعي بريطانيا بشكلٍ تام في ١ شوّال ١٢٦١هـ / ٢ أكتوبر ١٨٤٥م ، حيث استطاعت إبرام اتّفاقية في زنجبار بين السيد سعيد وهامرتون ، ووكيل شركة الهند الشرقية في زنجبار ، تنص على وقف تصدير العبيد اعتباراً من ١٤ محرّم ١٢٦٣هـ / أول يناير١٨٤٧م من أملاك السلطـان في أفريقيا إلى أملاكه الآسيوية ، في حين تسمح بنقل الرّقيق بحراً من ميناءٍ إلى آخر من موانئـــه الأفـريقيـــة الواقعة بين لامـو وملحقاتها شمالاً ، وبين كلوة وملحقاتها جنوباً . وأن يستخدم نفـــوذه مع زُعماء وشيـــوخ البحـــر الأحمر وبلاد العرب والخليج العربي ؛ لمنع وتحريم استيراد العبيد من أفريقيا إلى شواطىء البحـر الأحمـر والخليج العـربي ، وأعطـت هـذه المعاهدة الحق للسفن البريطانية سواء كانت تابعة للأسطول البريطاني ، أو لشركة الهند الشرقية الإنجليزية ، بمصادرة السفن والمراكب التي تخل بهذه الشروط(٢) .

وفي ٧ شوّال ١٢٦٤هـ / الخامس من سبتمبر ١٨٤٨م صدر قانون من البرلمان البريطاني يضع أحكام هذه المعاهدة موضع التنفيذ(٣) .

---

(١) ياغي ، إسماعيل أحمد ، " بريطانيا وتجارة الرقيق " ، رسالة الخليج العربي ، العدد ١٢ ، ص ١٨٥ ، الرياض ، ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م ، الجماز ، صالح ، العلاقة بين أفريقيا والعالم الإسلامي والعربي ، ص ٢٩ ، دافدسن ، بازل ، صحوة أفريقيا ، ص ٢٧٠ .

(٢) القاسمي ، سلطان ، تقسيم الامبراطورية العمانية ، ص ٥٦ ،
Lyne , Zanzibar P. 41 , Coupland , British Anti - Slavery Movement ,PP. 203 - 204 , London , 1933 .

(٣) القاسمي ، سلطان ، تقسيم الامبراطورية العمانية ، ص ٥٦ .

وظلّت تجارة الرقيق منتعشة على الساحل الأفريقي ، رغم كل الضّغوط التي وضعتها الحكومة البرطانية على السيد سعيد ، فكانت السفن الفرنسية والإسبانية والبرتغالية والأمريكية ، تحمل أعداداً كبيرة من الرقيق من زنجبار وغيرها من الموانىء الأفريقية على الساحل الشرقي(١) .

ومما لاشك فيه أن الحكومة البريطانية والسلطات التابعة لها التي كانت تقوم بمراقبة السّواحل في هذه المنطقة بعد معاهدة ١٢٦١هـ/١٨٤٥م ، كانت على علم بذلك تماماً ، إلا أنها تجاهلت ذلك مما يُفسّر لنا الهجمة الصّليبية التي استهدفت الوجود العربي الإسلامي في زنجبار وشرق أفريقيا ، وأنها ماكانت تسعىٰ إلى منع تجارة الرقيق ومحاربة الرّق والنخاسة باسم الإنسانية المعذّبة لدافع إنساني محض ، بل اتّخذت من كل هذا ذريعة لتتمكّن من بسط نفوذها على تلك المناطق ، وإحلاله محل النّفوذ العربي ، ولتكمل بعد هذا مخطّطها الاستعماري .

وكان الفرنسيّون يعملون في تجارة الرّقيق أيضاً بشكلٍ مستمر : ساعدوا على انتشارها أكثر ، وقد عمل الكثير من العرب على إعطاء سفنهم الجنسية الفرنسية ليتهرّبوا من التفتيش ، الذي كانت تقوم به السّفن البريطانية ، وكانت السفن الفرنسية تقوم بحراسة السّواحل لحماية تجّار الرقيق الفرنسيين ، ورغم معارضة حاكم زنجبار ، إلا أن تجّار الرقيق الفرنسيين استمرّوا في تجارتهم ، دون أن تقوم بريطانيا بأي إجراء صارم ضد هذه التجارة(٢) . هذا يثبت لنا أن الدافع الإنساني الذي ادعته بريطانيا لم يكن إلا ذريعة لتمكنها من فرض سيطرتها على سلطنة عمان في شرق أفريقيا .

---

(١) حراز ، رجب ، بريطانيا وشرق أفريقيا ، ص ٤٢ .

(٢) أبوياسين ، سمير ، تقسيم الامبراطورية العمانية ، ص ١٨١ ، Pearce, Zanzibar, P. 288.

ولم تكتفِ السّلطات البريطانية بما نالته من العرب في معاهدة ١٨٤٥م ، بل فرضت قيوداً شديدة على تجارة الرّقيق في عام ١٢٨٠هـ / ١٨٦٤م ، وأجبرت السيّد ماجد(*) على قبولها ، وقد حرّم بمقتضاها نقل الرقيق بين الموانيء الأفريقية وجُزر السّلطنة ، من شهر يناير حتىٰ مايو ، أي في الفصل الذي تهُب فيه الرّياح الموسمية الجنوبية الغربية ، التي تدفع السفن الشراعية العربية من ساحل أفريقيا الشرقي إلى الخليج العربي .

ومن القيود الصارمة أيضاً تحريم بيع الرقيق إلى العرب العُمانيين ، وفرض عقوبة على من يُخالف ذلك . وقد نفّذ السيد ماجد هذه التعليمات بدقّة تامة ، وفرض غرامات مالية كبيرة على المخالفين ، إضافةً إلى مصادرة المراكب التي يُضبط عليها الرّقيق ، ولم يعترض على السلطات البريطانية ، عندما كان أسطولها يقوم بمصادرة المراكب العربية المقلّة للعبيد ، ثم إتلافها في البحر ، ومُحاكمة ملاّحيها من قِبل السّلطات البريطانية ، وأخيراً إرسال العبيد المحرّرين إلى المستعمرات البريطانية للعمل في مزارعها ليقعوا في أسرٍ جديد(١) .

وهذا يفضح النوايا الأُوروبية الاستعمارية والادّعاءات الكاذبة التي حفلت بها المصادر الأُوروبية ، مما يؤكّد أنها كانت ستاراً يخفي مطامعهم وأهدافهم في السيطرة والتوسّع على حساب النّفوذ العربي الإسلامي ، فهؤلاء الرّقيق المحرّرون - حسب زعمهم - من المفروض أن يؤخذوا من الرّق إلى العِتق ، لا أن يُشحنوا إلى بلادٍ أُخرىٰ ليعملوا فيها مُكرَهين .

---

(١) حراز ، رجب ، بريطانيا وشرق أفريقيا ، ص ٤٢ - ٤٣ ، Lyne, Zanzibar, P. 34.

(*)السيد ماجد : هو الابن السادس للسيد سعيد ، تولّىٰ الحُكم بعد وفاة والده في اليوم الثالث من ربيع الأول عام ١٢٧٣هـ الموافق ٢ نوفمبر ١٨٥٦م . وكان أكثر أبناء السيد سعيد رباطة جأش ، وأقلّهم غطرسة وزهواً ، توفّىٰ في ١١ / ٧ / ١٢٨٧هـ ، ١٨٧٠/١٠/٧م ، الفارسي ، البوسعيديون ، ص ٢١ .

واستمرّت مساعي الحكومة البريطانية لدىٰ سلطان زنجبار لإبرام معاهدة جديدة ، تنال بها المزيد من السلطات . ففي ١٤ ذو القعدة ١٢٩٠هـ ، ١٢ يناير ١٨٧٣م أرسلت الحكومة البريطانية وفداً برئاسة بارتل فرير Partle Frere ، وكان يساعده بادجر - المنصّر المتخصص في تاريخ عُمان - إلى السيد برغش ، لإقناعه بعقد معاهدة أكثر فاعلية للحد من تجارة الرّقيق ، وعرض بارتل عليه أمرين ، الأول : أن تتحمّل بريطانيا دفع المعاش السّنوي لمسقط من ميزانيتها الخاصة . والثاني : زيادة الضرائب على العاج والصّمغ .

إلا أن السيد برغش رفض التوقيع على هذه المعاهدة المقترحة ، وكان في موقف حرج ، بسبب مواجهة رعاياه العرب ، الذين كانوا يرفضون مطالب الحكومة البريطانية لتعارضها مع مصالحهم ، خاصةً أن زنجبار تعرّضت لإعصارٍ شديد هدم منازلها ، ودمّر مزارع القرنفل فيها ، وجلب الخراب لمعظم أصحاب المزارع ، بالإضافة إلى انتشار وباء الكوليرا الذي قضىٰ على عددٍ كبيرٍ من الأحرار والرّقيق .

فهذا كلّه جعل الاقتصاد في حالةٍ سيئةٍ للغاية . مما سبب فشل بريطانيا في تحقيق أطماعها ، لذا قرّرت الحكومة البريطانية استعمال القوّة ضد السيد برغش ، فأمرت البحرية البريطانية بحصار سواحل زنجبار ، وأمام هذه التهديدات رضخ ، ووقّع على المعاهدة في ٩ ربيع الثاني ١٢٩٠هـ / ٥ يونية ١٨٧٣م ، والتي كانت تقضي على منع تصدير الرقيق بين بلدٍ وآخر من موانىء أفريقيا ، وعدم حملهم إلى الأراضي الأجنبية ، ومحاكمة المخالفين لذلك أمام المحاكم البريطانية في زنجبار ، وإغلاق أسواق الرّقيق العامة في كل أنحاء السّلطنة ، وأن توفّر الحماية والأمان للرّقيق

المحـررين ، كما اشتـرطت المعاهـدة منـع الرّعايا الهنـود من الاقتنـاء أو الحصـول على رقيـق جُـدد(١) .

وقد تم إغلاق سوق العبيد الواقع وسط زنجبار ، في نفس اليوم الذي وقّعت فيـه الاتّفاقية . وعلى الرغم من موافقة السيد برغش على هذه المعاهـدة إلا أن المشاكل التي واجهـت السلطات البريطانيـة في زنجبار لم تنته ، بل زادت من آلام ومتاعب الرقيق ، حيث تحوّلت طُرق تجارتهم من البحـر إلى داخل القـارة بين كلـوة وممباسـا ، فكانـوا يرغمون على سير المسافات الطّويلة ، وأحياناً يجبرونهم على السير ليلاً وسط الغابات الكثيفة الممتدة على طول الساحل ، إلى أن يصلـوا باجامويـو ، وهناك يُنقلون بحراً إلى الخليج العربي ، حتىٰ لايتعرّضون لرقابة السّفن البريطانية . ولّما علمت السّفن المراقبة بذلك ، غير النخّاسة خط سيرهم وأرغموا رقيقهم على السير أقداماً مايقرُب من سبعمائة ميل نحو الشّمال إلى لامـو وموانـيء الصّومال الجنوبي ، حيث تتم عملية شحنهم من هُناك . وفي عام ١٢٩٣هـ/١٨٧٦م نقل من الرقيق من ممباسا بهذه الطريقة على حد قول هلمو ود القنصل الإنجليزي مايقرب من ١٨٠٠٠ عبد . لذلك أقنعت الحكومة البريطانية السيد برغش على إصدار منشورين في ٢٤ ربيع الأوّل ١٢٩٣هـ / ١٨ أبريـل ١٨٧٦م حرّم الأول منهما نقل العبيد براً داخل مناطق زنجبار ، كما حرّم الثاني اقتراب قوافل العبيد إلى الساحل من الداخل ، وخصّ بذلك موانيء الصّومال مثل قسمايو ومقديشو وبراوة ومركه ، وهدد مخالفي هذه الأوامر بأقصىٰ العقوبات ، ومصادرة رقيقهم ، وتحريرهم(٢) .

---

(١) المغيري ، جهينة الأخبار ، ص ٣٥٦ - ٣٥٧ ،

Coupland , The Explotation of East Africa , PP. 212 - 213 , Lyne , Zanzibar , P. 34

(٢) حراز ، رجب ، بريطانيا وشرق أفريقيا ، ص ٤٤ - ٤٥ ، العقاد ، صلاح ، وقاسم جمال زكريا ، زنجبار ، ص ١٦١ - ١٦٢ ،

Coupland , The American Revoltion , P. 142 , Lyne , Zanzibar P. 33 .

وبذلك أصبحت تجارة الرقيق محرّمة في زنجبار وأملاكها الأفريقية ، وأخذت تختفي تدريجياً من شرق أفريقيا .

أما من الناحيـة الاقتصاديـة فقد انتعشت تجـارة الساحـل الشرقي لأفـريقيـا مع أوروبا ، لأن التجار السواحليين أوجدوا مـواد أُخـرىٰ للتجـارة ، تعوّضهم عن تجـارة الرقيـق ، مثل المطّاط الذي أصبحت قيمتـه الاقتصاديـة تُعـادل العـاج والصّمـغ ، بينمـا كسدت التجارة مع بلاد العـرب والعالـم الإسلامي ، لأنـه لم يكن بحاجة إلى المواد الخام الأساسيـة في الصناعة مثل أُوروبا التي ازدهـرت بها الصنـاعـة بشكـلٍ كبيـر(١) .

وهكذا يتّضح أنه رغم المحاولات المستمرّة مع سلاطين زنجبار للقضاء على تجارة الرق نهائياً من زنجبار وشرق أفريقيا ، إلا أن نظام الرق ظل مشروعاً حتىٰ بعد أن وُضعت زنجبار تحت الحماية البريطانية ، ولم يحرّم نهائياً إلا في عام ١٣١٤هـ / ١٨٩٧م بعد مفاوضات شاقة وصعبـة ؛ لأن الـرق نظام اجتماعي قديم ، لايمكن القضاء عليه كلّيةً ، وفي ذلك تقول السيدة سالمة بنت السيد سعيد :

> « . . . فمن السّخف التسرّع في محاولة تغيير نظام اجتماعي عميق الجذور بجرّة قلم ، وبموجة حماس ، وإنما على الأُوروبيين إن كانوا صادقين في نيّاتهم ، جادّين في عزمهم ، أن يسيروا في هذا الطريق بكل بُطء وحذر ، وعليهم أولاً وقبل كل شيء أن يبدأوا بأنفسهم ، ليكونوا مثالاً وقدوةً للغير ، في حين نجد أن مايحدث الآن هو العكس .
>
> فغالبية الأُوروبيين السّاكنين في بلاد الشرق ، يشترون العبيد

---

(١) العقاد ، صلاح ، وقاسم ، جمال زكريا ، زنجبار ، ص ١٦٣ .

ويقتنـونهم في بيوتهم ومزارعهـم ، وهم يخفـون علـم ذلـك عـن مواطنيهم في وطنهم ، أو يبـررون ذلـك بحجـة البحـث العلمـي»(١) .

وفي نفس الوقت صرّح هادرينج القنصل البريطاني في زنجبار بعد ضغطٍ كبيرٍ عليه من الرأي العام في انجلترا ، ومن أعضاء جمعية الرق البريطانية والأجنبية Anti Slavery Society British and Foreign بأن الاستئصال الكُلّي للاسترقـاق لن يترتب عليه أضـرار اقتصادية فقط ، بل إنه سيؤدّي إلى عواقب اجتماعية وخيمة وعميقة ، أهمها مسألة التسري(٢) .

أما من الناحية الاقتصادية فإن إزالة الاسترقاق نهائياً ، سيؤدي إلى توقّف العبيد عن العمل في مزارع القرنفل الذي يعتبر المصدر الرئيسي لرخاء المنطقة ، ولذا لن يمضي وقت طويل ، حتى يفلس تجار القرنفل العرب ، ويبيعوا أملاكهم للهنود المرابين ، وتقدّر خسارة الحكومة عندئذ بما يعادل عشرين ألف جنيه سنوياً وسيؤدي ذلك إلى نقص في الواردات لعدم المقدرة على الشراء من قبل المزارعين ، وبالتالي فإن المنطقة ستواجه عجزاً يقدّر بحوالي خمسة وثلاثين ألف جنيه سنوياً ، ولهذا السبب طلب هاردنج تأجيل إلغاء تجارة الرقيق على أن يتم ذلك تدريجياً(٣) . كما أصرّ على وجوب تعويض مالكي الرقيق . وبالفعل نجح هاردنج في إقناع الحكومة البريطانية بالتدرّج في إزالة الرّق .

وتعليقاً على ذلك يتحدّث هاملتون Hamilton ، القاضي الإنجليزي في زنجبار عن الاسترقاق في الشريط السّاحلي وزنجبار ، فيذكر بأن تعويض المالكين يجب أن يتم بشكلٍ

---

(١) السيدة سالمة ، مذكرات أميرة عربية ، ص ٢٥٠ .

(٢) F. O., 107/57, From Matheus To Hardinge, dated 14,11,1896.

(٣) المغيري ، جهينة الأخبار ، ص ٥٣٨ - ٥٣٩ ، السيدة سالمة ، مذكرات أميرة عربية ، ص ٢٤٧ - ٢٤٨ .

F. O. 107/35, From Hardinge To Kimberly, dated 13,3,1895.

مدروس ، أي بمفاوضات يتم الدّخول فيها من أجل إزالة الاسترقاق . وقبل الخوض في موضوع التعويض ينبغي معرفة الواقع الحالي لنظام الاسترقاق . ولكي يتم ذلك ، فإنه من الضّروري الرّجوع إلى مرسوم السيد علي(*) الصّادر في ٩ ذو الحجّة ١٣٠٧هـ / ١ أغسطس ١٨٩٠م . ومن أهم نقاط ذلك المرسوم :

١ - ألا يتم الحصول على العبيد عن طريق التبادل أو البيع أو الشّراء .

٢ - إن المعاملة السيّئة من السيد لأي عبد من عبيده ، قد تحرمه من امتلاك كل عبيده .

٣ - الأبناء الشّرعيــون لأي مالك من ملاّك العبيد هم الذين يرثون عبيد والدهم ، وإذا مات المالك ، وليس له أبناء شرعيون ، فإن العبيد يصبحون بطبيعة الحال أحراراً .

وليس هناك عبيد جدد تم امتلاكهم بعد التّاسع من ذي الحجة ١٣٠٧هـ / أول أغسطس ١٨٩٠م ، ولذلك يتّضــح أن عدد العبيد انخفض في الخمس عشرة سنة الأخيرة . كما يتّضح أن نظام الاسترقاق سار نحو الأفول والانقراض التام ، خاصةً أن المرسوم الذي أصدره السيد علي كان قد أوضح أيضاً أن كل عبد من العبيد يجب أن يكون له نفس حقوق الإنسان الحُر في التقدّم بالشّكاوى والقضايا إلى المحاكم ، فالاختطاف الفعلي للعبيد كان أمراً يحدث في السّابق ، ويؤكّد القاضي هاملتون بقوله : « وتقودني تجربتي إلى التصويت بأن المعاملة السّيئة للعبد شيء نادر الحدوث في شرق أفريقيا ، وأقل بكثير من تلك المعاملة السيئة للخدم في إنجلترا »(١) .

---

(١) F. O. 403/367 , Memorandum by Judge Hamilton on Slavery in The Coast Strip of The East Africa , Protectorate , dated 15,5,1905 .

(*)السيد علي : هو آخر أبناء السيد سعيد الذين حكموا زنجبار . ولد عام ١٢٧٠هـ / ١٨٥٤م ، وقد حكم من ٢٧ جمادى الثانية ١٣٠٧هـ ١٨ فبراير ١٨٩٠م حتىٰ وفاته في ١٦ شعبان ١٣١٠ هـ الموافق ٦ مارس ١٨٩٣م ، الفارسي ، البوسعيديون ، ص ٢٢ - ٢٣ .

ويتابع هاملتون قوله بأن : « النظر إلى تاريخ شرق أفريقيا القديم ، والطريقة الهادئة التي تسير فيها عملية الاسترقاق نحو حل نفسها بنفسها ، يؤكّد أن أي محاولة للإسراع بالنهاية ، عن طريق محاربة الاسترقاق وبشكل عاجل ، يجب تحاشيها . وينبغي كذلك ألا يكون هناك أي تدخّل ، طالما أن العملية تسير بطريقتها الطبيعيـة نحـو النهايـة ، وقد أوضحت التجارب في بعض أقطار العالم بأن المحاربة العاجلـة للاسترقاق لم تكن فيها الحكمة الكاملة ، وإذا كان سيتم القرار وتصحبه التعويضات ، فيجب اتّخاذ الحذر الأكبر ، ضد السّلب والنّهب والاحتيال ، وسوف تكون تكلفة التعويضات كبيرة ، إذ إن متوسّط سعر العبد ٣٠ دولاراً ، وأن هنالك حوالي ١٠،٠٠٠ إدّعاء »(١) .

وبذلك يتّضـح لنا أن الاسترقــاق كان في طريقــه إلى النهايــة ، وهذه القرارات سوف تجعل الأراضي بائرة ، وتوقــف المصانـع ، أو تعوقهـا ، لذلك فإن محاربة الاسترقاق بالطريقة البطيئـة يبدو مناسبـاً جـداً للوضـع الاقتصادي ، بدلاً من التّحرير المفاجيء ، وإذا تم التحريـر المفاجيء ، فلابـد أن يكـون مصحوباً بالتعويض المادي(٢) .

وفي المذكّرة التي كتبها ليـن المفوّض المساعد للحكومة البريطانية في زنجبار ، وبناءً على تقرير على بن سالم مساعد الوالي في ممباسا ، يتّضح أنه يوجد في شرق أفريقيا ، مايقرب من ١٠،٠٠٠ أو ١٢،٠٠٠ عبداً ، وإذا تحرر هؤلاء فيجب تعويض المالكين ، والمبلغ العادل للتعويض يجب أن يكـون ٦٠روبيـة في المتوسّط للعبد الواحد ، وسيترتب

---

(١) F. O. 403/367 , Memorandum by Judge Hamilton on Slavery in The Coast Strip of The East Africa , Protectorate , dated 15,5,1905 .

(٢) F. O. 403/36 Memorandum by Mr. Barth on Slavery in The Mainland Dominions of his Highness The Sultan of Zanzibar , Nairobi , dated 24,6,1905 .

على ذلك ظهور الكثير من المشاكل ، فالرّقيق الموجودون فعلاً غير مسجّلين رسمياً ، ولذلك فربّما تكون هناك مطالبات بأكثر من العبيد الحقيقيين ، وسوف يكون من الصّعب على الحاكم إثبات صحّة الادّعاءات أو المطالبات المالية ، ومن ناحيةٍ أُخرىٰ يقول السيد لين ، حتى لو أردنا أن نُسرع بالتحرير ، فإنني أشك في أن كثيراً من الرقيق سوف يطالب بهذا التحرير . أو يسعىٰ لهذا الحق ، لأن الكبار الذين منحهم أسيادهم أراضٍ لاستصلاحها ، يعيشون في سعةٍ وسعادة ، ولا يعتبرون الرّق حرماناً أو أذىٰ ، فالعديد منهم الذين حرّرتهم جمعية التنصير قبل سنوات عادوا إلى أسيادهم(١) .

وقداستطاع هاردنج إقناع لورد سولزبري بوجوب تحرير الرقيق تدريجياً ، كما أخذ موافقة سلطان زنجبار السيد حمود بن محمد في ١٣١٤هـ ٥ أبريل ١٨٩٧م ، على قرار إلغاء الوضع القانوني للرقيق ، على أن يدفع تعويضاً للمالكين ، ويكون للسريات منزلة الزّوجات ، ولايجوز تسريحهن ، كما يكون العبد ملزماً بإثبات مقدرته المادية من سكنٍ وإعاشة ، وإلا عُوقب بتهمة التّشرّد(٢) .

وقد قُسّمت زنجبار إلى ثلاثة أقسام إدارية لتسهيل تنفيذ قرار السيد حمود الخاص بتحرير الرقيق ، وكانت على النّحو التالي :

القسم الأول : أو أقليم مكوتوني Mkokoton ، والغربي وهو إقليم مويرا Mwera والجنوب الشرقي أو أقليم شواكا Chwaka . أما بالنسبة لبمبا فقد كانت مقسّمة من

---

(١) F. O. 403/367 . Memorandum by Sub Commissioner Lane , Mombasa , dated 2,6,1905 ,

F. O. 403/184 , From Mr. Rodd to The Earl of Rosebery , dated 31,11,1892 .

(٢) المغيري ، جهينة الأخبار ، ص ٥٣٥ ، هولنجز وورث ، زنجبار ، ص ١٥٨ – ١٥٩ .

قبـل إلـى إقليمـي تشيك شـاك Chak Chak ، وويتـــه Wehe ، ووضـع والٍ عـربي من أصحاب النّفوذ ، لتنفيذ مواد القرار ، كما عُيّن لكل جزيـرة مفـوّض أُوروبـي خـاص بالرقيق ، وكانت مهمة الإثنين مراقبـة الأمـور ، وقد نصح الولاة بتنفيذ القـرار بدقّـة وحذر(١) .

ورغم علم جميع الرقيق بهذا المرسوم إلا أنه لم يتقدّم سوىٰ ألفي عبد في نهاية السنة الأُولىٰ ، بالإضافة إلى ٢٢٧٨ شخص اتّفقوا مع أسيادهم ؛ على أن يعملوا عندهم كعمّال أحـرار بصفةٍ ودّيـةٍ وليست رسمية ، على أن يعطى الرقيق قطعة من الأرض ، يبني عليها مسكنه ، ويزرع فيها محاصيل كافية لحاجته مدّة ثلاثة أيام في الأُسبوع ، كما يقوم السيد بإمداد عبده بالبـذور والمعدّات اللازمة للأرض ، بدلاً من إعطائهم رواتب معيّنـة لقاء عملهم في مزارع القرنفل وغيرها من المزارع الأُخرىٰ مدّة ست ساعات كل يوم من أيام الأُسبوع الباقية ، وإذا قاموا بعمل إضافي يدفع لهم سادتهم أجراً إضافيّاً من قيمة جني القرنفل وجمعه(٢) .

وفي ١٤ جمـاد الأُولى ١٣١٧هـ / ١٩ سبتمبـر ١٨٩٩م ، أصـدر السّلطان خليفة بن سعيد مـرسوماً يُشابه مرسوم السيد علي الصادر ١٣٠٧هـ/١٨٩٠م ، وتنص أهم بنود مرسوم ١٣١٧هـ/١٨٩٩م على تحريم تجـارة الرقيـــق ، وأن الرّقيق لايـرثهم إلا أبناء سيّدهم ، وإذا لم يكـن له أبناء فإن العبيد يصبحون أحـراراً بعد وفاة سيّدهم ، وأي معاملة سيّئة للعبد يُعاقب عليها القانـون ، ويكون للعبد الحـق في التقـدم بالشكـاوى

---

(١) F. O. 107/76 , No. 66 , From Hardinge To Salisbury , dated 2,4,1897 .

(٢) هولنجز وورث ، زنجبـار ، ص ١٦٢ - ١٦٣ ،
F. O. 2/286 , No. 119 , From Hardinge To Salisbury . dated 15,4,1900 .

والدّعاوى القضائية ، وقد منح منشور السيد خليفة بن سعيد كل عبد ولد بعد أول يناير ١٩٠٠م الحق في أن يكون حُـراً(١) .

ولقد فضّل الكثير من العبيد البقاء في الرّق ، لأنهم اكتشفوا أن الحرّية ليست سريراً من ورود كما توقّعوا ، وقد علموا أنهم يخسرون في واقع الأمر أكثر مما يكسبون ، عندما يتركون أسيادهم ، وأن عليهم أن يجدوا مأوىً جديداً أو معاشاً لأنفسهم . وأنهم سيخسرون كل حقوقهم ، وتضيع المميّزات التي كانوا يجدونها ، بدون أي مقابل خاصةً أن الرقيق لم يكونوا يشعروا بالخجل من الاسترقاق ، لأنهم يؤثرون أن يظلّوا عبيداً في بيت ثري عربي ، حيث يتوفّر لهم العيش الرّغد والسّكن المريح على أن يصبحوا أحراراً في بيئة لايجدون فيها من يعتمدون عليه . وكان العبد في كثيرٍ من الأحيان يجد مقابل خدماته أرضاً وسكناً وحقوقاً عامة ، فهو أحسن من الخادم الأُوروبي ، ومن العمال الأحرار الذين كان عليهم أن يعملوا ليل نهار مقابل أقل وسيلة لإعاشتهم(٢) .

وكانت أعداد الرّقيق المحرّرين تتفاوت بين الزّيادة والنّقصان ، ففي عام ١٣١٥هـ / ١٨٩٨م كان مجموعهم في جزيرتي زنجبار وبمبا ١٢٣٥ عبداً ، ثم في عام ١٣١٦هـ/١٨٩٩م ارتفع عدد الرقيق المطالبين بحرّيتهم إلى مايقرُب من ٣٦٦٧ عبداً ، وهو العام الذي صدر فيه مرسوم السّلطان خليفة بن سعيد ، ثم تناقص العدد بشكلٍ ملحوظ في عام ١٣١٧هـ / ١٩٠٠م ، فأصبح عدد العبيد الذين طالبوا بالتحرر ١٧٢٠ عبداً ، ثم في عام ١٣١٨هـ/١٩٠١م ٨٤٤ عبداً ، وفي عام ١٩٠٣م تناقص العدد إلى ٤٤٨ عبداً ، ويعـــود

---

(١) F. O. 403/367 , dated 2/6/1905 .

(٢) F. O. 403/368 , Parliamentary Paper , No. 14 , Report by Mr. J. T. last , on the working of the decree for the abolition of the stute of slavery during 1903 , dated 23,5,1904 .

سبب هذا التناقص إلى أن معظم الرقيـق الذين نالواحـرّيتهم ، وجدوا صعوبات بالغة لتوفير لقمة العيش والسّكن الهادىء ، وتمنّوا العودة إلى أسيادهم السّابقين(١) . وفي عام ١٣٢١هـ/١٩٠٤م أصبح عدد المحررين في زنجبار وبمبا ٢٥٦ عبداً ، ثم في عام ١٩٠٥م صار عددهم ٢٩٧ عبداً(٢) ، وهكذا فإن الأعداد المطالبة بالتحرير لم تكن بالأعداد الكبيرة المتوقّعة من قبل السلطات البريطانية .

ونتيجة لتحرير الرقيق في شرق أفريقيا ، فإن نسبة كبيرة من العبيد المحرّرين لم يجدوا لهم عملاً منظّماً ، وبعضهم كانوا يميلون إلى الكسل والخمول ، ويُفضّلون التّسكّع في الطّرقات دون هدفٍ أو غاية ، وقد أصابتهم الأمراض لنقص التغذية التي كانوا يتمتّعون بها في عهد أسيادهم العرب ، ويقول المغيري أنه عندما سأل واحداً من العبيد المسنّين عن وضعه أيام العبودية ووضعه بعد الحرية ، أجاب : « ياسيدي كُنّا نضرب بالعصا على ظهورنا ، والآن يضربنا الجوع بعصاه في باطن جسدنا ، فأي علّة أخف ؟ أحكم بنفسك . . »(٣) .

لهذا فقد عمّت الفوضىٰ في فترة من الزّمن ، وأخـذت جماعـات من العبيد المشرّدين في تعكير الأمن ، الذي كان يشمل المنطقة ، فقامـوا بأعمـال عديدة من سرقةٍ سلبٍ ونهب المزارع المجاورة ، فكأن التحرير لهؤلاء الألـوف من العبيد يعني لهـم التحرر التام من أداء أي عمل ، ثم حرّية النّهب والسّرقة واغتصاب الطّعام من الآخـرين ، وقد حدث نقص كبيـر في العمّـال ، وتوقّـف العمل في المزارع ، خاصـة

---

(١) F. O. 2/286 , No. 110 , From Hardinge To Salisbury , dated 9,4,1900 ; Vide Also ,
F. O. 403/368 , No. 14 , Parliamentary paper , 1904 .

(٢) F. O. 403/368 , No. 65 , Statement showing the number of salves freed in Zanzibar and Pemba during 1904 and 1905 .

(٣) المغيري ، جهينة الأخبار ، ص ٥٤٠ .

مزارع القرنفل التي لحقت بها أضرار جسيمة ، لاعتماد هذا النّوع من المحصول على الأيدي العاملة بشكلٍ كبير(١) .

وقد نتج عن تحرير الرقيق ظاهرة اجتماعية هامة ، وهي التطوّر الذي طرأ على بعض الملاّك العرب الأقوياء والقادرين على خدمة أنفسهم ، تكيّفاً وتمشّياً مع الأوضاع والظّروف الجديدة ، فقد أخذوا يهتمّون شخصيّاً في كل المسائل التي تتعلّق بمزارعهم بحماسٍ شديد ، بدلاً من ترك كل المسائل المتّصلة بها إلى عبيدهم المشرفين - كما كان الأمر في السابق - وأخذ الملاّك العرب يتنافسون على اغتنام الفرص المتاحة لهم من قِبل الحكومة ، وقاموا باستثمار المبالغ التي أخذوها تعويضاً عن تحرير عبيدهم ، وذلك في شراء مزارع أصغر ، قامو بزراعتها وإدارتها بطريقة حكيمة ، خاصةً بعد أن اضطرّوا في حالاتٍ عديدة إلى بيع مزارعهم الواسعة ، عندما صاروا مدينين للتجّار الهنود ، وأُجبروا نتيجة لذلك على التخلّي عن مزارعهم وفاء بما عليهم من ديون لهؤلاء المرابين .

أما عن سلوك الرقيق بصفةٍ عامة ، فقد تغير ، بما فيهم أُولئك الذين لم يتقدّموا بطلب التحرير ، إذ تكوّن لديهم نوع من العزّة بالنّفس والإحساس بالمساواة ، فلقد كان العبد إذا قابل حُرّاً من الشامبا ، يبدأ بالتّحية بقوله شيكامو وتعني أنني أُسلّم على أقدامك ، وهو لفظ يُظهر به عُبوديّته . وهذا النّوع من التحية خاص فقط بالرّقيق ، ولكن بعد التحرير تغيّر أُسلوب التحية وصار العبد يقول سلاثيري Slatheri ، وهي الكلمة السواحلية التي تعني صباح الخير ، أو طاب يومك ، ولم يكن العبد يجرؤ على

---

(١) F. O. 2/286 , OP. Cit. dated 15,4,1900, P. 3 , F. O. 2/188, No. 20, From Hardinge to Salisbury ,
F. O. 403/369 , dated 10,1,1899 , No. 15 , Memorandum by Mr. Cave , dated 19/10/1906 , " Confidential " .

استخدام هذه التّحية من قبل ، كما إن منح الحرّية للرّقيق زاد عندهم نسبة الإنجاب ، وكانت منخفضة قبلاً بشكل غير عادي ، لأن الرقيق كانوا يُدركون أنه ليس لهم سيطرة على أبنائهم بعد الولادة(١) .

وعلى ضوء ماسبق يمكن أن نخلص إلى أن معاهدة ١٢٣٧هـ/١٨٢٢م قد سببت الكثير من الاستياء السياسي ، وإن لم تُسبب في الواقع إلا القليل من الأضرار المادية ، والتي لم تؤثّر على الشّرق الأفريقي وحده فقط لكونه مصدر تجارة الرّقيق ، بل تعدّته وشملت البلاد المستوردة له أيضاً . ثم جاءت معاهدة ١٨٣٩م التي شدّدت الحصار على هذه التجارة ، ولكن معاهدة ١٢٦٠هـ/١٨٤٥م ، أحكمت الحصار أكثر ، لتقضي عليها القضاء التام فيما بعد .

وكان يوم ١١ محرّم ١٣٣٠هـ / ٣١ ديسمبر ١٩١١م آخر موعد يتقدّم فيه الملاك وأصحاب الرقيق للمطالبة بالتعويضات المالية ، وبذلك تكون بداية القرن العشرين هي نهاية الصّراع الطّويل لتحرير الرّقيق في شرق أفريقيا وزنجبار .

وقد كان للسلاطين في زنجبار إسهام ودور كبير في إنهاء عملية هذه التجارة رغم تدرّجهم في ذلك . لتعارض هذا مع المصالح الاقتصادية في المنطقة .

وكانت هناك حملات كثيرة ضد العرب المسلمين لتضليل الرّأي العام البريطاني ، وجميعها تتّسم بالجهل بمبادىء الدين الإسلامي وعدم الاهتمام بالنّظم الاجتماعية الأفريقية الرّاسخة الجذور ، لذا فكانت تصدّق كل القصص رغم أنها لاتتحرّىٰ الدّقة والأمانة ، بل كانت مجرّد أساطير حاكتها مخيّلة الاستعمار المتعصّبة ، حتىٰ أن جمعية مكافحة الرّق وزّعت صوراً في كل أنحاء انجلترا لعبيد مكبّلين بالسّلاسل تحت عنـــوان

---

(١) F. O. 2/286 , dated 31,3,1900 .

الرق في زنجبار ، مع نصٍ مرفق يوضّح الاضطهاد الذي يعانيه هؤلاء الرّقيق وإن هذه الصّور مشكوك في أمرها إن كانت لرقيق أو لمجرمين مكبّلين بالأغلال وهي في حقيقتها ليست مأخوذة من زنجبار ، بل في دار السّلام في شرق أفريقيا الألماني(١) .

ومما لاشك فيه أنه كان يوجد في زنجبار بعض حالات الرّق التي تعاني من القوّة والشّدّة ولكنها قليلة ، لأن العربي المسلم كان معروفاً في زنجبار بأنه عطوف ، وليس فظّاً غليظ القلب ، وأن الفرق كان بسيطاً بين السيد والعبد ، إذ كان السيّد يُعامل رقيقه كأحد أفراد أُسرته(٢) . متبعاً بذلك أوامر القرآن الكريم والسّنة النّبوية المطهّرة ، ولعل السيد سعيد كان خير مثال على ذلك ، إذ كان يتّبع قواعد سلوكية دقيقة مع الخدم والعمّال التّابعين له في قصره ، والذين كان عددهم يفوق الألف من جنسيات متعدّدة ، إذ كان يشمل الجميع بحماية أبوية وعطفٍ كبير ، ولعل ماجاء في وصيّته قبل وفاته عام ١٢٦٦هـ / ١٨٥٠م خير شاهد على ذلك ، حيث كتب في وصيّته أمراً بعتق عبيده من الذّكور والإناث ليكونوا أحراراً لوجه الله تعالىٰ وابتغاء ماعنده من الثواب ، ورغبةً في رحمته . وأوصىٰ لكل عبدٍ خدم عنده سواء كان ذكراً أم أُنثىٰ بخمسين قرشاً فضّة من ماله الخاص ، أما عن سراريه فقد منح لكل واحدة منهن مائة قرش فضّة ، وكل مافي حوزتها فهو ملكها ، كما خصّ الإماء اللاتي ليس عندهن أولاد أو أولادهن صغار ، غير بالغين بصرف غلة مزرعة « شينوني » لقضاء حاجاتهن مدىٰ الحياة ، إلا اللآتي يتزوّجن منهن .

---

(١) F. O. 107/52 , dated 14/11/1896 , F. O. 107/92 , No. 861 , From Hardinge To Matheus dated 23,3,1898 .

(٢) F. O. 403/367 , dated 2/6/1905 .

كما وجد في الهامش من وصيّته ، منح عبيد المزارع الذكور الحق في عائدات المزرعة شينوني أيضاً(١) .

ومن أمثلة المعاملة الحسنة للرقيق ماكانت تقوم به السيدة زمزم إحدىٰ بنات السيد سعيد ، من معاملة كريمة لجواريها طيلة حياتها وبعد مماتها ، حتىٰ أنها أوصت لهن بجُزء من ممتلكاتها(٢) .

ومن أروع الأمثلة على مساواة الرّقيق بأسيادهم ، أن السيدة شيوانة بنت السيد سعيد ، كانت تملك أحسن العبيد وأجملهم ، وتمدّهم بالأموال والأسلحة والمجوهرات ، وقد أوصت عند وفاتها ، بعتق جميع عبيدها في المدينة والمزارع ، ووهبتهم كل مافي حوزتها من حلي وسلاح ، وجعلت أحد مزارعها وقفاً للإنفاق عليهم ، لأنها لاتريد لعبيدها المذلّة والمهانة بعد وفاتها(٣) .

وإضافةً إلى هذه الأمثلة الرّائعة ، هناك ماقام به السيد حمود بن أحمد البوسعيدي في حياته ، عندما أعتق ألفاً ومائتين من العبيد(٤) .

وبذلك نجد أن الرّقيق كانوا أحسن حالاً من الخدم الأُوروبيين ، حيث كان من الممكن

---

(١) BA. PD. No. 121 , Part II , Muscat , and Zanzibar , 1859 , P. 403 , N. A. R. A. , No. 100

أنظر الملحق رقم (٤) وصية السيد سعيد قبل وفاته ص ٤٤٦ ،

Gray , John , The British in Mombasa , PP. 225 - 226 .

(٢) الفارسي ، عبدالله ، البوسعيديون ، ص ٣٨ - ٣٩ .

(٣) السيدة سالمة ، مذكرات أميرة عربية ، ص ١٧٥ - ١٧٦ .

(٤) المغيري ، جهينة الأخبار ، ص ٣٦٢ .

أن ينالوا حريتهم ويُعتقون ، إما كفّارة للذّنوب تطبيقاً لتعاليم الدّين الإسلامي ، أو يُعتقون بعد مدّة عشر أو خمس عشرة سنة بعد خدمتهم لأسيادهم بإخلاص ، وكانوا في أغلب الأحيان يُلقون المعاملة الحسنة من العرب المسلمين ، الذين يُعتبرون أنهم في ذلك يكسبون رضاء الله وثوابه ، ولعل في كل هذا بعض الرّد على المفتريات التي تتردّد في المراجع والمصادر الأجنبية والتي تناولت موضوع الرّق ، رغم أن معظمها أكّد بأن كثيراً من العبيد والعتقاء كانوا يُفضّلون العمل عند سادتهم العرب السابقين ، على العمل لدىٰ مستخدميهم الأُوروبيين الجُدد ، الذين كانوا يأمرونهم بالقيام بأعمال فوق طاقتهم ، وينظرون إليهم دائماً نظرة احتقار ؛ وأنهم أقل منهم منزلة في المكانة الاجتماعية ، وأكبر دليل على معاملة العرب المسلمين الحسنة لعبيدهم ، أنه عندما صدر الحق للعبيد بالاختيار بين التحرير وترك أسيادهم أو البقاء معهم ، فإن عدداً كبيراً من العبيد المحررين فضّلوا العيش مع أسيادهم وخدمتهم ، والعيش في كنفهم كأُسرةٍ واحدة(١) .

---

(١) F. O. 403/367, From F. O. To Anti-Slavery Committee of The Society of Friends, dated 28,1,1906, F. O. 403/368, No. 47, From F. O. To Colonial office, dated 4,8,1906 F. O. 403/368, No. 15, Minute by Lord Fitzamurice, dated 10,7,1906.

الباب الثالث

النواحي الثقافية والفكرية

- **الفصل الأول :** المذاهب والطّوائف المختلفة في البلاد وغلبة مذهب أهل السُّنّة والجماعة .
- **الفصل الثاني :** (التعليم) .
التعليم الإسلامي في المساجد والمدارس .
دور العُلماء في تركيز دعائم الدّعوة الإسلامية في شرق أفريقيا .
- **الفصل الثالث :** (الثقافة السّواحلية) .
اللغة السواحلية .
أثر الإسلام واللغة العربية في إنماء اللغة السواحلية وتطويرها .
أثر الإسلام والثقافة الإسلامية في شرق أفريقية وزنجبار .

الفصل الأول

المذاهب والطوائف المختلفة في البلاد وغلبة مذهب أهل السنّة والجماعة

المذاهب والطّوائف المختلفة في البلاد وغلبة مذهب أهل السّنّة والجماعة :

تعتبر منطقة شرق أفريقيا من أكثر مناطق العالم تعرّضاً للهجرات الجماعية ، لذا أصبحت خليطاً من أجناس وديانات متباينة في لغتها وحضارتها .

كما كان هناك اتّصال مستمر بالعالم الإسلامي ، الذي ترك أثره في الحياة الثقافية في البلاد ، فقد نزحت إليها جميع الفرق والمذاهب التي عرفتها الحياة الإسلامية فتنوّعت الفرق والمذاهب بتنوّع الوافدين والمهاجرين .

كما نجد أن المذهب الشافعي السُنّي ذو عروق وجذور راسخة منذ فجر الدّعوة الإسلامية في هذه المنطقة ، إذ دخل إليها عن طريق التجار والمهاجرين المسلمين(*) .

وعندما بسط السيد سعيد نفوذه الفعلي على شرق أفريقيا ، واتّخذ من زنجبار عاصمةً له ، ووحّد بين عُمان وشرق أفريقيا في إطار سياسي واحد ، بدأ تدفّق العرب من عُمان

---

* وقد ذكر الرّحالة العربي ابن بطوطة في رحلته لبلاد شرق أفريقيا ، وصف ممباسا بقوله : « إنها كبيرة ، بينها وبين أرض السواحل مسيرة يومين في البحر ، ولا بر لها ، وأكثر طعام أهلها الموز والسّمك ، وهم شافعية المذهب ، أهل دين وعفاف وصلاح ، ومساجدهم من الخشب محكمة الإتقان » ، ثم وصف أيضاً مدينة كلوة بأنها أحسن المدن وأتقنها ، ووصف أهلها بأنها يغلب عليهم الدّين والصّلاح ، وهم شافعية المذهب » . ابن بطوطة ، تحفة النظّار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار ، ص٢٨٣-٢٨٤ ، ط٢ ، تحقيق علي المنتصر الكتاني ، بيروت ، ١٣٩٩هـ / ١٩٧٩م .

إلى زنجبار ، ومع هذا التدفّق دخل إليها المذهب الأباضي(*) ، وأصبح المذهب الرّسمي للطّبقة الحاكمة وأغنياء زنجبار من العرب العُمانيين(١) .

وتُنسب الأباضية إلى عبدالله بن يحى بن أباضي ، الذي كان يعيش في العراق ، ثم خرج على عبدالملك بن مروان الأموي في عام ١٢٧هـ / ٧٤٤م - ١٣٢هـ / ٧٤٩م(٢) .

ويُقال إن الأباضية انتقلت إلى شرق أفريقيا قبل فترة حُكم السيد سعيد ، وذلك لأن عُمان كانت أُولىٰ المناطق التي اشتهرت بأنها موطـن خصب للثّورات ضد الحُكم الأمـوي

---

(١) ترمنجهام ، سبنسر ، الإسلام في شرق أفريقيا ، ص ١٥٣ ،
Lofchie , M. E. , Zanzibar , PP. 71 - 72 , Middleton , J. and Campbell , J. , Zanzibar , P. 19 .

(٢) السيار ، عائشة ، دولة اليعاربة في عمان وشرق أفريقيا ، ص ١٠٧ ، بيـروت ، ١٩٧٥ م ،
Burton, R. F., Zanzibar , Vol. I , P. 396 , Ibn Sirhan , Sirhan Ibn Said , Annals of Oman , P. 26 London , 1948 .

(*) الإباضيــة : فرقة معتدلة من فرق الخوارج ، إلا إن أصحابها والمنتسبين إليها ينفون عن أنفسهم ذلك ، ويعدون مذهبهم اجتهادياً فقهياً سنّياً ، مساوياً للشافعية والحنفية والمالكية والحنبلية ، وتتميّز الأباضية بنظرةٍ خاصة إلى الإمامة ، إذ يجب أن تكون جميع السّلطات بيد الإمام الشّرعي ، وفي مجال التشريع فهم يعتمدون على الكتاب والسّنة فقط ، وهم بذلك يُخالفون أهل السُنّة الذين يضيفون مصدرين آخرين هما الإجماع والقياس . أما مسائل العبادات فلا يختلفون إلا في بعض التفاصيل الثانوية . فهم لايقولون كلمة « آمين » بعد نهاية سورة الفاتحة ، ولايرفعون أثناء الصّلاة أصبع اليد اليمنىٰ عند قراءة التشهّد ، إذ يُكتفىٰ بشهادة القلب ونُطق اللسان بذلك ، كما يعتبرون التّحدّث أثناء الوضوء مفسداً له ، ويختلفون أيضاً في حُكم المسافر لفترة طويلة ، فهم يعتبرون كل بعيد عن وطنــه ومسقط رأسه مسافراً يحق له الإفطار في رمضان والجمع في الصّلاة كما يحرم عندهم التدخين ، الندوة العالمية للشباب الإسلامي ، الموسوعة الميسـرة ، ص١٥-١٩ ، الرياض ، ١٤٠٩هـ/١٩٨٩م .

والعبّاسي لانعزالها ، ولأن العُمانيين وجدوا في الأباضية مايناسبهم من جهة ، ومايساعدهم على مقاومة الخلافة العباسية من جهةٍ أُخرىٰ مستندين في هذا على الأساس المذهبي .

وقد كان الأباضيون من أبناء عُمان يفرّون إلى ساحل شرق أفريقيا ، كلّما داهمتهم الدّولة العباسية ، وبتوالي الزّمن وصل المذهب الأباضي إلى عُمان وأصبح المذهب السّائد فيها(١) .

وإلى جانب المذهب الشافعي والأباضي ، نجد بعض النّوبيين في شمال غربي أُوغندا يتبعون المذهب المالكي (٢) . كما دخلت الصّوفية(*) شرق أفريقيا مع بعض اليمنيين والحضارمة ، الذين نزحوا إلى هذه المناطق في القرن التاسع عشر(٣) .

---

(١) السيار ، عائشة ، دولة اليعاربة في عُمان وشرق أفريقيا ، ص ١٠٧ - ١٠٨ ، بيروت ، ١٩٧٥م .

(٢) ترمنجهام ، سبنسر ، الإسلام في شرق أفريقيا ، ص ١٥٣ .

(*) الصوفية : حركة دينية انتشرت في العالم الإسلامي بعد اتّساع الفتوحات الإسلامية وزيادة الرّخاء الاقتصادي كرد فعل مضاد للترف والانغماس فيه ، مما حمل البعض إلى الزّهد ، الذي تطوّر بهم حتىٰ صار طريقة مميّزة تعرف باسم الصّوفية . وكان الصوفيون يروّضون أنفسهم للوصول إلى معرفة الله بالكشف والمشاهدة لا عن طريق التقليد أو الاستدلال ، ولكنهم جنحوا في مسارهم هذا ، حتى تداخلت طريقتهم مع فلسفات أُخرىٰ من هندية وفارسية ويونانية . ولمزيد من المعلومات عن الصّوفية ، انظر ، الندوة العالمية للشباب الإسلامي ، الموسوعة الميسرة ، ص ٣٤١ - ٣٥٣ .

(٣) Trimingham, Islam in Ethiopia, P. 234, Oxford, 1952.

ويرىٰ سبنسر ترمنجهام ، أنه من الصّعب تقدير تأثير المذاهب الصّوفية على السّواحليين ، إلا إنه من الواضح أنها أثرت تأثيراً طفيفاً على الأهالي . ومن المؤكّد أنها أخذت في التراجع ، حتىٰ إنها تكاد تكون لاوجود لها بين المسلمين الجُدد(١) .

ومن فرق الصّوفية التي دخلت شرقي أفريقيا القادرية ، وهي أقدم الطُرق الصوفية وأشدّها تأثيراً ، وقد أسّسها عبدالقادر الجيلاني (٤٧٠هـ / ١٠٧٧م - ٥٦١هـ/ ١١٦٦م) في العراق ، وفيها حلقات للذّكر وغيرها من البِدع التي تبعد عن روح الإسلام ، ولها فروع كثيرة(٢) .

وأهم الكتب القادرية هي سر الأسرار ونُزهة الأنوار لعبدالقادر الجيلاني ، وكتاب الفوائد الرّبانية في المآثر والأدوار القادرية لإسماعيل بن سعيد ، ثم هناك كتاب العقد العقيان على مولد الجيلاني لحسن بن أمير الشّيرازي(٣) .

وهناك أيضاً الشّاذلية التي يكثر انتشارها في كلوه ، وبينها وبين القادرية تنافس كبير . ورغم وجود جميع الطرق الصوفية في زنجبار إلا أن الشاذلية هي الأقوىٰ ، إذ يوجد منها في زنجبار ثلاث طوائف رئيسية . والكتاب الرئيسي الذي تقوم عليه هذه الطريقة هو كتاب المفاخر العلية في المآثر الشاذلية لأحمد بن عباد(٤) .

---

(١) ترمنجهام ، سبنسر ، الإسلام في شرق أفريقيا ، ص ١٧٨ .

(٢) الندوة العالمية للشباب الاسلامي ، الموسوعة الميسرة ، ص ٣٧٤ ، الرياض ، ١٤٠٩هـ / ١٩٨٩م ، النّقيرة ، محمد ، انتشار الإسلام ، ص ١٥٩ .

(٣) ترمنجهام ، سبنسر ، الإسلام في شرق أفريقيا ، ص ١٨٣ .

(٤) ترمنجهام ، سبنسر ، الإسلام في شرق أفريقيا ، ص ١٧٨ - ١٧٩ .

وقد أسس هذه الطريقة أبوالحسن علي بن عبدالله بن عبدالجبار الشاذلي (٥٩٣هـ / ١١٩٦/١١٩٧م - ٦٥٦هـ / ١٢٥٨م)(١) .

وأما الرّفاعية فقد نشأت في زنجبار ، وبعض المناطق الساحلية وهي الطريقة الوحيدة التي يسمح فيها بدق الطّبول ، وإنشاد القصائد باللغة السواحلية ، كما يسمحون للنساء بحضور الذّكر من وراء حاجزٍ أو ستار(٢) .

وتعتبر العلوية من الطرق الصوفية أيضاً المعروفة في زنجبار ، وأهم العائلات التي تتبعها وتسير على منهاجها آل جمل الليل في لامو . وللعلوية خطّان رئيسيان هما العيدروسية التي أنشأها أبو بكر بن عبدالله العيدروس ، المتوفي في عدن عام ٩٠٨هـ / ١٥٠٣م . والحدادية نسبة إلى عبدالله بن علوي بن أحمد الحداد المتوفي عام ١١٣٢هـ / ١٧٢٠م ، وكان الشيخ عمر بن أحمد بن سميط من أبرز العلويين في زنجبار(٣) .

وهناك أيضاً ، الأحمدية - الإدريسية ، وقد أنشأها أحمد بن إدريس الفاسي (١١٧٣ / ١١٧٤هـ / ١٧٦٠م - ١٢٥٣هـ / ١٨٣١م) ولها شُعبة تسمىٰ الصالحة ، سار على منهاجها بعض الصّوماليين في المناطق الشمالية من كينيا . والدندرادية أو الأندرادية وهي الشعبة الأخيرة الموجودة في زنجبار وشمال كينيا وجُزر القمر وعدد من المراكز الساحلية ، ولكنها ليست شائعة ، أو منتشرة بشكلٍ واسع(٤) .

---

(١) محمود ، عبدالحليم ، أبوالحسن الشاذلي ، ص ١٦ و ٤٣ - ٤٤ ، القاهرة ، ١٩٦٧م .

(٢) الندوة العالمية للشباب الإسلامي ، الموسوعة الميسّرة ، ص ٣٤٨ ، ترمنجهام ، سبنسر ، الإسلام في شرق أفريقيا ، ص ١٨٣-١٨٤ .

(٣) ترمنجهام ، سبنسر ، الإسلام في شرق أفريقيا ، ص ١٨٤ .

(٤) ترمنجهام ، سبنسر ، الإسلام في شرق أفريقيا ، ص ١٨٤ - ١٨٥ ، النقيرة ، محمد ، انتشار الإسلام ، ص ١٦٣ - ١٦٤ ، محمود ، حسن أحمد ، الإسلام والثقافة العربية في أفريقيا ، ص ٤٤٤ - ٤٤٥ .

ومع الهنود وهجرتهم إلى شرق أفريقيا وزنجبار ، وتشجيع السيد سعيد نشاطهم الاقتصادي واستيطانهم ، دخلت إلى هذه المنطقة طوائفهم ومذاهبهم المتعدّدة . فمنهم الهندوس(*) الذين يُطلق عليهم اسم البانيان ، حتىٰ يميز بينهم وبين الهنود المسلمين ، وقد تعددت طوائف المسلمين من الهنود ، فمنها فرق الشيعة الخوجة وهم الإسماعيليون ، وكذلك الإثناعشرية (أي الجعفرية أو الإمامية) ، وقد اعتنق بعضهم المذهب الشافعي من فرق أهل السُنّة والمأمونيون وهم أحناف . وهناك طوائف أُخرىٰ كالبهالا ولوهاروادها ، وسورتي خليفة ، وخومباهار ، وكوكني ، وساماترى ، وبالوتشي(١) وهذه الفرق غير إسلامية .

وبصفة عامة نجد معظم الهنود المسلمين السنّيين في الهند يتبعون المذهب الحنفي ، لأنه الغالب في بلدهم ، ومع ذلك فإن عدداً منهم يتبع المذهب الشافعي ، إلى جانب الطّوائف والمذاهب السابقة .

وإضافةً إلى ماسبق ذكره من الدّيانات والطّوائف فهناك المسيحية التي وصلت إلى شرق أفريقيا عن طريق البعثات التنصيرية التي نظّمتها الكنيسة في القرن التاسع عشر ، وتقول في ذلك السيدة سالمة :

---

(١) المغيري ، جهينة الأخبار ، ص ٢٦١ ، الفارسي ، عبدالله ، البوسعيديون ، ص ٩٩ - ١٠٠ ، ترمنجهام ، سبنسر ، الإسلام في شرق أفريقيا ، ص ١٠٩ ، و ١٩٤ ، Pearce , Zanzibar , P. 254 .

(*)الهندوسية : ديانة وثنية يعتنقها معظم أهل الهند ، وهي ديانة تضم القيم الرّوحية والخلقية إلى جانب المبادىء القانونية والتنظيمية ، وتتخذ لها آلهة عديدة ، فلكل منطقة إلّه ، ولكل عملٍ أو ظاهرةٍ إلّه ، يتقرّبون إليها بالعبادة والقرابين ، الندوة العمالية للشباب الإسلامي ، الموسوعة الميسرة ، ص ٥٣١ - ٥٣٣ .

« . . . فإن الزّنوج . . . يعتنقون المسيحية بسبب ماتقدّمه
لهم الارسالياتالتبشيرية (التنصيرية) من إقناعات مادية ،
ويستمر اعتناقهم لها مااستمر إغداق العطايا عليهم »(١) .

كما يوجد الوثنيون من الأفارقة وغيرهم . وبذلك تعددت المذاهب والطّوائف المختلفة في البلاد ، ولكن كان يغلب عليها جميعاً مذهب أهل السُنّة والجماعة ، رغم أن الأباضية كانت المذهب الرّسمي للعمانيين والذين حكموا هذه المنطقة لفترة من الزّمن .

ويمكن أن نُرجع سبب انتشار مذهب أهل السُنّة والجماعة لعدّة أسباب أهمها : روح التسامح التي أبداها السيد سعيد بالنسبة للمذاهب والطّوائف الأُخرىٰ . فقد كان القضاة في زنجبار معظمهم من أهل السُنّة ، والبعض من الأباضيين . بينما كان القضاة في بمبا من الأباضيين وهم الأكثر ، لذا صار قضاة الطرفين يُحاضرون ويحكمون في بيوتهم(٢) .

ومن أمثلة تسامح السيد سعيد خطابه الذي يأمر به دوائر أعماله بعدم التعرّض لأهل المذاهب الدّينية المختلفة بأي ضرر بقوله :

« من سعيد بن سلطان إلى جناب كافة ربعنا بحال القضاة ،
كل من حكم بحُكمٍ وأخطأ فيه ، يرجع إلى السؤال إلى من هو
أعلم منه ، كل مذهب يتبع مذهبه . هذا ماجرت العادة من
قديم بذلك »(٣) .

كما كانت نظرة الأباضية للمذاهب الأُخرىٰ المختلفة ، بأنهم يرون إمكانية التعايش معها دون محاولة إخضاعها(٤) .

---

(١) السيدة سالمة ، مذكرات أميرة عربية ، ص ٢٥٢ .

(٢) الفارسي ، عبدالله : البوسعيديون ، ص ٧٣ ، Burton, R. F., Zanzibar, Vol. I, PP. 405 - 406.

(٣) المغيري ، جهينة الأخبار ، ص ٢٧١ .

(٤) السيّار ، عائشة ، دولة اليعاربة ، ص ١٠٩ .

فبالرّغم من خضوع هذه المنطقة لحكّام يتبعون المذهب الأباضي ، إلا إنهم لم يحاولوا نشره ، بل قدّموا المصالح التجارية على الشئون الدّينية(١) .

ومن تسامح السيد سعيد أيضاً موافقته للشيعة الإثنىٰ عشرية أن يُقيموا منبراً خاصاً يبكون فيه شُهداء آل البيت في ذكرىٰ يوم عاشوراء(٢) .

وفي نفس الوقت كان المذهب الأباضي متشدّداً ومنعـزلاً ، وتتحكّم فيه العقيدة القبليـة ، فهم يرون أنه لايمكن لأحد أن يتحوّل إلى الأباضية ، ولكن يمكن أن يولد أباضياً(٣) . على الرغم أنه يوجد بعض العُمانيين الذين هجروا الأباضية واعتنقوا المذهب الشافعي ، أمثال برهان بن عبدالعزيز الأموي ، وأولاد الشيخ على بن عيسىٰ البرواني وآل المزروعي في ممباسا(٤) . وذلك لأنهم من العمانيين الذين تتلمذوا على يد العلماء الحضارمة الشافعيـة المذهب .

وبالتالي فإننا نجد أن الهجرات الحضرمية كانت نشيطة ، واستطاعت بنفوذها الدّيني ، وماقدّمه علماؤها من أعمالٍ ثقافية وفكـرية ودينية نشر الدّعوة والتعليم بسلاسـة وسهولة ، جعلت الناس يلتفّون حولهم ، وينجذبون إلى دعوتهم ، فتحوّل كثير منهم إلى المذهب الشافعي الذي كان في الغالب على الساحل الشرقي قبل وبعد ظهور العُمانيين .

هذه الآراء السابقة توضّح الرّوح الصليبية المتعصّبة ضد المسلمين ، كذلك سياسة فرّق تسُد الاستعمارية ، التي تهدف إلى إثارة العداوة بينهم ، وجعلهم شيعاً وأحزاباً يناصب كل فريق منهم الآخر العداوة والبغضاء .

---

(١) العقّاد ، صلاح ، وقاسم ، جمال زكريا ، زنجبار ، ص ١٥ .

(٢) Burton, R. F., Zanzibar, Vol. I, P. 396.

(٣) ترمنجهام ، سبنسر ، الإسلام في شرق أفريقيا ، ص ١٥٤ .

(٤) المغيري ، جهينة الأخبار ، ص ٧٨ ، و ٤٠٤ .

والحقيقة أن السبب في الأقبال على المذهب السُنّي دون غيره هو سلاسته وبساطته ، فهو يتمشّىٰ مع الاحتياجات الرّوحية التي فطر عليها الإنسان ؛ لأن الإسلام دين الفطرة ، فالأفريقي عندما يسلم ، يستطيع مشاركة قبيلته طقوسها الدّينية والاجتماعية التي لاتتعارض مع المبادىء الإسلامية .

بالإضافة لما سبق نلاحظ كثرة المساجد وانتشارها ، حتىٰ أصبح لأصغر المجموعات المكوّنة من ستة منازل مسجد ، وأغلبها يتبع المذهب الشافعي(١) .

ففي زنجبار يوجد خمسة وثلاثون مسجداً(٢) . وفي أوجيجي واحد وستّون مسجداً وكلها للشّافعية ، وفي ممباسا يوجد تسعة وعشرون مسجداً ، وفي كمبالا - عاصمة أوغندا - يوجد خمسة وعشرون مسجداً(٣) .

ولايُسمح لأباضي أن يؤم المصلّين في صلاة الجمعة ، بينما يُسمح له بإمامة صلاة العيد(٤) . وكانت صلاة الجمعة وتجمّعاتها الكبيرة ، ثم الخطبة ومابها من وعظ وإرشاد تجذب الأفارقة ، وتستهوي نفوسهم ، لما يتبعها من روحانية مثل عقد الحلقات الدراسية ، فهذه الأمور تجذب الناس وتحبّبهم في المذهب السّني السّهل والميسّر .

---

(١) ترمنجهام ، سبنسر ، الإسلام في شرق أفريقيا ، ص ١٥٦ ، Pearce , Zanzibar , P. 401 .

(٢) المغيري ، جهينة الأخبار ، ص ٨٠ .

(٣) ترمنجهام ، سبنسر ، الإسلام في شرق أفريقيا ، ص ١٥٦ .

(٤) السالمي ، الإمام نور الدين عبدالله بن حميد ، تُحفة الأعيان بسيرة آل عُمان ، ص٢٧٥- ٢٧٧ ، القاهرة ، ١٣٣٠هـ ، ترمنجهام ، سبنسر ، الإسلام في شرق أفريقيا ، ص١٥٧ .

وبصفة عامة نجد أن الأساس العام بين هذه المجموعات العرقية هو الدين الإسلامي حيث أن الغالبية العظمىٰ للسكان هم من المسلمين ، وتزيد نسبتهم عن ٩٥٪ من سكّان زنجبار ، كما إن المسلمين المتبعين للمذهب السُنّي يُشكّلون أكثر من أربعة أخماس العدد الإجمالي .

وبشكلٍ خاص نجد أن كل الأفريقيين والأغلبية الأساسية من العرب هم من المذهب السُنّي مما دفعهم إلى الوحدة السياسية والاجتماعية .

بينما الآسيويون هم عموماً من الشّيعة ، أو أعضاء في مجموعات دينية غير مسلمة(١) ، ويشكّل الأباضيون ٣٪ من مجموع سكّان زنجبار(٢) .

---

(١) Lofchie, M. F., Zanzibar, PP. 72 - 73.

(٢) Burton, R. F., Lake Regions, Vol. I, PP. 30 - 31.

الفصل الثاني

التعليـــم

- التعليم الإسلامي في المساجد والمدارس
- دور العلماء في تركيز دعائم الدّعوة الإسلامية في شرق أفريقية

التعليم الإسلامي في المساجد والمدارس :

تحتل الثقافة الإسلامية مركزاً هاماً في الحياة السواحلية ، ويعتبر التعليم في الحلقات الدراسية في المساجد أو المدرسة القرآنية الكتّاب شو Chuo النّواة الأُولىٰ والبداية المبكّرة للثقافة الإسلامية(١) .

كما نجد أن المدرسة الإسلامية والتي تسمىٰ في بعض المناطق السواحلية باسم الخلوة من أهم المؤسسات التربوية ، التي قام عليها التعليم في المجتمع السواحلي في شرق أفريقيا ، فقد نهج منهجاً إسلامياً موحّداً في طريقته ومضمونه ، ويظهر ذلك في المراكز الإسلامية الأساسية في زنجبار ويمبا ولامو وكلوه وممباسا ، حيث كان يذهب إليها طالبو العلم للدراسة وتعلّم القرآن ، والتفسير ، والفقه ، ومبادىء اللغة العربية ، لغرس القيم الإسلامية ، وتعليم السلوك القويم . وقد كان للعرب بصفةٍ عامة دور رئيسي هام في تعليم الكثير من الأفارقة(٢) .

ويحتل التعليم مركزاً هاماً في الحياة السواحلية ، وعلى الأخص في القصور السلطانية ، إذ تعتبر الدراسة أمراً إلزامياً على كل من بلغ السادسة من العُمر ، ولداً كان أم بنتاً وبدون استثناء(٣) .

وكان السيد سعيد شديد الحرص على التعليم ، خاصةً بالنسبة لأبنائه وبناته ، فقد أحضر لهم من عُمان المعلّمون ، وكان لايقبل من أبنائه وبناته أي عُذر أو تكاسل في حضور الدّروس ، ولايغفر لأي منهم شكوىٰ تقدّم ضده . وتبدأ الدّروس في الساعة

---

(١) ترمنجهام ، سبنسر ، الإسلام في شرق أفريقيا ، ص ٢٣٠ .

(٢) سيد حامد حريز : المؤثرات العربية في الثقافة السواحلية ، ص ٥٧ - ٥٨ .

(٣) السيدة سالمة ، مذكرات أميرة عربية ، ص ١٢٥ ، ترمنجهام ، سبنسر ، الإسلام في شرق أفريقيا ، ص ٢٣٠ .

السابعة صباحاً ، حيث يجلس الجميع حول المعلّمون في مكانٍ بعيدٍ من الشرفة الكبيرة على الحصيرة ، ويتلقّون الدّروس من قراءة القرآن الكريم ، وتعلّم حروف الهجاء العربية .

ويأخذ الأولاد بالإضافة إلى تعلّم القراءة دروساً في الكتابة ، بينما يقتصر تعليم البنات على القراءة فقط ، كذلك يتعلّم الطّلاب مبادىء الحساب ، من إحصاء الأرقام ، وكتابتها ، من الواحد إلى المائة ، ثم حفظها دون كتابتها من المائة إلى الألف . وكان يسمح للطّلاب أن يحضروا عبيدهم إلى هذه الدّروس ، وقد يفوق هؤلاء العبيد أسيادهم في العلم والتعليم في بعض الأحيان(١) .

وكان السّواحليون يبعثون أطفالهم إلى الحلقات الدراسية في المساجد ، أو إلى المدارس الدّينية ، التي كانت في أنحاء العالم الإسلامي بأسماء مختلفة خاصةً في السّاحل الشرقي الأفريقي ، وتنتشر هذه المدارس على الساحل وفي المناطق الدّاخلية . وكانت تبنى عادةً تحت شجرة ظليلة ، وتُحاط بسورٍ من الخشب ، أو فروع الأشجار . وفي مكان متوسّط بحيث يمكن للجميع الوصول إليها بسهولةٍ ويُسر(٢) .

ولانتساب الأطفال إلى هذه المدارس يدفع أهل كل طفل شاة للمعلّم ، تسمى قريش ، أي حق الانتساب ، كما تُدفع بعد ذلك شاة عند نهاية كل جُزء من القرآن ، وتختلف هذه العادة من مكانٍ إلى آخر . ففي زنجبار تتكوّن هذه العطاءات أو الهبات من أُرزٍ مخلوطٍ بالخُبز والذّرة المحمّصة ، حيث يعطى الشيخ الأرز المخلوط بالخُبز ، وتوزع

---

(١) السيدة سالمة ، مذكرات أميرة عربية ، ص ١٢٥ - ١٢٨ .

(٢) حريز ، سيد حامد ، " المؤثرات العربية في شرق أفريقيا " ، مجلة كلية الآداب والدراسات العربية ، العدد ١١ ، ص ٢١ ، الرياض ، ١٩٨٤م .

الذرة على التلاميذ(١) . ويحرص الآباء على تعليم أبنائهم فيقول ولي الأمر للشيخ عند تسليمه إبنه « لقد حضرت لكي أعهد إليك بابني ، لاتحافظ على شيء منه سوىٰ عينيه » ، بمعنىٰ « لاتبخل بالعصا »(٢) .

وتُبيّن السيدة سالمة بأن وسيلة التفاهم مع المعلّمة هي العصا ، إلا إنها مهما تكن مرعبة ومكروهة أيام الدّراسة فإنها تبقىٰ محل الاحترام والتبجيل من قِبل تلاميذها طيلة حياتهم ، لإزالة بعض الخلافات التي تحدث بين الإخوة والأخوات(٣) .

هذه الأساليب العتيقة في التربية ، عرفتها العديد من المجتمعات الإسلامية في الجزيرة العربية ، وفي أجزاءٍ متفرقة من العالم الإسلامي ، وهي تتفاوت من بلدٍ إلى آخر ، ولكن على الرّغم من الشّدة والقسوة التي كان يتعرّض لها الأطفال في هذه المدارس ، إلا إنها تعكس حِرص الآباء وأولياء الأمور على أن يحفظ أبناؤهم القرآن الكريم في فترةٍ مبكّرة .

والدّراسة تقع في فترتين صباحية ومسائية ، من الساعة السابعة صباحاً إلى الثانية عشر بعد الظهر ، ومن الساعة الثانية إلى الخامسة عصراً(٤) .

ومدّة الدراسة تتراوح من سنة إلى ثلاث سنوات تنتهي بدراسة وحفظ القرآن الكريم(٥) .

وتُعقد بعدصلاة المغرب عادةً حلقات دراسية في المساجد ، تلقىٰ فيها محاضرات لعامة

---

(١) ترمنجهام ، سبنسر ، الإسلام في شرق أفريقيا ، ص ٢٣٠ - ٢٣١ .

(٢) ترمنجهام ، سبنسر ، الإسلام في شرق أفريقيا ، ص ٢٣١ .

(٣) السيدة سالمة ، مذكرات أميرة عربية ، ص ١٢٧ .

(٤) ترمنجهام ، سبنسر ، الإسلام في شرق أفريقيا ، ص ٢٣١ .

(٥) الشيخ ، رأفت غُنيمي ، دور عُمان في بناء حضارة شرق أفريقية ، ص ١٩٣ .

الناس من تدريس اللغة العربية والقرآن وتفسيره والفقه ، ويُطلق عليها سواحليّاً اسم دراساس Darasas ، ويقوم بالتدريس في هذه الحلقات الدراسية المشايخ إما في المساجد أو في منازلهم(١) ، لايرجون من ذلك أجراً إلا ثواب الله ، ولكن جرت العادة أن يقدّم التلاميذ لمعلّمهم في كل خميس أسبوعياً بعض الهدايا التي تسمىٰ هدايا المعلّم أدايا معلّمو Adaya Mwalimu ، وهي عشرة مليّمات ، تسمىٰ بيزازا الخميس Pesaza Alhamisi أي راحة الخميس . كذلك يقدّم له قبل رمضان وقبل الأعياد من خمسين إلى خمسة وسبعين مليّماً عيدية ، وتسمىٰ مافينقو Mfungo . ويحصل المعلّم على هدايا أُخرىٰ عندما يتعلّم الطالب الحروف الهجائية ، أو عند حفظ كل جُزء من أجزاء القرآن . والهدية الكبرىٰ تكون عندما يحفظ الطالب القرآن كلّه(٢) .

ويتعلّم التلميذ القراءة ، بتعلّم الحروف العربية الهجائية وطريقة كتابتها أولاً ، ثم يلي ذلك معرفة وضع النّقط على الحُروف ، ثم تعلّم الحركات ، ويتم ذلك عن طريق الترديد الجماعي والكتابة على اللوح الخشبي(*) ، إلى أن يُجيد التلميذ كتابة الحروف ونقطها بالشّكل الصحيح ، فتحتفل أُسرة الطالب بهذه المناسبة ، ويوزّع الطعام على الطّلبـة

---

(١) ترمنجهام ، سبنسر ، الإسلام في شرق أفريقيا ، ص ١٦١ .

(٢) ترمنجهام ، سبنسر ، الإسلام في شرق أفريقيا ، ص ٢٣١ .

(*) في البداية كانت تستعمل عظمة فخذة العِجل ، ثم بعد ذلك استُعملت الألواح الخشبية ، وتسمىٰ أوبو Ubao ، ويُكتب عليها بواسطة أقلام تُصنع من أعواد القصب ، والحبر عبارة عن حجر المرجان المسحوق المذاب في الماء ، أو من الرّماد النّاتج من احتراق الخشب أو الفحم المذاب في الماء لسهولة مسحه ، ترمنجهام ، سبنسر ، الإسلام في شرق أفريقيا ، ص ٢٣٢ .

بعد ذلك بتعلّم سور القرآن القصار ثم الطّوال ، وهكذا إلى أن ينتهي من حِفظ جميع أجزاء القرآن الكريم(١) .

وبهذه المناسبة يُقام احتفال خاص ، يسمىٰ هتمشا Hitimisha ، حيث يعقد مجموعة من المعلّمين اختبار خاص للطّفل ، فإذا اجتازه يُعطي والد الطّفل للمدرّس مبلغاً من المال يتراوح من ثلاثين إلىٰ ستّين شلناً(*)(٢) .

ويصف السيد حامد حريز هذه الاحتفالات في بعض الأماكن في شرق أفريقيا بقوله : « وأحياناً نجد مايشبه عادات الزواج في هذه الاحتفالات . ففي بعض الأماكن يُزفّ الطالب الذي اختتم القرآن على ظهر حصان إلى مكان إقامة معلّمه ، ويتبعه أقرانه وأصدقاؤه وبعض المواطنين من قريته في هذا الموكب . وأحياناً يرتدي الطالب الزّي العربي ويطوف على منازل أهله في زهوٍ وإعزاز وسط تهليل أقرانه(٣) .

ومما لاشك فيه أن هذه الاحتفالات تدل على أهمية القرآن الكريم وتعلّمه بالنسبة لهذا المجتمع ، وتشجيع أولياء الأمور أبناءهم لمواصلة الدراسة وتعلّم الدين الإسلامي الحنيف .

وفي القرن التاسع عشر أصبحت زنجبار مركز إشعاع للمناطق السّاحلية ، والدّاخلية من القارة الأفريقية ، إذ وفد إليها الكثير من العلماء والدّارسين ، كما تطوّرت المناهج وطرق التدريس وشملت كافة التخصصات . ففي عام ١٢٣٥هـ/١٨٢٠م كان هناك حوالـــي

---

(١) حريز ، سيد حامد ، " المؤثرات العربية في شرق أفريقيا " ، مجلة كلية الآداب والدراسات العربية ، ص ٢١ - ٢٢ .

(٢) ترمنجهام ، سبنسر ، الإسلام في شرق أفريقيا ، ص ٢٣٢ .

(٣) حريز ، سيد حامد ، " المؤثرات العربية في شرق أفريقيا " ، مجلة كلية الآداب والدراسات العربية ، ص ٢٢ .

(*)الجنيه الاسترليني يعادل ٢٠ شلناً .

أربع مدارس في لامو في شمال كينيا ، وثلاث مدارس في زنجبار ، وفي خلال ثلاث سنوات ارتفع العدد إلى خمس عشرة مدرسة(١) .

وقد تابع السّلاطين في زنجبار الاهتمام بالتعليم ، ففي عام ١٣٢٠هـ / ١٩٠٣م طلب السّلطان علي بن حمود (١٣١٩هـ / ١٩٠٢م - ١٣٣٠هـ / ١٩١١م) من الحكومة المصرية إرسال ثلاثة مدرّسين إلى زنجبار لبدء نظام تعليمي جديد . وفي عام ١٣٢٢هـ/١٩٠٥م وصل أحد المدرسين المصريين ، وكان يُدعىٰ الأُستاذ عبدالباري ليدرّس اللغة العربية والإنجليزية لأبناء بعض الشّخصيات العربية الهامة في مدرسة القصر(٢) ، هذا إلى جانب كتاتيب تحفيظ القرآن الكثيرة المنتشرة في زنجبار والمدن الأُخرىٰ من شرق أفريقيا ، وكان يقوم بالتدريس فيها مدرّسون خُصوصيّون يحفظون القرآن عن ظهر قلب ، ومع تدريس القرآن يقومون بتعليم الأطفال قراءة وكتابة اللغة العربية(٣) .

وقد وضع مشروع للتعليم في عام ١٣٢٤هـ/١٩٠٧م لفتح ست مدارس أوّلية إضافية في ضواحي زنجبار ، وخمس في جزيرة بمبا ، على أن يكون التدريس فيها باللغة السّواحلية والمدرّسين من العرب ، وكان من المقترح الإبقاء على المدرسة القائمة في مدينة زنجبار ، بحيث يكون بها فصول دراسية للعرب والسواحليين ، تتضمّن تدريس اللغة الإنجليزية والمناهج الدراسية الأُخرىٰ بشكل مكثّف ، إلى جانب مساعدة المدارس الهندية القائمة في المدينة ، وكان من المقترح أن يتولّىٰ مسئولية ناظر مدرسة المدينة شخص انجليزي ، على

---

(١) الشيخ ، رأفت غُنيمي ، دور عُمان في بناء حضارة شرق أفريقيا ، ١٩٤ .

(٢) هولنجز وورث ، زنجبار ، ص ٢٢٢ ،
Bennett , N. R. , A History Of Arab State Of Zanzibar , PP. 194 - 195 .

(٣) هولنجز وورث ، زنجبار ، ص ٢٢٢ .

أن يقوم بالإشراف بشكلٍ عام على أعمال النّظام التعليمي ، وأن يكون من بين الأفراد الملحقين(*) بجمعيات التنصير المسيحي(١) ، وملمّاً باللغة السواحلية .

وفي عام ١٣٢٤هـ / ١٩٠٧م أُنشئت في زنجبار إدارة للتعليم تحت إشراف خبير من الحكومة المصرية اسمه ريفر سميث River Smith - كان يشغل وظيفة في إدارة المعارف المصرية - لوضع مشروع تعليمي لمنطقة زنجبار ، وأثناء الفترة من ١٣٢٤هـ/١٩٠٧م - ١٣٢٥هـ/١٩٠٨م ، عقدت عدّة اجتماعات عامة في محاولة لإيجاد مجلس محلّي للإدارة التعليمية الجديدة . واعتباراً من عام ١٣٢٥هـ / ١٩٠٨م بُدىء العمل في زنجبار وبمبا ، وبعض المناطق الرئيسية بالمدارس الإبتدائية التي يتوفّر فيها تعلّم القراءة والكتابة والقرآن والحساب خلال ثلاث سنوات دراسية ، وكان يوجد في مدينة زنجبار مدرسة أولية ، إضافةً إلى المدارس السابقة توفّر تعليماً مدّته أربع سنوات ، وكان البرنامج فيها يتألّف من تعلّم القرآن واللغة العربية والإنجليزية والحساب والجغرافيا ، فإذا أتم التلميذ برنامج السّنوات السّبع الدّراسية نال الشهادة الإبتدائية ، التي تؤهّله للعمل بالوظائف الكتابية في الإدارات الحكومية(٢) .

---

(١) F. O. 403/369 , No. 103 , From Mr. Cave To Sir Edward Grey , Zanzibar , dated 4,8,1906 , Confidential .

(٢) هولنجز وورث ، زنجبار ، ص ٢٢٢ - ٢٢٣ .
Bennett , N. R. , A History of the Arab state of Zanzibar , PP. 194 - 195 .

(*)توضّح هذه الوثيقة المخطّطات الاستعمارية التي تستعين برجال التنصير المسيحيين في الوظيفة التعليمية بهدف التأثير في عقيدة التلاميذ المسلمين سلبياً في ظل الاستعمار البريطاني .

وأصبحت أمام الطّلبة الأذكياء والقادرين ماديّاً فرصة إكمال دراستهم خارج زنجبار في مصـر وكلكتا في الهند وبريطانياًوغيرها(١) .

كذلك افتتحت مدارس للتعليم المهني في زنجبار لمدّة ثلاث سنوات لتعليم التجارة والخياطة والحدادة وغير ذلك من الحِرف الأُخرىٰ ، لغير الرّاغبين في إكمال دراستهم بعد مرحلة التعليم الأوّلي(٢) .

وقد لقي النظام التعليمي عدّة عقبات ، منها النّقص في المدرّسين لمدارس زنجبار وماحولها . وللتغلّب على هذه الصّعوبة افتتح برنامج خاص ، يلتحق به الطّلبة الخرّيجون لمدّة ستّة أشهر ، ينالـون بعدهـا درجة علمية تؤهّلهم للتعليم في هذه المدارس ، وكان ذلك تحت إشراف معلّم مصـري قدِم إلى زنجبـار للقيام بهـذه المهمّة(٣) .

وبذلك نجد أن أهـداف التعليم في ظل الإدارة الاستعمارية كانت تسعىٰ لعدم تأهيل التلاميذ بدرجات تعليمية عالية ، حتىٰ لايحصلوا على الوظائف الكُبرىٰ في الدّولة ، بل العمل في الوظائف المتواضعة أو مساعدين في الإدارة بينما تُحتكر الوظائف العليا في يد المستعمرين .

ومن التطوّرات التي حدثت في مجال التعليم في زنجبار ، والتي كانت تقوم به الإدارة الاستعمارية تمشّياً مع أهدافها ، احلال اللغة السّواحلية محـل من اللغة العربية ، كذلك

---

(١) سالم ، أحمد عيضة ، الجاليات العربية في أفريقيا ، ص ١٥١ ،
Bennett , N. R. , A History of the Arab state of Zanzibar , P. 195 , J. B. F. Osgood , Note of travel P. 45

(٢) هولنجز وورث ، زنجبـار ، ص ٢٢٢ - ٢٢٣ ،
Annual Report , 1921 , P. 10 .

(٣) هولنجز وورث ، زنجبـار ، ص ٢٢٤ .

استعمال الحروف اللاتينية بدلاً من العربية ، والتي كانت تكتب بها اللغة السواحلية منذ مئات السّنين .

وقد عارض المسلمون ذلك النظام وطالبوا تدريس العلوم باللغة العربية ، ويرجع هولنجر وروث سبب معارضة العرب إلى أنهم يرون في استعمال اللغة السواحلية هدراً لكرامتهم ، وحطاً لمنزلتهم ومساواتهم بالعبيد ، على اعتبار أن اللغة السواحلية لاتليق إلا بالعبيد(١) . وعندما وجد المسلمون أن المعارضة لاتُجدي ، قاطعوا التعليم الغربي الذي أخذ يشُق طريقه في هذه المنطقة ، على اعتبار أن هذه المدارس تُعدّ امتداداً للمدارس التنصيرية المسيحية ، وطالبوا أن يكون تدريس العلوم باللغة العربية بدلاً من السواحلية ، وأن تخصص السنة الأُولىٰ لدراسة اللغة العربية والقرآن(٢) .

وفي الحقيقة فإن السياسة التعليمية في ظل الاستعمار كانت بالفعل تشجّع الهيئات التنصيرية وتستهدف المسلمين ، لذلك كان لابد أن يكون رد الفعل في أوساط المسلمين الإصرار على مناهج التعليم الإسلامي التقليدية ، للحفاظ على هويّتهم وشخصيّتهم المسلمة وحماية أبنائهم من التنصير واللغة العربية من الضّياع .

كما إنه كان يسعد الإدارة الاستعمارية أن يُقاطع المسلمون التعليم الغربي ، لأن نشره بين السّكان المحليين والأهالي يقلل من نفوذ سيطرة المستعمر وزيادة الوعي بينهم ، فلقد كان يسعد الإدارة الاستعمارية أن يظل الجاهل على جهله(٣) .

---

(١) هولنجز وورث ، زنجبار ، ص ٢٢٤ .

(٢) حريز ، سيد حامد ، " المؤثرات العربية في شرق أفريقيا " ، مجلة كلية الآداب والدراسات العربية، ص ٢٤ - ٢٥ .

(٣) حريز ، سيد حامد ، " المؤثرات العربية في شرق أفريقيا " ، مجلة كلية الآداب والدراسات العربية ، ص ٢٥ .

ونتيجة لسيطرة الإنجليز على التعليم ، وإهمال اللغة العربية والسواحلية ، ازداد احتجاج العرب والسواحليين ونادوا بالتمسّك بالقرآن الكريم ، والتراث الإسلامي ، مما اضطر السّلطات البريطانية إلى إدخال تحفيظ القرآن الكريم وتعليم اللغة العربية في مناهج الدراسة في المدارس الحكومية ، هذا وبالإضافة إلى المدارس الحكومية كان المسلمون يرسلون أبناءهم إلى المساجد والمدارس الدّينية في المساء لمواصلة التعليم الديني(١) .

وفي زنجبار توجد الأكاديمية الإسلامية ، ومدّة الدراسة فيها خمس سنوات ، والمركز الرّئيسي لتلك الدراسة هو مسجد جوفو Gofu في زنجبار ، الذي يعتبر المكان الرّئيسي للدراسات العليا ، وقام بالتدريس فيه أكبر المشايخ في شرق أفريقيا ، منهم الشيخ أحمد بن سميط ، مفتي زنجبار السابق ، وبعض المشايخ من آل جمل الليل ، وهناك مركز إسلامي تعليمي كبير في لامو يسمىٰ رباط الرياضة الرّوحية ، حيث كانت تعقد الدروس فيه تحت إشراف سادة حضرموت من آل جمل الليل(٢) .

وكان للمسلمين الهنود دور كبير في إنشاء المدارس الإسلامية ، فكثر عدد المدارس الابتدائية والثانوية ومعاهد التدريب وإعداد المعلّمين ، كما شيّدت الجالية الإسماعيلية عدداً من المدارس ، أهمها تلك التي أنشأها أغاخان في ممباسا عام ١٣٦٤هـ/١٩٤٥م ، لنشر الإسلام بين الأفريقيين وبواسطة الدّعاة الذين عيّنهم أغاخان فزاد عدد المسلمين في داخل البر الأفريقي وكثرت المساجد والمدارس التي يُدرّس بها القرآن الكريم(٣) .

---

(١) الشيخ ، رأفت غُنيمي ، دور عُمان في بناء حضارة شرقي أفريقيا ، ص ١٩٤ .

(٢) ترمنجهام ، سبنسر ، الإسلام في شرق أفريقيا ، ص ١٦٣ .

(٣) المغيري ، جهينة الأخبار ، ص ٤٧٠ و ٤٧٢ ، ترمنجهام ، سبنسر ، الإسلام في شرق أفريقيا ، ص ٢٩٠ - ٢٩١ .

وشجّع التعليم الإسلامي تعليم المرأة . ففي الكُتّاب يتعلّم الذّكور مع الفتيات حتىٰ يبلُغن سن الرّشد ، فالنساء في زنجبار يجدن تلاوة القرآن الكريم ، وأداء الصلاة . وفي عام ١٣٢٩هـ/ ١٩١١م أُنشئت أول مدرسة للبنات في زنجبار(١) .

وبذلك يُلاحظ أن الدّين الإسلامي لم يمنع المرأة من التعليم ، بل شجّعها على ذلك ، وليس كما يتردّد في الكثير من المصادر الأجنبية بأن هُناك اضطهاداً أو حجراً على النّساء في المجتمعات الإسلامية .

ومن أمثلة هؤلاء الكُتّاب هولنجر ورورث الذي قال : « إن النسوة العربيات يعشن في عُزلةٍ تامة ونادراً مايُغادرن بيوتهن . . . » إلى أن يقول « وقلّما يعرفن القراءة أو الكتابة ، أما أعباؤهن المنزلية فكانت خفيفة جداً حتى أنهن كنّ يحاولن القضاء على الملل في حياتهن الدّاخلية بقضاء أوقاتهن في تنظيم خزائــن ثيابهن والتّلهي بلعب الأطفال والدّمي الميكانيكية وغيرها ، وكان إدخال شيء من التعليـــم الأوّلـي يثيــر مباهج لهن ، إلا أن غالبية الرّجال كانوا يُصرّون في عناد على معارضة هذه الآراء »(٢) .

ومن المظاهر الحضارية التي ساعدت على النّهضة العلمية في زنجبار وشرق أفريقية تأسيس مطبعة عربية ، لطبع الكُتب الدّينية والأدبية وسائر العلوم في عهد السيد برغش (١٢٨٧هـ - ١٣٠٦هـ / ١٨٧٠م - ١٨٨٨م)(٣) .

وقد ساعد على نشر التوعية والثقافة الإسلامية ، ظهور الصحافة لأول مـرّة في شرق

---

(١) المغيري ، جهينة الأخبار ، ص ٤٣٧ ، ترمنجهام ، سبنسر ، الإسلام في شرق أفريقيا ، ص ١٦٠ ، و ٢٣٣ .

(٢) هولنجز وورث ، زنجبـــار ، ص ٢٢٦ .

(٣) المغيري ، جهينة الأخبار ، ص ٣٣٧ ،

Martin , B. G. , " Notes on some member " , The International Journal Of African Historical Studies , P. 535 .

أفريقيا وزنجبار ، وسُمّيت حزب الإصلاح(١) . كما أنه كانت هناك مشكلة كبيرة في تأمين طباعة الوثائق الرّسمية ، مثل أوامر السّلطان والبلاغـات والاعلانات الرّسمية . . الخ . وكعادة متّبعة ، فإن السّلاطين المتعاقبين قد اكتفوا بتعليق تعاميمهم على أبواب ومصلحة الجمارك ، وقد أصبح من الضّروري تغيير هذه الطّريقة البدائية في الإعلان ، ففي أوّل فبراير ١٨٩٢م ظهرت صحيفة زنجبار وشرق أفريقية The Gazetta For Zanzibar and East Africa ، وهي أول صحيفة أُسبوعية تصدر في شرق أفريقيا ، وكانت شركة فوروود اخوان Forwood Brothers ، هي التي تولّت نشرها . ثم تعهّدت الشركة بأن تتخذها وسيلة رسمية للإعلانات التي تصدر من هذه الوكالة ، أو من حكومة زنجبار ، وللاعلانات الأخرىٰ ، كالتعاميم الرّسمية والمسائل التجارية(٢) .

ونتيجة لذلك ازدهر التعليم الإسلامي في السلطنة الزّنجبارية ، والذي قام العرب فيه بدور كبير ، إذ تم تعليم الكثير من الأفارقة على أيدي هؤلاء العلماء المسلمين ، ولذا نجد أن المؤثّرات الثقافية العربية الإسلامية تنتشر في هذه المنطقة عن طريق العلماء المسلمين ، والتي كان لها نتائج إيجابية أهمها محو الأُمّيـة ، وربط المجموعات الأفريقية المختلفة ببعضها البعض ، ثم مهّدت الطريق لارتباط هذه المجموعات بالعالم العربي والإسلامي ، ومن نتائج ذلك أيضاً أن المجموعات الأفريقية المسلمة أصبحت تعبّر عن رغبتها في الانتماء والارتباط بالعنصر العربي(٣) .

---

(١) المغيري ، جهينة الأخبـار ، ص ٤٢٢ .

(٢) انظر الملحق رقم (٥) ص ٤٤٧ .

F. O. 84/2229 , No. 11 , From Partal To Salisbury , dated 27,1,1892 .

(٣) حريز ، سيد حامد ، المؤثّرات العربية في الثقافة السواحلية ، ص ٥٨ .

دور العلماء في تركيز دعائم الدّعوة الإسلامية في شرق أفريقيا :

لقد كان للعلماء المسلمين الذين استقرّوا في شرق أفريقيا دور كبير في نشر الوعي والثقافة الإسلامية ، فقد كانوا على اختلاف طبقاتهم وطوائفهم دعاة للإسلام بين الأفارقة ، لتمسّكهم بالدّين الإسلامي ومبادىء الخّلق القويم ، فكانت حياتهم نموذجاً حيّاً يتجسّد فيه الإسلام بعظمة مبادئه وسمو أخلاقه ، مما كان له أكبر الأثر في جذب الأفارقة إلى الإسلام ، لإعجابهم الشديد به وبالعلماء الذين يقومون بنشره .

وقد كان العلماء في زنجبار يمثّلون القوّة التي تدير المجالات الحيوية في جميع أنحاء زنجبار وشرق أفريقيا فمنهم القضاة الذين يطبّقون أحكام الشرع ، ومنهم الذين يقومون بمهام التربية والتعليم والإشراف على شؤونه(١) .

وللعلماء المسلمين نشاط علمي واسع منذ زمنٍ بعيدٍ في زنجبار وسواحل شرقي أفريقيا ، فقد تتابع هؤلاء العلماء ، وساهموا بنشر تعاليم الإسلام في مختلف البِقاع ، كما نشروا الكُتب ، وأسسوا المساجد والمدارس أينما حلّوا .

وقد شجّع السّلاطين العُمانيون العلماء وقرّبوهم منهم ، فكانوا يسندون إليهم المناصب العليا في الدولة ، ويستشيرونهم في الأمور كلّها .

ومن أبرز وأشهر العلماء الذين ذكرت أسماؤهم في المصادر والمراجع الأجنبية والعربية الشيخ محي الدين ابن الشيخ القحطاني ١٢٠٥-١٢٨٦هـ/١٧٦٩-١٨٥٠م وهو من القُضاة المشهورين في عهد السيد سعيد وابنه السيد ماجد ، وقد أنشأ مدارس للتعليم في زنجبار

---

(١) Martin , B. G. , " Notes on some members of the learned classes of Zanzibar and East Africa in The nineteenth century ", The International Journal Of African Historical Studies , P. 530 .

ويمبا ، كذلك قام ببناء مسجد الجمعة الكبير في ماليندي ، وكان السيد سعيد يسند إليه القيام بالمهام الخاصة نيابةً عنه لثقته به ، وقد أكرّمه كثيراً ومن بعده ابنه السيد ماجد وجميع الناس في كل أنحاء شرقي أفريقيا . وله عدّة كُتب في الشّعر والأدب باللغة العربية والسواحلية ، كذلك له عدّة كتب في التوحيد والتفسير منها منهاج الطالبيين وأهم كتبه في علم الصرف كانت باللغة العربية وقد قام بتدريسها في ساحة الكعبة في مكّة المكرّمة . وأشهر كتبه في التاريخ كتاب تاريخ كلوه(١) .

ومن العلماء المشهورين أيضاً في زنجبار وشرق أفريقيا ، الشيخ على بن خميس بن سالم البرواني ١٢٦٩ - ١٣٠٤هـ / ١٨٥٢ - ١٨٨٦م ، كان من أشهر العلماء الأباضية ، ثم تحوّل إلى المذهب الشّافعي ، له عدّة كّتب في العلوم الدينية والأدب وقواعد اللغة العربية(٢) .

ومنهم أيضاً الشيخ عبدالعزيز بن عبدالغني الأموي ١٢٤٨-١٣١٤هـ/١٨٣٣-١٨٩٦م ، ولد في براوا في الصّومال ، وتعلّم على يد نخبة من العلماء ، ثم ذهب إلى زنجبار ودرس على يد الشيخ محي الدين، ولذكائه عيّنه السيد سعيد قاضياً في كلوه، وكان عمره ثمانية عشر عاماً فقط، ثم انتقل إلى زنجبار. وقد قرّبه إليه السيد خليفة ١٣٠٥-١٣٠٧هـ/١٨٨٨-١٨٩١م، وكان بمثابة مستشاره الخاص، حتىٰ قيل أنه استطاع تحويل السيد خليفه إلى المذهب الشافعي . وللشيخ عبدالعزيز العديد من الكتب في

---

(١) الفارسي ، عبدالله ، البوسعيديون ، ص ٧٥ - ٧٦ .
Martin , B. G. , " Notes on some members of the learned class " , The International Journal Of AfdÏHHù Historical Studies , PP. 530 -534 .

(٢) Martin , B. G. , " Notes on some members of the learned class " ,The International Journal Of African Historical Studies , PP. 534 - 535 .

التوحيد والفقه والطّب ، وفي الشّعـر ، أهمها عقد اللؤلـؤ . ولـه أيضاً بعض الكتب عن اللغة السواحلية أهمها كتاب اللغة السواحليــة في زنجبار ، كما طلب السيد حمد بن ثوينـي ١٣١٠ - ١٣١٤هـ / ١٨٩٣ - ١٨٩٦م منه أن يكتب تاريخ زنجبار منذ قيام أُسرة آل بوسعيد حتىٰ زمانه ، وعندما أنجزه الشيخ عبدالعزيز ، قدّم له السيد ثويني وساماً من الطّبقة الثالثـة في ٢٧ شعبان ١٣١١هـ / ٧ مارس ١٨٩٤م ، ومع الأسف لم تطبع هذه الكتب السابقة ، كذلك لايعرف مصير كتاب التاريخ ، وكان هذا الشيخ يتمتّع باحترام ومحبة الجميع ، وكانت دروسه تُعقد في بيتـه ، أو في مسجد الجمعة ويحضرها الكثير من الناس(١) .

ومن أهم من هاجر من الحضارم إلى زنجبار ، السيد أبوبكر بن عبدالله بن سميط الذي تزوّج من أكرم العائلات فيها ، ورزق بولده العلاّمة الشيخ أحمد بن أبي بكر بن عبدالله بن سميط عام ١٢٧٧-١٣٤٣هـ / ١٨٦١-١٩٢٥م(٢) ، وتتلمذ على يده الكثير من العلماء في حضرموت وزنجبار ، وتولّىٰ القضاء عام ١٣٠٣هـ / ١٨٨٦م ، واشتهر في شرق أفريقيا وذاع صيته وعلمه حتىٰ عُرف بالحجاز ومصـر ، وقام برحلاتٍ عديدة للتدريس في أماكن متفرقّة ، وبجانب مؤلّفاته في العلوم الدّينية مثل شرح صفة الصلاة ، وله كتب في الأدب والتاريـخ مثل المطالب السُنّيـة ومنهل الوارد من فيض الامداد والكوكب الزّاهر ومنهل الفضائل ومعراج الأفاضل وبالإضافة لعلمه كان يتحلّىٰ بالأخلاق

---

(١) الفارسي ، عبدالله ، البوسعيديون ، ص ٧٧ - ٧٩ .

Martin, B. G., " Notes on some members of the learned class ", The International Journal Of African Historical Studies, PP. 537 - 538.

(٢) المغيـري ، جهينة الأخبار ، ص ٥٢٧ و ٣٣٢ ، الفارسي ، عبدالله ، البوسعيديون ، ص ٧٨ .

الكريمة وسعة الصّدر ، توفّيَ في زنجبار ، ودُفن بجانب المسجد الجامع بمدينة ماليندي(١) .

ومن العلماء الذين ساروا على نهج الشيخ أحمد بن سميط ابنه العلامة الكبير السيد عمر بن أحمد بن أبي بكر عبدالله بن سميط ، ولد في باسنده مروني عاصمة جُزر القمر في سنة ١٣٠٣هـ / ١٨٨٦م ، درس العلوم عامةً والعلوم الدينية خاصة على يد والده وكبار العلماء في حضرموت وجُزر القمر ، وقام بعدّة رحلات إلى حضرموت ، ثم إلى جزيرة مدغشقر للدّعوة إلى الله وإرشاد العباد ، وله عدّة مؤلّفات قيّمة منها هدية الأخوان بشرح عقيدة الإيمان والنّفحة الشّذية في الدّيار الحضرمية(٢) .

والشيخ عبدالله بن محمد بن سالم باكثير الكندي من أشهر العلماء ، اشتهر باستقامته وزُهده وورعه وتقواه وسيرته الصّالحة ، ولد بمدينة لامو على الساحل الشرقي لأفريقيا في ١٢٧٦هـ/١٨٦٤م. ومنذ نعومة أظافره كان يميل إلى العلوم الدينية والثقافة الإسلامي، وكان يختلط بالعلماء والمثقّفين ، وعندما بلغ العشرين من العمر ذهب إلى

---

(١) المشهور ، عبدالرحمن بن محمد بن حسين ، شمس الظهيرة ، ص ٥٧٩ - ٥٨٠ ، تحقيق محمد ضياء شهاب ، جدة ، ١٤٠٤هـ / ١٩٨٤م ،

Martin , B. G. , " Notes on some members " ,The International Journal Of African Historical Studies, PP. 541 - 544 .

باكثير ، عبدالله بن محمد بن سالم ، رحلة الأشواق القوية إلى مواطن السادة العلوية ، ص ١٥٦ - ١٦٠ ، تحقيق السيد عبدالله بن محمد حامد بن عُمر السقاف ، القاهرة ، ١٣٥٨هـ .

(٢) الهدار ، هادي بن أحمد ، " السيد عمر بن سميط " ، مجلة المنهل ، العدد رقم (١) ، ص ٧٥ - ٧٦ ، الرياض ، محرّم ١٣٩٥هـ / فبراير ١٩٧٥م .

الحرمين الشريفين واستقر في مكّة عدّة سنوات ، درس فيها العلوم الدّينية ، ثم عاد إلى لامو . كما قام الشيخ عبدالله بعدّة رحلات علمية إلى مناطق متفرّقة في أفريقيا لنشر الدّين الإسلامي بين ربوعها ، وإصلاح النّاس وإرشادهم إلى الطريق السليم . ثم رحل إلى حضرموت عام ١٣١٤هـ / ١٨٩٧م ، وكان من نتائج رحلته هذه كتابه رحلة الأشواق القوية إلى مواطن السادة العلوية . تتلمذ على يد أكبر وأجل العلماء في الحجاز منهم ، مفتي مكّة الشيخ محمد سعيد بابصيل ، والعلاّمة عمر بن أبي بكر باجنيد . وفي حضرموت سار على منهاج العلامة السيد عبدالرّحمن بن محمد المشهور ، وغيره من مشاهير العلماء في حضرموت ، وفي لامو في السواحل الأفريقية تتلمذ على يد أبرز شيوخه العلامة السيد أبو بكر الشهير بمنصب بن عبدالرحمن ، والعلامة السيد صالح بن علوي بن عبدالله جمل الليل ، والعلامة السيد أحمد بن أبي بكر بن عبدالله بن سميط ، وغيره من أجل علماء شرقي أفريقيا ، وقد أسهم الشيخ عبدالله في نشر الوعي والثقافة الإسلامية تدريساً وتأليفاً ، وتتلمذ على يديه أكبر عُلماء زنجبار منهم ، مفتي زنجبار وقاضيها السيد عُمر بن أحمد بن أبي بكر ابن سميط وإبنه الشيخ أبوبكر ، والعلامة الشيخ سليمان بن علي بن خميس المزروعي وغيرهم من العلماء المشهورين في زنجبار وشرقي أفريقيا .

أما عن حياته العلمية فكانت زاخرة بالانتفاع والفائدة ونشر المبادىء والقيم الإسلامية ، وقد قام ببناء مدرسة خاصة في زنجبار تحمل اسمه لتعليم القرآن الكريم والعلوم الدّينية . توفي عام ١٣٤٣هـ / ١٩٢٥م(١) .

---

(١) باكثير ، عبدالله ، رحلة الأشواق القوية ، ص ١ - ٤ .

Martin, B. G., " Notes on some members ", The International Journal Of African Historical Studies, PP. 539 - 541.

وهناك الشيخ محمد بن أحمد باقشمر(*) ، ولد في الجزيرة العربية عام ١٢٣٢هـ/١٨١٧م ، وقد أعجب السيد سعيد بكفاءته فعيّنه سكرتيراً خاصاً له في زنجبار ، وفي عهد السيد ماجد عُين وزيراً لخزانة الدّولة ، لمعرفته بالشّئون المالية ، وفي عهد السيد برغش عُين مستشاراً لجميع شئون الحُكم ، وعندما تولّىٰ الحُكم السيد خليفة كان يستشيره في كل الأمور ، ولم يكن خبيراً بالسياسة فقط ، بل كان له معرفة كبيرة بالعلوم الدّينية ، وكان صالحاً تقيّاً ، حارب البِدع الدّينية ، وأمر بتركها وحثّ على التمسّك بالتعاليم الإسلامية الحنيفة ، كما حدد مواقيت الصّلاة لمعرفته بعلم الفلك ، ومات عن عمرٍ يناهز الأربعة والتّسعين عاماً في ذي القعدة ١٣٢٦هـ / ديسمبر ١٩٠٨م(١) .

ومن العلماء الذين كان لهم أيضاً دور كبير في زنجبار وشرقي أفريقيا ، الشيخ سعيد بن علي بن جمعه بن سعيد بن علي بن مسعود المغيري ، ولد في عمان عام ١٣٠٠هـ / ١٨٨٣م ، وتربّىٰ في رعاية جدّه العلامة جمعه بن سعيد بن علي المغيري ، قام الشيخ بعدّة رحلات إلى مكّة والمدينة وبيت المقدس . وفي سنة ١٣٥١هـ / ١٩٣٤م عُيّن عضواً بالمجلس التشريعي في زنجبار وحصل على وسام الكوكب الدّرّي من الدّرجة الثانية ، كما نال عدّة أوسمة غيره . وكان الشيخ سعيد يحب عمل الخير ويحرص عليه ، ومن هذه الأعمال بناء مسجد في بلدة ويته Wittea في الجزيرة الخضراء بمبا وإقامة مدرسة دينية بجانب المسجد كما ساعد في بناء المدرسة السعيدية في ويته وقد ساهم

---

(١) الفارسي ، عبدالله ، البوسعيديون ، ص ٦٨ - ٧٠ .

(*)ذكر الشيخ الفارسي ، البوسعيديون ، أن الشيخ باقشمر ولد في الجزيرة العربية ، ومن اسمه يرجّح أن يكون من حضرموت .

في بنائها كل الطّوائف الإسلامية . ومن أعماله الخيّرة أيضاً بناء مدرسة إسلامية في كفوندي من أعمال ويته ، وقد أوقف الشيخ سعيد ألف شجرة قرنفل للصرف على هذه المدرسة ، كما أوقف بيوته لوجه الله تعالىٰ على أن ينفق دخلها لإفطار الصّائمين ، وإكرام الفقراء في عيدي الفطر والأضحىٰ ، كذلك يصرف من دخلها للتعليم الإسلامي في المدرسة التي بنيت بجانب مسجد ويته(١) .

ومن العلماء القادمين من جُزر القمر ، الشيخ فاضل بن علي بن حسن القمري ، والشيخ أحمد بن محمد ملمري ، الذي كان يعقد حلقاته الدراسية أمام منزله ، وفي مسجد شنفاني ، وفي المدارس القريبة من المساجد ، وأسس الشيخ أحمد مع أخوانه مدرسة القمر والجمعية القمرية في عام ١٣٥٨هـ/١٩٤٠م ، والتي كان لها دورها في إبطال العادات السيّئة التي كان النّاس يتمسّكون بها ، إضافةً إلى تعليم اللغتين العربية والإنجليزية ، كما ساعدت الجمعية في تنظيم أوقاف القمريين في زنجبار ، وكان هناك عُلماء أفاضل من القمريين أيضاً درّسوا القرآن الكريم في جميع أنحاء زنجبار وشرقي أفريقيا(٢) ، منهم العلاّمة السيد عبدالرّحمن بن أحمد بن جمل الليل ، والعلامة السيد حسن بن محمد جمل الليل ، وهم من العلماء المشهورين منذ عهدٍ بعيد في زنجبار والسواحل الشرقية الأفريقية ، وقد ساهموا في نشر تعاليم الإسلام في مختلف المناطق باللغتين العربية والسواحلية . قاموا بالتدريس في مسجد غوف وأسسوا المساجد في كل جُزء ومنطقة وصلوا إليها .

---

(١) المغيري ، جهينة الأخبار ، ص ٢٤ - ٢٦ .

(٢) المغيري ، جهينة الأخبار ، ص ٥٢٧ - ٥٢٩ .

وقد سار على نهجهم آل السقاف وآل العمودي وآل الشاطري وآل اللمكي(١) .
وهكذا فإن بعض العلماء برزوا في زنجبار وشرق أفريقيا ونشروا نشاطهم وعلومهم ، وتركوا الكثير من المؤلّفات والمخطوطات التي لم تحقق ، ولم يُنشر منها سوى القليل .

---

(١) المشهور ، عبدالرّحمن ، شمس الظهيرة ، ص ٤٩٢ .

الفصل الثالث

الثقافــــة السواحليـــــــة

- اللغة السواحلية .
- أثر الإسلام واللغة العربية في إنماء اللغة السواحلية وتطويرها .
- أثر الإسلام والثقافة الإسلامية في شرق أفريقيا وزنجبار .

الثقافـــة السواحليـــة

اللغـة السواحليـة :

ومما لاشك فيه أن الثقافـة السواحليـة هي ثقافة أفريقية عربية نشأت في جوٍ إسلامي ، فسارت على منهجه وهداه .

وقد بدأت الثقافة السواحلية في المناطق الساحلية والجُزر القريبة من الساحل ، وانعكست في العقيدة والعادات والتقاليد والأسماء والملبس والأزياء والمعمار والأدب والفنون وفي اللغة بصفةٍ خاصة(١) .

ومن الصّعب تحديد الزّمان والمكان الذي نشأت فيه اللغة السواحلية بشكلٍ دقيقٍ ومحدّد ، إلا أن بعض الباحثين يحدّدون ظهورها في حوالي القرن السابع الميلادي ، ومن أمثلة هؤلاء رويش Reush ، وهو أحد المتخصصين في اللغة السواحلية وتاريخها ، الذي يرجع تاريخ ظهورها إلى الفترة مابين القرن السابع والقرن الثامن الميلادي ، وفي المنطقة مابين ممباسا ومقديشو(٢) .

وتحدّد بعض المراجع العربية ظهور اللغـة السواحليـة بعد القـرن العاشـر الميـلادي ، ومن أمثلـة ذلك الإدريسي (١١٠٠ - ١١١٦) الذي تحدث عن جزيـرة زنجبـار مستعمـلاً اسمها السواحلي انغوجا Unguja وذكر بعض أنواع الموز الموجود في الجزيرة مستعملاً أسمائها السواحلية . وفي القرن الرّابع عشر الميلادي ذكر ابن بطوطـة أنه عندما زار كلوه Kilwa وجد من بين الشعـــراء المحلّييـــن من يكتبون وينظّمـون الشِعـــر

---

(١) حريز ، سيد حامد ، المؤثرات العربية في الثقافة السواحلية ، ص ٤٣ .

(٢) حريز سيد حامد ، المؤثرات العربية في الثقافة السواحلية ، ص ٧٣ .

باللغة السواحلية(*) ، كذلك كان يستعمل سكان جُزر القمر لغة شبيهة باللغة السواحلية في القرن الثامن عشر الميلادي ، وفي نهاية القرن الخامس عشر ومطلع القرن السادس عشر كانت اللغة السواحلية قد انتشرت حتى مقديشو في شمال الساحل الشرقي ، وفي القرن الثامن عشر انتشرت اللغة السواحلية بشكلٍ واسع في الساحل الأفريقي وداخل القارة(١) .

كما تُشير المصادر إلى أن أول نصٍ مطوّل باللغة السواحلية كُتب في مدينة باتا Pate في عام ١٧٢٨م ، وهو أوّل نص أدبي معروف في اللغة السواحلية وسمي يوتندي واتامبوكا The Utendi wa Tambuka(٢) .

ومنذ تلك الفترة بدأت القصائد السواحلية تنظّم بشكلٍ مطوّل ، ومن أشهرها الهمزية للشاعر السواحلي عيدروس بن عثمان بن علي ، والانكشاف للسيد عبدالله بن علي بن ناصر ، فهذه القصائد تعد بمثابة نصوص لغوية ووثائق مهمّة ، وتوضّح خصائص اللغة السواحلية في تلك الفترة . فمثلاً القصيدة الهمزية(٣) تعتبر

---

(١) حريز ، سيد حامد ، المؤثرات العربيــة في الثقافــة السواحلية ، ص ٧٢-٧٣ ، حريز ، سيد حامد : " المؤثرات العربية في شرق أفريقيا " ، مجلة كلية الآداب، ص ص ٣٧-٣٨ .

(٢) Davidson , Basil , The Growth of African Civilisation , P. 144 , London , 1967 .

(٣) حريز ، سيد حامد ، المؤثرا العربية في الثقافة السواحلية ، ص ٧٣ .

(*)هذه المعلومة تُدحض بعض آراء الكُتّاب الغربيين الذين يركّزون على أن الأدب المكتوب في شرق أفريقيا كان باللغة العربية فقط ، حتى يوقدوا نار العداء بين العرب والأفارقة ، لأنهم يظهرون بأن الشعب الأفريقي لا أدب ولا ثقافة لديه ، إلا بعد ظهور الثقافة واللغة العربية ، الباحثة .

مصدراً هاماً لدراسة الكنقوزي Kingozi ، وهي اللغة الكلاسيكية أو الفصحىٰ للغة السّواحلية ، ولم يبق من هذه النماذج إلا القليل الذي حفظ عن طريق الشعر . وهذه القصائد تعطي صورة أصيلة للّغة السواحلية قبل تعرّضها للمؤثّرات الخارجية(١) .

وقد انتشرت اللغة السواحلية بشكلٍ واسع خلال القرن التّاسع عشر ومطلع القرن العشرين نتيجة ازدياد الحركة التجارية ، إذ حملت القوافل العربية الإسلامية اللغة السّواحلية معها إلى داخل القارة الأفريقية .

وقد كثرت الآراء حول مصدر اللغة السّواحلية ، ومدىٰ تأثير اللغة العربية فيها ، ويلخّص الأستاذ هـ . م . باتيبو هذه الآراء فيمايلي :

١ - قد تكون اللغة السواحلية نابعة من اللغة العربية في أبسط أشكالها ، حيث أخذت في التطوّر عندما اختلط الرّحالة والتجّار العرب الأوائل بالأهالي ساكني الساحل الشرقي من أفريقيا .

٢ - والبعض يرىٰ أن اللغة السواحلية هي مزيج من عدّة لغات أفريقية بانتوية الأصل ، تطوّرت فأصبحت اللغة المشتركة ، التي سارت عليها الاتّصالات والمعاملات التجارية بين العرب والأفارقة في المدن الساحلية مثل لامو وممباسا وزنجبار .

٣ - وهناك من يُرجع تطور اللغة السواحلية إلى عهد الرّق ، خاصةً عندما تصاهر العرب مع الأصول الأفريقية المختلطة ، فامتزجت اللغة العربية باللهجات المحلّية من لغة البانتو .

٤ - ثم هناك من يدعي أن اللغة السواحلية ، هي لغة بانتوية أفريقية كانت تستعمل في

---

(١) حريز ، سيد حامد ، المؤثرات العربية في الثقافة السواحلية ، ص ٧٤ ،
Ingrams , W. H. , Zanzibar , P. 332 .

منخفضات وادي السباكي بكينيا ، ثم انتقلت عن طريق التّجّار إلى مناطق أُخرىٰ بالساحل الشرقي لأفريقيا .

٥ - ومن العلماء من يؤكّد أن اللغة السواحلية هي مجموعة من لغات أفريقية بانتوية لها صِلات مشتركة على امتداد الساحل الشرقي ، وقد اشتد ارتباط وتداخل هذه اللغات فيما بينها نتيجة لكثرة الاتّصالات التجارية والثقافية ، يضاف إلى ذلك أنها تبنّت قسطاً وافراً من المصطلحات الثقافية والدّينية والاجتماعية العربية وغير العربية(١) .

هذه النظريات السابقة تجمع على أن نشوء اللغة السواحلية وتطوّرها حصل نتيجة الاتّصالات القائمة بين الأفارقة السّاكنين في المناطق الساحلية لشرقي أفريقيا ، وبين التجار والرّحالة العرب وغيرهم .

فاللغة السواحلية ، هي لغة بانتوية(*) متأثّرة بالثقافة العربية الإسلامية ، وتنحدر من أصلٍ لغوي عريق ، سهلة التركيب ، وتحتوي على كثيرٍ من المفردات العربية ، خاصةً

---

(١) باتيبو Batibo ، هـ . م . ، " إسهام اللغة العربية في إنماء اللغة السواحلية وتطويرها " ، مجلّة الإسلام اليوم ، العدد ٢ ، ص ٤٠ - ٤١ ، الرّباط ، ١٤٠٤هـ / ١٩٨٤م .

(*)يعرف باتيبو اللغة البانتوية الأصلية بأنها كانت قد انتشرت قبل ٢٠٠٠سنة ، عندما تسرّبت إليها من الحدود الكاميرونية النيجيرية ، وغطّت الجُزء الأكبر من المنطقة الأفريقية الواقعة جنوب خط الاستواء ، ويقدر عدد اللغات البانتوية المشتقّة منها بثلاثمائة وخمسين لغة ، باتيبو ، إسهام اللغة العربية ، مجلة الإسلام اليوم ، ص ٤١ .

الألفاظ المستعملة في الشّئون التجارية(١) ، ثم تليها اللغة الإنجليزية والفارسية والتركية والهندية فالبرتغالية (٢) .

ويوضّح السيد حريز :

« ليس هناك شيء واحد اسمه اللغة السواحلية ، غير أننا نجد عدّة لهجات تعرف بأسماء متعدّدة ، وتنتشر في أماكن مختلفة في المنطقة السواحلية . هذه اللهجات تكوّن في مجموعها الدّائرة الاجتماعية للغة السواحلية في صيغها المختلفة ، التي نجدها في المخاطبة اليومية وفي الحياة العامة »(٣) .

ومن الصّعب تحديد عدد وأسماء اللهجات السواحلية ، فبينما يرى الباحث الأفريقي شهاب الدّين شراغ ، أن هناك تسع عشرة لهجة ، فإن الأستاذ البريطاني وايتلي Whiteley يبيّن أنها إثنتى عشرة لهجة فقط(٣) تختلف فيما بينها . وهذه اللهجات يمكن تقسيمها إلى مجموعات كالآتي :

١ - مجموعة لهجات الشمال : وهي تمتد في الصّومال الجنوبي إلى المنطقة الشمالية في كينيا . حيث تقع مدينة لامو وباتا .

---

(١) باتيبو ، هـ . م . ، " إسهام اللغة العربية في إنماء اللغة السواحلية وتطويرها " مجلة الإسلام اليوم، ص ٤١ ،

Clayton , Anthony , The Zanzibar Revolution In Its Aftermath , P. 1 , London , 1981 ,
Nurse , Derek and spear , Thomas , The Swahili , PP. 3 - 4 , Philadelphia , 1985 ,
Stigand , C. H. , Agrammer of Dialect Changes in The Ki-Swahili Language , PP. 1 - 2 , Cambridge , 1915 .

(٢) حريز ، سيد حامد ، المؤثرات العربية في الثقافة السواحلية ، ص ٨٠ .

(٣) حريز ، سيد حامد ، المؤثرات العربية في الثقافة السواحلية ، ص ٧٨ .

(٤) حريز ، سيد حامد ، المؤثرات العربية في الثقافة السواحلية ، ص ص ٧٨-٧٩ .

٢ - مجموعة لهجات الوسط : وتمتد من جنوب منطقة لهجات الشمال في كينيا ، حتى شمال تنزانيا والدّول المجاورة لها ، أهمها بمبا وزنجبار .

٣ - مجموعة لهجات الجنوب : وتمتد من جنوب باجامويو Bagamayo من تنزانيا إلى الأجزاء الشّمالية في موزمبيق ، وتشمل جزيرة مافيا ومدينة زنجبار وممباسا وماحولها .

٤ - مجموعة لهجات جُزر القمر : وتنتشر في جُزر القمر .

٥ - ثم هناك مجموعة من اللهجات تنتشر في المناطق الداخلية من شمال كينيا وتنزانيا وشرق الكونغو ، وفي عدّة مناطق حول البحيرات العُظمى .

وهذه اللهجات تشترك في بعض الخصائص النّحوية رغم اختلافها ، وتعتبر لهجة زنجبار أفصح وأسهل اللهجات المستعملة(١) .

ويوضّح باتيبو أهمية اللغة السواحلية بقوله :

« تُعد اللغة السواحلية من أهم اللغات المستعملة في أفريقيا ، حيث تحتل المكانة الثانية بعد اللغة العربية من حيث انتشارها وعدد النّاطقين بها . إنها اللغة القومية في جمهورية تنزانيا الاتّحادية ، واللغة الرّسمية في جمهورية كينيا . كما تستعمل في نطاق واسع في الجنوب الصّومالي وأُوغندا ، وفي المناطق الحضرية بروانِدا وبروندي ، وكذلك في شرقي زائير وشمال الموزمبيق وجُزر القمر . . . ، ويقدر عدد النّاطقين بها على اختلاف مستوياتهم بأربعين مليون نسمة . وتدرس لغة السواحلي في الجامعات ومعاهد اللغات في أفريقيا وأُوروبا ، وأمريكا ، وآسيا ، كما تُذاع برامج دولية بالسواحلي في عدّة محطّات إذاعية ، وهي اللغة الوحيدة للقارة السّمراء التي اتّخذتها منظّمة اليونسكو كلغة عمل في نشراتها »(٢) .

---

(١) محمد ، عبدالله بخيت ، دراسات في الأدب السواحلي ، ص ١٠٤ - ١٠٥ ، محمد ، عبدالله بخيت ، مصطلحات سواحلية ، ص ٤ ،
ولمعرفة المزيد عن أسماء وأماكن اللهجات السواحلية ، أنظر : حريز ، السيد حامد ، المؤثرات العربية في الثقافة السواحلية ، ص ٧٩ ، Ingrams, W. H., Zanzibar, PP. 333 - 335.

(٢) باتيبو ، هـ . م ، " إسهام اللغة العربية في إنماء اللغة السواحلية وتطويرها " مجلة الإسلام اليوم ، ص ٣٩ .

أثر الإسلام واللغة العربية في إنماء اللغة السواحلية وتطويرها :

لعبت اللغة العربية دوراً هاماً في حياة النّاس في شرق أفريقيا منذ قرونٍ عديدة ، وكان للعرب الدّور الرئيسي في نشر تعاليم الإسلام واللغة العربية ، لاختلاط التجّار والمهاجرين العرب بالأفريقيين ومصاهرتهم . وبمرور الزّمن وباستمرار عمليات التعامل والهجرة ، نشأت لغة جديدة أفريقية في بنائها ، ولكنها متأثرة تأثيراً كبيراً بالعربية في مفرداتها .

فاللغة العربية هي لغة الثقافة في أفريقيا ، وقد دخلت في تفاعلات مختلفة مع اللغات المحلّية ، وتولّدت منها لغات إسلامية وأفروعربية ، ارتبطت باللغة العربية ارتباطاً وثيقاً من حيث تكوينها وتطويرها ، وغدت ذات ثقافة مميّزة المعالم حملت على عاتقها مسئولية نشر الثقافة العربية والإسلامية(١) .

ويوضّح باتيبو مساهمة وتأثير اللغة العربية والإسلام في إنماء وتطوّر اللغة السواحلية في عدّة مجالات أهمها الآتي :

١ - المفردات :

لقد اختلفت الآراء في نسبة المفردات العربية في اللغة السواحلية ، وهي تتفاوت بين إنكار المنكرين ومبالغة المبالغين ، فنجد أحد أبناء السّواحليين المتخصصين باللغة السواحلية يذكر أن نسبة المفردات العربية ٢٢،٠٩٪ في اللغة السواحلية(٢) . بينما نجد رويش Reusch وهو أحد المتخصصين أيضاً في اللغة السواحلية وتاريخها ، ويقدّر هذه

---

(١) حريز ، سيد حامد ، " المؤثرات العربية في شرق أفريقيا "، مجلة كلية الآداب ، ص ٣٧ .

(٢) حريز ، سيد حامد ، " المؤثرات العربية في شرق أفريقيا " ، مجلة كلية الآداب ، ص ص ٤٠ - ٤١ .

المفـردات بين الربع إلى النصف(١) . ويحدد باتيبو هذه النسبة بـ ٣٥٪ من مجموع مفردات اللغة السواحلية(٢) .

وقد أثبت الباحثون في هذا المجال قوّة المؤثرات العربية في اللغة السواحلية ، وقد تبيّن أن أكثر المفردات العربية التي أدخلت في تلك اللغة كانت ترتبط بالجوانب الآتيـة :

- الدين :

لقد استأثرت شعائر الدين الإسلامي ومصطلحاته الجُزء الأعظم والأكثر من المفردات العربية التي دخلت في تركيب اللغة السواحلية ، إذ نقلت الجماعات المهاجرة إلى الساحل الشرقي من القارة الأفريقية صوراً من الحضارة الإسلامية ، أهمها مجموعة الألفاظ التي لها وظيفتها في أداء الفرائض الدينية . وبذلك ظهرت في اللغة السواحليـة مفـردات مثل ديني دين ، صـالا صـلاة ، إماني إيمان ، عبودو عبادة ، زاكا زكاة ، توبا توبة ، رحومو رحمة . إضافةً إلى التوقيت للصلاة ، وبعض أيام الأُسبوع والأشهر . مثل الفاجيري الفجر ، الظهوري الظهر ، العاصري العصر . . . إلخ . كذلك بالنسبة لأيام الأُسبوع مثل أجومعا الجمعة ، الخميسي الخميس . والأشهر مثل رمظاني رمضان . ويتّضح من هذه الأمثلة أن النّطق قد تغيّر ليتمشّىٰ مع النّطق المميز للغـات البانتوية .

- الأُسرة والحياة المنزليـة :

تكثر المفردات العربية في الشئون المنزلية والحياة العائلية . فتوجد العديـد من

---

(١) Reusch, R., History of East Africa, P. 216.

(٢) باتيبو ، هـ . م . ، " إسهام اللغة العربيـة " ، مجلة الإسلام اليوم ، ص ٤٢ .

الألفاظ ذات الأصل العربي مثل برزة شرفة ، غرفا منزل . كذلك في العلاقات الأُسرية مثل عامي ابن العم أو العمة أو الخال أو الخالة ، بنتي بنت ، رفيقي صديق ومن الأدوات المنزلية مثل صاحاني صحن ، سينيا صينية .

- وفي الحياة الاجتماعية :

وتزخر المعاملات الاجتماعية بالمفردات ذات الأصل العربي ، فمثلاً وأدابو لباقة ، وبركا بركة ، وراتيبو راتب ، وراوزوقو رزق(١) .

- المجالات التجارية :

تزايدت الهجرات العربية الإسلامية في شرق أفريقيا ، خاصةً في عهد السيد سعيد ، حيث قام التجار العرب العُمانيين وغيرهم ببذل جُهدٍ كبيرٍ في نشر لُغتهم وثقافتهم بين أهالي شرق أفريقيا(٢) . مما أدّىٰ إلى استعمال السواحلي الأفريقي عدّة مصطلحات تجارية ذات أصلٍ عربي ، وذلك لمرونة وسهولة اللغة العربية الغنية بالمصطلحات الفنية ، التي ساعدت في تسهيل الأعمال التجارية ، مما أدىٰ إلى انتشارها بشكلٍ واسع . ومن هذه المصطلحات مثلاً التتابع العددي الذي استعار السواحلي جُزءاً كبيراً منه ككلمة سيتا ستّة ، وسابا سبعة ، وإيداشرا أحد عشر ، وثيناشرا إثناعشر . كذلك كل العقود ، كإشريني عشرين ، وثلاثيني ثلاثين وأروبايني أربعون وخمسيني خمسين وستيني ستين وسبيني سبعين وثمانيني ثمانين وتسيني تسعين وميا مائة وألفو ألف .

---

(١) باتيبو ، هـ . م . ، " إسهام اللغة العربية " ، مجلة الإسلام اليوم ، ص ص ٤٢ - ٤٣ .

(٢) أرنولد ، توماس ، " الدّعوة إلى الإسلام " ، مجلة الإسلام اليوم ، ص ٣٨٠ .

أيضاً أثّرت اللغة العربية في معاملات البيع والشّراء ، فنجد كلمة بيع ثمن ، ومنادى بيع بالمزاد العلني ، وفايدا ربح ، وخسارا خسارة ، وريهاني رهن ، ورخيصي بخيس - رخيص ، وغالي غال(١) .

- الإدارة :

أيضاً في مجال الإدارة استعارت اللغة السواحلية عدّة مصطلحات إدارية وسياسية من اللغة العربية ، منها محاكما محكمة ، وحكيم قاضي ، وطايفا طائفة - أُمّة ، وسياسا سياسة ، وماشاوني مشاورات ، وشريعا تشريع ، ولمالي الوالي ، وكوأدي القواعد ، وكانوني القانون(٢) .

٢ - الصوتيات :

بجانب المفردات العربية التي شقّت طريقها إلى اللغة السواحلية ، هناك الأصوات العربية التي استعمل السواحليون بعضاً منها في كلماتهم ، ومنها النّطق بحرف الرّاء الذي كان أوّل صوت دخيل ورد في بعض الكلمات السواحلية ، مثل رفيقي صديق وراحا هناء ورحيمو أشفق . كما استعمل حرف الرّاء في بعض الكلمات ذات الأصل البانتوي أيضاً ، مثل وروعا سحر وغير ذلك . كما استمدّت اللغة السّواحلية من اللغة العربية أصواتاً أُخرىٰ مثل ث و ن و غ ، ومثل كلمة ثاماني ثمانية وظانا مفهوم ، وغالي غال . أما عن بقيّة الأصوات العربية

---

(١) باتيبو ، هـ . م . ، " إسهام اللغة العربية " ، مجلة الإسلام اليوم ، ص ٤٤ .

(٢) باتيبو ، هـ . م . ، " إسهام اللغة العربية " ، مجلة الإسلام اليوم ، ص ٤٤ ، محمد عبدالله بخيت ، مصطلحات سواحلية ، ص ٣٤ ، ٣٥ .

فقد تم تحويرها وتكييفها مع الأصوات المعروفة ، فعوّض حرف خ العربي بحرف هـ الذي استعمل في اللغة السواحلية ومعظم اللغات البانتوية ، قبل مجيء اللغة العربية ، مثل كلمات ، هباري خَبـر ، كما تحوّل حرف ق إلى ك مثل عكيلي ذكاء ، ووكاتي وقت . ورغم ذلك فإن بعض السواحليين كانوا يحتفظون بالنّطق العربي عندما يستعملون كلمات ذات أصلٍ عربي ، خاصةً مايتعلّق منها بالأمور الدينية والتدريس في الكتاتيب(١) .

٣ - المقوّمات النّحوية :

تأثّرت اللغة السواحلية في نحوها بعدّة عناصر من النّحو العربي ، كالرّوابط والحال والظّرف ، مثل ايهي حتّىٰ ، وسابابو لأن ، ووكاتي عندما ، وكبلا قبل ، وبعدا بعد ، وكثير غيرها ، كما استعارت اللغة السواحلية استعمال الصّفة أيضاً ، ومن أمثلة ذلك وامطيعي مطيع(٢) .

٤ - الأعمال الأدبيّة :

الأدب السواحلي هو أكثـر المجالات التي يظهر فيها الأثـر العربي والإسلامي ، وتعتبـر اللغة العربية من أهـم اللغات مساهمةً في تطوّره ، فنجد أن الكثير مما كتب من أعمال أدبية باللغة السواحلية كان يخضع لقواعد الإملاء العربية وللأسلوب العربي(٣) . في النثـر نجد سيـر الأنبياء هود وصالح وموسىٰ وإبراهيم

---

(١) باتيبو ، هـ . م . ، " إسهام اللغة العربية " ، مجلة الإسلام اليوم، ص ص ٤٤ - ٤٥ .

(٢) باتيبو ، هـ . م . ، " إسهام اللغة العربية " ، مجلة الإسلام اليوم، ص ٤٥ .

(٣) باتيبو ، هـ . م . ، " إسهام اللغة العربية " ، مجلة الإسلام اليوم، ص ص ٤٤ - ٤٥ .

وسليمان وأيّوب وعيسىٰ وغيرهم من المرسلين ، الذين ورد ذكرهم في القرآن الكريم كما نجد في النثر السواحلي الشخصيّات التي ترتبط بالعالم الخفي ، مثل الملائكة وحور العين والجن والعفاريت ، وخاصةً إبليس الذي نذكر عنه القصص المعروفة بالقرآن الكريم من رفضه لأوامر الله سبحانه وتعالىٰ ، واستكباره أن يسجُد لآدم الذي خُلق من طين بينما هو مخلوق من نار ، كذلك قصّة وسوسته لآدم في الجنّة . وهكذا فإن السواحليين كغيرهم من المسلمين تداولوا المعرفة في شكل قصص كانت تروىٰ في المجالس(١) .

وكانت هذه القصص والسير السواحلية يظهر فيها الأثر العربي والإسلامي بشكلٍ واضح ، حيث نجد في قصصهم أخبار أبي النّواس وهارون الرّشيد وغيرهم ، ممن ذكرت سيرهم في الأدب العربي وفي قصص ألف ليلة وليلة .

أما عن الشعر السّواحلي فنجد البعض منه كان مترجماً عن الشعر العربي ، والبعض الآخر شعراً سواحلي اللغة لكنه عربي شكلاً ومضموناً ، فهو يزخر بالكلمات العربية ويلتزم بقوافي الشعر العربي ورسائله الفنّية . وتستعمل اللغة العربية في الشعر الديني بشكلٍ خاص . إذ إن الشعر العربي الإسلامي هو عبارة عن صدىٰ المؤثرات العربية الإسلامية ، وقد أخذها السواحليون عن العرب ، لذا نجد في شعرهم قصائد عربية ترجمها السواحليون ، واتّخذوها نموذجاً لأشعارهم ، مثل القصيدة التي مطلعها بانت سعاد لكعب بن زُهير ، ونهج البردىٰ للبوصيري(٢) .

---

(١) حريز ، سيد حامد ، " المؤثرات العربية في شرق أفريقيا " ، مجلة كلية الآداب ، ص ص ٤٥-٤٦ .

(٢) حريز ، سيد حامد ، " المؤثرات العربية في شرق أفريقيا " ، مجلة كلية الآداب ، ص ص ٥١-٥٣ ،

Davidson , Basil , The Growth of African Civilisation , PP. 144 - 145 .

ومما ساهم في تأثر السواحليين بالشعر العربي أن المئات من الشعراء والعلماء وكتّاب المقامات كانوا يفدون منذ القدم على زنجبار في معاهدها العلمية المتمثلة في المساجد والكتاتيب والمدارس(١) .

ولقد كُتبت اللغة السواحلية بحروفٍ عربية ، وإن كان لايعرف تماماً وعلى وجه التحديد التاريخ الذي استعمل به الخط العربي في الكتابة ، إذ إن ماكتشف من المخطوطات السواحلية المكتوبة بالخط العربي قد يرجع تاريخها إلى بداية القرن الثامن عشر ، وقد عُثر مؤخراً في الأرشيف الفرنسي على رسالة مكتوبة باللغة السواحلية وبالخط العربي ، يعود تاريخها إلى عام ١١٨٤هـ/١٧٧١م(٢) ، وإن كانت كُتبت باللغة السواحلية وبحروف لاتينية فيما بعد ، عندما حارب المستعمرون اللغة العربية بواسطة المنصرين ، الذين حوّلوا كثيراً من الأبجديات إلى حروف اللغة اللاتينية ، كما قاموا في الوقت نفسه باستبعاد الكلمات والمفردات العربية ، حتىٰ يضعفوا الصلات بين العرب والأفارقة ، ويقضوا على الثقافة العربية والإسلامية في أفريقيا(٣) .

فقد كان يُزعجهم ويُضايقهم أن يجدوا أن عملهم في مجال نشر الدّين المسيحي ، مثل ترجمة الإنجيل ، يعتمد إلى حدٍ كبير على اللغة العربية ذات الارتباط الوثيق بالدّين الإسلامي .

ومن المنصرين الذين حاولوا محو الأثر العربي في اللغة السواحلية الألماني كارل رويل

---

(١) الحداد ، محمد أحمد مشهور ، " مستقبل اللغة العربية في زنجبار " ، جريدة المدينة المنورة ، العدد ٧٦٢٨ ، ص ٦ ، الخميس ١٤٠٨/٧/٢٩هـ .

(٢) Davidson , Basil , The Growth of Africa Civilisation , P. 144 .

(٣) قاسم ، جمال زكريا ، الرّوابط العربية ، ص ٢٤ .

Karl Roehl ، الذي وفد إلى شرق أفريقيا مرّتين : الأُولىٰ عام ١٨٩٦م والثانية ١٩٢٦م ، وحاول أن يُترجم الإنجيل إلى لهجة زنجبار بعد أن يتخلّص من الكلمات العربية ، ويستعيض عنها بكلمات بانتوية(١) .

كما حاول الاستعمار محاربة اللغتين العربية والسواحلية على حدٍ سواء ، وقد ظهر ذلك بصورٍ مختلفة ، قام بها المنصرون المسيحيون . فنجد مثلاً أن المنصر يوليوس ريشتر Julius Richter ، يطلب في مؤتمر المستعمرات الألمانية المنعقد في عام ١٣٢٢هـ/١٩٠٥م الحد من انتشار اللغة السواحلية ، وتحريم استعمالها في دوائر الحكومة ، لأن انتشار الإسلام يزداد حينما تنتشر اللغات المرتبطة به . وفعلاً حرّمت الإدارة الألمانية في شرق أفريقيا عام ١٩٠٧م استعمال اللغة العربية في الدّوائر الرّسمية والوثائق الحكومية .

ويرىٰ البعض أن اللغة السواحلية نشأت من تلاحم ومزج المؤثرات الأفريقية والعربية في جوٍ إسلامي ، فقد اكتسبت الكثير من الكلمات العربية التي تقدّر بحوالي ٢٠٪ من لغة التخاطب و ٣٠٪ من لغة الكتابة و ٥٠٪ من لغة الشعر السواحلي القديم(٢) .

وفي الحقيقة فإن الإسهام الأول والطليعي في اتّساع دائرة اللغة السواحلية قد تم على أيدي التجّار العرب والسواحليين في ظل سلطنة زنجبار ، وقد جاء هذا نتيجة لنشاط القوافل التجارية ، وتأثير المراكز التجارية في شرق وأواسط أفريقيا ، وهذا قبل مجيء الاستعمار بأكثر من خمسين سنة .

وكان من أهم نتائج هذا التواصل العربي - الأفريقي لبضعة قرونٍ خلت نشأة الثقافة

---

(١) حريز ، سيد حامد ، "المؤثرات العربية في شرق أفريقيا" ، مجلة كلية الآداب ، ص ٤١ .

(٢) حسن ، يوسف فضل ، " الجذور التاريخية للعلاقات العربية الأفريقية " ، مجلة كلية الآداب ، ص ٣٣ .

واللغة السواحلية ، والتي اتّسعت دائرتها في عهد الاستعمار فشملت أجزاء في وسط أفريقيا(١) .

وقد كُتبت السواحلية بالحرف العربي . ولكن بعد السيطرة الاستعمارية استُبدل الحرف العربي بالحرف اللاتيني ، كما إن بعض الكُتّاب الأفارقة تعمّدوا تجاهل الكلمات ذات الأصول العربية واستبدلوها بأُخرى من أصلٍ إنجليزي(٢) .

ومما سبق نلاحظ أن النشاط التنصيري كان يحاول التقليل من الأثر العربي في الثقافة السواحلية لأنه كان يحتكر مؤسسات الثقافة والتعليم في شرق أفريقيا ، وقد تعرّضت اللغة السواحلية لحربٍ صليبيةٍ شديدة من قِبل هذه الدّوائر ، أثرت بدورها في أوساط المثقّفين الأفارقة .

وقد أسهم الحُكم الاستعماري في انتشار اللغة السواحلية بتأسيس المزيد من المراكز، وشق الطرق وتسهيل المواصلات مثل مد الخط الحديدي في عام ١٣١٧هـ/١٩٠٠م من ممباسا إلى منطقة أُوغندا . وأهم من ذلك أن إدارات الدّول الاستعمارية بريطانيا وألمانيا استعانت بالعرب والسواحليين في إدارة المناطق الأفريقية كمساعدين للإداريين الأوروبيين

---

(١) حسن ، يوسف فضل ، الجذور التاريخية ، ص ٣٣ .

(٢) حسن ، يوسف فضل ، الجذور التاريخية ، ص ٣٣ .

وقد عقّب أحمد عيضة سالم على الدّكتور يوسف فضل حسن عن نسبة الكلمات العربية في اللغة السواحلية ، وذكر أنها مجرّد تقديرات تختلف نسبتها من شخصٍ لآخر ، ومن مؤلّف إلى آخر ، ومن شاعر لآخر . ويوافق الدّكتور يوسف في قوله بأنه جرت محاولات لتقليل استخدام الكلمات العربية في اللغة السواحلية من قِبل بعض المؤلّفين والزّعماء السياسيين .
سالم ، أحمد عيضة ، الجاليات العربية في أفريقيا ، ص ٤٧ .

هذا ، فضلاً عن الأعداد الكثيرة للحِرفيين والخدم من السواحليين ، الذين انتشروا في كل المناطق التي كانت تحت الإدارة الاستعمارية .

كما إن السيد حامد حريز لايُنكر اعتماد الإدارة الاستعمارية ، على العرب والسواحليين ، واتّساع دائرة استعمال اللغة السواحلية ، إلا أنه يقول :

« إن علاقة الحكام البريطانيين بالعنصر العربي ، واعتمادهم عليه في الإدارة ، كانت علاقة مرحلية . فعندما توطّدت أقدامهم في تلك المناطق ، ودلجوا إلى مداخل القارة وإلى نفسيات أهلها ماعادوا في حاجة للدور الذي يلعبه العربي والسواحلي ويعجز عنه كل من سواه . وكانت النّكسة الكُبرىٰ عندما استعاض البريطانيون بالهندي بديلاً عن العربي في إدارة شرق أفريقيا »(١) .

ففي أواخر القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين أي في مرحلة الوصية والاستعمار الأُوروبي اعتمد المستعمر على العرب في الإدارة وفي الوظائف الأُخرىٰ المختلفة ، كالقضاء والجيش . ولكن عندما قويت شوكته ، ورسخت أقدامه ، تخلّص من العرب والسّواحليين ، واستعاض عنهم بسواهم ، كالهنود وغيرهم(٢) .

إلا أنه بعد رحيل المستعمرين اهتمّت الشّعوب الأفريقية بنشر وتدعيم اللغة السواحلية ، وتمسّكت بالثقافة العربية الإسلامية لمواجهة الثقافة الغربية ، كما استخدمتها الحكومات الوطنية في الإدارة والتعليم والصحف(٣) .

---

(١) حريز ، سيد حامد ، " المؤثرات العربية في شرق أفريقيا " ، مجلة كلية الآداب ، ص ص ١٨-١٩ .

(٢) محمد ، عبدالله بخيت ، دراسات في الأدب السواحلي ، ص ١٠٣ .

(٣) حريز ، سيد حامد ، " المؤثرات العربية في شرق أفريقيا " ، مجلة كلية الآداب ، ص١٩ .

ونستنتج مما سبق أن اللغة السواحلية هي لغة الثقافة والحضارة ، كما أن لها القدرة الفائقة على استعارة كلمات ومفردات جديدة ، لطبيعتها الإلصاقية ، فقد استفادت كثيراً من عطاء اللغة العربية ، التي مافتئت تساهم بالدّور الأكبر في النّمو والإثراء . فاللغة العربية كالمعين الذي لاينضب من المصطلحات الحضارية ، التي أثرت في اللغة السواحلية وجعلتها لغة الثّقافة والعلوم ، ولغة التعامل ، ولغة التجارة والمال ، وفوق ذلك كلّه فهي لغة الدّين ، فاستبدل بها الكثيرون لهجاتهم ولغاتهم وتعلّموها كلغةٍ ثانية(١) ، وصارت لغة التّفاهم المنتشرة بين جميع السكّان في شرق أفريقيا وزنجبار ، فالبريطاني يخاطب بها العربي ، وكذلك الهندي والفارسي ، بل يتخاطب بها في بعض الأحيان العربي مع عربي آخر ، والهندي مع هندي آخر . لذلك كان من الضروري أن يتعلّم تلك اللغة كل نزيل في البلاد(٢) .

وعلى الرّغم من أن عدداً من اللغات الأجنبية ساهمت في نمو اللغة السواحلية وتطويرها ، إلا أن اللغة العربية كان لها الدّور الأساسي والأول في تطويرها وانتشارها ، لما جاءت به من حقول المعرفة من مفردات وأصوات ، ويعترف السّواحلي للدّين الإسلامي واللغة العربية وثقافتها بهذا الجميل من التطوّر والإنماء(٣) .

---

(١) محمد ، عبدالله بخيت ، دراسات في الأدب السواحلي ، ص ١٠٢ - ١٠٣ .

(٢) ميخائيل ، توفيق ، غرائب الأخبار ، ص ٧٢ .

(٣) باتيبو ، هـ . م . ، إسهام اللغة العربية ، ص ٤٩ .

أثر الإسلام والثقافة الإسلامية في شرق أفريقيا وزنجبار :

عرفت اللغة العربية طريقها إلى شرق أفريقيا قبل الإسلام ، وذلك لاختلاط التجّار والمهاجرين العرب بالأفريقيين ومصاهرتهم ، حيث تعلّم الأفريقيون اللغة العربية حتىٰ يتم التبادل التجاري ، وبعد ظهور الإسلام حمل التجّار العرب المسلمون رسالتهم إلى شرق أفريقيا بهدف التجارة والهجرة ، وكانوا بذلك حملة لأهم مظهرين من مظاهر العقيدة والثقافة ، وهي الإسلام واللغة العربية(١) .

ويؤكّد ذلك الأستاذ محمد عاطف النّواوي بقوله :

« وإن انتشار الإسلام جاء نتيجة رحلات لم يكن نشر الدّعوة هو مقصدها بل كانت التجارة هدفها وغايتها . ولم يكن له مبشّرون يسيرون في البلاد داعين النّاس إليه ، ومع ذلك فقد تغلغل بالمخالطة ، في نفوس الأهالي والسّكان الوطنيين ، وأصبحنا نرىٰ أمثلة من الورع الشديد والتّقوىٰ الزّائدة ، التي لاتقوم إلا في نفوس شربت الدّين من طفولتها عن أبوين هُما أيضاً على درجةٍ كبيرةٍ من التقوىٰ والورع ، وروعته تكمن في أنه لم يتّخذ وسيطاً إلى نفوس الأفارقة ، ولم يجعل لنفسه داعية إلى أفئدتهم بل خاطبهم بنفسه ، دين الفطرة خاطب أهل الفطرة ، ودخل قلوبهم واستولىٰ على مشاعرهم ، ولم يلجأ إلى التغيير العنيف ، حتّىٰ لاينفر الأهالي منه . فقد كان حكيماً حليماً ، في أنه تعايش مع العادات والطّقوس القديمة ، وأبقىٰ على مالا يضر منها بالجوهر والأساس في الدّين »(٢) .

---

(١) عبدالباقي ، هُدىٰ سليم ، الرّوابط بين العرب والأفارقة السّود والأمريكيين السود ، ص٢٤ ، بيروت ، ١٩٨٦م .

(٢) ترمنجهام ، سبنسر ، الإسلام في شرق أفريقيا ، مقدّمة المترجم ، ص ٢٠ .

ولقد أعطى الإسلام بُعداً قوياً وجديداً للعلاقات العربية الأفريقية ، ألا وهو البعد العقائدي ، ومحافظته على الشّخصية الأفريقية ، فلم يحطّم أنظمتها القبلية ، وإنما حافظ عليها بعد أن وضعها في إطارٍ جديد ، ألا وهو الإطار الإسلامي(١) .

وكان لانتشار الإسلام في شرق أفريقيا أثر كبير في نشر اللغة العربية واللغة السواحلية بين قطاعات مختلفة من السكّان ، إذ اتّخذت الدولة العمانية في شرق أفريقيا اللغة السواحلية المفعمة بالكلمات العربية التي تعبر عن المفاهيم الإسلامية لغة لها إلى جانب اللغة العربية ، التي كانت بمثابة لغة البلاط والدّواوين الحكومية(٢) .

فأصبحت اللغة العربية هي لغة الثقافة في أفريقيا ، وبرز الكثير من العلماء الأفارقة الذين كتبوا باللغة العربية ، ولايزال الأثر العربي الإسلامي في المخطوطات العربية ، التي تمتلىء بها المكتبات في معظم الجامعات الأفريقية ومكتبات العواصم الأُوروبية ، وهذا يدل على أن العلاقات بين العرب والأفارقة لم تكن مجرّد علاقات هامشية تقتصر على التبادل التجاري(٣) . وإنما كان هناك التقاء بين الثقافتين العربية الإسلامية والثقافة الأفريقية ، نتج عنها ثقافة عربية أفريقية إسلامية مشتركة .

والدّين الإسلامي ساهم في تسهيل عملية انتشار اللغة العربية لأنها ضرورية ، وتساعد المسلم على تفهّم الدّين وقراءة القرآن الكريم ، ومعرفة السُّنّة النبوية واتّباعها ،

---

(١) قاسم ، جمال زكريا ، العرب وأفريقيا ، ص ٥٢ ،

Davidson , Basil , A history of East and Central Africa ,P. 132 , New York , 1969 .

(٢) Nicholls , C. S. , The Swahili Coast , P. 71 .

(٣) قاسم ، جمال زكريا ، العرب وأفريقيا ، ص ٥٣ .

وكان ذلك عن طريق انتشار المساجد وحلقات التدريس والكتاتيب والاختلاط والمصاهرة والعمل التجاري .

كما إنه ليس من مبادىء الدين الإسلامي إجبار النّاس على اعتناقه ، بل يعطي حريّة الدّين والعبادة للنّاس جميعاً ، لأنه ﴿ **لا إكراه في الدّين ، قد تبيّن الرّشد من الغيّ** ﴾(١) ، إذ إن الإيمان الصّحيح هو الذي ينبعث عن اليقين والإقناع لا بالقوّة والقهر ، ومما يستدعي الانتباه أن انتشار الإسلام في شرق أفريقيا لم يتم نتيجة القوّة أو التّوسّع العسكري ، وإنما الذي قام به في الغالب جماعات من التجّار العرب المسلمين(٢) . ليس لديهم أي سلطة سياسية تُرغم النّاس على الدّخول في الإسلام(٣) . وحتّىٰ عندما توفّرت لهم السّلطة السياسية واستطاع المسلمون تكوين سلطنة زنجبار الإسلامية في شرق أفريقيا ، لم يُكرهوا أحداً من الأفارقة على اعتناق الدين الإسلامي .

كذلك قام بنشر الدين الإسلامي دعاة ليس لديهم القوّة السياسية أو العسكرية ، وإنما كانوا يتمتّعون بإيمانهم العميق ، وكثيراً ماانتشر الإسلام بالتسرّب السّلمي البطيء من قومٍ إلى قوم ، فكان عندما يعتنقه رئيس القبيلة أو أكبر أفراد الأسرة ، يتبعه البقيّة بسهولة ويُسر وعن اقتناع تام(٤) .

---

(١) سورة البقرة ، الآية ٢٥٦ .

(٢) قاسم ، جمال زكريا ، عُمان في شرق أفريقيا ، ص ٨١ ، أرنولد ، توماس ، الدعوة إلى الإسلام ، ص ٣٨٢ .

(٣) أرنولد ، توماس ، الدعوة إلى الإسلام ، ص ٣٨٤ .

(٤) نوفل ، سيّد ، الأوضاع السياسية ، ص ٣٢ ، ديشان ، هوبير ، الدّيانات في أفريقيا السّوداء ، ص ١٢٨ - ١٢ ، ترجمة أحمد صادق حمدي ، القاهرة ، ١٩٥٦م .

كما أن جميع العاملين في الإدارات الأُوروبية من موظّفين ومترجمين ومرشدين وجنود وخدم كانوا من المسلمين ، لذا أصبح كل مكان يستقرّون فيه مركزاً للإشعاع الإسلامي(١) .

وكان انتشار الإسلام في شرق أفريقيا تدريجياً ، ابتداء بالساحل وسكّانه منذ القدم ، وكلّما ابتعدنا عن السّاحل كلّما اختلفت درجات تغلغله وتعمّقه وانتشاره بين النّاس ، فتمّت عملية الدّخول في الإسلام تدريجياً وعلى مراحل ثلاث : التفرّغ ، فالتفاعل ، ثم التحوّل ، فالتفرغ يبدأ بين أفراد المجتمع في أعمق المستويات ، فيصبح في بادىء الأمر بذرة في الوعي الاجتماعي ، وتلك هي المرحلة الأُولىٰ ، وبالتدريج تعمل البذرة على إثارة التساؤلات ، وتفجير المشكلة ، وهي المرحلة الثانية التي ينتج عنها موقف جديد ، يأخذ قوّته بمضي الوقت ، فيعدل من سلوك الفرد ، ثم يعدل سلوك المجتمع بكامله ، وهذه هي المرحلة الثالثة ، ففي المرحلة الأولىٰ لايعارض الإسلام الاستمرار والاحتفاظ بدين القبيلة وشعائرها ، ويقوم المسلمون بأداء شعائرهم الدّينية كعمل فردي جنباً إلى جنب مع العقيدة القبلية ، دون أن يكون هناك تعصّب ديني ، فالزّواج مثلاً تصحبه الطّقوس المعتادة لديهم ، ولم يكن بعض المسلمين يُعارضون في زواج بناتهم من وثنيّين لأنهم كانوا حديثو عهد بالإسلام ، أما في المرحلة الثانية فتبدأ هذه الطّقوس بالتحلل التدريجي ، ولكنها لاتختفي تماماً إلا في المرحلة الثالثة ، كما حدث لشعوب الجُزر والمدن الساحلية ، الذين أصبحوا مسلمين في سلوكهم ومظهرهم الاجتماعي عن يقين واقتناع(٢) .

---

(١) ترمنجهام ، سبنسر ، الإسلام في شرق أفريقيا ، ص ١١٥ .

(٢) ترمنجهام ، سبنسر ، الإسلام في شرق أفريقيا ، ص ١٢٠ - ١٢١ .

ولقد كوّن السّواحليون الذين يعيشون في الجُزر والخلجان والنتوءات السّاحلية مجتمعاً إسلامياً بارزاً ، رغم أنهم ينتمون إلى عُنصر البانتو أكثر من العُنصر العربي ، إلا أن أوجه حياتهم المختلفة وتركيبهم الاجتماعي كان يقوم بصفةٍ أساسية على الثقافة العربية الإسلامية ، ولم يكن يوجد صراع اجتماعي بين ثقافة البانتو والثقافة الإسلامية ، رغم أن طريقة ومجالات الشّريعة الإسلامية السّائدة في هذا المجتمع ، هي نفس المجالات التي تسود في أي مجتمع إسلامي آخر(١) .

فالإسلام دين وثقافة ، يُعطي معتنقيه الحضارة وأعلىٰ الدّرجات في الدّنيا والآخرة(٢) . وهو يناسب كل الجماعات مهما اختلفت أمزجتها وأذواقها ، فمنهم من يرىٰ فيه نظاماً سياسياً يُناسب تقاليده وعاداته ، فيؤمن به ليشد أزره ضد عدوّه المستعمر ، والبعض يجده نظاماً اجتماعياً واقتصادياً راقياً فيعتنقه تحضّراً ورقيّاً(٣) .

والذي يدخل في الإسلام يشعر بأنه أصبح ذو شخصية محترمة ، وأنه انتقل إلى حضارة ومنزلة اجتماعية أرفع مما هو عليها(٤) .

كان المجتمع الأفريقي في زنجبار وشرق أفريقيا وثنيّاً قبل وصول الإسلام إلى هناك ، وعندما انتشر الإسلام ، كان تأثير الثقافة الإسلامية قويّاً ، إذ خلق مجتمعاً جديداً ذا ثقافة جديدة ، له نظرة ثاقبة ، استطاعت أن تستوعب هذه الثقافة ، وتنشرها في المجتمع الأفريقي .

---

(١) ترمنجهام ، سبنسر ، الإسلام في شرق أفريقيا ، ص ٢٤٥ .

(٢) محمود ، حسن ، الإسلام والثقافة العربية في أفريقيا ، ص ٤١ - ٤٢ .

(٣) النقيرة ، محمد ، انتشار الإسلام ، ص ١١٧ .

(٤) أرنولد ، توماس ، الدعوة إلى الإسلام ، ص ٣٨٣ ، Pearce , Zanzibar , P. 240 .

ومن مظاهر التوفيق بين الثقافتين الاعتقاد بالله الواحد الأحد . وهذا أوّل مايتلقّنه الدّاخل في الإسلام . وذلك لم يكن غريباً عليهم ، بل يتمشّىٰ مع عقيدتهم القديمة في الاعتقاد بوجود إلّـه خالق عند البانتو ، والإلّـه عندهم كان يتطلّب الولاء له ، لذلك لم يكن يصعب عليهم أن يؤمنوا بالفروض التي فرضها عليهم الإسلام ، وهي العبادات ، التي يوجب الشّرع الإسلامي اتّباعها ، وبذلك حدث التغيّر العميق والجوهري ، خاصةً فيما يتعلّق بالكهانة والسّحر والجن والشّعوذة وطلب الشّفاعة من الأموات التي كانت من أهم مظاهر المجتمع الزّنجباري قبل الإسلام ، والذي بيّن لهم أن هناك جنّة ونار ، عقاباً وثواباً ، وأن لكل أجلٍ كتاباً ، وأنهم سيُبعثون بعد الموت ، فتأثّروا بذلك تأثّراً عميقاً ، لأنه كان لشعائر الموت عندهم أهمية بالغة(١) .

كما عمل الإسلام على تنظيم الشّعائر الدينية في المجتمع الزّنجباري ، إلا إنه لم يلغِ جميع الشّعائر السابقة ، بل عمل على تهذيبها وصبغها بصبغته الرّاقيـة ، فقد ألغىٰ الاحتفال بالآلهة والأسلاف ، وأبدلهم عنها بالاحتفال بعيدي الفطـر والأضحىٰ ، وأبقىٰ على حفلات الزّواج والولادة والختان ، بعد أن جرّدها من طابعهـا الجاهلـي الوثنـي في الشّكل والمضمون ، وجعل الإسلام الصّدقات والأضاحي بدلاً من القرابين(٢) .

كما كان للإسلام الأثر الكبير في إلغاء الطّقوس الدّينية ، التي كانوا يتوجّهون بها إلى ظواهر الطّبيعة على اختلافها ، فوجدوا في صلاة الاستسقاء عند جفاف الأمطار ، وصلاة الكسوف وصلاة الخسوف ، التي يتضرّعون فيها لله ، خير بديلٍ عن طقوسهم السّابقة .

---

(١) بخيت ، عبدالله ، دراسات في الأدب السّواحلي ، ص ٩١ ، نوفل ، سيد ، الأوضاع السياسية ، ص ٣٥ .

(٢) النّقيرة ، محمد ، انتشار الإسلام ، ص ٢٥٥ .

واستعانوا بصلاة الاستخارة بدلاً من اللجوء إلى الكهنة والمشعوذين(١) . ويلاحظ الأثر الإسلامي الكبير على الذين يشهرون إسلامهم بالنظافة وستر العورة - خاصةً في المناطق الدّاخلية من البر الأفريقي ، حيث كانت القبائل تُعاني من العري وأنماط الحياة البدائية ، مثل أكل لحوم البشر ، وتقديم الإنسان قرباناً ، ووأد الأطفال ، والسّلب والنّهب ، والاعتداء على الأعراض ، فألغى الإسلام كل هذه العادات الضّارة(٢) ، وأقام بدلاً منها أعمالاً تعتمد على العقل ونبذ الضّلالات .

ولقد طبقت الشريعة الإسلامية وأحكامها في مجتمع زنجبار وشرق أفريقيا ، وأصبحت تمثّل القانون الأساسي في الدّولة(٣) . مثالاً على ذلك خطاب السّلطان موني مكوا للسيد سعيد :

> « إلى سيّدنا ومولانا وليّنا الأكرم سيّدنا سعيد بن سلطان بن الإمام البوسعيدي أسعده الله وأبقاه ، إن شاء الله . سلام الله عليك ورحمته وبركاته ، وبعد . نعرّفك ياسيّدي ، قد توفّي عندنا واحد من السواحلية ، وهو من جماعتنا ، وقد خلف الشّوانب(*) والبيوت والخدام بقدر السبعين ، زائد أم قاصر ولاظهر لنا وراثة ، والآن قائمون خدامك نفتش عمّن يرثه ، وإن ظهر لنا وارثه فذلك المطلوب ، وإن لم يظهر لنا وارثه ، فأنت المختار في المال ، ونحن نريد نقيم عزاه ، كما يقيم غيره من السواحلية ، ومفاتيح البيوت معنا ، والجواب منك ياسيدي مطلوب . والسلام . »

---

(١) دياب ، أحمد ابراهيم ، إنتشار الإسلام في شرق أفريقيا ، ص ٦٥ ، الرياض ، ١٤٠٧هـ ، النقيرة ، محمد ، انتشار الإسلام ، ص ٢٥٥ - ٢٥٦ .

(٢) قاسم ، جمال زكريا ، دولة بوسعيد في عُمان وشرق أفريقيا ، ص ٤٤ ،

(٣) Anderson , J. N. D. , Islamic Low in Africa , P. 5 , London , 1954 .

(*) الشّوانب : المزارع

من الذاكر فضلك وإحسانك مونى مكوا سلطان العلويين ٢٦

رجب سنة ١٢٦٠ هجرية . »

وكان جواب السيد سعيد عليه كالآتي :

« كتابك الشريف وصل ، وفهمناه ، وذلك المرجومنك ، وإن

ظهر له ورث ، فكما ذكرت المال لهم ، وإن لم يظهر له وارث

فأظن المال لبيت المال ، وأنت محل للنّفس ، والسلام »(١) .

فهذا الخطاب من المونى مكوا للسيد سعيد وثيقة توضّح لنا تطبيق الشريعة الإسلامية وأثرها في المجتمع الزّنجباري .

وللإسلام أثر كبير في تنظيم الكثير من الأنظمة والقوانين الاجتماعية ، فقد أزال الإسلام الفوارق العرقية واللونية والطّبقية بين أفراد المجتمع الزّنجباري ، فآخىٰ بين مسلمي زنجبار والعرب والفُرس والهنود الأفريقيين ، وتزاوجوا فيما بينهم ، فامتزجت تلك العناصر جميعاً ، وكوّنت عُنصراً واحداً يدين بالإسلام(٢) .

كما غيّر الإسلام نظام التوريث الذي كان سائداً في المنطقة ، فأصبحت معظم القبائل أبوية الوالد فيها رب الأُسرة ، بعد أن كان نظام التوريث أموي أي الأم هي رئيسة الأُسرة ، وينسب إليها الأطفال(٣) .

ولقد ساعد تمسّك المجتمع الأفريقي بالشّريعة الإسلامية - خاصةً فيما يتعلّق بالحرام والحلال ، أو الممنوعات والمسموحات - بأن انتشر الدّين الإسلامي في أوساط الوثنيين القادمين من الأرياف ، لأنه لايسمح للمسلمين تناول الطّعام مع الوثنيين ، ويقول

(١) المغيري ، جهينة الأخبار ، ص ٢٧٥ - ٢٧٦ .

(٢) أرنولد ، توماس ، الدعوة إلى الإسلام ، ص١٤٠ ، النّقيرة ، محمد ، انتشار الإسلام ، ص٢٥٨

(٣) ترمنجهام ، سبنسر ، الإسلام في شرق أفريقيا ، ص ٢٥٦ - ٢٥٧ ، محمد ، عبدالله بخيت ، دراسات في الأدب السواحلي ، ص ٩٥ ، Anderson, J. N. P., Islamic Law in Africa, PP. 275 - 276.

الأستاذ هبلي C. W. Hobley :

« إن السواحليين وأقرانهم قوم كرماء ، ولكنهم لايشاركون غير المؤمنين الطعام ، وبذلك يصبح من المفيد للغريب النّازح من الأرياف أن يصبح مسلماً حتىٰ يمكنه أن يغمس أصابعه في إناء الطّعام مع مضيفه المسلم . »(١) .

وللإسلام أثر ملحوظ في تهذيب العادات والتقاليد التي كانت سائدة في المجتمع الأفريقي في زنجبار وشرق أفريقيا ، فلقد كان يعامل الموني مكوا بتوقير بالغ من رعاياه ، وكان لهم احتفالات خاصة عند خروجه من القصر ، وكل من يقابله يجب عليه الانحناء حتىٰ يذهب الموني مكوا(٢) .

ويقول الأستاذ المغيري :

« وكان موني مكوا مسموع الكلمة من رعاياه ، فأخذ الإرادة فيهم ، يقتل ويحبس من شاء منهم ، . . . وأهالي زنجبار عموماً كانوا يعتبرون موني مكوا فوق العادة ، ويقدّسونه ، ويرتعدون هلعاً لذكره . وكان رعاياه المخاديم ، إذا مثلوا بين يديه لايثبتون على أقدامهم في حضرته ، لكن يجرون على ركبهم ، ويحسرون عن رؤوسهم ، وإذا بدا لأحد أن يدنوا من شخصه ، يزحف حبواً إليه ، وهو مطاطىء الرأس . ويروى أن موني مكوا إذا بدا له الخروج من سرايته للفسحة ، أو للتّمشي ، ومرّ على جماعة من المخاديم يشتغلون فوق أشجار القرنفل أو جوز الهند ، فإنهم ينزلون للأرض ، ومن يتأخر عن النزول يكون عقابه القتل أو العذاب الشديد ، لأنهم يعتبرونه في محل أعلىٰ منهم ، تقديساً لشخصه المقدّس »(٣) .

---

(١) ترمنجهام ، سبنسر ، الإسلام في شرق أفريقيا ، ص ٢٧٣ .

(٢) الفارسي ، عبدالله ، البوسعيديون ، ص ٥٨ .

(٣) المغيري ، جهينة الأخبار ، ص ٢٦٤ .

فعندما انتشــر الإســلام أزال هذه الفوارق الاجتماعية ، وبيّن لهم أنه لامعبود إلا الله ، وأن الرّكوع والخوف لايكون إلا لله وحده لاشريك له .

كما هـذّب الإسلام الكثير من العادات والتقاليد مثل التطير ، فمن المعتقـدات الخرافيـة في زنجبـار ، أنه إذا قابل الإنسـان أعـوراً في الصّبـاح ، يعتبـر ذلك طالـع سيء(١) .

فوضّح لهم الإسلام أنه لايصيب الإنسان إلا ماكتب الله له . كذلك توجد بعض الآداب الإسلامية التي تميّز بها المسلمون وأخذها عنهم الأفارقة اتّباعاً للسنّة النبوية ، وزيادة للترابط فيما بينهم مثل طريقة المصافحة ، وطرق الباب للاستئذان في الدخول ، وإفشاء السّلام(٢) .

ولم تقتصر الآثار الإسلامية على النواحي السابقة ، بل أحدثت تغييراً جذرياً في النّظام الاقتصادي الذي كان سائداً في المنطقة وتركّز في أيدي فئات معيّنة من الزّعماء وشيوخ القبائل ، الذين كانو يملكون الأرض الشّاسعة ومراكب التّجارة وقطعان الماشية ، أما بقيّة النّاس فلم يكن لديهم سوىٰ الفقر والجوع والحرمان ، بالإضافة إلى الضّرائب الباهظة التي كانت تُفرض عليهم(٣) .

وعندما طُبّق المنهج الإسلامي في زنجبار ، تغيّر نظامهم الاقتصادي ، وانتهىٰ التّجبّر والتّسلّط على النّاس ، فأصبح الأجير يأخذ أجره ، والضّرائب تُدفع من الأغنياء للفقراء

---

(١) Ingrams , W. H. , Zanzibar , P. 440 .

(٢) ترمنجهام ، سبنسر ، الإسلام في شرق أفريقيا ، ص ٢٧٤ .

(٣) دياب ، ابراهيم ، انتشار الإسلام ، ص ٦٥ .

على صورة زكاة ، حتىٰ إن الزّعماء أيقنوا بضرورتها فأصبحوا يوزّعونها على من يستحقّها بأنفسهم ، ويُقاتلون مانعيها(١) .

كما حرّم الإسلام الرّبا والغش ، وأمر بنبذ البطالة والتّواكل ، وحث على السّعي في طلب الرّزق ، فاشتغل المسلمون بالزّراعة والتّجارة والصيد ، مما حقق الثراء لكافة أفراد المجتمع في زنجبار وشرقي أفريقيا ، وجعل الانتفاع بالثّروة للجميع .

وهكذا فإن انتشار الإسلام غيّر الحياة الاجتماعية والاقتصادية والسياسية والثقافية بصفةٍ عامة ، مما جعل الشّعوب الأفريقية ترىٰ في الدّين الإسلامي وحضارته منقذاً لها من الجهل والعبودية والتّخلّف ، وفي القرآن الكريم منظّماً لمختلف أوجه حياتها المادية والمعنوية(٢) .

---

(١) دافدسن ، بازل ، صحوة أفريقيا ، ص ٣٧ .

(٢) الجبّوري ، عصام محسن ، العلاقات العربية الأفريقية ، ص ٥١ .

الباب الرابع

الأثر الاقتصادي والاجتماعي والثقافي لسلطنة زنجبار الإسلامية في تطوّر الممالك الأفريقية « دراسة نموذجية »

- الفصل الأول : مملكة أُوغندا .
- الفصل الثاني : قيام إمارات عربية إسلامية في أعالي الكونغو .

الفصل الأول

مملكـــة أوغنـــدا

مملكة أُوغنـدا :

تقع أُوغندا في منطقة مرتفعة وسط القارة الأفريقية ، قريبـة من المنطقة الشرقية ، وتُحيط بها البُحيرات . وتمتد على جانبي خط الاستواء بين خطّي عرض ١° جنوباً و ٤° شمالاً ، وبين خطّي طول ٣° - ٣٥° شرقي غرينتش ، وتبلغ مساحتها ٢٣٥٨٨٠ كلم٢ . ورغم وقوعهـا علـى خط الاستواء ، إلا أن مناخها معتدل لارتفاعهـا(١) .

وهذا القطر الأفريقي يعتبر من أهم الممالك في أفريقيا الوسطىٰ ، وأصل كلمة أُوغندا بلغة البانتو غاند Ganda ، وكلمة باغندا Baganda تعني قبيلة الغاندا ، ويُطلق عليها أيضاً اسم لوغندا Luganda ، وبلادهم تسمىٰ بوغنـدا Buganda(*) ، وتعوّد النّاس بعد ذلك في ساحل شرق أفريقيا استخدام المقطع الأول من اللغة السّواحلية وهو أُو فسمّوا البلاد أُوغندا Uganda ، وهو الاسم الذي أُطلق فيما بعد على كل المناطق التي دخلت تحت محميّة أُوغندا(٢) .

ويرجع تاريخ الهجرات العربية إلى الشّواطىء الشّرقية في أفريقيا إلى ماقبل ظهور الإسلام بحوالي خمسة قرون ، إذ كانت الظّروف الجغرافية والاقتصادية تحتّم هذا الارتباط البشري القوي ، فاحتكر العرب الأسواق التجارية ، وبمرور الوقت اتّسع نطاق

---

(١) شاكر ، محمود ، أُوغنـدة ، ط ٢ ، ٤١ - ٤٣ ، بيروت ، ١٤٠٣هـ / ١٩٨٣م .

(٢) محمد ، محمد سيد ، " أوغنـدة " ، مجلة كلية الشريعة والدّراسات الإسلامية ، السنة الثالثة ، العدد ٣ ، ص ٦٧ ، مكّة المكرّمة ، ١٣٩٧هـ - ١٣٩٨هـ ، هادون ، أ . ب . ، " أوغندة " ، دائرة المعارف الإسلامية ، ص ١٥٣ ، بيروت ، بدون تاريخ .

(*) بوغنـدا : أقوىٰ الممالك في شرق وأواسط أفريقية ، وهي تمثل الإقليم الأكبر والأهم من جمهورية أُوغندا الحالية ، كما أنها المركز الرّئيسي الذي تجاوب وتفاعل مع انتشار الإسلام ، محمد ، محمد سيد ، " أوغنـدة " ، مجلة كلية الشريعة والدراسات الإسلامية ، ص ٦٧ .

هذه التجارة ، وعندما ظهر الإسلام في الجزيرة العربية ، امتدّت آثاره بين الأفارقة الذين يسكنون السّواحل الشّرقية ، وازدادت هجرات العرب التجارية حتىٰ وصلوا إلى أُوغندا وتنجانيقا(١) ، فأسّسوا عدّة مُدن ومراكز هامة للتجارة ونشر الدّعوة الإسلامية ، فكثرت القوافل التجارية المحمّلة بالبضائع المتنوّعة كالمنسوجات والأسلحة والحلي ، فأصبحت أُوغندا مركزاً تجارياً هاماً ، وأدخل العرب المسلمون فيها نوعاً من العُملة وهي (المحار) المنظّم في عقود متفاوتة في الطّول والقيمة ، وشجّع زعماء القبائل التجّار العرب الوصول إلى المناطق المجاورة لمدنهم ، بعدما لمسوه على أيديهم من الخير والرّبح الوفير(٢) .

وأهم الطّرق التّجارية التي فتحها التجّار المسلمون ، والتي تم عن طريقها انتشار الإسلام في أُوغندا هي الآتي :

- الطريق الجنوبي :

الذي يبدأ من جزيرة زنجبار والمدن السّاحلية المواجهة لها إلى تابورا Tabora وسط تنزانيا ، ومن تلك المنطقة يتّجه شمالاً إلى مملكة بوغندا .

- الطريق الشّرقي :

يبدأ من ممباسا والمناطق المحيطة بها ، ثم يتّجه إلى الجُزء الشّرقي من بحيرة فيكتوريا وإقليم بوسوجا Busoga والأقاليم الشّرقية من أُوغندا .

---

(١) الطّحاوي ، عنايات ، أفريقيا الإسلامية ، جـ ١ ، ص ١٩٥ - ١٩٦ ، القاهرة ، ١٣٨٩هـ/١٩٧٠م .

(٢) زكي ، عبدالرّحمن ، الإسلام والمسلمون في شرق أفريقيا ، ص ٩٦ .

- الطريق الشمالي :

عن طريق النّيل الأبيض ، والذي جاء منه التأثير العربي الإسلامي القادم من السّودان ومصر(١) .

وتُشير المصادر إلى أن الشيخ أحمد بن إبراهيم العامري هو أول التجّار المسلمين الذين وصلوا إلى مملكة بوغندا ، وكان ذلك في عام ١٢٦٠هـ / ١٨٤٤م(٢) .

وفي عام ١٢٧٨هـ / ١٨٦٢م وصل المستكشفان الإنجليزيان جرانت وسبيك إلى هذه المنطقة ، بعد أن قاما برحلة طويلة بدأت في باجامويو على السّاحل ، ومنها إلى بُحيرة فيكتوريا فالنيل فمصر(٣) .

وقد حظيت هذه المنطقة بازدهار ونشاط تجاري كبير مما جعل الدّول الاستعمارية تتصارع فيما بينها لبسط نفوذها على السّبل الاقتصادية فيها ، وقد ساعد سلطان زنجبار شركة شرق أفريقيا البريطانية للوصول إلى أُوغندا ، حيث أمدّهم بعددٍ من الحمّالين ليعملوا فيها ، كما أرسل معهم إلى أُوغندا السيد محمد بو Bau ، وهو تاجر كبير لديه خبرة ومعرفة واسعة بالطّرق ، وكلمته مسموعة ، وله هيبة ووقار عند رؤساء القبائل في تلك المنطقة .

---

(١) صغيرون ، إبراهيم ، " لمحات تاريخية عن انتشار الإسلام في أُوغندا " ، مجلّة كلية العلوم الاجتماعية ، العدد ٦ ، ص ٢٠ - ٢١ ، جامعة الإمام محمد بن سعود ، الرّياض ، ١٤٠٢هـ / ١٩٨٢م .

(٢) صغيرون ، إبراهيم ، " لمحات تاريخية عن انتشار الإسلام في أوغندا " ، مجلّة كلية العلوم الاجتماعية ، ص ٢١ .

(٣) محمد ، محمد سيد ، " أوغندة " ، مجلة كلية الشريعة والدراسات الإسلامية ، ص ٦٧ .

وأمدّهم السلطان أيضاً بعدد كبير من الرّجال المجهّزين بالأسلحة وجميع المعدّات اللازمة(١) .

وهذا يدل على إسهام العــرب المسلمين وحكومة زنجبار في المساعدة لاكتشاف أُوغنــدا .

ومن الموارد الاقتصادية الهامة في أُوغندا : العاج ، وقد حققــت تجارتــه أرباحـاً كبيرة(٢) . ويعمل السّكان فيها بحرفة الصّيد ، التي تطــوّرت - مع تقــدّم الاقتصاد وتطوّره - من الصيد بالرّماح والشّباك البدائية إلى الصيد بالقوارب ذات المجاديف إلى السّفن الشّراعية ، ثم استُعملت أخيراً السّفن البخارية التي تُعبّأ فيها الأسماك . وتعتبر الثروة السّمكية مصدر غذاء جيد ، يعتمد عليه معظم السكّان في المنطقة(٣) .

وكان من تأثير ازدهار التجارة أن عم الرّخاء سكّان تلك المناطق ، فارتفعت مستويات حياتهم ، إذ شهدت المجتمعات الأفريقية في المناطق الدّاخلية في أُغندا وأونيورو إدخال محاصيل زراعية جديدة ، ثم توسيع الرّقعة الزّراعية . ومن هذه المحاصيل القطن ، الذي كان ضرورياً لصناعة المنسوجات التي دخلت المنطقة ، ثم هناك بعض المحاصيل الأُخرىٰ مثل الأُرز والدّخن والشّعير والفول والسمسم والطّماطم والبصل والخيار وقصب السّكّر والمانجو والجوافة والموالح(٤) .

---

(١) F. O. 403/172 , No. 86 , From Portal to Morquis of Salisbury , dated 25,7,1892 .
F. O. 403/172 , No. 197 , Confidential , Intelligence department to foreign Office , dated 23,8,1892 , F. O. 403/172 , No. 199 , From Chrch Missionary Society to Foreign Office , dated 24,8,1892 .

(٢) مصلحي ، محي الدين ، " النشـــاط التجاري في شرق أفريقيا " ، العرب في أفريقيا ، ص١٩٧ ، القاهرة ، ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م .

(٣) الطّحاوي ، عنايات ، أفريقيا الإسلامية ، ص ٧٢ - ٧٤ .

(٤) مرقص ، يواقيم رزق ، " الاستعمار البلجيكي " ، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم ، ص ٢٣٠ ، القاهرة ، ١٩٧٧م .

وتشتهر أُوغندا بزراعة البن ، وتُعدّ خامس دولة في العالم بإنتاج هذا المحصول ، الذي يصل إنتاجه حوالي ٨٥،٠٠٠ طن ، ويُشكّل ٥،٩٪ من الإنتاج العالمي، كما يُزرع فيها الموز الكبير الحجم ، والبطاطا الحلوة وقصب السكّر والشوفان والتّبغ والنارجيل والكاكو والنّخيل الزّيتي ، ويصدّر جُزء من هذه المحاصيل ، وتحتل إنجلترا المركز الأول بالنسبة للصادرات والواردات ، بينما تستهلك أُوغندا الجُزء الآخر(١) .

ومن الموارد الاقتصادية الهامة في أُوغندا والمطلوبة عالمياً الأخشاب الصّلبة والثّمينة ، ويحصلون عليها من أشجار الكافور والأرز والأكاجو ، وتُزرع في سفوح الجبال ، حيث يكون المطر غزيراً ، وعلى ضفاف الأنهار ، وشواطىء بحيرة فيكتوريا ، لتوفّر المياه . كما تكثر زراعة أشجار الخيزران في سفوح الجبال أيضاً(٢) .

لذلك تُعدّ الزّراعة من أهم نشاط السكّان في البلاد ، لتوفّر التربة البركانية الخصبة والأمطار الغزيرة(٣) .

وينقسم سكّان أُوغندا البالغ عددهم ١٧،١٨٩،٠٠٠ نسمة من حيث الجنس إلى ثلاثة أقسام : الباتنو ، والسّاميّون الحاميون ، وأخيراً النيليّون .

وقبائل الباتنو : اكتسحوا شرق البلاد ، واختلطوا مع السكّان الأصليين ، وأهم قبائلهم البوغندا ، ويكوّنون ١٧٪ من السكّان ، ثم الباسوغا ووالبونيورو . أما الأقوام الحاميـة : فكانوا من الرّعاة، الذين هاجروا إلى هذه المنطقة في فترات متعاقبة، وأسسوا الممالك ، وسيطروا على الباتنو المزارعين ، وقُسّمت المنطقة إلى الممالك الآتية : مملكة

---

(١) شاكر ، محمود ، أوغندة ، ص ٦٨ .

(٢) شاكر ، محمود ، أوغندة ، ص ٤٧ .

(٣) شاكر ، محمود ، أوغندة ، ص ٦٧ .

أنكولة Ankole والتي يغلب عليها الجنس الحامي ، ومملكة بنيورو Bunyoro التي اختلط فيها الحاميون الأصليون بالبانتو ، ومملكة بوغندا ، التي كان اختلاط الحاميين والبانتو فيها أكثر ، أما عن الجنس النّيلي : فيتكوّن من عدّة قبائل ، أشهرها : اشولي ولينجو وهم يقطنون المناطق الشمالية الغربية من أُوغندا(١) .

وإضافةً إلى السّابق ، فإنه يوجد بعض الأقوام ، الذين يعيشون منعزلين في الغابات ، وبعض التجار العرب ، ثم الهنود الذين يُشكّلون ثلاثة أرباع السّكان الأجانب في أُوغندا ، وقد دخلوا البلاد على شكل تُجّار فصار لهم بعد ذلك شأن كبير(٢) .

ومعظم سكّان الأرياف في أُوغندا يسكنون في أكواخٍ مخروطية السّقوف لغزارة الأمطار ، وفي المدن تُبنىٰ المنازل من الأسمنت إلى جانب الأكواخ ، إذ تغلب عليها الحياة القبلية التي تظهر في جوانب كثيرة منها .

وغذاء السكّان الأساسي فيها البطاطا الحلوة ، الذّرة والموز بأنواعه ، حيث يُطلقون على الصغير الحجم منه السكّري وهو يُؤكل بدون طبخ ، أما النوع الآخر فهو كبير الحجم ، ويطبخ بالمرق واللحم ، ويعتبرذلك طعامهم الشّعبي ، ويُطلقون عليه اسم الماتكو(٣) .

ويتكلّم السّكان في أُوغندا اللغة السّواحلية ، التي هي عبارة عن مزيج من لهجات البانتو مع اللغة العربية ، وتُكتب بالأحرف العربية ، وقد غيّر الاستعمار كتابتها فيما

---

(١) هادون ، " أوغندة " ، دائرة المعارف الإسلامية ، ص ١٥٥ ، شاكر ، محمود ، أوغندة ، ص ٥٠ .

(٢) شاكر ، محمود ، أوغندة ، ص ص ٥٠ – ٥١ .

(٣) شاكر ، محمود ، أوغندة ، ص ص ٥٤ – ٥٥ .

بعد ، فجعلها تُكتب بالأحرف اللاتينية ، ويحرص المسلمون على تعلّم اللغة العربية والتحدّث بها(١) . كما يجيد معظمهم التحدّث باللغة الإنجليزية .

ولباس السكّان في أُوغندا لايختلف عن الزّي السواحلي ، ويتميّز المسلمون منهم بلبس الطّاقية ، والذي يعتنق الإسلام يلبس زي المسلمين مباشرة ، ثم يذهب إلى المسجد ، حيث يتعرّف عليه أخوانه المسلمون . وإن كان فقيراً ، يجمع له مايكفيه ويسد حاجته ، وتعتبر الحالة المادية للمسلمين أحسن من غيرهم من الوثنيين ، لنشاطهم واعتمادهم على أنفسهم في تأمين سُبل العيش حتىٰ لايكونوا عالة على غيرهم . ويتجمّع المسلمون في منطقة بوغندا وبنيورو وتورو وموبندي وفي المقاطعة الشرقية من إقليم بوسوغا ، وفي المقاطعة الشمالية على طول نهر النيل(٢) . شكل رقم (٦)

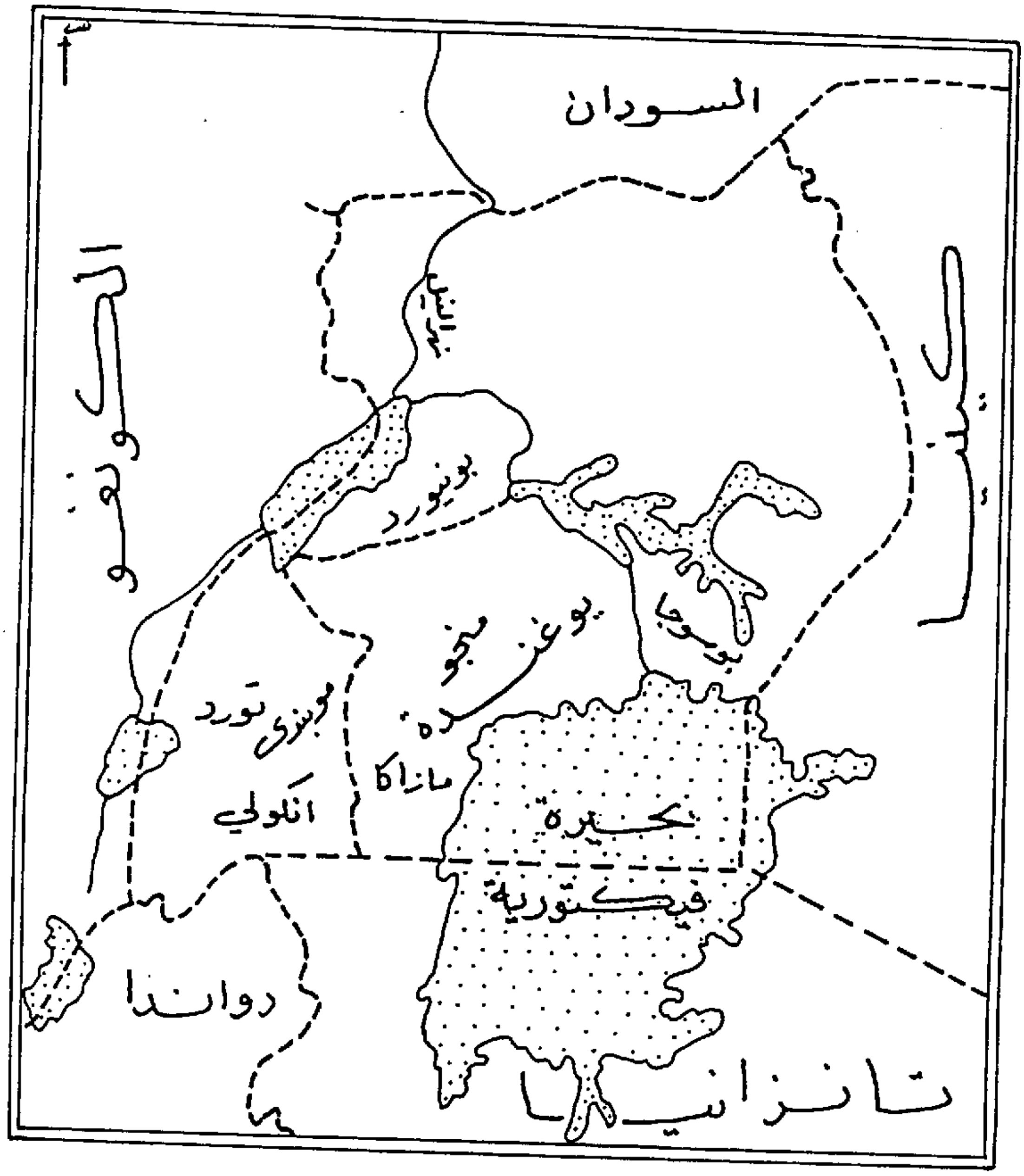
ويشتهر أهل بوغندا بحبّهم الشديد للحرّية ، وتمسّكهم الكبير بالوحدة والتضامن ، مما جعل اختطاف وقنص الرّقيق بينهم أمراً صعباً ، لتماسكهم مع بعضهم البعض ، وكان يتم إنقاذ أي فرد منهم يقع في الأسر إمّا حرباً أو افتداءً . مما أثار إعجاب التّجار المسلمين بهم ، وسعوا إلى كسب ثقتهم عن طريق إدخالهم في الإسلام ، لأن التّاجر العربي المسلم لم يكن المال هو هدفه الأوحد ، وإنما كانت الدّعوة إلى الله هي الهدف الأسمىٰ ، والتجارة وسيلة إلى بلوغ هذا الهدف بالاتّصال ، وطريقاً إلى اللقاء وتبادل الأفكار ، فالدّين الإسلامي دين الفطرة ، وليس على أهله إلا الإخلاص في الدّعوة(٣) ، الذي هو أهم العوامل التي ساعدت على نشر الإسلام في تلك المناطق .

---

(١) شاكر ، محمود ، أوغندة ، ص ٥٢ .

(٢) شاكر ، محمود ، أوغندة ، ص ٥٧ .

(٣) شاكر ، محمود ، أوغندة ، ص ص ٨ - ٩ .



المناطق التي يكثر فيها المسلمون

محمود شاكر : أوغندة ، ص ٥٦ .

شكل رقم (٦)

وتتّفق المصادر العربية والأُوروبية على أن التجّار العرب المسلمين ورحلاتهم التجارية وماتم فيها من تبادل السلع والمكاسب الاقتصادية ، كان لكل ذلك شأن كبير في تبادل الآراء والأفكار ، وبالتالي أفسحت المجال لنشر الدّين الإسلامي . ويعتبر الشيخ أحمد بن إبراهيم العامري من أهم الدّعاة ، وأحد التجّار المسلمين الذين كان لهم أثر مهم ودور كبير في انتشار الإسلام في أُوغندا ، إذ إن وصوله إلى بلاط الكابكا أي الملك سُنّا Suna في أُوغندا حدث هام ، ونقطة تحوّل عظيم في تاريخ المملكة ، وذلك لموقفه الشّجاع الذي يُعتبر بداية دخول الإسلام إلى أُوغندا ، ولما أظهره عندما شاهد بعض الممارسات والعادات والتقاليد الهمجية والوحشية ، التي كان يقوم بها الكابكا ، في سفك دماء الأبرياء من رعاياه ، اتّباعاً للدّيانة الوثنية الأفريقية ، التي كان يتّبعها أهل بوغندا ، فما كان من الشيخ أحمد إلا أن وقف مخاطباً الكابكا بجُرأة أدهشت جميع الحاضرين قائلاً :

« مولاي ، إن هؤلاء الرّعايا الذين تسفك دماؤهم كل يومٍ
بغير حق ، إنما هم مخلوقات الله سبحانه وتعالىٰ ، الذي خلقك
وأنعم عليك بهذه المملكة » (١)

فذُهل الحاضرون من شجاعة هذا التاجر الغريب الذي استطاع أن يُخاطب الكابكا ذا العظمة والهيبة دون وجل أو خوف . فما كان من هذا الحاكم إلا أن أجاب بهدوء محاولاً ضبط النّفس ، بأن آلهته قد منحته هذه المملكة . فأجابه الشيخ أحمد بشجاعة وثقة تامة ، بأن الله الواحد الأحد هو الذي أمدّه بكل شيء . فطلب الكابكا من الشيخ أحمد معرفة المزيد عن المولىٰ سبحانه وتعالىٰ ، فقال له الشيخ أحمد : إن الله هو خالق الكون وماحوىٰ ، والذي له مُلك السموٰت والأرض . وبدأ

---

(١) صغيرون ، إبراهيم ، " انتشار الإسلام في أُوغندا " ، مجلة كلية العلوم الاجتماعية ، ص ٢١ .

صدر الكابكا ينشرح تدريجياً لما يقوله الشّيخ ، وطلب منه أن يعلّمه عن هذا الدّين كل شيء ، فاستجاب الشّيخ أحمد لمطلب الحاكم بفرحٍ وسرور ، ومضىٰ يعلّمه في صبرٍ وأناة ، خاصةً عقيدة توحيد الله الذي لاشريك له ، ثم مسألة الحياة والموت والبعث ، والثواب والعقاب في الدّنيا والآخـرة . وصار الحاكم سُنّا يتعلّم مبادىء الدّين الإسلامي بصدرٍ رحب ، حتىٰ أنه يُقال : إن الشيخ أحمد استطاع تعليم الكابكا أربعة أجزاء من القرآن الكريم قبل وفاته عام ١٢٧٣هـ / ١٨٥٦م . فكانت هذه هي البداية المباركة لانتشار الإسلام في أُوغندا بشكلٍ واسع(١) .

وتعتبر قصّة الشيخ أحمد هذه نموذجاً رائعاً لدور التّجّار المسلمين ، ومن أتىٰ بعدهم من التّجار الزّنجباريين والسواحليين ، ويُعتبر ماقام به الشيخ أحمد الأساس الذي صار عليه التجّار والعلماء المسلمون في هذه المنطقة .

ويظهر ذلك بشكلٍ واضح في عهد الملك أو الكابكا موتيا Mutesa الأول (١٢٧٣هـ-١٣٠٢هـ/١٨٥٦م-١٨٨٤م) ، الذي كان على درجة كبيرة من التسامح الديني ، وعمل جاهداً لنشر الدّين الإسلامي ، فأسلم على يديه الكثيرون من أهالي بوغندا(٢) . ولم يكتفِ بذلك ، بل قام بنشره في الممالك الأُوغندية المجاورة ، فكتب إلى كاباريجا Kabarega ملك بنيورو ، يدعوه إلى الإسلام ، ويوضّح له مبادىء هذا الدّين العظيم ، كما أصدر أوامره باعتناقه إلى جميع الأقاليم التالية لمنطقته ، وإقامة الشّعائر الدّينية ، وبناء المساجد للعبادة والتعليم ، ومنح رعاياه من السّواحليين المسلمين

---

(١) صغيرون ، إبراهيم ، " انتشار الإسلام في أُوغندا " ، مجلة كلية العلوم الإجتماعية ، ص ٢١ - ٢٢ .

(٢) إبراهيم صغيرون ، " انتشار الإسلام في أُوغندا " ، مجلة كلية العلوم الإجتماعية ، ص٢٣ ، محمد ، محمد سيد ، " أوغندة " ، مجلة كلية الشريعة والدراسات الإسلامية ، ص٦٨ ، أرنولد ، توماس ، الدعوة إلى الإسلام ، ص٣٨١ ، حسن ، يوسف فضل ، الجذور التاريخية ، ص ٣٦ ، Gray, John, " Ahmed bin Ibrahim, The first Arab to reach Buganda ", Uganda Journal, Vol. II., P. 88, 1947 .

المناصب العُليا في البلاد ، فأسّسوا المشيخات والولايات ، وقاموا بإدارتها وتصريف أُمورها بالطريقة الإسلامية .

ولأول مرّة في تاريخ أُوغندا أمر بالعمل بالتقويم الهجري في أنحاء المملكة ، والتّمسّك بالأخلاق الإسلامية ، التي تدعو إلى التآخي والمحبة في المعاملات الاجتماعية(١) .

وقد شجّع الملك موتيسا التجار المسلمين ، ومنحهم حرّية الاستيطان في مملكته كعلماء وأساتذة في المدارس والمساجد . فتمكّن بذلك الإسلام في قلوب أكثر النّاس والأهالي ، ومنهم أمبوجا Amboga شقيق الملك موتيسا حاكم تومبالا Tombala إحدىٰ المناطق في بوغندا ، وتقع غربي كامبالا(*)Cambala(٢) .

وترىٰ بعض المصادر الأُوروبية أن العامل الاقتصادي هو الذي دفع الملك موتيسا لهذا الحماس الشّديد للإسلام ، لأن علاقة مملكة بوغندا مع سلطنة زنجبار تعتمد على الموارد الاقتصادية ، التي كان يقوم بها التجّار المسلمون ، والتي كانت تشكّل مورداً هاماً ورئيسياً في النشاط الاقتصادي ، الذي تتمتّع به مملكة بوغندا . ولكن هذا ينافي الحقيقة ، إذ إن الأُمور الاقتصادية والعلاقات التجارية مهما عظُمت وقويت ، فهي لاتكفي وحدها لهذا الغرض العظيم ، لأن هؤلاء التجار الذين أتوا في فترات متفرّقة ، كانوا لايملكون حولاً ولاقوّة إلا إيمانهم العميق ، وقوّة العقيدة الإسلامية وسماحتها ، فهذه الرّوح الصّليبية تحاول كعادتها تشويه صورة الإسلام والمسلمين ، وتقلل من الدّور الذي قام به الدّعاة المسلمين ، وتجعل الأغراض المادية البحتة كالسبب الاقتصادي هي

---

(١) صغيرون ، إبراهيم ، " انتشار الإسلام في أُوغندا " ، مجلة كلية العلوم الإجتماعية ، ص٢٣ .

(*)كامبالا : عاصمة أُوغندا .

(٢) زكي ، عبدالرحمن ، الإسلام والمسلمون في شرق أفريقيا ، ص ٩٦ - ٩٧ .

الأساس في نشر الإسلام ، وليست سماحة الدين الإسلامي التي حببت إليهم الدّخول فيه عن قناعة ويقين(١) .

وللمسلمين في أوغندا عدّة مساجد منتشرة في مناطق مختلفة وأهمها وأجملها مسجد كامبالا ، المبني على ربوة عالية ، ويقصده عدد كبير من المصلّين كل يوم ، والمذهب السّائد في المنطقة هو المذهب الشّافعي(٢) . الذي جاء مع التجار الزنجباريين والسواحليين ، بينما نجد أن المذهب المالكي ينتشر في المراكز الرّئيسية ، التي استقرّت فيها بقايا فصائل الجيش السّوداني(*) بقيادة أمين باشا ، ومانتج عنها من نشر اللغة العربية والإسلام(٣) .

وهكذا فإن الإسلام دخل أوغندا عن طريق التسرّب السّلمي البطيء ، ولم ينتشر بالسّيف وإنما بالدّعوة التي هي الطّريق الصحيح إلى الإسلام(٤) . وعن طريق جهود ثلاثة تيارات رئيسية هي :

---

(١) صغيرون، إبراهيم ، " انتشار الإسلام في أوغندا " ، مجلة كلية العلوم الإجتماعية ، ص٢٣ .

(٢) زكي ، عبدالرحمن ، الإسلام والمسلمون في شرق أفريقيا ، ص ٩٧ .

(٣) حريز ، سيد حامد ، " المؤثرات العربية في شرق أفريقيا " ، مجلة كلية الآداب والدراسات العربية ، ص ٤٣ - ٤٤ .

(٤) شلبي ، أحمد ، مقارنة الأديان ، الإسلام ، ص ١٩٢ ، القاهرة ، ١٩٧٩م .

(*) هذه الحملة من بقايا قوات أمين باشا حاكم المديرية الاستوائية باسم مصر ، تغلغلت في بوغندا وكينيا في أواخر القرن التاسع عشر (١٨٨٦ - ١٨٩٠م) واستقر جنود تلك الحملة في أماكن مختلفة في شرق أفريقيا ، منها بمبو Bombo في بوغندا ، وكبيرة Kibera في كينيا . والسّكان الحاليون لتلك المناطق يقولون أنهم نوبيّون . وهذا مصطلح يُطلق على أفراد القبائل الأوغندية التي تأثرت بالتراث الإسلامي السّوداني . فكلمة نوبي تطابق كلمة مسلم في شمال أوغندا ، ويجب ألا يُخلط بين هذه المجموعة والنّوبة ، الذين يعيشون في شمال السّودان وجنوب مصر ، صغيرون، ابراهيم " انتشار الإسلام في أوغندا " مجلة كلية العلوم الإجتماعية ، ص٣٢-٣٩ .

- التجار الزّنجباريون الذين ينتمون إلى السّاحل الشرقي من أفريقيا .
- التجار الخرطوميّون القادمون من السّودان .
- بعض الفرق العسكرية من بقايا قوّات أمين باشا السّودانية المقيمة على إقليم خط الإستواء في تلك الفترة(١) .

وقد تقدّم التعليم في تلك المنطقة تقدّماً ملموساً ، فشيّدت المدارس والجامعات ، وكان الطّلاب يأتون إلى جامعة ماكارير Makerere في أُوغندا ، وإلى مركز كيبولي Kibuli في العاصمة كامبالا ، للتعليم والمعرفة(٢) .

(١) صغيرون ، إبراهيم ، " انتشار الإسلام في أُوغندا " ، مجلة كلية العلوم الإجتماعية ، ص٢٠ .

(٢) ترمنجهام ، سبنسر ، الإسلام في شرق أفريقيا ، ص ٢٩١ .

الفصل الثاني

قيام إمارات عربية إسلامية في أعالي الكونغـو

قيام إمارات عربية إسلامية في أعالي الكونغو :

ارتبط الوجود العربي الإسلامي في الكونغو بالمراكز والمستوطنات العربية ، التي امتدّت من ساحل أفريقيا إلى الداخل ، والتي كان يقوم فيها العرب والسواحليون بالتجارة بهمّة ونشاط ، حيث جهّزوا القوافل ، وسلكوا الطّرق التجارية الممتدّة في داخل القارة .

كما ارتبط الوجود العربي في الكونغو بسلطنة زنجبار العربية الإسلامية ، وبشخصيّة عربية عُمانية ، أكّدت هذا الوجود العربي الإسلامي وقوّته ، وحقّقت دوراً هاماً في البناء الحضاري في تلك المنطقة ، وقد عرف هذه الشخصية المستكشفون الأُوروبيّون والزّعماء الأفارقة في وسط أفريقيا . هذه الشخصيّة هو حميد بن محمد بن جمعه بن رجب بن محمد بن سعيد المرجبي النبهاني ، وينتمي إلى قبيلة المراجبة العمانية ، التي رحلت إلى سواحل شرقي أفريقيا مع بعض القبائل العُمانية ، مثل الحواتم والنباهنة واليعاربة أثناء حُكم اليعاربة (١٠٢٣هـ/١٦٢٤م - ١١٥٣هـ/١٧٤١م) وذلك لمساعدة سيف بن سلطان اليعربي في تصفية الوجود البرتغالي ، وبعد انتصارهم عاد السّلطان اليعربي إلى مسقط ، بينما استقرّت القبائل السّابقة على السّواحل الشّرقية ومنهم المراجبة(١) .

ولد حميد بن محمد المرجبي من أبٍ عربي وأمٍ من سُلالة المريما ، في زنجبار ، حوالي ١٢٤٨هـ / ١٨٣٢م ، وكان يُلقّب بـ تيبوتيب Tippo Tip . وقد نشأ في هذه المنطقة التي كان يعم فيها الجهل والفقر ، فتعلّم على يد والده القراءة والكتابة وتلاوة القرآن الكريم ، وتركه والده في زنجبار ، ورحل إلى تابورة Tabora طلباً للرّزق ، حيث قضى معظم

---

(١) اللمكي ، ناصر بن سليمان بن ناصر ، " حميد بن محمد المرجبي فاتح الكونغو ، والملقب بـ تيبوتيب " ، مجلّة الهلال ، ج ١٤ ، ص ٥٧٢ ، القاهرة ، ١٣٢٤هـ/ ١٩٠٦م ، الشيخ ، رأفت غُنيمي ، دور عُمان في بناء حضارة شرقي أفريقيا ، ص ١٧٦ - ١٧٧ .

حياته هناك في أرض قبائل الأنيامويزي Nyamwezi ، وتزوّج بابنة أحد زُعماء الزّنزج هناك ، وتسمىٰ كاروينديي Karunde ، وعند وفاتها تزوّج بأُختها الصُغرىٰ نياسو Nyaso ، فساعد ذلك على تدعيم النّفوذ الاقتصادي والحضاري في هذه المقاطعات الدّاخلية ، حيث احتك عرب زنجبار بشعوب هذه المناطق وقبائلها(١) .

وفي زنجبار اشتد الفقر بحميد بن محمد المرجبي تيبو تيب بعد رحيل والده ، ولما بلغ الثانية عشر من العمر اقترض إثنىٰ عشر ريالاً لشراء بعض الملح ، وسافر به إلى دار السّلام ، ومنها إلى المناطق الدّاخلية للتجارة به ، واستمر على هذه الطّريقة بضعة شهور ، وكانت رحلاته لاتزيد عن مسيرة يومين أو ثلاثة ، ثم أخذت مدّة سفره تطول تدريجياً ، عندما اطمأنّ إليه التجّار ، فشاركوه في الأموال والثّياب والمأكولات وغير ذلك .

ثم علم بوجود والده في تابوره وزواجه بابنة سلطان النياmويزي فقرّر اللحاق به . فسافر إلى تابورة عن طريق باجامويو Bajamoyo فاستمرّت رحلته ثمانين يوماً تعرّض خلالها لكثيرٍ من المصاعب اجتازها مع المجموعات الصّغيرة التي كان يترأسها ، وعندما وصل تابورة ، وجد فيها جالية عربية مكوّنة من خمسمائة شخص ، وكان عدد سكّان تابورة أربعون ألفاً ، فقابله سلطانها - صهر والده - بالترحاب ، وأهدىٰ إليه كمّيات كبيرة من العاج للتجارة فيها ، كما حصل على كمّياتٍ أُخرىٰ من العاج عندما استعان به سلطان تابورة ضد أحد سلاطين الزّنوج المعاديين له ، فساعد حميد بن محمد صهر والده ، حتىٰ استطاعا الاستيلاء على بلاد العدو ، وصارت ملكاً للمرجبي ، فجمع الكثير من العاج(١) .

---

(١) اللمكي ، ناصر ، " حميد بن محمد المرجبي " ، مجلة الهلال ، ص ص ٥٧٣ - ٥٧٤ .

وعاد به إلى زنجبار ماراً بدار السلام ، حيث قابل السيد ماجد بن سعيد في قصره هناك ، وكان وصول حميد المرجبي وقافلته مُثيراً لإعجاب السّلطان ، الذي رحّب به كثيراً ، وأكرمه كضيفٍ محبوب .

وعاد السلطان ومعه حميد المرجبي إلى زنجبار ، وهناك قضىٰ فترة من الزّمن ، باع فيها مامعه من العاج ، ووفىٰ ماعليه من الدّيون ، ثم عاد إلى الدّاخل ، بعد أن جهّز كل مايحتاجه إليه من السّفر(١) .

وقد شجّعه السيد ماجد بشتّىٰ الطّرق ، مما قوىٰ نفوذ سلطات حميد المرجبي في الدّاخل ، وكان عليه أن يقوم بالمقابل بمساعدة رعايا السّلطان ، عندما تمرقوافلهم بالمناطق الدّاخلية في القارة(٢) .

وعندما غادر حميد المرجبي زنجبار ، أخذ معه من الثياب والخرز والبارود والرّصاص ماتعادل قيمة تسعون ألف ريال ، ووصل بها إلى باجامويو ، حيث تاجر ببعض هذه البضائع ، ثم أكمل رحلته قاصداً تابوره ، وفي الطّريق بعد مسيرة خمسة عشر يوماً ، هجم عليه مجموعة من اللصوص من قوم الونجوي Wangoni ، وسلبوا بعض أمواله ، ولكنه استطاع أن يواصل مسيرته ، رغم تعرّض قافلته للعطش والجوع وتفشّي مرض الطّاعون بينهم ، فمات منهم خمسمائة رجل ، فترك البضائع التي كانوا يحملونها ، واستمرّ في رحلته ، حتىٰ وصل إلى تابورة ومعه مايقرب من نصف أمواله ، التي خرج بها من زنجبار . ومكث هناك سنتين ، ثم ذهب إلى أُوجيجي ، وقد ربح من هذه الرّحلة أموالاً طائلة(٣) .

---

(١) اللمكي ، ناصر ، " حميد بن محمد المرجبي " ، مجلة الهلال ، ص ٥٧٤
Ingrams, W. H., Zanzibar, P. 168.

(٢) Ingrams, W. H., Zanzibar, P. 168.

(٣) اللمكي ، ناصر ، " حميد بن محمد المرجبي " ، مجلة الهلال ، ص ص ٥٧٣ - ٥٧٤
Ingrams, W. H., Zanzibar, P. 168

وواصل رحلته إلى أُوجالا Ugalla ، حيث حقق انتصاراً كبيراً على سلطان تاكا Taka ، ثم سيطر على مملكة كاسمبي Kasembe في لونـدا Lunda(١) .

وفي عام ١٢٨٤هـ / ١٨٦٧م قابل المرجبي المستكشف الأسكتلندي لفنتجستون وقدّم له معلومات كثيرة عن الطّرق والمسالك التي كان يتبعها العرب في تنقّلاتهم الدّاخلية في القارة الأفريقية(٢) .

وفي نفس العام كان المرجبي قد أحـرز نجاحاً كبيـراً في الوصول مع رفاقه إلى المنطقـة الواقعـة بين جنوب بحيـرة تنجانيقا وبحيـرة ميروي Merwe ، وضمّها إلى أملاكه ، ومكث فيها مع الزّنـوج مايُقارب من السّنـة والنّصف ، ثم غادرهـا إلى الوجيجي ، ومنهـا إلى تابـورة ، حيـث جمـع أكبـر عـدد من العتـاد والمـال ، استعـداداً للوصـول إلى الكونغـو(٣) .

قاد بعد ذلك حميد المرجبي في عام ١٢٨٧هـ / ١٨٧٠م حملة كبيـرة لضم بعض الأجـزاء من روافد نهر الكونغو ، وقبل رحيله أرسل إليه السيد برغش سلطان زنجبار ألفي رطل من البارود . فبدأ رحلته بالمرور في أوجيجي ليجمع الأموال من تجارة العاج ، ويشتري بها البضائع المختلفة ، ثم قطع بحيـرة تنجانيقا ، ووصل إلى البـرالأفـريقي الدّاخلي في مقاطعـة أُوتيتيـرا Utetera ، وواجه هناك كثيراً من المصاعب على أيدي الزّنـوج

---

(١) Ingrams, W. H., Zanzibar, P. 168 - 169.

(٢) Ingrams, W. H., Zanzibar, P. 168, Ingham, K., A History of East Africa, P. 66, New York, 1965.

(٣) اللمكي ، ناصر ، " حميد بن محمد المرجبي " ، مجلة الهـلال، ص ٥٧٤ ، مرقص ، يواقيم رزق ، " الاستعمار البلجيكي " ، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، ص ١٧٦ .

Ingrams, W. H., Zanzibar, P. 168 - 169., Ingham, K., A History of East Africa, P. 66.

والوحوش المفترسة ، فكان يتلقىٰ الأهوال مرةً بالعطايا ، وتارةً بالسّيف ، والنّصر حليفه ، والشّهرة تتقدّمه ، فترتعد الملوك خوفاً منه ، فيصالح المطيعين ، ويُحارب العاصين . ولم يشغله هذا عن البيع والشّراء من العاج والثّياب(١) .

وواصل رحلته حتىٰ وصل إلى نهر الكونغو عند مدينة شلالات ستانلي Stanley Falls واستقرّ بها مدّة للرّاحة والتجارة . وعند عودته بلغه أن أحد سلاطين الزّنوج سيغير عليه في الطّريق ، ويستولى على أمواله ، فتركها في المدينة ، وجهّز جيشاً كبيراً من رعاياه ومن المناطق الموالية له ، بلغ عدده ٣٠,٠٠٠ رجلاً للهجوم على العدو من الخلف . كما جهّز أسطولاً يتكوّن من ٤٠٠ قارب ، سار به على شاطىء الكونغو ، واستمر في التقدّم مدّة شهرين ، كان خلالها يبيع ويشتري ، ثم التقىٰ بالعدو الذي كان قويّاً وكثير العدد ، واستطاع بذلك هزيمة حميد المرجبي ، واستولى على مراكبه وكثير من ماله ، فطلب حميد النّجدة من محمد بن خلفان البرواني(*) في الوجيجي ، فجمع هذا جيشاً عظيماً من الوجيجي والمناطق الموالية لهم والمحيطة بها ، ثم سار بجيشه الكبير مواصلاً الليل بالنهار ، حتّىٰ وصل مكان حميد المرجبي ، الذي فرح بالنّجدة التي وصلته ، وواجه عدوّه ، فتحارب الفريقان ثلاثة أشهر ، انجلت عن قتل العدو ، فأصبحت هذه الأماكن خاضعة لحميد المرجبي وسيطرته التّامة(٢) .

وهكذاصار المرجبي يتحكّم في كل المنطقة الواقعة جنوب بحيرة تنجانيقا وأجزاء كثيرة

---

(١) اللمكي ، ناصر ، " حميد بن محمد المرجبي " ، مجلة الهلال ، ص ٥٧٤ - ٥٧٥ ،
Ingham , K. , A History of East Africa , P. 66 .

(٢) المغيري ، جهينة الأخبار ، ص ٣٢٣ - ٣٢٤ ، اللمكي ، ناصر ، " حميد بن محمد المرجبي " ، مجلة الهلال ، ص ٥٧٤ - ٥٧٥ .

(*)محمد بن خلفان البرواني ، رافق حميد المرجبي في الكشف عن المناطق الدّاخلية في البرالأفريقي ، واستقرّ في الوجيجي ، وبسط نفوذه وسلطانه عليها ، المغيري ، جهينة الأخبار ، ص ٢٣٤ - ٢٣٥ .

من روافد نهر الكونغو ، وصار يتمتّع بسلطات سياسية وتجارية مباشرة ، من فرض الضرائب وتعيين الحكّام وحل مشاكل الوطنيين ، فأصبحت قوّة المرجبي كبيرة ، يحسب لها حسابها في معظم المقاطعات في أواسط القارة الأفريقية . وتبعاً لذلك تمكّن المرجبي من تأمين نفوذ سلطان زنجبار الاقتصادي على المنطقة .

وإن الإمتيازات السابقة إضافةً إلى القوّة العسكرية والنّشاط الاقتصادي وتأمين الطّرق التجارية ، والمزيد من الأعوان العاملين في مجال التجارة ، فإن كل هذا يعني السّيطرة السياسية وقيام إمارات عربية في أعالي الكونغو .

وقد اتّجه المرجبي ومن معه من الرّجال الذي كان يقدّر عددهم بحوالي ٦٠,٠٠٠ رجلاً ، وعلى رأسهم محمد بن خلفان البرواني إلى محاربة قبائل المنيمة ، فانتصروا عليهم ، واستطاعو فتح الطّرق التجارية إلى باجامويو ومنها إلى زنجبار(١) .

وعندما استتب الأمن في المنطقة عاد المرجبي مع جواريه وعبيده وأمواله إلى زنجبار ، تاركاً أمور الحُكم لبعض إخوانه وأصدقائه ، كحُكّام وولاة ينوبون عنه في حُكم هذه الإمارة وفي طريق عودته إلى دار السلام ، أرسل إليه السيد برغش رسالة يهنّئه على ما ناله من النّصر والشّهرة ، وقال فيها :

« بسم الله الرحمن الرحيم ، من برغش بن سعيد إلى حضرة الشيخ المحترم حميد بن جمعه المرجبي ، سلّمه الله تعالىٰ ، وبعد . السلام عليك ، أخبرني المحب ابن مسعود بأنك واصل إلينا قريباً ، فوجبت علينا التّهنئة لك . وأرسلنا الكتاب للسلام عليك والسلام »(٢) .

---

(١) المغيري ، جهينة الأخبار ، ص ٣٢٥ ، ناصر اللمكي ، " حميد بن محمد المرجبي " ، مجلة الهلال ، ص ٥٧٥ .

(٢) اللمكي ، ناصر ، " حميد بن محمد المرجبي " ، مجلة الهلال ، ص ٥٧٦ .

هذه الرّسالة القصيرة من السلطان برغش دليل على اعترافه بما أنجزه حميد المرجبي تيبو تيب من انتصارات كبيرة وشهرة واسعة ، وتعني أيضاً - ولو ضمنياً - مباركة السّلطان له بالمناطق الجديدة المفتوحة . مما أكسب المرجبي نفوذاً واسعاً ، وأصبح يحكم تلك البلاد ، وهو يتمتّع باعتراف السلطان ، أو بعبارة أُخرىٰ نيابة عنه في حُكم هذه المناطق .

وعندما وصل المرجبي إلى دار السّلام ، كان معه ٧٠,٠٠٠ رطل من العاج ، وأنواع أُخرىٰ من البضائع التي جلبها للتجارة . ثم سافر إلى زنجبار بحراً ، فوصلها في أوائل عام ١٢٩٤هـ/١٨٧٧م ، فباع جميع بضائعه من عاجٍ وغيره بمبلغ كبير من المال ، وكان ربحه الصّافي بعد أن سدّد جميع ديونه ٣٠,٠٠٠ جنيه(١) .

ومن زنجبار اشترىٰ المرجبي الكثير من البضائع المتنوّعة ، وجهّز نفسه للسّفر حيث ذهب إلى باجامويو ، ومنها إلى المناطق الدّاخلية ، حتىٰ وصل إلى مدينة كاسونجو Kasongo ، التي اتّخذها عاصمةً له ، وظل يُزاول نشاطه هناك بهمّة ونجاح مؤسساً نطاقاً إدارياً وتجارياً واسعاً ، حتىٰ وُصف بأنه الملك غير المتوّج للكونغو(٢) .

وفي عام ١٨٧٤م التقىٰ حميد المرجبي بالرّحال الأمريكي هنري مورتون ستانلي H. M. Stanley الذي أرسله ملك بلجيكا ليبولد الثاني لاختراق القارة الأفريقية من باجمويو شرقاً إلى الكونغو غرباً ، وذلك بتتبع نهر اللولابا Lulalaba أحد روافد

---

(١) اللمكي ، ناصر ، " حميد بن محمد المرجبي " ، مجلة الهلال، ص ص ٥٧٦ - ٥٧٧ .

(٢) اللمكي ، ناصر ، " حميد بن محمد المرجبي " ، مجلة الهلال، ص ٥٧٧ ، مرقص يواقيم رزق ، " الاستعمار البلجيكي " ، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم ، ص١٧٦ .

الكونغو ، وإثبات اتّصاله بنهر الكونغو ، حيث قام حميد المرجبي بإرشاده ومساعدته لإكمال هذه المغامرة ، التي استغرقت عدّة سنوات(١) .

وتعتبر هذه الرّحلة نقطة البداية للتوسّع الأوروبي إلى هذه المنطقة ، والذي نتج عنه الصراع العربي البلجيكي ونهاية الوجود العربي في هذه المنطقة ، ثم سيطرة ليبولد الثاني ملك بلجيكا على الكونغو(٢) .

هكذا مضت الأيام والسنوات بالنسبة للمرجبي بين الحروب والتجارة التي كان يكسب منها الكثير من الأموال ، ليرسلها إلى وكيله في زنجبار ، ويطلب منه أن يمدّه بالبضائع التي يطلبها الزّنوج ، وفي نفس الوقت تحقق له الرّبح الكبير(٣) .

وعندما رجع المرجبي إلى زنجبار عام ١٣٠٤هـ / ١٨٧٧م وجد الانجليز له بالمرصاد ، وأخبروه بدخول البلجيك منطقة الكونغو ، ونصحوه بعدم المعارضة في ذلك ، وعيّنوه حاكماً على المنطقة للاستفادة من نفوذه ومعرفته وخبرته الواسعة ، على أن يدفعوا له مقابل ذلك خمسة وستّون جنيهاً شهرياً(٤) .

وفي الحقيقة كان حميد المرجبي ، يُلم بالكثير من المعلومات عن وسط أفريقيا ، وله المعرفة والسيطرة الواسعة على سُكّان المنطقة ، مما كان سبباً في استعانة معظم الرّحالة

---

(١) اللمكي ، ناصر ، " حميد بن محمد المرجبي " ، مجلة الهلال ، ص ٥٧٧ ،
Slade , Ruth , King Leopold's Congo , P. 198 , Ingrams , W. H. , Zanzibar , P. 169 .

(٢) مرقص ، يواقيم رزق ، " الاستعمار البلجيكي " ، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم ، ص ١٧٦ .

(٣) اللمكي ، ناصر ، " حميد بن محمد المرجبي " ، مجلة الهلال ، ص ٥٧٧ .

(٤) اللمكي ، ناصر ، " حميد بن محمد المرجبي " ، مجلة الهلال ، ص ٥٧٨ ، قاسم جمال زكريا ، الأصول التاريخية ، ص ٢٤٤ .

والمنصرين الأجانب به ، كما اعترفوا بفضله عليهم ، ومن ذلك ماتذكره الوثائق الأوروبية الرّسمية(١) وتقارير بعثات الإرساليات التنصيرية حيث يقول جونستون القنصل البريطاني في شرق أفريقيا :

« ينبغي أن يشكر وكلاء جمعية لندن التنصيرية (تيبوتيب) وذلك لحفظه لأرواحهم وممتلكاتهم ، فبعد المنازعات التي نشبت مع الألمان على الساحل اعتزم العرب الذين لم يتقبّلوا الوجود الأوروبي في أفريقيا أن يعتقلوا ويقتلوا كل وكلاء تلك الجمعية ، وأن يوزّعوا مراكبهم وبواخرهم وممتلكاتهم بين الزّعماء العرب . وكان يمكن أن ينفذ هذا المخطط ، ولكن تدخّل تيبوتيب في الوقت المناسب ، عندما سمع بذلك من القائم بأعماله في تنجانيقا محمد بن خلفان البرواني ، حيث طلب من نائبه تقديم الحماية والعون للمنصرين ، وأن يقاتل العرب نيابةً عنه إذا كان ذلك ضرورياً . وقد أوقفت هذه الخطوة المعارك التي كانت ستتم ، إذا ساعد محمد بن خلفان المنصرين في نقل ممتلكاتهم وأرواحهم من يوجيجي وجزيرة كافالا Kavala - على الساحل الغربي من بُحيرة تنجانيقا - إلى نيامكولا Niamkolo حيث صاروا في موقف آمن ، وقد أمدّهم بالأُرز وبعض الأطعمة الأُخرىٰ ، وكذلك البضائع التجارية على حسابه الخاص ، وقد أوضح أعضاء البعثة مشاعر الإعجاب بكرم هذا الرّجل ، وموقفه الشّجاع والحماية التي وفّرها لهم عن طريق تيبوتيب »(٢) .

واستمر المرجبي في تنظيمه الاقتصادي ، وإقرار الأمن ، وتوثيق علاقاته التجارية بين

---

(١) F. O. 403/97 , Acting Consul . General Holmwood to the Marquis of Salisbery , Zanzibar dated 8,1,1887 .

(٢) F. O. 403/127 , Report by Mr. H. H. Johnston , PP. 34 -39 .

زنجبار وبلاد الكونغو ، وفي إحدىٰ رحلاته إلى زنجبار ألمّ به المرض ، فلم يستطع مواصلة رحلته ، فاستقرّ في تابوره لمدّة عام كامل ، وطلب من أبنائه سيف وثابت الذّهاب إلى الكونغو ليُديرا أملاكه وتجارته ، وعندما عُوفي من مرضه ، ذهب إلى زنجبار في عام ١٣٠٩هـ/ ١٨٩٢م ، وكان البلجيك قد ثبّتوا أقدامهم في منطقة الكونغو بعد أن تحالفوا مع القبائل الزّنجية وحرّضوهم ضد العرب ، ثم هجموا عليهم مستغلّين فرصة غياب المرجبي في زنجبار ، وهزموهم وسرقوا أموالهم ، وقتلوا سيف بن حميد المرجبي وكثير من التجّار العرب ، بعد أن صادروا بضائعهم ، كالعاج وغيره ، واستطاع ثابت المرجبي وبعض تجّار العرب الهروب من هذه الهجمة الأُوروبية ، التي كانت تهدف إزالة الوجود العربي الإسلامي من المنطقة ، وتقدّر قيمة أملاك المرجبي التي استولىٰ عليها البلجيك بمائة ألف جنيه(١) ، فقد أحسن المرجبي النيّة بالأجانب ، ولكنّهم انقلبوا عليه ، فأزاحوه ، وأزاحوا معه الوجود العربي ، وقتلوا أعوانه وولده وسرقوا أموالهم .

فبذلك يلاحظ إنه رغم ماللمرجبي تيبوتيب من إيجابيات تتمثل في وضعه أول تنظيم سياسي واقتصادي للمناطق الداخلية في القارة الأفريقية وربطها بالسلطنة الإسلامية العربية في زنجبار ، إلا إنه يؤخذ عليه تحابيه ووقوفه إلى جانب المستعمرين من الإنجليز والبلجيك ، وإرشاد ومساندة معظم الرحالة والمنصرين الأجانب ، مما كان له أكبر الأثر في التوسع ثم الاستعمار الأوروبي على هذه المنطقة ، وطرد العرب منها .

---

(١) اللمكي ، ناصر ، " حميد بن محمد المرجبي " ، مجلة الهلال، ص ص ٥٧٨ – ٥٧٩ ،
F. O. 403/172 , No. 283 , Sef Bin Hamid bin Mahomed To Tippoo Tip , Stanley Falls dated 3,7,1309 A.H. , 3,2,1892 .

عاش المرجبي بعد ذلك بقيّة حياته في زنجبار ، بعد أن اشترىٰ باليسير المتبقّي من ماله بيوتاً وبساتين وعاش من ريعها .

ثم مرض مرضاً شديداً توفّىٰ على أثره في العاشر من ربيع الثاني عام ١٣٢٢هـ الموافق الرّابع عشر من يونيو ١٩٠٥م ، وحضر جنازته جميع أعيان زنجبار ، كالقنصل الأمريكي والقنصل الإنجليزي والقنصل الألماني وجميع التجّار من الأجانب والعرب وأعيان العرب والهنود والزّنوج ، كما نقلت الصّحف المحلّية والعالمية خبر وفاته ، وأشادت بأعماله وسيرته الجليلة(١) .

فهذا يدل على مدىٰ النفوذ والسيطرة السياسية والاقتصادية التي حققها في أعالي الكونغو ، مما لفت له الأنظار عالمياً ، فالتنظيم الذي أقامه المرجبي في الكونغو كان أوّل تنظيم سياسي واقتصادي للمناطق الدّاخلية في القارة الأفريقية . فقد ربط بين النّفوذ الاقتصادي والسياسي ، ثم جعله يتبع السّلطة العربية الإسلامية في زنجبار .

اختلفت المصادر والمراجع في وصف الوضع العربي في الكونغو ، فالبعض أطلق عليه صفة الاستعمار ، ووصف العرب بالمستعمرين ، لأنهم وصلوا على شكل جماعات استقرّت في الكونغو ، ثم استولت على الاقتصاد في البلاد ، واشتركت في السياسة وتصريف الأمور . ولكن إذا طُبّقت المبادىء الأساسية للإستعمار فإنها لاتنطبق على العرب ، لأن الإستعمار هو العمل أو مجموعة الأعمال التي من شأنها بسط النّفوذ بواسطة دولة معيّنة أو جماعة منظّمة ، من النّاس على مساحة معيّنة من الأرض لايملكونها ، ولم تكن تابعة لهم(٢) .

ويردّ على هذه الأكاذيب الباطلة بعض الكُتّاب الأجانب ، الذين شهدوا بأن العرب المسلمين دخلوا الكونغو تجّاراً منفردين ، ثم تطوّر دخولهم بشكل مجموعات غير منظّمة

---

(١) اللمكي ، ناصر ، " حميد بن محمد المرجبي " ، مجلة الهلال ، ص ٥٨٠ .

(٢) مرقص ، يواقيم رزق ، " الاستعمار البلجيكي " ، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم ، ص ٢٢٦ .

من القوافل التجارية كان قصدها الرّئيسي التجارة وجمع المال ، وليس كتلك الشّركات التي دخلت بشكلٍ منظّم عن طريق دول أُوروبية كبيرة للاستعمار والاستغلال(١) .

كما يصف جونستون العرب بأنهم لم يأتوا لتأسيس امبراطورية ، وإنما هم عبارة عن مجموعة من التجّار قدموا من شبه الجزيرة العربية ، وهدفهم الأساسي التجارة ، ليجمعوا الثّروة ثم يعودون إلى أوطانهم(٢) .

وبجهودهم نشطت التجارة ، وكثرت الأموال في المنطقة ، نتيجة لاستغلال المجاري المائية ، التي كانت تربط بين الكونغو والمناطق المحيطة به ، واكتشاف المسالك والطّرق التجارية إلى الشّاطيء الشرقي ، ومنها إلى منطقة البحيرات ، كما اتّبعوا نظاماً دقيقاً للنقل النّهري بواسطة القوارب في نهر اللوالابا رافد الكونغو ، وتمكّنوا بذلك من ربط كل القرىٰ والأسواق الموجودة على ضفافه ، كما عبدوا الطّرق ، ومدّوا السّكك الحديدة ، فازداد تبعاً لهذا التقدّم الطّلب على منتجات ذلك الإقليم ، وارتفعت الأسعار وتنوّعت البضائع(٣) .

وأصبح التجّار العرب في الكونغو يعيشون في هدوء ، ويروّجون لتجارتهم في المناطق التّابعة لهم ، ويزرعون الأرض بما جلبوه من بذور السّاحل الشّرقي ، من أشجار وفاكهة وخضار متنوّعة ، بعد إزالة الأعشاب والغابات وريّها بالأنهار والآبار ، فكثرت المحاصيل الجديدة مثل الأُرز والدّخن والشّعير والفول ، والسمسم والطماطم ، والبصل والخيار ، وقصب السكّر والمانجو والجوافة(٤) .

---

(١) Ingham , K. , A History of East Africa , P. 84 .

(٢) F. O. 403/127 , Mozambique , dated 17,3,1890 .

(٣) مرقص ، يواقيم رزق ، " الاستعمار البلجيكي " ، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم ، ص ص ٢٣١ - ٢٣٢ ، Slade , Ruth , King leopold's Congo , PP. 116 - 117 .

(٤) مرقص ، يواقيم رزق ، " الاستعمار البلجيكي " ، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم ، ص ص ١٨٩ ، ٢٢٢ ،

F. O. 403/127 , Mozambique , dated 17,3,1890 , Ruth Slade , King Leopold's Congo , P. 87 .

وقام العرب المسلمون في الكونغو والمناطق المحيطة به بجهود طيّبة لإحداث ثروة اقتصادية ممتازة ، إذ كانت جهودهم في الزّراعة تعتبر مدرسة للوطنيين ، فلم يكونوا عشوائيين في زراعتهم ، بل أدخلوا تنظيمات معيّنة حددوا فيها مواعيد الزّراعة طبقاً لظروف المناخ ومواعيد الحصاد ، كما خصّصوا لكل نوع من المحاصيل المكان الصّالح لزراعته في الأرض ، فمثلاً زرعوا الفاكهة في أنياموييزي Unyamweze ، والأُرز في أوجيجي ، وطوّروا زراعة الموز في فيانجوى وكاسونجو وموانامامبا ، واهتموا أيضاً بزراعة محاصيل معيّنة مثل الخضر التي كانوا يحتاجونها في طعامهم اليومي ، والقطن لأهميته الاقتصادية وغير ذلك من المحاصيل الأُخرىٰ ، كالأُرز والذّرة(١) .

فهذه التنظيمات الزّراعية دليل على الرّخاء والأمن والاستقرار الذي كان سائداً في المنطقة .

كما نتج عن هذه الجهود الزّراعية ارتفاع مستوىٰ الإنتاج ، لسد حاجة الأسواق ، فارتفعت الأسعار طبقاً لنظام العرض والطّلب ، وكثرت المستوطنات التجارية التي بناها المسلمون العرب عند التقاء الطّرق والأماكن ، التي يسهل على الوطنيين التّجمّع فيها ، لتسليم مامعهم من البضائع إلى التجّار العرب ، وأخذ مايحتاجونه ، وازداد عدد المراكز التجارية في الأماكن القريبة من مصادر الإنتاج(٢) .

وأهم السلع التي كان يجلبها التجار العرب من الجزيرة العربية والساحل الشرقي ، السجاجيد ، واللآلىء والمجوهرات ، والملح ، والتمور وغير ذلك من البضائع الأخرى ،

---

(١) مرقص ، يواقيم رزق ، " الاستعمار البلجيكي " ، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم ، ص ص ٢٢٠ - ٢٣٢ .

(٢) مرقص ، يواقيم رزق ، " الاستعمار البلجيكي " ، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم ، ص ص ٢٣٢ -٢٣٣ .

كالسلاح والبارود ، والزجاج ، والخرز الزجاجي والزيوت ، والأقمشة التي كانوا يبادلونها بالعاج والرّقيق والمنتجات الأُخرى(١) .

ومن الموارد الاقتصادية التي عرفها التجار العرب المسلمون في أراضي الكونغو المعادن المختلفة كالحديد والنحاس والذهب والفضة والفحم بالقرب من بحيرة تنجانيقا من الجهة الغربية منها (٢) .

ويؤكد وجود الذهب المغيري بقوله :

« إن حبيب بن سالم العفيفي قصد هو ومحمد بن سعيد العسيري إلى مكان يسمىٰ (وردة) في داخلية الكونغو ، فوجدا فيه عين ماء ينبع ، ويخرج من ذلك الماء ذهب ، فتحصّل حبيب من ذلك الذّهب أربعة آلاف ريال ومحمد تحصّل ماقدره ألف ريال »(٣) .

وإلى جانب العمل في التجارة اهتم العرب المسلمون بالتعليم الحِرفي ، إذ كانوا يعملون مع الوطنيين في الصيد والصناعات اليدوية المتنوّعة كالبناء وصناعة الطّوب والسّلاح ، وهي حِرف لم تكن معروفة من قبل بين الزّنوج ، وكانت كاسونجو أشهر مركز للصناعات السابقة(٤) . وكان للعرب صناعات يدوية متعدّدة مثل صناعة الحصير والحِبال والسّلال ، كما طوّروا صناعة النّسيج والحديد ، وصناعة استخراج الزّيوت من

---

(١) مرقص ، يواقيم رزق ، " الاستعمار البلجيكي " ، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم ، ص ٢٣٢ .

(٢) مرقص ، يواقيم رزق ، " الاستعمار البلجيكي " ، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم ، ص ٢٣١ .

(٣) المغيري ، جهينة الأخبار ، ص ٣٢٥ .

(٤) مرقص ، يواقيم رزق ، " الاستعمار البلجيكي " ، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم ، ص ص ٢٢٧ - ٢٢٩ .

أشجار النّخيل والخروع ، وأدخل العرب لأول مرّة صناعة الصّابون إلى الكونغو من البوتاس الصّناعي ، الذي استخرجوه من حرق سبائط الموز وأوراقه ، ثم خلطها بزيت النّخيل . وقد انتشرت منتجاته بشكلٍ واسع في المنطقة ، وأصبح أصحاب الحِرف اليدوية كالحدّادين والبنّائين والنّجّارين والخيّاطين والفخّارين والحبّالين يتقاضون أُجوراً مرتفعة ، وذلك لنشاط حركة الإسكان والتعمير والتّجارة والصّناعة التي أحدثها العرب هناك(١) .

وكان من أشهر المُدن العربية في الكونغو :

- نيانجوى Nyangwe : التي تقع شرقي خط طول ١٦ ، ٢٦ ، على الضّفة اليُمنىٰ لنهر اللوالابا فوق ربوة عالية ، تحيط بها الأرياف ، وهي مقسومة إلى قسمين يفصل بينهما وادٍ عميق ، تكثر فيه الزّراعة وجميع الأشجار المتنوّعة والمجلوبة من شرقي أفريقيا ، خاصةً الأُرز .

وتتميّز هذه المنطقة بأنها مكان تجمّع الطّرق الآتية من السّواحل الشرقية والغربية في أفريقيا ، وملتقىٰ التجارة ، واشتهرت بالأسواق التجارية وأهمها مايُعرف باسم كيكيو Keque كما أدخل العرب فيها المواشي المتنوّعة للرّكوب وحمل البضائع(٢) .

- كاسونجو : عاصمة حميد المرجبي ، وهي المدينة الرّئيسية في الكونغو ، وتقع جنوب نيا نجوى ، ويتكوّن سكّانها من العرب والزّنوج ، وتشتهر بالزّراعة أيضاً ، ويكثر فيها قصب السّكر والأُرز والذّرة والفواكه .

- كيبونجي Kibonge : من المدن التي كان يسكنها العرب ، وكان يتولّىٰ الحُكم فيها زعيم أفريقي ، إلا إن الحاكم الفعلي لها كان وكيله العربي سعيد بن عبيدي .

---

(١) مرقص ، يواقيم رزق ، " الاستعمار البلجيكي " ، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم ، ص ٢٣١ .

(٢) مرقص ، يواقيم رزق ، " الاستعمار البلجيكي " ، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم ، ص ٢٢٧ ، ستودراد ، لوثروب ، حاضر العالم الإسلامي ، ص ٦٠ .

- ريبا ريبا Riba Riba : وهي من المدن العربية الهامة ، والتي كان يدير شؤونها محمد بن خميس .
- كابانجا Kabanga : وهي قرية وطنية ومركز من المراكز التجارية العربية ، وكان بها سوق كبير للتبادل التجاري(١) .

وكان طراز هذه المدن يحاكي تخطيط المدن في زنجبار وساحل شرقي أفريقيا ، إذ بنوا المنازل فيها على الطّراز العربي ، وفرشوها بالحصر ، وزيّنوا الشّبابيك والأبواب بالنّحت والنّقوش ، وكان الوطنيّون يبنون بيوتهم وأكواخهم في القُرىٰ بين المُدن ، ليستظلّوا بأمن العرب ويعملون معهم(٢) .

ومن آثار الوجود العربي في الكونغو تغيير الزّي الذي يلبسه الزّنوج ، إذ ارتدوا الملابس البيضاء الفضفاضة ، ووضعوا الكوفية المطرّزة على رؤوسهم ، وبصفةٍ عامة نجد أن الزّي السّواحلي المتأثّر بالزّي العربي هو الغالب في هذه المنطقة(٣) .

ويختلف توزيع السّكان في منطقة الكونغو ، إذ يكثرون في المناطق المرتفعة حيث اعتدال الجو وخصوبة الأرض ، وأهم القبائل الأفريقية في تنجانيقا هي ، السوكوما ووالنياكيوزا والمساي ، والواشاجا . ومن العادات الغريبة في حياة بعض هذه القبائل مثل النياكيوزا ، تحريم الصّلة أو النّظر بين الأب وزوجة ابنه ، ومن تفعل ذلك تنهال عليها اللعنات والاحتقار ، ويسكن الولد في مكان بعيد مع زوجته ، إذ يحرم في هذه القبائل سكن الوالد مع ابنه ، فكان ذلك سبباً لقيام مايسمىٰ قـرىٰ الأعمار المتقاربـة

---

(١) مرقص ، يواقيم رزق ، " الاستعمار البلجيكي " ، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم ، ص ص ٢٢٧ - ٢٢٨ .

(٢) ستودراد ، لوثروب ، حاضر العالم الإسلامي ، ص ص ٦٠ - ٦١ .

(٣) ستودراد ، لوثروب ، حاضر العالم الإسلامي ، ص ص ٥٩ - ٦١ .

Ages-Villages إذ يسكن الرّجال الكبار في السّن في قُرىٰ خاصة مع الزّوجات والأولاد الصّغار ، وتظل الفتاة في البيت حتىٰ تتزوّج ، ثم ترحل إلى قرية زوجها . أما الأولاد فإنهم يتركون قرية أبيهم عندما يبلغون الثانية عشرة من العُمر ، ويعيشون في مكانٍ خاص يسمىٰ قرية الشباب ، ويمنح الأب ابنـه قطعة أرض ليبني عليها مسكنه الخاص ، الذي سيتزوّج فيه فيما بعد(١) ولكن دخول الإسلام والمسلمين في هذه المنطقة عدّل الكثير من العادات الاجتماعية ، خاصةً مايتعلق بالرّوابط الأُسرية بين أفراد العائلة الواحدة .

اهتم العرب بالتعليم في الكونغو خاصةً العلوم الدّينية ، ثم تعليم الحساب ، ففتحوا الكتاتيب والمدارس ، وكان يحضر إلى هذه المدارس أبناء العرب والزّنوج ، وقد ازداد اهتمام العرب بالتعليم الإسلامي ، عندما بدأ الاستعمار يسيطر على هذه المنطقة لمواجهة نشاط الإرساليات التنصيرية الأوروبية ، مما كان له أثره في نشر الإسلام(٢) .

ومن الأثار الهامة التي تركها الإسلام في الكونغو ، اللغة العربية على أساس أنها لغة القرآن والصّلاة ، فتحدّث بها بعض الزّعماء وعلّموها أبناء قومهم ، كما انتشرت اللغة السّواحلية ، فأصبحت اللغة الرّسمية السّائدة بين السكّان في الكونغو ، واستعملوا لهجة كينجوانا Kingwana . ثم درسوها في المدارس إلى جانب اللغة العربية(٣) .

وقد انتشر الإسلام بشكلٍ واسع نتيجة للنشاط التجاري الكبير في منطقة الكونغو ، وليس عن طريق الضّغوط السياسية على الوطنيين ، ولم يفرض العرب دينهم وحضارتهم ، ولكنّهم حققوا الكسب الدّيني إلى جانب الكسب الاقتصادي ، وذلك بدخول

---

(١) حسن ، محمود ، " هذه هي تنجانيقا " ، مجلة نهضة أفريقية ، ص ص ٦٥ – ٦٨ ، القاهرة ، ١٩٦١م .

(٢) مرقص ، يواقيم رزق ، " الاستعمار البلجيكي " ، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم ، ص ٢٢٩ ، ستودراد ، لوثروب ، حاضر العالم الإسلامي ، ص ٦١ .

(٣) مرقص ، يواقيم رزق ، " الاستعمار البلجيكي " ، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم ، ص ٢٢٩ .

الوطنيين الإسلام سلميّاً دون إكراه لما لمسوه في تعامل المسلمين من التسامح والبساطة والمساواة والاندماج ، وسارعوا إلى الدّخول في الإسلام(١) ، وبذلك يعتبر التنظيم الذي وضعه حميد المرجبي في الكونغو أول تنظيم سياسي واقتصادي وحضاري داخل القارة الأفريقية ، يتبع السّلطنة العربية الإسلامية في زنجبار ، كما اعترف البلجيك بأن الوجود العربي كان له أثر كبير في ازدهار منطقة الكونغو ، لذلك جعلت دولة البلجيك في الكونغو أعمالها إمتداداً للحضارة العربية في جميع المجالات والمرافق الاجتماعية والاقتصادية والثقافية . وهناك تقرير كتبه أحد الموظّفين الرّسميّين في دولة الكونغو الحرّة ويُدعىٰ فان أتفلد Van Etveld ، وأرسله إلى الحكومة في بروكسل ، يقول فيه أنه يجب الإبقاء على الجهود التي بذلها العرب في الكونغو ، والحفاظ على التقدّم الذي أحرزه العرب هناك(٢) .

ومن الأثار المترتبة على الاستعمار البلجيكي في الكونغو ، أن قطع وفك الرّوابط الاجتماعية فيه ، وأشاع الرّعب والذّعر بين أفراده ، حتىٰ قلّ عدد سكّانه بشكلٍ ملحوظ . فقد أثبتت المصادر أن العرب كانوا أعظم درعٍ للوطنيين ، حيث قال أحد الكنغوليين ، الذي كان يشغل منصب وزير للدّولة . لقد زوّر البلجيكيون كل شيء في الكونغو ، فليست مدينة شلالات ستانلي سوىٰ مدينة تيبوتيب ، الذي أقامها قبل قدوم الرّحالة ستانلي . وليس العرب كما قالوا لنا تجّار رقيق ،

---

(١) مرقص ، يواقيم رزق ، " الاستعمار البلجيكي " ، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم ، ص ٢٢٨ .

(٢) Slade , Ruth , King Leopold's Congo , P. 117 .

وإنما هم تلك الموجة الإنسانية التي اختلطت بنا وصاهرتنا وتركوا لنا على أرضنا دماءهم والبلجيكيون يحصدونهم بالأسلحة الحديثة ، وليس أعزّ علينا من شيء سوى هذا الدّم العربي ، الذي سال في الماضي ، كما سال ويسيل دمنا الآن في بلادنا ، على أيدي نفس أعداء العرب في القرن الماضي(١) .

---

(١) مرقص ، يواقيم رزق ، " الاستعمار البلجيكي " ، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم ، ص ٢٢٥ .

الخاتمة

الخاتمــــة

لقد أبرزت الدراسة دور الإنسان العربي المسلم بحاراً ومستكشفاً وتاجراً ، يمخر البحار ويصل إلى شواطئها بسُفنه ، كما عرفته داعياً إلى الله ، ومعلّماً لتعاليم دينه القويم ، وأظهرته حاكماً لشعبٍ متميّز ، وأوضحت دوره بانياً لحضارةٍ عظيمة عمّت آثارها العالم بأسره .

فقد تحدثت الدّراسة عن دولة اليعاربة ، التي طردت البرتغاليين من عُمان ، كما طردتهم بعد ذلك من زنجبار وشرق أفريقيا .

وكان ذلك سبباً في بسط نفوذ العُمانيين الإسمي على ساحل شرق أفريقيا وزنجبار ، ولم يسيطر العُمانيــون على تلك المناطق سيطرة تامـة إلا في عهد السيّد سعيد بن سلطان ، الذي اتّخذ من زنجبار عاصمةً له ، وصار يحكم عُمان منها ، ولقد ربط بين عُمان وشرق أفريقيا رغم البُعد الشّاسع بينهما والتباين والاختلاف في كل شيء . وربّما أعجبه من زنجبار طقسها المعتدل وطبيعتها الخلابة وموقعها الجغرافي الهام وخيرات أرضها ، وربما كان العداء الذي حدث بينه وبين أعمامه وأولادهم ، والمتاعب الداخلية في مسقط ، كل هذه العوامل دفعت السيد سعيد لتكوين دولة قوية صار لها ذكر بين دول العالم ، دولة يشهد التاريخ لحاكمها بالمقدرة والعظمة . فكيف كانت زنجبار والساحل الأفريقي قبل مقدم السيد سعيد إليها ؟ . . كانت زنجبار قرية صغيرة موحشة ، وإذا كان ساحل شرق أفريقيا مقصد التجار وغيرهم فإن داخل القارة الأفريقية كان مجهولاً ، ويقطنه أقوام بدائيون يعيشون على الفطرة . وكان التجار العرب المسلمون يأتون إلى هذه المناطق بأعداد قليلة للتجارة أو للاستيطان ، ولما قدم السيد سعيد وتولّىٰ حُكم البلاد شجّع التجّار العرب على إقامة المراكز التجارية في طُرق القوافل ، والتي تحوّلت بعد ذلك إلى مستوطنات عربية ســواء على الساحل أو في

الدّاخل ، لتتزوّد القوافل منها بكل ماتحتاجه ، ويدين حُكّامها الوطنيّون بالولاء والتّبعية لسلطان زنجبار .

وتوضّح الدّراسة أن السيد سعيد لم يكن يهدف إلى اتّباع الخطط السياسية والقوّة العسكرية لإخضاع البلاد لنفوذه ، وإنما كان يعتبر نفسه تاجراً ، مثلما هو حاكم . لأن توطيد الحُكم يحتاج إلى ثروة ، والثروة تأتي من التجارة ، لذا يمكننا القول أنه عمل على الرّقع من شأن البلاد حضارياً واقتصادياً ، بتآلف الشّعوب المتعدّدة الأجناس ، المتباينة الأصول ، واندماجهم وتصاهرهم . لقد اندمج العربي بالأفريقي والأفريقي بالفارسي والهندي ، وانصهر الجميع في عجينة واحدة كوّنت شعب زنجبار والسّاحل الأفريقي ، الذي دخله الدّين الإسلامي ، واللغة العربية التي نشأت عنها اللغة السواحلية .

لقد صار شعب زنجبار والشعب الأفريقي شعباً متميّزاً لايُشبه أياً من الشّعوب التي كوّنته شبهاً تاماً ، بل يختلف عنها بتأثير العوامل التي صهرته ، خاصةً أن السيد سعيد لم يكن يسعىٰ للتّوسّع والسيطرة ، بل جعل همّه النّهوض بالبلاد ، بدءاً من العاج الذي وجده بعض التجار العرب أثناء إحدىٰ رحلاتهم مُلقىٰ أكواماً على الأرض ، فجمعوه ، وصار يُعتبر أساساً لتجارة القوافل العربية ، يصدّر منه إلى أسواق أُوروبا وأمريكا وجنوب شرقي آسيا ، ولقي رواجاً كبيراً وصار مصدراً للثّروة ، التي استفاد منها الملوك والزّعماء الأفارقة وغيرهم من التجّار .

ولم تقف التجارة عند العاج فقط ، بل اهتم السيد سعيد إضافةً إلى التجارة مع دول الهند وعُمان والجزيرة العربية ومصر ، إلى فتح موانئه أمام السّفن الأُوروبية والأمريكية ، ليشجّع التجارة الخارجية . وصار ميناء زنجبار ميناءً عظيماً يُضاهي الموانىء الأُوروبية ، وصار السيد سعيد يملك أسطولاً بحرياً جعل أمريكا وغيرها من

الدّول ترغب في صداقته مما جعله يعقد معاهدات صداقة بينه وبين أمريكا ، ثم بريطانيا ومن بعدهما فرنسا وألمانيا .

ورغم أن معاهدته مع أمريكا كانت بقصد التجارة ، إلا أن المعاهدات الأُخرىٰ لم تخل من التدخّلات السياسية والأطماع الاستعمارية ، التي تبدت في تجارة الرق .

وقد اهتمّت الدراسة بإيضاح هذا الموضوع ، فبيّنت أن تجارة الرّق كانت معروفه لدىٰ شعوب العالم ، لذا فلم يكن غريباً أن يعمل العرب المسلمون بهذه التجارة ، وإن كان هُناك مايميّزهم عن الأُوروبيين في تجارتهم هذه . فهو أن العرب عملوا بهذه التجارة بشكل أفراد ، وكانوا يأخذون الرّقيق بأعداد قليلة إلى الجزيرة العربية والأماكن القريبة منها ، أضف إلى أنه لم يسمع عن أحد من الرّقيق أنه اشتكىٰ من سوء معاملة العربي المسلم له . بينما أسس تجّار الرّق الأوروبيون شركات لها عُملاء وسماسرة لهذا الغرض ، وكانوا يأخذون الرّقيق بأعداد كبيرة . ووصلت تجارتهم هذه إلى دول أُوروبا وأمريكا . وقد لجأوا إلى أساليب ملتويـة للحصول على الرّقيق باتّباع سياسة فرّق تسّد ، وزرع الخلافات والحروب ، ليحصلوا على أعداد الرّقيق المطلوبة . ويبرز دور بريطانيا التي تدّعي مكافحة الرّق لإنقاذ ما أسمته الإنسانية المعذّبـة ، لتخفي وراءه أطماعها الاستعمارية ، في بسط نفوذها على منطقـة الخليـج العربي والساحل الأفريقي ، ولتشل الاقتصاد الأمريكي واقتصاد الدّول الأُخرىٰ ، التي تعتمد في صناعتها وزراعتها على اليد العاملة الأفريقية ، فتضمن السيادة البريطانيـة وحدها استعمارياً واقتصادياً .

وقد بيّنت الدّراسة أن إلغاء تجارة الرّقيق أثّر على اقتصاد زنجبار وماحولها ، كما تأثّر الاقتصاد العالمي بذلك لنقص اليد العاملة من جهة ، ولأن نقص الثّروة في زنجبار وماحولها يحد من استيرادها الخارجي ، الذي يؤثر على البلاد المصدّرة لها من جهةٍ أُخرىٰ .

وأوضحت الدراسة الدّور الرّائد للسيد سعيد في زراعة القرنفل ، الذي لم يكن معروفاً من قبل في تلك البلاد ، وكيف أحدث زراعته ، وشجّع المزارعين على ذلك ، وأنهم أطاعوه في البداية مُكرهين ، ولكنهم عندما رأوا الثروة التي جاءتهم من زراعته ، تحمّسوا له ، واهتمّوا بـه ، وصار يُصدّر إلى مُعظم دول العالم ، ويدرّ عليهم أموالاً طائلة ، ولم يقتصر الاهتمام بالزراعة لغرس شجرة القرنفل فقط ، بل إن الوافدين العرب جلبوا معهم كثيراً من المحصولات الزراعية ، التي لم تكن معروفة سابقاً .

كما قامت في زنجبار توسّعات زراعية للمنتجات المختلفة من النباتات الاستوائية وشبه الاستوائية ، كالمطّاط الذي نجحت زراعته وأصبح يُصدّر إلى دول العالم ، إضافةً إلى محصولات زراعية أُخرىٰ ، فالقطن ، والشاي ، والكاكاو ، والفانيليا ، والبن ذي النوعية الجيّدة ، وكثير غيرها من المزروعات التي يحتاج إليها السّكان في حياتهم العادية ، ويصدّرون الكثير منها .

وهكذا فقد ارتبطت التجارة بالزراعة ومنتجاتها ، وبالعاج والرّقيق ، والعنبر والأصداف . فصار لزنجبار وحاكمها السيد سعيد شأن كبير في دول العالم .

ومما يدعم اقتصاد البلاد أن السيد سعيد وضع رسوماً على البضائع ، وكانت بسيطة ومرنة ، وتدل على حُسن سياسته الاقتصادية ، التي دعمها بوضع نظام نقدي يحل محل العملات المتعدّدة الجنسيات ، إذا أمر بسك عُملة نُحاسية خاصة تُسمىٰ بيسا ، وجاء من بعده ابنه برغش ، فوضع عُملة نقدية ذهبية ، نقش عليها اسمه ، كما أمر بسك نوعين آخرين من العُملة الفضّية والنُحاسية .

وقد كان سُكّان البلاد الأصليّون يعملون بحِرف متعدّدة كصيد الأسماك واستخراج الأصداف والعنبر . ولما جاء العرب طوّروا بعض الصناعات المحلّية السابقة ، مثل استخراج الزّيوت من النّخيل والخروع والنّارجيل ، وصناعة الصّابون بعد استخلاص مادة البوتاس من حرق أسباط شجر الموز .

وكانت توجد بعض الصناعات اليدوية كالحدادة والتجارة والبناء وصناعة الرّماح والفؤوس والفخّار والحبال وغيرها . . . .

وقد أوضحت الدراسة أن السُكّان كانوا يتكوّنون من مجموعاتٍ متعددة أبرزها الأفارقة والعرب والهنود والقمريين والقونيين والأوروبيين والصّوماليين وغيرهم من الجنسيّات التي لاحصر لها . أما بالنسبة للقبائل الساحلية ، فقد قسّمتها الدراسة إلى الشّيرازيين ، الذين هم من أصل بانتوي . ثم العرب السّواحليين ، وهم الذين استقرّوا في زنجبار ولهم أصول عربية . والمستوعبين الذّائبين ، وهم من البانتويين الذين فقدوا نسبهم القبلي . وأخيراً السّواحليين ، وهم الذين احتفظوا بطابعهم الأصلي .

وأبرزت الدّراسة أهمية العرب في زنجبار من العُمانيين الذين كوّنوا الطّبقة الحاكمة المستنيرة ، والقيادة الفكرية والدّينية ، إضافةً إلى تملّكهم أكثر الأراضي .

كما أن العرب الحضارمة كان لهم الفضل الأكبر في خدمة السّلطة الحاكمة ، وعرف عنهم الجد والنشاط ، لذا تولّوا بعض الأعمال الهامة في الدّولة .

وقد تحدّثت الدّراسة عن المجموعات الأُخرىٰ من القمريين الذين جاءوا إلى زنجبار طلباً للرّزق ، والهنود الذين أحضر منهم السيد سعيد العدد الكبير بخبرتهم ورؤوس أموالهم ، وقد أولاهم ثقته ، وشجّع نشاطهم الاقتصادي ، فتسلّموا الوظائف الحكومية والأعمال المصرفية ، وتملّكوا الأراضي ، وكانوا يشكّلون الطّبقة الوسطىٰ من سُكّان زنجبار . ولكن ورغم تعدد الشّعوب والعروق في زنجبار وساحل شرق أفريقيا ، إلا أن السّلطنة العُمانية الحكيمة جعلت جميع هذه الشّعوب تتعايش مع بعضها في جو من التوافق تسوده الرّوح الإسلامية ، وتتميّز بطابع الحضارة العربية الأفريقية .

وأبرزت الدراسة مظاهر هذه الحضارة باهتمام السيد سعيد بعمارة القصور السّلطانية على الطّراز الإسلامي والفارسي والهندي وغيره من الأنماط التي تميّزت بها سائر المنازل

في زنجبار والسّاحل ، إضافةً إلى الحمامات ، التي اتّصف بعضها بمحاكاة الحمامات الفارسية والتّركية . كما اهتم السيد سعيد بالبساتين والحدائق التي حوت أجمل الزّهور والرّياحين ، والعديد من الطّيور والحيوانات ، وصارت مقصد النّاس . إضافةً إلى المساجد والمدارس والمستشفيات ، وطرق المواصلات ، وغيرها . ويتبع هذه المظاهر الحضارية كثير من الأمور التي كان يتبعها النّاس ، والتي تُعد من المظاهر الاجتماعية ، كالزّي والمأكل والمشرب والزّيارات وأنماط الحياة اليومية ، التي كانت تختلف من طبقةٍ إلى أُخرىٰ ، ومن شعبٍ إلى آخر ، كل حسب مستواه وبيئته . ولكن الذي يُلاحظ أنه كان يراعي في جميعها مطابقتها لتعاليم الإسلام .

وناقشت الدراسة الممارسات والمعتقدات الشّائعة في المجتمع الزّنجباري كالاحتفالات بالولادة والختان والزّواج والمآتم ، ويوم عاشوراء والمولد النّبوي ، وغيرها من المناسبات ، إضافةً إلى اعتقادهم بالجن والسّحر والشّعوذة وغيرها من المعتقدات الباطلة . وكيف أن عُلماء المسلمين اعترضوا على كل الأعمال التي تبعد عن روح الإسلام ، فبيّنوا للنّاس خطأها ، وأرشدوهم إلى النّهج السّليم والصّراط المستقيم .

وهكذا فقد ظهر في الرّسالة دور هؤلاء العُلماء ، وأثرهم في تغيير مفاهيم الشعوب ، وتعليمهم اللغة العربية وتلاوة القرآن ، والقراءة والكتابة ، وذلك في الكتاتيب وحلقات الدراسة في المساجد ، وأن السّلاطين البوسعيديين قد اهتمّوا بإحضار مدرّسين متخصصين ، إضافةً إلى تطوير المناهج وطُرق التدريس في كافة التخصصات ، حتىٰ صارت السّلطنة مركز إشعاع للتعليم الإسلامي وغيره . مما ساعد على ظهور مجموعة من العُلماء البارزين من الأفارقة والعرب وغيرهم ، إضافةً إلى محو الأُمّية بين الأفارقة ، ثم ربط المجموعات الأفريقية ببعضها ، ثم ربطها بالعالم الإسلامي . وكان من نتائج الاهتمام بالتعليم أيضاً انتشار اللغة السواحلية الغنيّة بالمفردات العربية ، حتىٰ

أصبحت هذه اللغة هي اللغة السّائدة بين الشّعوب حتىٰ العرب منهم . لأنها لُغة الثقافة والحضارة الأفريقية التي اعترفت بها المنظّمات العالمية .

وأبرزت الدّراسة الأثر الإسلامي في العلاقات العربية الأفريقية وكيف أنه لم يدخل قلوب الأفارقة وعقولهم عُنوة ، إنما دخل بمخاطبة فطرتهم لأنه دين الفطرة ، وتمكّن منهم بعدما رأوا عظمته وسماحته ، وخاصةً في تحرّر الرّقيق ، والعدالة ، والمساواة . فأعطاهم بُعداً عقائدياً راسخاً ، حافظ على الشّخصية الأفريقية ، فلم يحطّم أنظمتها القبلية ، وإنما وضعها في إطار إسلامي ، تقبلته وآمنت به . وكان المذهب السائد في زنجبار هو المذهب الشّافعي الذي كان عليه العرب الحضارمة وغيرهم ، كما كان معظم الهنود المسلمين يتبعون المذهب الحنفي والنوبيين يتبعون المذهب المالكي . ولكن يمكن القول أن مذهب أهل السُنّة كانت له السيادة والغلبة ، لأن السلطة الحاكمة التي جاءت بالأباضية إلى عُمان لم تهتم بفرض اعتناقه على النّاس ، وإنما كان السيّد سعيد يدعو إلى التعايش بين الجميع في جوٍ من الأُخوّة والتّفاهم ، دون النّظر إلى هذه الأمور .

ولم تغفل الدّراسة دور الإسلام العظيم في تغيير كثيرٍ من القوانين والأنظمة السّائدة مثل نظام التوريث ، حيث صارت الأسر تعتبر الأب هو رب الأُسرة ، بدلاً من الأُم التي كان الأطفال يُنسبون إليها . كما قضىٰ الإسلام على الحُروب والمنازعات القبلية ، وقضىٰ على كثيرٍ من المعتقدات الباطلة لديهم كوأد الأطفال ، وعبادة الأوثان ، والسّلب والنّهب . وأبطل لديهم كثيراً من العادات كالعُري وأكل لحُوم البشر ، وتقديم الإنسان قُرباناً ، وشجّعهم على العمل ونبذ البطالة ، ومنع تجبّر الأغنياء واستئثارهم بالثروات بفرض الزّكاة ، ورفع التسلّط والظّلم عن الفقراء ، بعد أن بيّن لهم أن العُبودية والخضوع لله وحده . وقد أبرزت الدراسة دور الدّاعية المسلم والتّاجر الكبير الشيخ أحمد بن إبراهيم العامري ، الذي كان له أكبر الأثر في دخول الإسلام إلى أُوغندا ، عندما علّم

ملكها سنا مبادىء الإسلام الحنيف ، فآمن ملكها ، وطلب إلى ملوك الدّول المجاورة الدّخول في الإسلام كبورينورو وغيرها من الدّول .

وأوضحت الدّراسة أن الحضارة العربية الإسلامية التي أشرقت أنوارها في جزيرة زنجبار وساحل شرق أفريقيا ، قد تغلغلت إلى داخل القارة الأفريقية فأنارته بنور الإسلام والحضارة العربية ، فوصلت إلى حوض نهر الكونغو وهضبة البُحيرات الاستوائية ، وكان ذلك على يد الشيخ حميد بن محمد المرجبي تيبوتيب العمُاني الأصل ، والذي وصل بتجارته وتعاليم الإسلام إلى تلك المناطق ، فأقام إمارات عربية وإسلامية ، ارتبطت حضارتها واقتصادها وثقافتها بسلطنة زنجبار ، وكان لاطّلاع تيبوتيب الواسع ، ومعرفته بأحوال هذه البلاد وطبيعتها أن صار مرجعاً لدىٰ الرّحّالين والمنصرين الأُوروبيين ، الذين استعانوا به في رحلاتهم واستكشافهم ، وتحدّثوا عنه في كُتبهم . وتحدّثت الدّراسة عن الأطماع الاستعمارية في تلك المناطق ، وأنهم وجدوها قد تحضّرت ، واستنارت بنور العلم ، إضافةً إلى خيراتها الطّبيعية ، فطمعوا بها ، وسيطروا عليها ، كالبلجيك الذين استولوا على حوض الكونغو ، وجميع المناطق التي كان تيبوتيب قد أقام فيها تنظيماً سياسياً واقتصادياً وحضارياً رائعاً ، جعل الكشوف الأُوروبية التي قام بها الرّحالة والمنصرون ، لاتعتبر سبقاً علمياً أو جغرافياً لهم ، بل إنها تؤكّد دور العرب في إضاءة هذه المناطق بنور الإسلام والحضارة العربية الإسلامية الأفريقية ، التي أزاحت عنها جهالة الحياة البدائية ، ونقلت الأفارقة البدائيين من الضلالة والعُري وأكل لحوم البشر والبطالة إلى تعاليم الدّين الإسلامي ، التي تدعوهم لنبذ الضّلالات وشرف العمل بالتجارة والزّراعة والصّناعة ، نقلت أفكارهم وعقيدتهم وأرضهم إلى عالم من النّور ، لم يلبث الاستعمار أن حجبه عنهم باستغلاله وحقده ، ولكن الأفارقة لايزالون يحتفظون للعرب المسلمين بالفضل الكبير الذي لايُنسىٰ .

وأخيراً أرجو أن تكون الدراسة قد أعطت هذا الموضوع حقّه من البحث والتنقيب والإحاطة بجوانب الحياة الاقتصادية والاجتماعية والثقافية ، التي عاشتها زنجبار وساحل شرق أفريقيا في ظل حُكم العرب من أُسرة البوسعيديين . وأن يكون لها دورها في إضاءة هذه الجوانب أمام طالبي العلم ، وزيادة معلوماتهم عن هذه المناطق في شرق أفريقيا ، وإظهار الدّور العظيم الذي قام به العرب المسلمون والحضارة التي وضعوا أُسسها في تلك المناطق . . والله ولي التوفيق ، ،

ملاحـــق البحث

(١) خطاب من بورتال القنصل البريطاني في زنجبار إلى الحُكومة البريطانية بشأن التنظيم الجديد بخصوص الإيرادات الحُكومية في زنجبار .

(٢) خطاب من بورتال القنصل البريطاني في زنجبار إلى الحُكومة البريطانية بشأن قيام غُرفة زنجبار التجارية .

(٣) الـــرّق .

(٤) وصيّـة السيّد سعيد قبل وفاتـه .

(٥) خطاب من بورتال القنصل البريطاني في زنجبار إلى الحُكومة البريطانية بشأن إصدار صحيفـة زنجبار وشرق أفريقيـا .

(٤٢٠)

ملحق رقم (١)

No: 273.

Zanzibar

October 23rd 1891.

My Lord,

With reference to my despatch No: 254 of the 29th ultimo and to previous correspondence respecting the reorganization of the Government of Zanzibar, I have the honour to inclose herewith copy of a document which has been signed by the Sultan, entrusting to General Mathews the general supervision of the administration, and appointing the Arab gentleman and the Parsee engineer, who were described in my despatch above-quoted, to the posts of Treasurer and Inspector of Public Works respectively.

[illegible] with Sultan [illegible] 17

It was not necessary to confirm or renew the appointments of Mr Robertson as Head of the Revenue Department

Marquess of Salisbury, K.G.,
&c &c &c

12 1726

department, as he already holds the post of Customs master, and will only slightly extend his area of supervision; nor was there any need to make fresh mention of the appointments of Captain Hatch and Captain Hardinge as Heads, respectively, of the Army and Police, and of the Port.

The Agreement or Decree which the Sultan has now signed is another important step towards the establishment of an organized and civilized administration.

In the first place it lays down the principle that all accounts of

revenue

revenue and expenditure of public moneys are to be properly kept — an innovation utterly foreign to the systems which have hitherto prevailed in Zanzibar: moreover, all the ~~[illegible]~~ books, accounts, &c are to be always open to my inspection, and are to be submitted to me every week, and a general financial report is to be addressed in duplicate to the Sultan and to myself once a month.

Provision is also made in this

document

document against any expenditure being rashly undertaken by the Sultan or his Government, as it is now laid down that "no new undertaking involving "the expenditure of more than one thousand "rupees" (i.e. about £80) "shall be commenced "without the assent of the Sultan and of the English "Consul General".

The principle is also established of the personal responsibility of the various officials of the new Government for the money and other Government property under their charge.

This agreement, in fact, includes a very complete revolution of the whole system of Government as it has been hitherto understood and carried on by the Sultan and the Ring of Arabs who pervade the Palace.

The

The new system will no doubt at first be unpopular with those who have hitherto had the control of the Government revenues, or who have held posts of authority under the old régime, and it will, for some time to come, require careful and gentle handling; but I have every confidence that before long its advantages will be seen by all except those whose position has given them favourable opportunities

of

of making rapid fortunes by bribery and by robbery of the public on the one hand and of the Sultan himself on the other. Even from among these "leading Arabs" I have already received several offers of assistance in carrying out the reforms, and many expressions of sympathy with what they call the "great improvements" – an expression which in this case may be taken as synonymous

with

with "the winning side".

I have the honour to be

with the highest respect,

My Lord,

Your Lordship's

Most obedient

humble servant

Portal

ترجمة ملحق رقم (١)

رقم : ٢٧٣

زنجبار ٢٣ أكتوبر ١٨٩١م .

سيدي اللورد - المركيز سولزبري .

بالإشارة إلى رسالتي رقم ٢٥٤ بتاريخ ٢٩ من الشّهر المتقدم ، وإلى المكاتبات السابقة والخاصة بإعادة تنظيم حكومة زنجبار ، ويشرّفني أن أبعث لكم مع هذه الرّسالة صورة من وثيقة قام بالتوقيع عليها جلالة السّلطان ، وفيها تعميد للجنرال ماتيوس بالإشراف على الإدارة ، مع تعيين سيّد عربي ومهندس القياس والمسافات بين التّخوم ، وقد وصفتهما في رسالتي المذكورة أعلاه ، ليقوما بالإشراف على الخزانة والإشراف على الأعمال العامة على التّوالي .

ولم يكن من الضروري تأكيد أو تجديد تعيينات روهيرتون كرئيس لإدارة الإيرادات ، حيث أنه بالفعل يشغل منصب رئيس الجمارك ، وسوف تمتد مدّة إشرافه قليلاً ، كما أنه لم تكن هناك حاجة لذكر تعيينات كابتن هاتس وكابتن « هاردنيق » كرؤساء لكلٍ من الجيش ، والبوليس ، والميناء على التّوالي .

إن الاتّفاقية أو المرسوم الذي وقّع عليه جلالة السّلطان يُعتبر خطوة تجاه قيام أو تأسيس إدارة منظّمة وحضارية . ففي المقام الأول أرست هذه الاتّفاقية مبدأ أن كل حسابات الإيرادات والمصروفات للأموال العامة تُحفظ حفظاً متقناً ، وهو ابتكار جديد جداً على زنجبار ، هذا بجانب أن كل دفاتر الحسابات تكون مفتوحة بالنسبة لي لمراقبتها ، ويُكتب لي ملخّص بها ، وتقرير بصورةٍ منها للسلطان ولشخصي مرّةً في الشّهر .

وهنالك لائحة أو شرط منصوص عليه في تلك الوثيقة خاص بكل صرف متلاحق يقوم به السّلطان أو حكومته ، ووضع شرط بأن أي صرف يزيد على ألف روبية (أي حوالي ٨٠ جنيه استرليني) لايمكن أن يتم دون إذن من السلطان أو القنصل العام الإنجليزي .

وتم إقــرار مبدأ المسئولية الفـردية للموظّفين على اختلاف مناصبهم في الحكومة الجديدة ، وذلك بخصوص الأموال وبعض ممتلكات الحكومة الأُخرىٰ بموجب هذا الأمر السامي .

وفي الحقيقة فإن هذه الاتّفاقية تتضمّن ثورة على كل أنظمة الحكومة ، وقد علم بها ونفّذها السّلطان ومجموعة العرب الذين ينتشرون في القصــر .

وهذا النّظام الجديد سوف لايلقىٰ قبولاً في البداية بالنسبة لأولئك الذين كانوا يسيطرون على مــوارد الإيرادات ، أو الذين شغلوا مناصب في السّلطة تحت النّظام القديم ، ويحتاجون في عملية التنفيذ إلى التعامل معهم بحرصٍ وعنايةٍ ، وأنا على ثقة في أنه لن يمضِ وقت طويل قبل أن تتّضح المزايا والفوائد للجميع ، عدا الذين كانت مناصبهم تحقق لهم فرصاً مواتية لجمع الثّروات بسرعة عن طريق ممارسة عملية الرّشاوي واختلاس الأموال العامة من جهةٍ، وأموال السّلطان نفسه من جهةٍ أُخرىٰ . ولقد وجدت مساعدة حتىٰ من بين العرب القياديين في تنفيذ هذه الإصلاحات ، وكذلك وجدت منهم عبارات التعاطف في تسمية هذا العمل « الإصلاحات العظيمة » ، وهو تعبير يمكن اعتباره مرادفاً لعبارة الفريق الفائز .

ويُشرّفني ياسيّدي اللورد أن أكون خادم سعادتكم المُطيع والمتواضع .

بورتال .

(٤٩٩)

ملحق رقم (٣)

16

'48

Zanzibar
July. 2. 1892

My Lord.

The declaration of the 1st of February making Zanzibar a Free Port has undoubtedly given a stimulus to Commerce in this town; in doing so, it has excited keener rivalry among the competing merchants, and has perhaps been, indirectly, the cause of the introduction of various abuses and irregularities in the system of Commerce which would not be tolerated in ports of a similar importance in Europe or Asia. Moreover, the

Zanzibar

[M]arquis of Salisbury K.G.

Zanzibar Government, and I myself, have frequently found it difficult to ascertain beforehand the general opinion of the Mercantile community as to the merits of proposed measures and regulations which were intended to act for the general advantage, but which have been occasionally met by an objection or protest from some Consul or trading firm.

For this, and for other reasons, it appeared to me that the time had now come for the establishment of a Zanzibar Chamber of Commerce, if assurances of support of such a

Chamber

chamber could be obtained from all the principal Firms established in this country. With this object in view I invited the heads of all the leading Commercial houses to come to this Agency on the 25th ultimo to discuss the subject, and I have the honour to forward to Your Lordship a summary of the arguments which I then submitted to them in favour of the establishment of such a Chamber. After some little discussion a resolution was carried unanimously to the effect that steps should be at once taken to

form-

form a Chamber of Commerce.

On the 29th ultimo I presided at a larger meeting of the Commercial Firms, at which were discussed and passed the rules and regulations of the Chamber; at the same time members were enrolled, the Chairman and Deputy Chairman were elected, and the Zanzibar Chamber of Commerce was definitely constituted.

The Chairman for the year, who was chosen by ballot, is the representative of the English Firm of Messrs. Smith Mackenzie & Co., and the Deputy

Chairman is the Head of the German House of Messrs. Hansing & Co. The Members of the Committee consist of two English, two Germans, one Frenchman, one American, and four Indians of three different religious Communities.

I was requested both by the English and Foreign Members myself to accept the position of President, but I thought it better for several reasons to avoid anything which might seem to give a political character to the Chamber, and therefore declined the honour. For the same reasons

I

I considered it inexpedient that any of the English members of the Zanzibar Government should serve on the Committee.

The rules of the new Chamber of Commerce, as passed at this General Meeting, are almost identical with the rules of the Bombay Chamber of Commerce, with such slight alterations and adaptations as are necessary to meet local requirements.

I have the honour to be,
with the highest respect,
My Lord:
Your Lordship's most obedient,
humble servant
Portal

ترجمــة ملحق رقم (٢)

٢ يوليو ١٨٩٢م .

سيّدي اللورد .

إن قرار اليوم الأول من فبراير ، والذي جعل زنجبار ميناءً حُراً ، أعطىٰ التجارة فيها - دون شك - دفعاً قوياً . كما أنه أحدث تنافساً شديداً بين التجّار المتنافسين ، وربّما كان هذا التنافس السبب غير المباشر في ظهور المعاملات السيّئة والشّاذة في نظام التجارة ، والذي لايمكن أن يتحمّله أي ميناء آخر مُشابه لهذا الميناء في أوروبا أو آسيا . أضف إلى ذلك ، فإن حُكومة زنجبار - وأنا بنفسي - قد وجدنا أنه من الصّعب التحقق من الرّأي العام التجاري حول مزايا هذه الإجراءات المقترحة ، واللوائح التي كان القصد منها المصلحة العامة ، ولكنها كانت تقابل من وقتٍ لآخر باحتجاجات بعض الموظّفين الممثّلين لبلادهم في الشّئون التجارية أو الشركات التجارية . ولهذا السبب أو غيره ، فإنه يبدو لي أن الوقت قد حان لقيام غرفة زنجبار التجارية - إذا أمكن - الحصول على تأكيدات لتدعيم هذه الفكرة من الشّركات الكبيرة القائمة في هذه البلاد . ولقد قمت بدعوة رؤساء الشركات التجارية الرّائدة للاشتراك في مناقشة هذا الموضوع ، وكان ذلك في يوم ٢٥ من الشّهر المنصرم ، ويُشرفني أن أرسل إلى معاليكم ملخّصاً للمناقشات التي سلمتها لهم ، والتي تدعم قيام هذه الغرفة . وبعد نقاش بسيط اتّخذ قرار بشكلٍ جماعي يدعو إلى قيام هذه الغرفة .

وفي يوم ٢٩ من الشهر المنصرم أشرفت على اجتماع الشركات التجارية ، والذي تمت فيه مناقشة لوائح وقوانين الغرفة ، وفي نفس الوقت تم تسجيل الأعضاء ، وانتخب رئيس الغرفة ونائبه ، وأصبح قيام الغرفة حقيقة ماثلة .

ورئيس الغرفة لهذا العام - والذي تم انتخابه بالاقتراع السّري - هو ممثّل لشركة انجليزية وهي شركة اسميث ماكينزي ، ونائبه هو رئيس بيت تجاري ألماني وهو شركة هانستن ، ويتكون أعضاء الجمعية من إثنين من الإنجليز ، وإثنين من الألمان ، وفرنسي واحد ، وأمريكي ، وأربعة هنود من ثلاثة مجتمعات دينية .

وقد طلبني كل من الإنجليز والأعضاء الأجانب الآخرين بأن أقبل رئاسة هذه الغرفة ولكنّي رأيت أنه من الأفضل ولعدّة أسباب تحاشى أي شيء ، قد يُضفي على هذه الغرفة صبغة سياسية ، ولذلك رفضت هذا التشريف .

ولبعض الأسباب ، فقد رأيت أنه من غير المناسب أن يقوم أي من أعضاء حكومة زنجبار بالعمل في هذه الجمعية .

وقد أجيزت لوائح هذه الغرفة الجديدة في الاجتماع العام ، وهي تقريباً نفس لوائح غرفة بومباي التجارية ، مع تغييرات طفيفة لتُلائم المتطلّبات المحلّية .

خادم معاليكم

الموقّع : بورتال

ملحق رقم (٢)

الـــرّق :

في عهد الدّولة اليونانية والرّومانية كان الرّق موجوداً وله عدّة مصادر منها :

أولاً : الأطفال الذين يولدون من أمٍ أمة وأبٍ عبد ، فهم عبيد بالتناسل .

ثانياً : الأبناء الذين يبيعهم آباؤهم الأحرار في السّوق العامة لعدم قدرة الآباء على إعالة أبنائهم .

ثالثاً: أسرىٰ الحرب ، وكانوا يُقتلون في السّابق ، ولكن فيما بعد أبقىٰ اليونانيون والرّومانيّون على حياتهم ، وتاجروا بهم .

رابعاً : القرصنة والخطف والسبي .

خامساً: المدينون العاجزون عن السّداد . فقد كانت القوانين السّائدة في تلك الفترة ، تعطي الحق للدّائن أن يستعبد مدينه ويبيعه عند عجزه الوفاء بدينه .

سادساً: الاسترقاق تنفيذاً للقانون اليوناني الذي كان يجعل الحد في بعض الجرائم الخطيرة هو استرقاق الجاني لصالح المجني عليه أو لصالح الدّولة(١) .

ولما جاء الإسلام ، لم يميز بين العربي والأعجمي والأبيض والأسود إلا بالتّقوىٰ ، ولم يُبح استرقاق المسلمين ، بل جعله قاصراً على غير المسلمين من أسرىٰ الحروب ، ولم يُبطله - بعد ذلك - دفعةً واحدةً ، لأن الرّق في الفترة السّابقة لظهور الإسلام ، كان دعامة مهمّة ، ترتكز

---

(١) المغيري ، جهينة الأخبار ، ص ٥٣٦ ، النقيرة ، محمد ، الإسلام في شرق أفريقيا ومناهضة الغرب له ، الرياض ، ص ١١٨ - ١١٩ ، ١٤٠٢هـ / ١٩٨٢م .

عليها معظم مرافق الحياة الاجتماعية والاقتصادية ووضع الإسلام شروطاً وقيوداً تقضي على الرّق بصورةٍ تدريجية ، دون أن يحدث أضراراً في الحياةِ العامة(١) .

وقد أوصىٰ الإسلام بالرّقيق خيراً ، وأمر بالإحسان إليهم لقوله تعالىٰ :

﴿ وَاعْبُدُوا اللّهَ وَلاَتُشْرِكُوا بِهِ شَيْئاً وَبِالوَالِدَيْنِ إِحْسَانَاً ، وَبِذِي القُرْبَىٰ وَاليَتَامَىٰ وَالمسَاكِينَ والجَارِ ذِي القُرْبَىٰ وَالجَارِ الجُنُبِ ، وَالصَاحِبِ بِالجَنْبِ وَابْنِ السَّبِيلِ ومَامَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ ﴾(٢) .

وقد عامل المسلمون رقيقهم بالمودّة والرّحمة واعتبروهم كأحد أفراد الأسرة ، يأكلون مما يأكلون ، ويلبسون مما يلبسون ، ويعينوهم في أعمالهم الشّاقة اتّباعاً وامتثالاً لأوامر الرّسول صلّىٰ الله عليه وسلّم حيث قال : « **إخوانكم خولكم ، جعلهم الله تحت أيديكم ، فمن كان أخوه تحت يده ، فليطعمه مما يطعم ، وليلبسه مما يلبس ولاتكفلوهم مالايطيقون ، وإلا فأعينوهم** »(٣) .

فأصبحت لذلك العلاقة بين المسلمين ورقيقهم وثيقة قوية وإنسانية بشكلٍ واضح ، ولم يكن بالإمكان تمييز الرّقيق عن أسيادهم في بعض الأحيان ، إذ كان أسيادهم يسمحون لهم بتقليدهم في المأكل والملبس وجميع أمور الحياة(٤) .

وقد شجّع الإسلام على إعطاء العبيد حرّيّاتهم ، وفتح لذلك عدّة منافذ وسُبل ، أهمها طريق القلوب ، إذ أخذ الإسلام يرغب في عتق الرّقيق بطرق مختلفة كما في قوله تعالىٰ :

---

(١) النّقيرة ، محمد ، الإسلام في شرق أفريقيا ومناهضة الغرب له ، ص ١١٨ .
(٢) سورة النّساء : آية رقم (٣٦) .
(٣) العسقلاني ، أحمد بن علي بن حجـر ، فتـح الباري شرح صحيح البخاري ، ج٥ ، ص١٧٤ ، بيروت ، ب . ت .
(٤) دافدسون ، بازل ، صحوة أفريقيا ، ص ١٧ .

﴿ فَلاَ اقْتَحَمَ الْعَقَبَةَ وَمَا أَدْرَاكَ مَاالعَقَبَةَ ، فَكُّ رَقَبَةٍ ﴾(١) . ثم جعله في الكفارات ، فصار عتق الرّقاب كفّارة لمحو الذّنوب أو الخطايا كالحنث باليمين ، والإفطار العمد في رمضان ، والقتل الخطأ ، وغير ذلك(٢) .

وقد أشاد بعض الكُتّاب الأُوروبيّون بالنّظام الإسلامي ومحاسنه ، ورأفته بالرّقيق ، حيث شرّع للرّقيق الصّغار ألا ينفصلوا عن آبائهم وأُمّهاتهم عند البيع ، وفرض عدداً من الفروض الدّينية لتحسين أحوال الرّقيق ، مثل عدم السّماح بتشغيل العبد أكثر من طاقته ، وأي إخلال بمثل هذا ، كان يؤدّي إلى إجبار السّيّد على بيع عبده . وكان النّوع الآخر من الفروض الدّينية ، هو إدخال الرّقيق في الدّين الإسلامي ، وتعليمهم مبادئه ، ثم تعليمهم الكلمات العربية وغيرها من العلوم للتفريق بينهم وبين غيرهم من الرّقيق حتىٰ أن بعضهم ذهب إلى مكّة لأداء فريضة الحج . وهكذا فقد صار كل مسلم خاشع يسعىٰ لتحرير العبيد طلباً للجزاء الكبير في الآخرة ، ولما في تحرير الرّقاب من أثر عظيم في تكفير الذّنوب(٣) .

ولقد ازدهرت تجارة الرّقيق في الفترة بين القرنين الثامن والعاشر الميلاديين ، إذ نقل خلالها أعداد كبيرة من الأفارقة إلى الأسواق الرّئيسية للرّقيق في فارس والعراق ،

---

(١) سورة البلد : الآيات ١١ ، ١٢ ، ١٣ .

(٢) النقيرة ، محمد ، الإسلام في شرق أفريقيا ومناهضة الغرب له ، ص ١٢١ - ١٢٢ .

(٣) Akinola , G. A. , " Slavery and Slave Revolts in The Sultanate of Zanzibar in The Nineteenth Century " , Journal of The Historical Society of Nigeria , Vol. , VI. , No. 2 , P. 221 , June , 1972 .

واستقدم الكثيـر منهـم لاستصلاح المنطقة الزّراعية في جنوب العراق . مما أدىٰ إلى ثـورة الزّنـج(*) المشهورة التي أُلغي على أثرها استخدام الرّقيق وجلبهم(١) .

كما كان يوجد أعداد كبيرة من الرّقيق في الهند والصّين ، وقد استخدموا في أعمال مختلفة كالتجنيد في الجيش والخدمة في المزارع والمنازل(٢) .

وفي الحقيقة فإن تجارة الرّقيق لم تصل إلى درجة كبيرة من الازدهار ، والتقدّم بشكلٍ منظّم إلا في بداية القرن السادس عشر الميلادي ، وبعد اشتغال الأُوروبيين بها(٣) ، إذ كان للبـرتغاليين دور رئيسي في هذه التجـارة ، إذ كانـوا التجّـار الوسطاء الذين عقـدوا الاتّفاقيات مع الدّول الأُوروبية والأمريكية ، لتوصيل العمّال الأفارقـة إلى المـزارع الإسبانية والأمريكية . وقد بلغ عدد الأفريقيين الذين جلبهم التجّـار البرتغاليـون إلى أمريكا الشمالة والبرازيل وإسبانيا - فيما بين عامي ٩٣٦هـ/١٥٣٠م و ١٠٠٨هـ/١٦٠٠م نحو المليون ، نال البـرتغاليـون خلالهـا أرباحاً طائلة ، مما دفع بريطانيا إلى الدّخول في هذه التجارة ، لسد النّقـص الذي كانت تعاني منـه في الأيـدي العاملة في المزارع والمصانع ، وأنشأت تبعـاً لذلك شركات خاصـة لتوريـد هذه التجـارة في عام ٩٩٦هـ / ١٥٨٨م ، ثم في عـام ١٠٢٥هـ / ١٦١٦م ، حتىٰ بلـغ مجمـوع الـذين

---

(١) حسن ، يوسف فضل ، الجذر التاريخية ، ص ٣٤ .

(٢) Oliver , R. and Mathew , G. , East Africa , P. 107 , Clark , P. , A Short History of Tanzania P. 25 , 1960 , Coupland , Exploitation of East Africa , P. 134 .

(٣) ياغي ، إسماعيل أحمد ، « بريطانيا وتجارة الرّقيـق » ، رسالة الخليج العربي ، العدد ١٢ ، ص ١٨٠ ، الرياض ، ١٤٠٦هـ/١٩٨٦م ، Zomarsh , East Africa , P. 33 .

(*)ثورة الزّنج : حدثت في عام ٢٧٠هـ / ٨٨٣م ، وهي ثورة اجتماعية سياسية قام بها الزّنوج في جنوب العراق ، مالكي ، سليمان عبدالغني ، سلطنة كلوة الإسلامية ، ص ٨٨ .

نُقلـوا إلـى المستعمرات البريطانية والفرنسية والإسبانية والأمريكية فيما بين عامي ١٦٦٦م - ١٧٦٦م مايقارب من ثلاثة ملايين أفريقي ، بسعر يُعادل خمسة جُنيهات للعبد الواحد ، وهذا يُعتبر مبلغاً كبيراً بالنسبة لتلك الفترة من الزّمن(١) .

وفي الحقيقة فإنه يصعب تحديد العدد الصحيح أو إعطاء إحصائيات دقيقة عن تجارة الرّقيق في القرن التّاسع عشر الميلادي ، إلا إنه يقدر ماجُلب من الرّقيق بحوالي خمسة وعشرين ألف شخص ، ثم ازداد هذا العدد إلى أربعين ألفاً في العقد الثالث من القرن نفسه ، بينما صدر من غرب أفريقيا إلى الأمريكتين وحدهما قبل منتصف القرن التّاسع عشر فيمابين الثلاثين والأربعين مليون نسمة(٢) .

وفي رواية أُخرىٰ ، قُدّر عدد الرّقيق الذي نُقل إلى الأمريكتين خلال القرون الثلاثة من السادس عشر حتىٰ الثامن عشر مايقرب من مائة مليون أفريقي(٣) .

أما العرب فقد اتّجهوا منذ أقدم العصور إلى التجارة بحثاً عن العاج والرّقيق ، وكانوا يحصلون عليه عن طريق التجارة ، وليس عن طريق القوّة والاغتصاب ، ورغم أن الرّقيق كان من الصّادرات الهامة ، إلا أن تجارته كانت تسير في نطاقٍ ضيّق .

لذا فإنها لم تكن الدّعامة الأساسية لهم في التعامل التجاري ، كما زعم بعض الكتّاب الأُوروبيين .

وعندما شارك العرب في هذه التجارة وصموا بكل منقصة ، في حين أننا إذا قارنّا بين تجارة العرب في الرقيق وتجارة الأُوروبيين لها ، نجد أن تجارة العرب هذه لم تضرّ

---

(١) Zomarsh , East Africa , P. 33 .

(٢) حسن ، يوسف فضل ، الجذر التاريخية ، ص ٣٤ .

(٣) قاسم ، جمال زكريا ، الأصول التاريخية ، ص ٧٧ .

الأفريقيين ، مثلما أضرّت بهم التجارة الأُوروبية ، إذ كانت التجارة العربية تقوم بواسطة جهود فردية ، بعكس التجارة الأُوروبية التي قامت على خطط ومشروعات دقيقة ومنظّمة لاستغلال الثروة البشرية في أفريقيا ، وأُسست تبعاً لذلك شركات كبيرة ذات مراكز مختلفة في جميع أنحاء أفريقيا والدّول الأُوروبية . وأقصىٰ ماكان يصل إليه الرقيق المجلوب بواسطة التجار العرب هو الجزيرة العربية وسواحل الخليج العربي ، وبأعداد قليلة جداً ، بينما كان الرّقيق الذي يجلبه الأُوروبيون إلى مزارعهم ومزارع الأمريكيين عبر المحيط الأطلس بأعداد كبيرة (١) .

ومهما يكن من أمرٍ ، فهذا يوضّح حجم النّـزف البشري الذي تعرّضت له القارة الأفريقية ، نتيجة لنشاط الأُمم الأُوروبية في هذه التجارة .

وهكذا فإن كل الشّعوب في الشرق والغرب تعارفت على تجارة الرّقيق ، وعلى أن القارة الأفريقية هي المنطقة التي استمر استغلالها لهذه التجارة منذ مئات السّنين ، أي قبل مجيء العرب إلى شرق أفريقيا وتواجدهم فيها .

والمصدر الرّئيسي للرّقيق هو قلب القارة الأفريقية ، وكان يتم بيعهم وشرائهم بعدّة طُرق وأشكال ، حيث كانت عمليات الإغارة والقنص تتم في الغابات عن طريق الأفريقيين أنفسهم ، وكان الخطف فيما بينهم شائعاً وسائداً على الطّرق الرّئيسية ، ثم يأتي دور بيعهم لتجّار الرّقيق ، وعادةً ماتكون الضّحية في الأدغال القريبة من القُرىٰ ، وأحياناً كان رئيس القبيلة يُعاقب المجرم المتّهم بالبيع للتجّار ، وكانت عملية جلب

---

(١) قاسم ، جمال زكريا ، دور العرب ، ص ٢٠٦ ، قاسم ، جمال زكريا ، الأصول التاريخية ، ص ٧٧-٧٨ .

الرّقيق تتم أيضاً عن طريق الحروب الدّائمة والمستمرّة بين القبائل ، فمن يقع في الأسر يُباع في الأسواق(١) . وكانت طريقة الأسر هذه تؤدّي إلى حالات كثيرة من الرّعب والدّمار لدىٰ أهالي القُرىٰ ، ففي سبيل الحصول على الرّقيق كانت تستخدم القوّة لنقلهم من بيوتهم وقُراهم ، لذا قامت الحروب ، فالقرية تُحارب القرية ، والمقاطعة تُحارب المقاطعة للحصول على الرّقيق ، ولم تكن هذه الحروب مربحة فحسب ، بل كانت الوسيلة الرئيسية للتجارة ، وللحصول على النساء والأطفال كسبايا ، حيث كانوا يُباعون إلى الأُوروبيين في السّاحل وبأثمان مرتفعة ، فكان كل رجل يُحارب ضد جاره ، لأن العُرف السّائد بينهم كان : إذا لم تستعبد جارك وزوجته وأطفاله ، فمن المؤكّد أنه سيستعبدك ويستعبد زوجتك وأطفالك(٢) .

وقد قام الأُوروبيون في أفريقيا ، إضافةً إلى ماسبق ، باتّباع سياسة فرّق تسُد ، لسد حاجاتهم من الرّقيق ، فشجّعوا قيام حروب مستديمة بين السّكان ، وأوجدوا طبقة منظّمة من الوسطاء ، الذين قادوا حملات مسلّحة إلى داخل أفريقيا ، لجلب أكبر عددٍ ممكن من الرّقيق إلى السّاحل ، فانتشرت الأسلحة النّارية الأُوروبية في أفريقيا ، وبذلك نال الأُوروبيون كسباً مزدوجاً ، وهو بيع الأسلحة النارية من جهة وشراء الأسرىٰ الأفارقة من جهةٍ أُخرى(٣) .

---

(١) المغيري ، جهينة الأخبار ، ص ٥٣٤ - ٥٣٥ .

Woolf , Leonard , Empire and Commerce in Africa , P. 229 , New York , 1968 .

Coupland , The Exploitation of East Africa , P. 137 , F. O. 107/52 , No. 144 , From Hardinge To Salisbury , Confidential , Dated 30,5,1896 , P. 93 .

(٢) Woolf , Empire and Commerce , P. 229 - 230 .

(٣) Woolf , Empire and Commerce , P. 230 .

وكانت أصعب معاناة ومشقّة للرّقيق هي القبض عليهم ، أو خطفهم ، ثم إيصالهم إلى أسيادهم الدائمين .

وتبدأ هذه التجربة الرّهيبة في المشي سيراً على الأقدام من البُحيرات العُظمىٰ داخل القارة الأفريقية إلى السّاحل ، والتي تستغرق عادة ثلاثة أشهر أو أكثر ، قد يموت العشرات منهم خلالها جوعاً وعطشاً ، ويتعرّضون لشتّىٰ المتاعب والأهوال(١) ، حيث يكون العبيد مكبّلين بأعناقهم بالسّلاسل والأغلال مع بعضهم البعض في مجموعات ، بينما كانت أفواههم تُغلق بقطعة من الخشب مثل لجام الجواد . وفي حالة مقاومة العبد أو أي اشتباه لمحاولة الهرب ، كان يقيّد إلى عامود من الخشب السّميك ، طوله ستّة أقدام وفي نهايته شوكة تُربط بها رقبة العبد بقوّة ، وذلك باستخدام دبّوس حديدي قوي ، وفي معظم الأحيان يُستخدم عامود خشبي واحد بشوكتين لربط كل عبدين مع بعضهما البعض(٢) .

وكقاعدةٍ عامة فإن العرب بيضاً أو سوداً كانوا يتمتّعون بحُب القبائل الزّنجية لهم ، ولم يُسمع من الزّنوج أن العربي أو السّواحلي عذّبهم بالشّكل المُريب الذي تحدّث عنه بعض الكُتّاب الأوروبيين ، وأن مافعله العرب لايُعادل واحداً في المائة مما تقوم به قبائل الزنوج فيما بينها ، مثل قبيلة الماساي Masai ، والأنقوني Angoni ، والوايمبا Wa-Wemba والأتوتا Wa-Tuta . كما لايمكن القول بأن صفقات العرب البسيطة وغير

---

(١) السيدة سالمة ، مذكرات أميرة عربية ، ص ٢٤٩ ،

Coupland , The Exploitation of East Africa , PP. 138 - 139 .

(٢) Coupland , The Exploitation of East Africa , PP. 138 - 139 .

المنظّمة في تجارة الرّقيق ، تُعادل الغارات الكبيرة والمنظّمة التي تقوم بها الماساي وغيرهما كوسيلة لجلب الرّقيق لإمداد الأسواق التّجارية(١) .

---

(١) F. O., 403/127, Report From Mr. H. H. Johnston To F. O., dated 17,3,1890, PP. 37 - 38.

وصية السيد سعيد

ملحق رقم (٤).

بسم الله الرحمن الرحيم

أوصى السيد أبو المكارم ابن الإمام أحمد بن سعيد [illegible] بما يحتاج إليه [illegible] من ماله بعد موته من حجج [illegible] إلى [illegible]

[illegible] من ماله [illegible] لمن يغسل الميت ولمن يحفر له قبرا [illegible] بعد موته [illegible] فرش [illegible] من ماله بعد موته [illegible] الذين لا

يرثونه وبألف كفارة صلوات [illegible] كفارة [illegible] الكفارات المطعام ستين مسكينا وبأجرة من يصوم عنه [illegible] شهرا زمانا [illegible]

بدله [illegible] صيام شهور رمضان وبإنفاذ هذه الأجرة من ماله بعده [illegible] وصيته وبأجرة من يحج عنه حجتا الإسلام إلى

بيت الله الحرام الذي بمكة المشرفة ويزور عنه قبر نبينا محمد صلى الله عليه وسلم الذي بمدينة يثرب ويسلم [illegible] صاحبيه أبي بكر الصديق

وعمر بن الخطاب رضي الله عنهما ويفعل عنه في هذه الحجة والزيارة ما يفعله الحاجون والزائرون من فروض وسنة ووجوب [illegible]

[illegible] وبإنفاذ هذه الأجرة من ماله بعد موته [illegible] وصيته وجميع ما في ملكه من السلاح وآلة الحرب للأولاد الذكور [illegible]

منه [illegible] مركبه [illegible] من ماله بعد موته [illegible] بيت مال المسلمين وصية منه بذلك [illegible] ما بقي بعد [illegible]

مراكبه [illegible] المراكب المذكورين [illegible] ورثته [illegible] كحكمه لكل واحد منهم في الميراث [illegible]

جعل السيد سعيد هذا [illegible] الذكور والإناث [illegible] ما هو بيد [illegible]

الله [illegible] وأبناء [illegible] وأوصى لكل واحد منهم [illegible] وأوصى لكل [illegible] ذكرا كان

أو أنثى بخمسين قرشا فضة من ماله بعد موته ولكل واحد من [illegible] بمائة قرش فضة من ماله بعد موته [illegible]

[illegible] وقد جعل السيد سعيد هذا جميع بيوته التي له في بندر مسكد والتي في بندر زنجبار و[illegible] لجميع أولاده [illegible]

وصية منه بذلك. أوصى السيد سعيد هذا بجميع ما بقي [illegible] لأولاده الذكور [illegible] البيع في جميع ما حوته [illegible]

[illegible] والمتاع يكون مقسوما بين ورثته [illegible] لكل واحد منهم من الميراث وقد جعل السيد سعيد هذا

[illegible] بن سيف بن علي وابن أخيه محمد بن سالم بن سلطان وولده خالد بن سعيد أوصياءه في جميع ماله [illegible] أن يجعلهم فيه أوصياءه

[illegible] هذه الوصية [illegible] وقد أثبت جميع هذا المكتوب عليه [illegible] وإنفاذه عنه من ماله بعد موته كان

ثابتا عليه [illegible] وأجاز [illegible] إنفاذه [illegible] والله على كل شيء شهيد.

وذلك بتاريخ يوم السادس والعشرين [illegible] من شهر رمضان من شهور سنة ١٢٦٦ من الهجرة النبوية وكتبه [illegible]

[illegible]

صحيح ما كتب في هذه الوصية وهو من اختياري وبنظري الحقير سعيد بيده

صحيح هذا النقل مطابق الأصل صحيح [illegible]

[illegible] true copy of the original [illegible]

ملحق رقم (٥) (٤٤٧)

Zanzibar 69

January. 27. 1892.

My Lord,

There has always been a good deal of difficulty felt here in securing the proper publication of official documents such as decrees of the Sultan, Proclamations, orders or official notices etc. As a rule the successive Sultans have contented themselves with affixing a notice to the doors of the Custom House, while documents emanating from this office have been affixed also at that place and on the door of the Consular Court.

In

[M]arquis of Salisbury K.G.

&c &c &c

In the present changed condition of affairs it soon became evident that this cumbrous method of publication was no longer sufficient; I therefore gave every encouragement to the firm of Forwood Brothers when they expressed their willingness to start a newspaper in Zanzibar: and having made sure that Her majesty's Representative will always be able to retain a sufficient control over the paper, I have undertaken to consider it an official means of publication of proclamations notices Etc emanating

both

Zanzibar. The first number will appear on the 1st of February, the day of the declaration of the Free Port.

I have the honour to be,

with the highest respect,

My Lord:

Your Lordship's most obedient,

humble servant.

Portal

No. 11

Recd

By Bag 24 Feb

Gazette, for publication of official notices, — advertisements + Commercial matters will be published on 1st of February.

Feb. 24/92 [illegible]

58

5

ترجمـــة ملحق رقم (٥)

زنجبار .
٢٧ ينايـر ١٨٩٢م .
سيّدي اللورد .

إن هُناك مشكلة كبيرة في تأمين طباعة الوثائق الرّسمية مثل أوامر السّلطان ، البلاغات ، والإعلانات الرّسميـة . . . . ، إلخ . وكعادة متّبعة فإن السلاطين المتعاقبين قد اكتفوا بتعليق تعاميمهم على أبواب مصلحة الجمارك ، في حين أن الوثائق الصّادرة من هذا المكتـب ظلّـت أيضـاً تُعلّق في نفس المكان وعلى باب المحكمة القنصلية .

وفي ظروف تغيير الشّئون هذه ، فقد أصبح واضحاً أن هذه الطريقة المزعجة من الإعلان لم تعد كافية ، ولذلك فإنني قد شجّعت بشكلٍ كبير جداً شركة « فوروود بروزارس » عندما أبدوا رغبتهم في إصدار جريدة في زنجبار . وبعد التأكّد من أن ممثّلي جلالة الملكة سوف يقومون بالرّقابة التّامة على الجريدة ، فقد تعهّدت بأن أتّخذها وسيلة رسمية للإعلانات التي تصدر من هذه الوكالة ، أو من حكومة زنجبار ، وللإعلانات الأُخرىٰ ، مادامت هذه الجريدة تنتشر بطريقة كافية . وسف أكون بشكلٍ ما مُعلناً رسمياً ، وكذلك وسيلة للإعلان حسب طلب التجّار هُنـا ، ولن يتم السّماح بكتابة مواضيع سياسية ، أو آراء في هذه الجريدة ، والتي سـوف تكون مقصورة على الإعلانات والتعاميم الرّسمية والمسائل التجاريـة . وآمل أن تكون هذه الجريدة دافعاً لتحريك التّجارة في هذه الجزيرة ، بجانب تقديمهـا لخدمات رسمية وشعبية في مجال الإعلان . وسوف يصدر العدد الأول من الجريدة في اليوم الأول من فبراير ، وهو يوم إعلان الميناء الحُـر .

خادم معاليكـم المُطيع

الموقّع : بورتـال

ثبت المصادر والمراجع

ثبت المصادر والمراجع

أولاً : المصادر العربية :

١ - القرآن الكريم .

٢ - ابن بطوطة ، أبوعبدالله محمد بن عبدالله بن ابراهيم اللواتي ، تحفة النظّار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار ، ج ١ ، تحقيق على المنتصر الكتاني ، مؤسسة الرّسالة ، بيروت ، ١٣٩٩هـ/١٩٧٩م .

٣ - ابن رزيق ، حميد بن محمد رزيق بن بخيت ، الفتح المبين في سيرة السادة البوسعيديين ، ج ٢ ، تحقيق عبدالمنعم عامر ، محمد مرسي عبدالله ، القاهرة، ١٣٩٧هـ/١٩٧٧م .

٤ - ابن سلطان ، سالمة بنت السيد سعيد ، مذكّرات أميرة عربية ، ط ٥ ، ترجمة عبدالمجيد القيسي ، القاهرة ، ١٤٠٦هـ / ١٩٨٥م .

٥ - باكثير ، عبدالله بن محمد بن سالم ، رحلة الأشواق القوية إلى مواطن السادة العلوية ، تحقيق عبدالله بن محمد بن حامد عُمر السّقاف ، القاهرة ، ١٣٥٨هـ .

٦ - السالمي ، أبومحمد عبدالله بن حميد بن سلوم ، تُحفة الأعيان بسيرة أهل عُمان ، ج ٢ ، تصحيح وتعليق وطبع أبي إسحق إبراهيم طفيس الجزائري ، القاهرة ، ١٣٣٠هـ .

٧ - السيوطي ، الحافظ جلال الدين ، سُنن النسائي بشرح السيوطي ، وحاشية الإمام السندي ، بيروت ، المكتبة العلمية ، تاريخ الطبع بدون .

٨ - الصوافي ، عبدالله بن مصبح ، السّلوة في أخبار كلوه ، نقلاً عن أوراق محي الدّين الزّنجباري ، تحقيق محمد علي الصليبي ، القاهرة ، ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م .

٩ - العسقلاني ، أحمد بن علي بن حجر ، فتح الباري شرح صحيح البُخاري ، ترقيم محمد فؤاد عبدالباقي ، إخراج وتصحيح مُحب الدين الخطيب ، دار المعرفة ، بيروت ، تاريخ الطبع بدون .

١٠ - الفارسي ، عبدالله بن صالح ، البوسعيديون حُكّام زنجبار ، ط ٢ ، ترجمة محمد أمين عبدالله ، القاهرة ، ١٩٨٢م .

١١ - القزويني ، زكريا محمد بن محمود (١٢٠٣- ١٢٨٣م) ، آثار البلاد وأخبار العباد ، دار صادر ، بيروت ، ١٣٨٩هـ / ١٩٦٩م .

١٢ - القلقشندي ، أبي العباس أحمد بن علي ، قلائد الجمان ، ط ٢، تحقيق ابراهيم الإبياري ، دار الكُتب الإسلامية ، دار الكتاب المصري ، دار الكتاب اللبناني ، دار الرفاعي ، القاهرة ، بيروت ، الرياض ، ١٤٠٢هـ/ ١٩٨م .

١٣ - المسعودي ، ابن الحسن علي بن الحسين بن علي ، مروج الذّهب ومعادن الجوهر ، ط ٤ ، تحقيق محمد محي الدّين عبدالحميد ، دار الرجاء ، القاهرة ، محرّم ، ١٣٨٤هـ / ١٩٦٤م .

١٤ - المشهور ، عبدالرّحمن بن محمد بن حسين ، شمس الظّهيرة ، ج ٢ ، تحقيق محمد ضياء شهاب ، عالم المعرفة ، جدة ، ١٤٠٤هـ / ١٩٨٤م .

١٥ - المغيري ، سعيد بن علي ، جهينة الأخبار في تاريخ زنجبار ، ط ٢ ، تحقيق محمد علي الصّليبي ، مطرح ، ١٤٠٦هـ / ١٩٨٦م .

١٦ - ميخائيل ، توفيق ، غرائب الأخبار عن شرق أفريقيا وزنجبار ، القاهرة ، ١٣١٩هـ/١٩٠١م .

١٧ - النّووي ، الإمام مُحي الدين أبوزكريا يحى بن شرف بن مري الحزامي ، صحيح مُسلم بشرح النّووي ، القاهرة ، تاريخ الطبع بدون .

ثانياً : المراجع العربية :

١ - أبوياسين ، سمير محمد علي ، العلاقات العُمانية البريطانية ١٧٩٨ - ١٨٥٦ ، مركز دراسات الخليج العربي ، ط ١ ، البصرة ، ١٤٠١هـ / ١٩٨١م .

٢ - أرنولد ، توماس . و . ، الدّعوة إلى الإسلام ، ط ٢ ، ترجمة وتعليق حسن ابراهيم حسن وآخرون ، مكتبة النّهضة المصرية ، القاهرة ، ١٩٥٧م .

٣ - أيلتس ، هرمان فريدريك ، سلطانة في نيويورك ، ط ٢ ، القاهرة ، ١٩٨٢م .

٤ - أيلتس ، هرمان فريدريك ، عُمان والولايات المتّحدة الأمريكية ، ترجمة محمد كامل ، القاهرة ، ١٩٨٤م .

٥ - ترمنجهام ، سبنسر ، الإسلام في شرق أفريقيا ، ترجمة وتعليق محمد عاطف النّواوي ، مراجعة فؤاد محمد شبل ، مكتبة الأنجلو المصرية ، القاهرة ، ١٩٧٣م .

٦ - الجبّوري ، عصام محسن ، العلاقات العربية الأفريقية ، بغداد ، وزارة الثقافة والإعلام ، ١٩٨١م .

٧ - الجماز ، صالح ، العلاقة بين أفريقيا والعالم الإسلامي والعربي ، مكان الطبع بدون ، ١٩٧٥م .

٨ - الجمل ، شوقي ، تاريخ كشف أفريقيا واستعمارها ، ط ٢ ، مكتبة الأنجلو المصرية ، القاهرة ، ١٩٨٠م .

٩ - جيان ، وثائق تاريخية وجغرافية وتجارية عن أفريقيا الشرقية ، ترجمة وتلخيص يوسف كمال ، دار الكتب المصرية ، القاهرة ، ١٣٤٥هـ / ١٩٢٧م .

١٠ - الحجري ، عامر محمد ، تاريخ العلاقات العُمانية الأفريقية ، الدّوحة ، ١٩٧٦م .

١١ - حرّاز ، رجب ، أفريقيا الشرقية . الاستعمار الأوروبي ، دار النّهضة العربية ، القاهرة ، ١٩٦٨م .

١٢ - حرّاز ، رجب ، بريطانيا وشرق أفريقيا من الاستعمار إلى الاستقلال ، معهد البحوث والدراسات العربية ، القاهرة ، ١٩٧١م .

١٣ - حريز ، سيد حامد ، المؤثرات العربية في الثقافة السواحلية في شرق أفريقيا ، دار الجيل ، بيروت ، ١٤٠٨هـ / ١٩٨٨م .

١٤ - حسن ، يوسف فضل ، الجُذور التاريخية للعلاقات العربية الأفريقية ، العرب وأفريقيا ، مركز دراسات الوحدة العربية ، بيروت ، ١٩٨٤م .

١٥ - دافدسن ، بازل ، أفريقيا تحت أضواء جديدة . ترجمة جمال م . أحمد ، بيروت ، دار الثقافة ، تاريخ الطبع بدون .

١٦ - دافدسن ، بازل ، صحوة أفريقيا ، ترجمة عبدالقادر حمزة ، مراجعة أحمد قاسم جودة ، مكتبة الأنجلو المصرية ، القاهرة ، ١٩٥٦م .

١٧ - درويش ، مديحة ، سلطنة عُمان من القرنين الثامن عشر والتّاسع عشر ، دار الشّروق ، بيروت ، ١٤٠٢هـ / ١٩٨٢م .

١٨ - دياب ، أحمد إبراهيم ، انتشار الإسلام في شرق أفريقيا ، الرياض ، دار المرّيخ ، ١٤٠٧هـ .

١٩ - ديشان ، هوبير ، الديانات في أفريقيا السوداء ، ترجمة أحمد صادق حمدي ، القاهرة ، ١٩٥٦م .

٢٠ - روت ، رودلف سعيد ، سلطنة عُمان خلال حُكم السيد سعيد بن سلطان (١٧٩١ - ١٨٥٦) . ترجمة عبدالمجيد حسيب القيسي ، البصرة ، مركز دراسات الخليج العربي ، ١٩٨٣م .

٢١ - زكي ، عبدالرّحمٰن ، الإسلام والمسلمون في شرق أفريقيا ، معهد الدراسات الإسلامية ، القاهرة ، ١٩٦٥م .

٢٢ - زلوم ، عبدالقادر ، عُمان والإمارات السّبع ، دار مكتبة الحياة ، بيروت ، ١٣٨٣هـ / ١٩٦٣م .

٢٣ - سالم ، أحمد عيضة ، " الجاليات العربية في أفريقيا " ، العرب وأفريقيا ، مركز دراسات الوحدة العربية ، بيروت ، ١٩٨٤م .

٢٤ - ستودراد ، لوثروب ، حاضر العالم الإسلامي ، ترجمة عجاج نويهض ، حواشي وتعليق الأمير شكيب أرسلان ، دار الفكر للطّباعة والنّشر ، القاهرة ، ١٣٤٣هـ / ١٩٢٧م .

٢٥ - سرجنت ، ر . ب . ، سادات حضرموت ، ترجمة أحمد بن حسين بن سميط العلوي ، معهد الدراسات الآسيوية والأفريقية بجامعة لندن ، لندن ، ١٩٥٧م .

٢٦ - سعدون ، عبدالغني ، " العروبة الأفريقية مواجهة أم تضامن " ، العلاقات العربيـــة والأفريقية ، معهد البحوث والدراسات العربية ، القاهرة ، ١٩٨٧م .

٢٧ - سعيد ، زاهر بن ، تنزيه الأبصار والأفكار في رحلة سلطنة زنجبار ، رتبه وصوبه لويس صابونجي ، مراجعة إبراهيم عبده ، ط٢ ، القاهرة ، تاريخ الطبع بدون .

٢٨ - السيار ، عائشة علي ، دولة اليعاربة في عُمان وشرق أفريقيا من ١٦٢٤ - ١٧٤١ ، ط ١ ، دار القُدس ، بيروت ، ١٩٧٥م .

٢٩ - السيابي ، سالم بن حمود ، إسعاف الأعيان في أنساب أهل عُمان ، بيروت ، ١٩٨٤م .

٣٠ - شاكر ، محمود ، أُوغنـدا ، مواطن الشّعوب الإسلامية في أفريقيـة ، ط ٢ ، المكتب الإسلامي ، بيروت ، ١٤٠٣هـ / ١٩٨٣م .

٣١ - شلبي ، أحمد ، مقارنة الأديان ، الإسلام ، ط ٦ ، مكتبة النّهضة المصرية ، القاهرة ، ١٩٧٩م .

٣٢ - الشّيخ ، رأفت غُنيمي ، " دور عُمان في بناء حضارة شرق أفريقيا " ، حصاد ندوة الدراسات العّمانية ، القاهرة ، ١٩٨١م .

٣٣ - الشيخ ، رأفت غُنيمي ، صلات عُمان بالولايات المتّحدة الأمريكية خلال فترة حُكم السيد سعيد بن سلطان ، العدد ١٩ ، ط ٢ ، القاهرة ، ١٩٨٣م .

٣٤ - الطّحاوي ، عنايات ، أفريقيا الإسلامية ، الموسوعة الجغرافية للعالم الإسلامي ، المجلّد الأوّل ، القاهرة ، ١٣٨٩هـ/١٩٧٠م .

٣٥ - الطّرازوني ، محمد ، الإسلام في تنزانيا ، مكان الطبع بدون ، ١٩٨٢م .

٣٦ - عبدالباقي ، هُدىٰ سليم ، الرّوابط بين العرب والأفارقة السّود والأمريكيين السّود . دار المروج ، بيروت ، ١٩٨٦م .

٣٧ - عبدربّه ، سعد زغلول ، " العرب والأفريقيّون في مواجهة الاستعمار الألماني في شرق أفريقيا " ، العلاقات العربية الأفريقية ، الفصل الرابع ، القاهرة ، ١٩٧٧م .

٣٨ - العقّاد ، صلاح ، الإستعمار في الخليج الفارسي ، مكتبة الأنجلو المصرية ، القاهرة ، ١٣٧٦هـ / ١٩٥٦م .

٣٩ - العقّاد ، صلاح ، التيّارات السياسية في الخليج العربي ، مكتبة الأنجلو المصرية ، القاهرة ، ١٩٧٤م .

٤٠ - العقّاد ، صلاح ، وقاسم ، جمال زكريا ، زنجبار ، القاهرة ، ١٩٦٠م .

٤١ - العمري ، أحمد سويلم ، العرب والأفريقيون ، القاهرة ، ١٩٨٧م .

٤٢ - فيليبس ، وندل ، تاريخ عُمان ، ترجمة محمد أمين عبدالله ، ط ٢ ، القاهرة ، ١٤٠٣هـ / ١٩٨٣م .

٤٣ - قاسم ، جمال زكريا ، دولة بوسعيد في عُمان وشرق أفريقيا ١٧٤١ - ١٨٦١ ، القاهرة ، ١٩٦٨م .

٤٤ - قاسم ، جمال زكريا ، الأصول التاريخية للعلاقات العربية الأفريقية ، معهد البحوث والدراسات العربية ، القاهرة ، ١٩٧٥م .

٤٥ - قاسم ، جمال زكريا ، " الدولة العمانية في شرق أفريقيا " ، حصاد ندوة الدّراسات العُمانية ، المجلد الثالث ، القاهرة ، ١٩٨١م .

٤٦ - قاسم ، جمال زكريا ، الخليج العربي ، ١٥٠٧ - ١٨٤٠ ، دار الفكر العربي ، القاهرة ، ١٩٨٥م .

٤٧ - القاسمي ، سلطان بن محمد ، تقسيم الامبراطورية العُمانية ١٨٥٦ - ١٨٦٢م ، ط ١ ، مؤسسة البيان للصحافة والطباعة والنّشر ، دبي ، ١٩٨٩م .

٤٨ - المالكي ، سليمان عبدالغني ، سلطنة كلوه الإسلامية ، ط ١ ، دار النّهضة العربية ، القاهرة ، ١٤٠٦هـ / ١٩٨٦م .

٤٩ - مايلز ، س . ب . ، الخليج بلدانه وقبائله ، ترجمة محمد أمين عبدالله ، القاهرة ، ١٤٠٣هـ / ١٩٨٣م .

٥٠ - محمد ، عبدالله بخيت ، دراسات في الأدب السّواحلي ، معهد البحوث والدّراسات الأفريقية ، القاهرة ، ١٩٨٦م .

٥١ - محمد ، عبدالله بخيت ، مصطلحات سواحلية في ضوء العلاقات الاجتماعية ، معهد البحوث والدّراسات العربية ، القاهرة ، ١٩٨٧م .

٥٢ - محمود ، حسن أحمد ، الإسلام والثقافة العربية في أفريقيا . ج ١ ، دار النّهضة العربية ، القاهرة ، ١٩٦٣م .

٥٣ - محمود ، عبدالحليم ، أبوالحسن الشّاذلي ، القاهرة ، وزارة الثقافة ، ١٩٦٧م .

٥٤ - مصلحي ، محي الدّين ، " النشاط التجاري في شرق أفريقيا في القرن التّاسع عشر حتىٰ بداية السيطرة الأوُروبية على المنطقة " ، العرب في أفريقيا ، مكتبة الآداب ، القاهرة ، ١٤٠٧هـ / ١٩٨٧م .

٥٥ - المعمري ، أحمد حمود ، عُمان وشرق أفريقيا ، ترجمة محمد أمين عبدالله ، القاهرة ، ١٩٨٠م .

٥٦ - النقيرة ، محمد عبدالله ، انتشار الإسلام في شرق أفريقية ومناهضة الغرب له ، دار المرّيخ للنّشر ، الرياض ، ١٤٠٢هـ/١٩٨٢م .

٥٧ - نوفل ، سيّد ، الأوضاع السياسية لإمارات الخليج العربي وجنوب الجزيرة العربية ، معهد البحوث والدراسات العربية ، القاهرة ، ١٩٧٩م .

٥٨ - هولنجزوورث ، ل . و . ، زنجبار ١٨٩٠ - ١٩١٣ ، ترجمة وتعليق حسني حبشي ، دار المعارف ، القاهرة ، ١٩٦٨م .

٥٩ - يحيى ، جلال ، تاريخ أفريقيا الحديث والمعاصر ، المكتب الجامعي الحديث ، الأسكندرية ، ١٩٨٤م .

ثالثاً : الدوريات العربية :

١ - ابراهيم ، عبدالعزيز عبدالغني ، " علاقة ساحل عُمان ببريطانيا " ، دارة الملك عبدالعزيز ، العدد ٢٥ ، الرياض ، ١٤٠٢هـ / ١٩٨٢م .

٢ - أبوالعلا ، محمود طه ، " المؤثّرات العربية في شرق أفريقيا " ، مجلّة الجمعية الجغرافية المصرية ، العدد ١٩ ، القاهـرة ، ١٩٦٠م .

٣ - أبوعلية ، عبدالفتّاح حسن ، " العلاقة التجارية بين الولايات المتّحدة الأمريكية وبين زنجبار من ١٨٣٣ - ١٨٦٢م " ، مجلّة كلية العلوم الإجتماعية ، العدد ٦ ، جامعة الإمام محمد بن سعود ، الرياض ، ١٤٠٢هـ/١٩٨٢م .

٤ - أبوعلية ، عبدالفتاح حسن ، " من قضايا الخلاف في تطبيق بنود معاهدة عام ١٨٣٣ بين سلطنة مسقط وتوابعها وبين الولايات المتّحدة الأمريكية " ، مجلّة العصور ، المجلد الأول ، ج ١ ، دار المرّيخ ، الرياض ، جماد الأُولى ١٤٠٦هـ / يناير ١٩٨٦م .

٥ - باتيبو ، هـ . م ، " إسهام اللغة العربية في إنماء اللغة السّواحلية وتطويرها " ، مجلة الإسلام اليوم ، العدد ٢ ، الرباط ، ١٤٠٤هـ / ١٩٨٤م .

٦ - البيز ، عبدالله علي ، " القرنفل " ، المجلّة العربية ، العدد ١٧٤ ، السنة السادسة عشر ، الرياض ، ١٤١٢هـ / ١٩٩٢م .

٧ - الحداد ، محمد أحمد مشهور ، " مستقبل اللغة العربية في زنجبار " ، جريدة المدينة المنورة، العدد ٧٦٢٨ ، جده ، الخميس ١٤٠٨/٧/٢٩هـ .

٨ - حسن، سميره محمود ، " سلطنة آل بوسعيد وأرض الزّنج في شرق أفريقية " ، مجلّة نهضة أفريقية، العدد ٦ ، القاهـرة ، ١٩٥٨م .

٩ - حسن ، سميره محمود ، " هذه هي تنجانيقا " ، مجلّة نهضة أفريقية ، العدد ٤٤ ، القاهرة ، ١٩٦١م .

١٠ - حريز ، سيد حامد ، " المؤثرات العربية في شرق أفريقيا " ، مجلّة كلّية الآداب ، العدد ١١ ، جامعة الملك سعود ، تنشرها عمادة شئون المكتبات ، الرياض ، ١٩٨٤م .

١١ - ديشان ، هوبير ، " الدّيانات في أفريقية السّوداء " ، ترجمة أحمد صادق حمدي ، العدد ٥٢ ، دار الكتاب ، القاهرة ، سلسلة الألف كتاب ، ١٩٥٦م .

١٢ - سالم ، ناهد حافظ ، " حفلات الزّار " ، الشرق الأوسط ، العدد ١٢٥ ، معهد الدراسات الأفريقية والآسيوية ، جامعة الخرطوم ، لندن ، ١٩٨٨م .

١٣ - ستيفنس ، ريتشارد ، " استعراض لبداية العلاقة الأمريكية التجارية والقنصلية مع سلطنة مسقط عمان من ١٨٣٣-١٨٥٦ " ، مجلّة دراسات الخليج والجزيرة العربية ، العدد ١١ ، السّنة الثالثة ، الكويت ، رجب ١٣٩٧هـ / يوليو ١٩٧٧م .

١٤ - صغيرون ، إبراهيم الزّين ، " لمحات تاريخية عن انتشار الإسلام في أُوغندا " ، مجلة كلية العلوم الاجتماعية ، العدد ٦ ، جامعة الإمام محمد بن سعود ، الرياض ، ١٤٠٢هـ/ ١٩٨٢م .

١٥ - طه ، جاد محمد ، " دور بريطانيا وألمانيا في تفكيك سلطنة زنجبار " ، العلاقات العربية الأفريقية ، الفصل الثالث ، القاهرة ، ١٩٧٧م .

١٦ - العدوي ، إبراهيم أحمد ، " العروبة في شـرق أفريقيا " ، مجلّـة نهضـة أفريقيـا ، العدد ١٨ ، القاهـرة ، ١٩٥٩م .

١٧ - العيدروس ، محمد حسن ، " السلطان سعيد والعلاقات العربية الأفريقية " ، المؤرّخ العربي ، العدد ٢٧ ، السنة الرابعة عشر ، مجلّة فصلية تاريخية ، تصدر عن الأمانة العامة لاتّحاد المؤرّخين العرب ، بغـداد ، ١٤٠٩هـ / ١٩٨٨م .

١٨ - قاسم ، جمال زكريا ، " دور العرب في كشف أفريقيا " ، المجلد الأول ، العدد ٤ ، مجلّة عالم الفكـر ، جـدّة ، ١٩٧١م .

١٩ - قاسم ، جمال زكريا ، " الرّوابط العربية الأفـريقية قبل حـركة الكشوف الجغرافية وبدء حـركة الإستعمار الأوروبي في القرن الخامس عشـر " ، العلاقات العربية الأفـريقية ، الفصل الأول ، القاهـرة ، ١٩٧٧م .

٢٠ - اللمكي ، ناصر بن سليمان بن ناصر ، " حميد بن محمد المرجبي ، فاتـح الكـونغـو ، والملقّب بـ " تيبـوتيب " " ، مجلّة الهـلال ، ج ١٤ ، القاهـرة ، ٩ جماد الأولى ١٣٢٤هـ / ١ يوليو ١٩٠٦م .

٢١ - محمد ، محمد سيد ، " أُوغنـدا قبل الحماية البريطانية " ، مجلة كلية الشريعة والدراسات الإسلامية ، العدد ٣ ، السنة الثالثة ، جامعة الملك عبدالعزيز ، مكّة المكرّمـة ، ١٣٩٧هـ - ١٣٩٨هـ .

٢٢ - محمد ، محمد سيد ، " سلطنة زنجبار الإسلامية بين الإنجليز والألمان " ، مجلّة جامعة الملك عبدالعزيز ، العدد ٢ ، مكة المكرمة ، جماد الثانية ١٣٩٨هـ/ مايو ١٩٧٨م .

٢٣ - محمّدين ، محمد محمود أحمد ، " علاقة الجزيرة العربية بشرق أفريقيا " ، الدارة ، الرياض ، العدد ٢ ، رجب ١٣٩٦هـ/يوليو ١٩٧٦م .

٢٤ - مرقص ، يواقيم رزق ، " الاستعمار البلجيكي وأثره على الوجود العربي في الكونغو " ، المنظّمة العربية للتربية والثقافة والعلوم ، الفصل الخامس ، القاهرة ، ١٩٧٧م .

٢٥ - الهدار ، هادي بن أحمد ، " السيد عُمر بن سميط " ، المنهل ، العدد ١ ، الرياض ، محرّم ١٣٩٥هـ / فبراير ١٩٧٥م .

٢٦ - ياغي ، إسماعيل أحمد ، " بريطانيا وتجارة الرقيق " ، مجلة رسالة الخليج العربي ، العدد ١٨ ، السنة السادسة ، جامعة الإمام محمد بن سعود ، الرياض ، ١٤٠٦هـ / ١٩٨٦م .

رابعاً : المعارف العامة :

١ - أطلس العالم الصحيح ، وضع وإعداد جماعة من أساتذة الجغرافيا والتاريخ في لبنان والعالم العربي ، رسم وإخراج وإشراف حسّان حامد ، بيروت ، تاريخ الطبع بدون .

٢ - مؤنس ، حسين ، أطلس تاريخ الإسلام ، الزّهراء للإعلام العربي ، القاهرة ، جمادى الأولى ، ١٤٠٧هـ / ١٩٨٧م .

٣ - الندوة العالمية للشّباب الإسلامي ، الموسوعة الميسّرة في الأديان والمذاهب المعاصرة ، ط ٢ ، الرياض ، ١٤٠٩هـ / ١٩٨٩م .

٤ - هادون ، أ . ب . ، « أوغندة » ، دائرة المعارف الإسلامية ، ترجمة أحمد الشّنّاوي ، إبراهيم زكي خورشيد ، عبدالحميد يونس ، دار الفكر ، بيروت ، تاريخ الطبع بدون .

خامساً : الرسائل الجامعية :

١ - صيرفي ، نوال ، الجهاد الإسلامي في شرق أفريقيا ، رسالة دكتوراه في التاريخ الإسلامي الحديث ، كلية الشريعة والدراسات الإسلامية ، جامعة أم القرىٰ ، مكّة المكرّمة ، ١٤٠٧ - ١٤٠٨هـ .

٢ - منسي ، عبدالله ، سياسة الولايات المتّحدة الأمريكية تجاه عُمان فيما بين الحربين العالميّتين ١٣٣٧-١٣٥٨هـ/١٩١٩-١٩٣٩م ، رسالة دكتوراه ، التاريخ الإسلامي الحديث ، كليّة الشريعة والدراسات الإسلامية ، جامعة أم القرىٰ ، مكّة المكرّمة ، ١٤١١هـ/١٩٩١م .

سادساً : المصادر الأجنبيّة :

١ - وثائق غير منشورة :

UnPublished Documents :

وزارة الخارجية البريطانية

A. Foreign Office :

1 - F. O. 403/172 , No. 283 ,
From Sef - Bin - Hamid - Bin - Mohamed To Tippo Tip , Stanley Falls , Dated 3,7,1309 AH. 3,2,1892 .

2 - F. O. 403/367 ,
Memorandum By Sub - Commissioner Mac Dougallx , Dated 26,5,1905 .

3 - F. O. 403/127 ,
Report From M. M. H. H. Johnston To F. O. Dated 17,3,1890 , PP. 37 - 38 .

4 - F. O. 107/52 ,
From Hardinge To Marquess of Salisbury , No. 144 , Zanzibar , May 4 , 1896 Confidential .

5 - F. O. 403/184 ,
From Mr. Rodd To The Earl of Rosebery , No. 219 , London , Dec. 31 , 1892 .

6 - F. O. 403/172 ,
Mr. Jones To Mr. Portal , 1892 , P. 115 .

7 - F. O. 54/12 ,
From Hamerton To F. O. , No. 4 , 14. 2 . 1848 .

8 - F. O. 403/457 ,
Note On The Zanzibar Treaties , Enclosure . 3 in No. 14 , 30 .

9 - F. O. 303/457 ,
Note On The Zanzibar Treaties , No. 4 .

10 - F. O. 84/1454 , No. 184 ,
From Dr. Kirk To Lord Derby , Dated 13,12,1876 .

11 - F. O. 84/1454 , No. 184 ,
Dec. 13, 1876 .
12 - F. O. 2/286 , No. 119 ,
From Hardinge To Salisbury , Dated 15,4,1900 .
13 - F. O. 107/76 , No. 66 ,
From Hardinge To Salisbury , Dated 2,4,1897 .
14 - F. O. 403/184 , No. 219 ,
From Dr. Rodd To The Earl Of Rosebery , Dated 31, 1892 .
15 - F. O. 107/52 , No. 144 ,
From Hardinge To Salisbury , Dated 30,5,1896 , P. 93 , Confidential .
16 - F. O. 2/286 , No. 119 ,
From Hardinge To Salisbury , Dated 15,4,1900 .
17 - F. O. 84/2149 , No. 273 ,
From Portal To Lord Salisbury , Dated 23,10,1891 .
18 - F. O. 84/2150 , No. 307 ,
From Portal To Salisbury , Dated 19,12,1891 .
19 - F. O. 403/172 , No. 148 ,
From Portal To Salisbury , Dated 2,7,1892 .
20 - F. O. 84/2232 , No. 148 ,
From Portal To Salisbury , Dated 2,7,1892 .
21 - F. O. 84/2233 , No. 194 ,
From Portal To Salisbury , Dated 1,9,1892 .
22 - F. O. 403/367 , No. 29 ,
From Ali-Bin Hamoud To Mr. Clarke , dated 14,6,1906 .
23 - F. O. 107/96 , No. 281 ,
From Hardinge To Salisbury , Dated 6,9,1898 .

24 - F. O. 2/188 , No. 20 , Confidential ,
From Hardinge To Salisbury , Dated 10,1,1899 .

25 - F. O. 403/367 , No. 24 ,
From F. O. To Board of Trade , Dated 11,6,1906 .

26 - F. O. 403/368 , No. 70 ,
From F. O. To Mr. Caye , Dated 6,7,1906 .

27 - F. O. 403/368 , No. 63 ,
From F. O. To M. Cambon , Dated 24,8,1906 .

28 - F. O. 403/457 ,
Notes on The Zanzibar Treaties , P. 31 , Enclousure 3 in No. 14 .

29 - F. O. 84/2149 , No. 223 ,
From Portal To Salisbury , Dated 23,8,1891 .

30 - F. O. 84/1453 , From Kirk To Derby , Report About The Slaye in Zanzibar , Dated 1,5,1876 .

31 - F. O. 107/35 , No. 50 ,
From Hardinge To Kimberly , Dated 13,3,1895 .

32 - F. O. 403/367 ,
Memorandum By Judge Hamilton on Slavery in The Coast Strip of The East Africa Protectorate , Dated 15,5,1905 .

33 - F. O. 403/367 ,
Memorandum By Mr. Barth on Slavery in The Mainland Dominions of His Highness The Sultan of Zanzibar , Nairobi , Dated 24,6,1905 .

34 - F. O. 403/368 ,
Parliamentary Paper , No. 14 , Report By Mr. J. T. Last , On The Working on The Decree For The Abolition of The Statue Of Slavery During 1903 , Dated 23,5,1904 .

35 - F. O. 403/368 , No. 65 ,
Statement Showing The Number Of Slave Freed in Zanzibar and Pemba During 1904 , and 1905 .

36 - F. O. 2/286 , No. 110 ,
From Hardinge To Salisbury , Dated 9,4,1900 , Inclosure 2 in No. 110 .

37 - F. O. 2/188 , No. 20 ,
From Hardinge To Salisbury , Dated 10,1,1899 .

38 - F. O. 403/369 , No. 15 ,
Memorandum By Mr. Caye , Dated 19,10,1906 , Confidential .

39 - F. O. 107/92 , No. 86 ,
From Hardinge To Matheus , Dated 23,3,1898 .

40 - F. O. 107/57 ,
From Matheus To Hardinge , Dated 14,11,1896 .

41 - F. O. 403/367 ,
From F. O. To Anti-Slavery Committee Of The Society Of Friends , Dated 28,1,1906 .

42 - F. O. 403/368 , No. 47 ,
From F. O. To Colonial Office , Dated 4,8,1906 .

43 - F. O. 403/368 , No. 15 ,
Minute By Lord Fitzmaurice , Dated 10,7,1906 .

44 - F. O. 84/2229 , No. 11 ,
From Portal To Salisbury , Dated 27,1,1892

45 - F. O. 403/369 , No. 103 ,
From Mr. Cave To Sir Edward Grey , Zanzibar , Dated 4,8,1906 , Confidential .

46 - F. O. 403/172 , No. 87 ,
From Portal To Marquis of Salisbury , Dated 25,7,1892 .

47 - F. O. 403/172 , No. 197 ,
Intelligence Department To Foreign Office , Dated 23,8,1892 , Confidential .

48 - F. O. 403/172 , No. 199 ,
From Chrch Missionary Society To Foreign Office , Dated 24,8,1892 .

49 - F. O. 403/97 ,
Acting Consul - General Holmwood To The Marquis of Salisbury , Zanzibar , Dated 8,1,1887 .

50 - F. O. 403/367 ,
Memorandum By Sub-Commissioner Lane , Membasa , Dated 2,6,1905 .

51 - F. O. Report on The Spice and Other Cultivation of Zanzibar and Pemba Island Misc. , No. 266 , London , 1892 .

B - India Office :
I. O. R. L/ps/15/507
R/120/A/428 .

C - Bombay Archives Political Department :
B. A. P. D. , No. 98 , Part II , 1860,
Muscat and Zanzibar .
B. A. P. D. , No. 98 , Part III , 1859 .

D - National Archives and Records of The United States (N. A. R. A.)
No. 100 .

Published Documents : ٢ - وثائق منشورة :

A - Selections from the records of the Bombay government , Sel. R. B. G. No. XXIV , New Series , Bombay , 1856 .

Secondary Authorities : سابعاً : المراجع الأجنبيّـة :

1 - Al-Maamiry , Ahmed Mahmoud , Oman Portuguese History , Lancers Publishers , no place , 1982 .

2 - Anderson , J. N. D. , Islamic Law In Africa , Stationary Office , London , 1954 .

3 - Bennett , Norman R. , Studies In East African History , Boston , Boston University Press , Massachucsetts , 1963 .

4 - Bennett , Norman R. , Studies In History Of The Arab State Of Zanzibar , Metheman And Co. Ltd, London , 1978 .

5 - Bromage , W. H. , Atlas Of African Affairs , Prager , New York , 1981 .

6 - Brown , Walter T. , The Politic Of Business : Relation Between Zanzibar And Bagamonya In The Late Nineteenth Century , African Historical Century , Bublished By The African Studies Center , Boston , 1971 .

7 - Burton , Richard. F. , Lake Regions Of Central Africa , Vol. I , Tinsley Broders , London , 1860 .

8 - Burton , Richard. F. , Zanzibar City , Island And Coast , Vol. I , Tinsley Broders , London , 1872 .

9 - Burton , Richard. F. , Zanzibar City , Island And Coast , Vol. II , Johnson Reprint Corporation , London , 1872 .

10 - Clark , P. , A Short History Of Tanzania , Tanzania , 1960 .

11 - Clayton , Anthony ,
The Zanzibar Revolution In Its Aftermath , C. Hurst And Co. , London , 1981 .

12 - Colomb , Philip Howard ,
Slave Catching In The Indian Ocean , Longman Green And Co. , London , 1873 .

13 - Coupland , R. ,
East Africa And Its Invaders , Clarendon Press , London , 1938 .

14 - Coupland , R. ,
The Exploitation Of East Africa 1856 - 1890, Faber and Limited , London , 1939 .

15 - Coupland , R. ,
British Anti-Slavery Movement , T. Butter Worth Limited , London , 1933 .

16 - Coupland , R. ,
The American Revolution And The British Empire , Longmans , Green And Co. , London , 1930 .

17 - Crofton , R. H. ,
Statistic Of The Zanzibar Protectorate , 1893- 1930 , Zanzibar , 1931 .

18 - Davidson , Basil ,
A History Of East And Central Africa , Doubleday And Company Inc. , New York , 1969 .

19 - Davidson , Basil . J. E. Fmhina , B. A. Ogot ,
The Growth Of African Civilisation , Longmans , Green And Co. Ltd. , London , 1967 .

20 - Fisher G. B. Allan And Humphrey J. Fisher ,
Slavery And Muslim Society In Africa , C. Hurst And Company , London , 1982 .

21 - Freeman , G. S. P. ,
The Medieval History Of The Coast Of Tanganyika , Berlin , 1962 .

22 - Graham , Gerald S. ,
Great British In The Indian Ocean , Claredon Press , London , 1967 .
23 - Graham , Gerald S. ,
Great Britain In The Indian Ocean , Oxford Clarendon , London , 1967 .
24 - Gray , John M. ,
History Of Zanzibar , From The Middle Ages To 1856 , Oxford University , London , 1962 .
25 - Gray , John M. ,
The British In Mombasa , 1824 - 1826 , Clarendon Press , Oxford , 1965 .
26 - Grenville , G. S. P. Freeman ,
The East African Coast , Clarendon Press , London , 1962 .
27 - Houtsma , M. Th. , And Others ,
The Encyclopaedia Of Islam , Vol. IV , s - z, Luzac And Co. , London , 1934 .
28 - Ibn-Sirhan , Sirhan Ibn- Said ,
Annals Of Oman , The Cleander Press , London , 1943 .
29 - Ingham , Kenneth ,
A History Of East Africa , Friderick A. Prager , New York , 1984 .
30 - Ingrams , W. H. ,
Zanzibar , New Impressin , Frank Cass And Co. Ltd. , London , 1967 .
31 - Ingrams , W. H. ,
Arabia And The Isles , J. Murry , London , 1960 .

32 - Klima , George J. ,
The Barabaig East African Cattle Herders , Holt Rinehary And Winston , New York , 1970 .

33 - Lofchie , Michael F. ,
Zanzibar Background To Revolution , Princeton , Princeton University Press , New Jersey , 1965 .

34 - Lyne , Ropert Nurez ,
Zanzibar , Negro University Press , New York , 1969 .

35 - Martin , Esmond Bradley ,
Zanzibar Tradition And Revolution , Hamish Hamilton , London , 1978 .

36 - Middleton , John And Jane Campbell ,
Zanzibar , Oxford , London , 1965 .

37 - Milles , S. B. ,
Countries And Tribes Of The Persian Gulf , 2nd Edition Vol. II ,Cass And Cottd , London , 1966 .

38 - Nicholls , C. S. ,
The Swahili Coast , Allen And Unwin , London , 1971.

39 - Nurse , Derek And Thomas Spear ,
The Swahili , University Of Pennsylvania Press , Philadephia , 1984 .

40 - Oliver , Roland And Gervase Mathew ,
East Africa , Vol. I , Oxford Clarendon Press , London , 1963 .

41 - Oliver , Roland Anthony ,
The Missionary Factor In The East Africa , 1st. Ed , Longmans Green And Co. , London , 1952 .

42 - Osgood , Joseph B. F. ,
Notes Of Travel Or Recollections Of Majunga , Zanzibar , Muscat , Aden , Mocha, And Other Eastern Parts , George Greamer , Salem , 1854 .

43 - Pearce , F. B. ,
Zanzibar , The Island Metropolis Of Eastern Africa , Third Edition , Barnes And Noble , Inc. , New York , 1967 .

44 - Reusch , Richard ,
History Of East Africa , Friderick Ungar Publishing Co. , New York , 1961 .

45 - Rigby , General ,
Zanzibar And The Slave Trade With Journal Dispartches , Etc. By His Daughter Mrs. Charls E. B. Russel , George Allen And Unwin Ltd. , London , 1935 .

46 - Risso , Patricia ,
Oman And Moscat , Groom Helm , London , 1986 .

47 - Ruschenberger , W. S. W. ,
A Voyage Round The World , During The Years 1835 - 36 - 37 , Including A Narrative Of An Embassy Of The Sultan Of Muscat And The King Of Siam , In 1835 , 1836 And 1837 Vol. I , Carey Lea And Blanchard , Philadelpia , London , 1838 .

48 - Siqiroon , Ebraheam ,
The Omani And South Arabian Muslim Factor In East Africa , Dar Al-Alum , Riyadh , 1405 H / 1984 .

49 - Slade , Ruth ,
King Leopold's Congo , Oxford University Press , London , 1962 .

50 - Stigand , C. H. ,
A Grammar Of Dialect Changes In The Ki-Swahili Language , University Press , Cambridge , 1915 .

51 - Thomes , B. ,
Arab Rule Under Al-Bu Saide Dynasty Of Oman , 1741 - 1937 , Proc . British Val , New York , 1981 .

52 - Trimingham , S. ,
Islam In Ethiopia , Oxford Press , London , 1952 .
53 - Ward , W. E. F. And L. W. White ,
East Africa , African Publishing Corporation , New York , 1972 .
54 - Were , Gideons And Derek A. Wilson ,
East Africa Through A Thousand Years , African Publishing Corporation , New Yourk, 1970 .
55 - White G. H. Shelswell ,
A Guid To Zanzibar , The Goverment Printer , Zan , 1952 .
56 - Woolf , Leonard ,
Empire And Commerce In Africa , Howard Fertic , New York , 1968 .
57 - Yeager , Rodger ,
Tanzania An African Experiment, Westview Press , Boulder , Colorado , 1982 .
58 - Zomarsh ,
East Africa , Cambridge University Press , London , 1961 .

ثامناً : الدوريات الأجنبيّة :

Periodicals :

1 - Akinola , G. A.
" Slavery and Slave Revolts In The Sultanate Of Zanzibar In The Ninteenth Century " , Journal Of The Historical Society Of Nigeria , Vol. VI , No. 2 , no place , 1972 .

2 - Allen , Calvin H. ,
" The State Of Mascut In The Gulf And East Africa , 1785 - 1859 " , International Journal Of Midle East Studies , Cambredge University Press , London , 1979 .

3 - Alpers , Edward. A. ,
" Ordinary Household Chores , Ritual And Power In 19th Century " , International Journal Of American Historical Studies , Vol. 17 , Boston , 1984 .

4 - Bennett , Norman Robert ,
" France And Zanzibar - 1844 To The 1860's" , The International Journal Of African Historical Studies , Vol. 4 , Massachusetts , Salem , 1973 .

5 - Berman , Edward H. ,
" Salem And Zanzibar 1825 - 1850 Twenty-five Years Of Comercial Relations", Essex Institute Historical Collections , University Press , Boston , 1965 .

6 - Gundara , Jagdish , S. ,
" Fragment Of Indian Society In Zanzibar Conflicf And Change In The 19th Century ", Africa Quarterly , Vol. XXi , Nosi 2-4 , 1982.

7 - Gray , J. M. ,
" Ahmed Bin Ibrahim , The First Arab To Reach Buganda " , Journal Uganda , Vol. II , 1947 .

8 - Gray , J. M. ,
" The Hadimu And Tumbatu Of Zanzibar " , Tanzania Notes And Records , No. 81 And 82 , Tanzania , 1977 .

9 - Hunts , Richard H. Gates . ,
" Salem And Zanzibar : A Special Relationship . " Essex Institute Historical Collection , Vol. 117 , No. 1 , Salem , Massachusetts , January 1981 .

10 - Martin , B. G. ,
" Notes On Some Member Of The Learned Classes Of Zanzibar And East Africa In Ninteenth Century " , The International Journal Of African Historical Studies , Vol. IV , Part 3 , 1971 .

11 - Nwulia , Moses. D. E. ,
" The Rule Of Missionaries In The Emancipation Of Slave in Zanzibar " , Journal of History , No. 60 , Part 2 , London, 1975 .

12 - Richardson . Katherine. W. ,
" The Travels And Tribulations Of Charles Benson Steward On The Glide , 1861- 1881 " , Essex Institute Historical Collections , Vol. 120 , No. 2 , Salem , Massachusetts , April 1984 .

***

المحتويـــــات

الباب الثاني
النّواحي الاجتماعيـة

الباب الثالث

النّواحي الثقافيــة والفكـرية

***